منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصيلي

محمد داود

تاريخ تطوان

المجلد السادس

1970

تاريخ تطوان

محمد داود

تاريخ تطوان

المجلد السادس

المطبعة المهدية — 1386 هـ - 1966 م — تطوان (المغرب)

في هذا المجلد (السادس)

الفصل الاول (من الباب الثامن)

ولاة تطوان وحوادثها من عام 1278 الى عام 1300 ه.

الفصل الثاني

من رجال تطوان في القرن الثالث عشر للهجرة.

الباب الثامن

تطوان بعد حرب عام الستين

ويحتوي على خمسة فصول :

الاول - ولاة تطوان وحوادثها من عام 1278 الى عام 1300 ه،

الثاني - من رجال تطوان في القرن الثالث عشر الهجرة .

الثالث - من قضاة تطوان وعدولها ووثائقها الشرعية في هذا القرن

الرابع - التصوف والشيوخ بتطوان في هذا القرن .

الخامس - ملخص عن أحوال تطوان في هذا القرن .

الفصل الأول

(من الباب الثامن)

ولاة تطوان وحوادثها

من عام 1278 الى 1300 هـ

ولاية الحاج عبد القادر أشعاش على تطوان في 14 شوال عام 1278 هـ

لما تم الاتفاق بين الدولتين المغربية والاسبانية على جلاء الاسبانيين عن تطوان وعودة الحكم المغربي الخالص إليها ، عين السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن واليا من قبله وكلفه بتسلم الحكم فيها من رئيس الجيش الاسباني الذي كان محتلا لها ، وكان هذا الوالي هو القائد الحاج عبد القادر أشعاش التطواني الذي سبق له أن تولى حكمها من سنة 1260 ، إلى سنة 1267 هـ .

رسالة من السلطان إلى أهل تطوان بولاية القائد أشعاش عام 1278

وهذا نص الكتاب الذي أرسله السلطان المذكور إلى أهل تطوان بتولية القائد أشعاش المذكور عليهم للمرة الثانية .

الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله من بعده

ثم الطابع السلطاني الكبير ونقش وسطه : محمد بن عبد الرحمن غفر الله له . وحول ذلك ـ الله . محمد . أبو بكر . عمر . عثمان . علي . وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . وبدائرته :

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الاسد في آجامها تجم

خدامنا أهل تطوان كافة أعانكم الله وأصلحكم وسلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته.

وبعد فهنيئا لنا ولكم وللمسلمين أجمعين ، بما من به الكريم الرحمن ، الرحيم البر المنان ، من رجوع تطوان ، فيا لها من نعمة ما أعظمها ، ومنة ما أجلها وأفخمها ، فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين ، الذي لا خير إلا خيره ، ولا إلاه غيره ، على ما أنعم به من العفو والعافية ، والالطاف الخافية ، بعباده المومنين .

هذا وان تلك البلاد المباركة ، لا يخفى عليكم أن الخراب استولى عليها ، وأن من الامر الاكيد المتعين ، الواضح البين ، القيام على ساق الجد حتى تعود بحول الله وقوته إلى حضارتها ، وحسنها ونضارتها ، وكيف لا وقد كانت غرة في جبين المغرب الاقصا ، لا تحد أوصافها ولا تستقصا ، وذلك لا يتأتى إلا على يد رجل خبير بأمورها ، عارف بما ياتي في ورودها وصدورها ، يقوم بها أحسن قيام ، ويحصل به القصد والمرام، وما رأينا أولى ولا أنسب لذلك من خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، لقيام تلك الاوصاف به ، ولكونه يسلك بأهلها أفضل المسالك ، وها نحن وليناه عليكم ، وأسندنا إليه أمركم ، فاسمعوا له وأطيعوا فيما يامركم به من أوامرنا الشريفة ، ونواهينا المنيفة ، وستجدون فيه من الخصال الحميدة ، والوقوف في رفء خرق تلك البلاد السعيدة ، ما تزدادون بسببه محبة فيه ويغبطكم فيه غيركم .

ولقد عمل فيه أدب سيدنا قدسه الله، وجدد عليه وابل رحماه ، عملا ظهر عليه أثره في أحواله ، وأقواله وأفعاله ، أسعدكم الله به وأسعده بكم ، وجبر كسركم وصدعكم ، آمين والسلام في 14 شوال عام 1278 .

من أخبار تطوان بعد عودة الحكم الاسلامي المغربي إليها عام 1278هـ 1862م

وبمقتضى الرسالة السلطانية السابقة ، صارت مدينة تطوان رسميا تحت سلطة حاكم مسلم مغربي خاضع لاوامر سلطان المغرب ونواهيه ، وبذلك أنقذها الله من إلحاقها ببلاد اسبانيا وجعلها - مثل مدينتي سبتة ومليلية - قطعة من البلاد الاسبانية ، تتدين بالمسيحية ، وتتكلم بالاسبانية ، وبذلك عادت إلى حظيرة الحكم الاسلامي المغربي ، وصار أهلها يعودون إليها أفراداً وأفواجا بعد أن تفرقوا وتبعثروا في مختلف مدن المغرب وقبائله ، وبذلك صارت الدوائر المخزنية توجه إليها عنايتها وتهتم بشؤونها وبشؤون أهلها وسكانها .

وبمراجعتنا الرسائل التي تبودلت بين تلك الدوائر وقائد تطوان وحاكمها الجديد، نعرف مبلغ تلك العناية وذلك الاهتمام ، والنواحي التي كانت موضع عناية القوم في تلك الايام .

وسنورد هنا ما وقفنا عليه من تلك الرسائل (1) التي لا تخلو من فائدة ، خصوصا وإنها رسائل رسمية صادرة إما من السلطان نفسه ، وإما من بعض وزرائه .

ومن قراءة تلك الرسائل ، نعرف أن القوم حقيقة كانوا يبذلون كل ما في وسعهم وما يستطيعون من جهود في سبيل مصلحة الدولة والامة، لولا دسائس الاجانب واستغلالهم لبعض ضعاف النفوس ومرضى القلوب من أصحاب البطون المنتفخة الممتلئة بالسحت والخمور ، تلك الدسائس التي بكل أسف تغلبت على جهود المخلصين ، وشغلت الناس بما لا يعني ، وألهتهم عن اتخاذ الوسائل اللازمة لرقي الامة وتقدمها في ميادين العلم والاقتصاد والنظام ، حتى حلت الكارثة بفقد المغرب لحريته واستقلاله ، ووقوعه تحت براثن الحماية التي قيدته شر تقييد ، ففقد كل ارادة وصارت حكومته كالميت بين يدي غاسله والامر لله .

وسنرتب ما وقفنا عليه من تلك الرسائل على حسب تواريخها إلا إذا اقتضت بعض المناسبات خلاف ذلك .

وعلى عادتنا سوف نوضح ما نرى أنه يستدعي الايضاح ، ونعلق بما يسنح لنا من الخواطر ، زيادة في البيان ، وتنويرا لبعض الاذهان .

---

1) عدد من هذه الرسائل ، أطلعني على أصولها ، الفاضل الحاج أحمد بن أحمد ابن القائد الحاج عبد القادر أشعاش حفظه الله .

ونحن بتتبعنا للحوادث والاخبار المتسلسلة حسب ما في هذه الرسائل ، نشعر بأنفسنا كأننا نعيش مع أولائك القوم في ذالك العهد ، وما هي فائدة قراءة التاريخ إذا لم تجعل الانسان يشعر بأنه يعيش في زمن غير زمنه ، مع قوم غير قومه ؟

هي صفحات يقرأها الناس وكأنها مناظر سينمائية تمر أمام أبصارهم مرورا ، فيستفيد المفكرون ، ويعتبر المتدبرون ، أما الذين هم كبقر الله في أرض الله ، فانهم عن وجودهم ساهون ، وفي غفلتهم أو غرورهم يعمهون .

ولاية قائد تطوان ، على القبائل القريبة منها 14 شوال

قد وقفت على خمسة ظهائر سلطانية فيها تولية قائد تطوان الحاج عبد القادر أشعاش على خمس قبائل جبلية متصلة بتطوان أو قريبة منها ، وهي قبائل الحوز ، وبني حزمر ، وبني سعيد ، وبني ليت ، وبني معدان ، وكل واحدة منها لها ظهير خاص بها ، وذالك زيادة على ولايته على مدينة تطوان .

والظهائر الخمسة كلها على وتيرة واحدة ، وهي مؤرخة برابع عشر شوال عام 1278هـ وهو نفس التاريخ الذي أسند إليه فيه حكم تطوان ، وهذا نص أحد تلك الظهائر.

ظهير تولية قائد تطوان على قبيلة بني سعيد 14 شوال

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

ثم الطابع السلطاني الكبير ، ونقش وسطه ، محمد بن عبد الرحمن غفر الله له .

خدامنا قبيلة بني سعيد كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فإنا ولينا عليكم خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وأسندنا له النظر فيكم ، وبسطنا له يد التصرف عليكم ، فاسمعوا له وأطيعوا فيما يامركم به من أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم آمين ، والسلام في 14 شوال 1278 .

ويلاحظ هنا أن « بني معدان » قد كتب لها أيضا ظهير خاص بولاية القائد أشعاش عليها ، كأنها قبيلة قائمة بنفسها ، وذالك من الغرابة بمكان ، لان «بني معدان» كانت وما تزال إلى الآن فرقة صغيرة لا تحتوي إلا على أربعة مداشر لا غير ، وهي إحدى الفرق الخمس التي منها تتكون قبيلة بني حزمر ، التي بها نحو الثلاثين مدشرا ، كما أنها مجاورة القبيلة بني سعيد الجبلية التي بها نحو ثمانين مدشرا . . .

السلع التي لم تعشر أيام الاحتلال.21 شوال

عرفنا من الرسالة السابقة التي بعثها السلطان إلى أهل تطوان ، أن تولية القائد أشعاش على هذه المدينة كانت في رابع عشر شوال عام 1278 هـ .

إلا أننا سنعرف من رسائل أخرى ، أن القائد المذكور لم يتسلم حكمها من السلطة الاسبانية ، إلا يوم فاتح شهر ذي القعدة من نفس العام .

كما سنعرف أن الدوائر المخزنية العليا ، صارت تفكر وتبحث في شؤون هذه المدينة ، بمجرد تولية قائد مغربي عليها ، قبل أن يتسلم الحكم بها .

وكان من أهم ما بحثت فيه ، ناحية من النواحي المالية ، وهي أعشار السلع التي دخلت تطوان في عهد الاحتلال الاسباني دون أن تتسلم الخزينة المغربية واجباتها الجمركية .

ويظهر أن تلك الدوائر ، بلغها أن التجار الاسبانيين وغيرهم ، لما عزموا على مغادرة تطوان مع جيوش الاحتلال ، باعوا ما كان لديهم من السلع ، فاشتراها منهم المتخلفون بالمدينة والعائدون إليها قبيل الجلاء ، فبحثت تلك الدوائر في ذلك ، وأرادت أن تتقاضى أعشار تلك السلع وغيرها مما ورد من الخارج أثناء الاحتلال الاسباني فلم تدخل أعشاره بيت المال المغربي ، وقد أمرت تلك الدوائر حاكم تطوان بالبحث في ذلك ، وهذه رسالة من السلطان في ذاك الموضوع .

رسالة سلطانية حول السلع التي لم تعشر. 21 شوال

خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد بلغنا أن بعض أهل تطوان ذهبوا لها عند خروج النصارى منها واشتروا ممن كان بها من التجار سلعا مختلطة وجعلوها بمخازنهم ، ولا يخفى أن تلك السلع كلها دخلت من المرسى بلا تعشير ، فلا بد ابحث عنهم وأحص جميع ما تحت يدهم من السلع ومن كان منهم من رعيتنا من المسلمين وأهل الذمة ، فحز منهم عشر ما عندهم من السلع ، ومن كان من أجناس أخرين فأحص ما عندهم وأعلم به قونص جنسهم والسلام ، في 21 شوال الابرك عام 1278 .

رسالة من قائد تطوان ، إلى السلطان. 15 قعدة

وقد أجاب القائد أشعاش عن هذه الرسالة السلطانية ، بكتاب تعرض فيه لقضية الاعشار واغيرها من أخبار الاسبانيين وشؤون تطوان ونص ذلك الكتاب :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه

سيدنا أمير المومنين ، وناصر الملة والدين ، بعد تقبيل حاشية البساط الكريم ، وتأدية ما يجب للسيادة من الاجلال والتعظيم ، أنهي المعلم الشريف ، أن الامين عدة الذي كنا وجهناه مع النصرى لسبتة ، قدم لتطوان وأخبر أن كبيرهم بوصوله لسبتة ، شرع في تفريق جيشه ، وبعث كل الى محله ، ومن بركة سيدنا وسعادته ، لما انتقلوا من مرتيل ووصلوا موضعا يدعى « بو زغلال » سلط الله عليهم النحل حتى قتل منهم ثلاثة وتكسرت يد كبير لهم وماتت اهم بغلة ولم يسلم من اللسع إلا القليل .

هذا وبلغنا أمر مولانا بالبحث عن السلع المخلدة في البلد وأخذ عشورها من أهل ملتنا والاعلام بغيرهم ، فها نحن نبحث عن ذلك ونحصيه ونوجهه للحضرة الشريفة ، وقد عينا الامين للمرسة عبد الغفور اللبادي ونطلب من سيدنا أن يعين لنا أجرة العدلين وكبير المرسة كما فعل في مراسيه السعيدة ، وأن ياذن لخديمه الامين الحاج الحارثي برادة باصلاح المرسى وما تفتقر إليه من الفلايك وغيرهم ، وسيدنا يامر الامناء أن ينفذوا جميع ما تتوقف إليه الاوامر الشريفة . . . . . . (هنا بياض في أصل المبيضة).

وفي 15 ذى القعدة الحرام عام 1278 .

ويظهر أن القائد المذكور بعد أن بحث في ذلك الامر ، كتب بنتيجة بحثه إلى السلطان ، وهذا جواب السلطان عن ذلك .

جواب السلطان عن السلع التي لم تعشر

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته ، وبعد فقد وصلنا كتابك جوابا عما كتبنا الك في شأن ما بلغنا من شراء أهل تطوان السلع التي كانت هناك بيد الصبنيول الداخلة بلا تعشير ، وذكرت أنك بحثت كل البحث عن ذلك ، فلم تجد أحدا من المسلمين اشتراها ، وإنما وجدت قليلا منها بيد اليهود الذين في حمايتهم ، كانوا يتجرون فيها معهم ، وانك كتبت للطالب محمد بركاش في شأنها فأجابك بأنه تكلم مع القونص فلم يساعده على تعشيرها وصار ذلك بالبال والسلام .

في 12 من ذى الحجة الحرام عام 1278 » .

ومن هذا الجواب ، نعلم أن أصحاب تلك السلع ، كانوا من اليهود المحتمين بالاجانب ، وأنهم كانوا يستندون على حمايتهم لاغتصاب حقوق الحكومة المغربية ، وان قنصلهم وافقهم على اغتصابهم ، ورفض أن يدفعوا للخزينة المغربية ، الواجب القانوني للديوانة . . . كذلك كان الحال ، والويل للضعيف على كل حال .

والحمد لله على انتهاء عهد الحمايات ، والقضاء على أنواع من الامتيازات . . .

توزيع السلاح على أهل تطوان . 25 شوال

وهذه رسالة أخرى بعثها السلطان إلى قائد تطوان قبل أن يتسلم حكم هذه المدينة من يد السلطة الاسبانية ، وسنرى فيها أن من أول ما وجه السلطان إليه عنايته، إرسال البارود إلى تطوان وتوزيع السلاح على أهلها استعدادا للطوارىء .

وهذا نص الكتاب السلطاني المتعلق بذلك .

«خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فيصلك على يد وصيفنا فرجي ، مائتا قنطار من البارود وألف مكحلة ، فاجعل البارود بالخزين ، وفرق المكاحل على من يستحقها من أهل تطوان الذين ضاعت مكاحيلهم ، وقيدها عليهم في زمام كل من حاز واحدة منها باسمه تبقى عندهم يعمرون بها أيديهم حتى يوسع الله عليهم ويردوها لك لتبقى بالخزين تحت يدك والسلام .

في 25 شوال 1278 » .

أول صلاة جمعة أقيمت بتطوان بعد استرجاعها . 3 ذي القعدة

علمنا أن وصول القائد أشعاش لتطوان ، واسترجاعه لمفاتيح المدينة من يد حاكمها قائد جيش الاحتلال الاجنبي ، وابتداء عودة المهاجرين من أهلها إليها ، كان يوم فاتح ذى القعدة عام 1278 ، فكانت أول صلاة جمعة أقيمت بهذه المدينة بعد إرجاعها إلى حظيرة الحكم الاسلامي العربي المغربي ، هي التي أقيمت بالزاوية الريسونية يوم الجمعة ثالث ذى القعدة المذكور ، وقد خطب فيها خطيبها الفقيه الاديب الشريف سيدي مفضل أفيلال خطبة ننقلها من خط حفيده الفقيه الاديب الشريف سيدي البشير أفيلال وهذا نصها :

الحمد لله الذي طهر بيوتنا من الكفر وعبادة الاوثان، وتكرم علينا برجوع الاوطان، وجمع شمل الاخوان بتطوان ، بعد ما من علينا بعظيم الهجرة ، وبلغ كلامنا مناه وأجره، فسبحانه من إلاه ما أعظمه ، ومن كريم ما أحلمه ، كل يوم هو في شان ، نحمده تعلى ونشكره ، على ما خصنا به من الانعام والاكرام ، ونستعينه سبحانه ونستغفره ، ونسئله أن يبلغنا من خير الدارين فوق المرام، وأصلي وأسلم على من سن الهجرة لامته وفرضها ، ونهاهم عن الاقامة بدار الكفر ولم يرضها ، وعلى آله الطيبين ، والانصار والمهاجرين . . . من يطع الله الخ .

عباد الله . إن شكر النعم واجب على كل مسلم ، ومن جملة الشكر الاقرار بها للمنعم ، وقد أنعم علينا سبحانه بوجود مولانا الامام ، الشريف العلامة الهمام ، الطالع في سماء الخلافة طلوع بدر التمام ، سيدنا محمد ابن مولانا عبد الرحمن بن هشام ، أيده الله ونصر عساكره، وقطع به الفئة الفاجرة، فجدد به حلل الدين بعد تمزيقها وقد تمزقت معها القلوب ، وأعاد شمس الايمان مشرقة بعد أن مالت للغروب ، ورد علينا بلدتنا تطوان دار اسلام ، بعد أن سكنها الاعداء اللئام ، فيا لها من نعمة ما أعظمها ، ومن مزية لم ينل غيره مثلها ، فقوموا عباد الله بشكره ، وكونوا عند نهيه وأمره ، ومن عجز عن مكافأته ، فليكثر له من الدعاء في الصباح والمساء ، فقد قال عليه الصلاة والسلام، من أسدى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تقدروا فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه، فلاحظوا هذه المزية بعين الاعتراف والتعظيم ، واسمعوا قول نبينا عليه أفضل الصلاة والتسليم ، إن الله ليزع بالسلطان، ما لا يزع بالقرآن ، وقال عليه السلام ، السلطان ظل الله في الارض، ياوي إليه كل مظلوم ، وقال صلى الله عليه وسلم إن لله حراسا في السماء وحراسا في الارض ، فحراسه في السماء الملائكة ، وحراسه في الارض ، الذين يقبضون أرزاقهم يذبون عن الناس ، وقيل ، أسرع الدعوات إلى الاجابة ، دعوة

السلطان الصالح ، وأولى الحسنات بالاجر والثواب ، أمره ونهيه في وجه المصالح ، وقال صلى الله عليه وسلم ، السلطان ظل الله في الارض، ياوي إليه الضعيف ، وبه ينتصر المظلوم ، فمن أكرم سلطان الله في الدنيا ، أكرمه الله يوم القيامة ، فأخلصوا له صميم نيتكم، وحصنوه بصالح أدعيتكم ، وامزجوا ذلك بالطعام والاقوات ، واستغرقوا فيه جميع الاوقات ، ولا تغفلوا عما به أكرمكم ، واذكروا قوله تعلى ، لئن شكرتم لازيدنكم ، كما وجب علينا شكر سيدنا الخليفة ، المتخلق بأخلاقه المنيفة ، من بطلعته زال عنا الحزن والياس، خليفته مولانا العباس ، فقد بذل في تخليص ثغرنا مجهوده ، أدام الله جوده ووجوده ، ءامين ، وتدبروا في ذلكم قول مولانا الكريم . . . يأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم . . . نفعني الله وإياكم الخ .

شراء المدافع لابراج تطوان . 6 ذى القعدة

وشعرت الدوائر المخزنية العليا بأن مدينة تطوان التي هي أقرب المدن المغربية إلى شواطى البحر الابيض المتوسط ، لم يبق بها من المدافع ما يجب أن يكون في مثلها ، ففكرت في شراء المدافع التي هي من أهم وسائل الدفاع .

وهاتان رسالتان عن شراء بعض المدافع من أوربا لوضعها في حصون هذه المدينة وأبراجها .

ونص الاولى :

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فانا وجهنا حامله الحاج عبد الرحمن اتشولو لنقل عياله لتطوان ، وعيناه للوقوف على اشتراء المدافع لتطوان إن شاء الله على يدك والله يعينك والسلام.

6 ذى القعدة عام 1278 » .

ونص الثانية :

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فنامرك أن تتفاوض مع شولو الطبجي في فرمات المدافيع التي أمرنا باشترائها بقصد تطوان ، فما أشار به ، فاكتب به لخديمنا الطالب محمد بركاش ولا بد ، فانه طلب فرمات المدافيع فأحلناه عليكم ، وقد أمرنا أن يشتري من المدافيع قدر ما فضل في يد فورط من المال الذي دفع للصبنيول وهو نحو سبعة عشر ألف ريال والسلام.

في 23 صفر 1279 » .

وقد ورد في هاتين الرسالتين - كما رأيت - ذكر الطبجي التطواني المشهور ، الحاج عبد الرحمن التشولو ، ومن ذلك نعرف أنه كان رجلا خبيرا يرجع إليه في فنه.

وسياتي لنا في أخبار عام 1280 ، أن هذه المدافع قد تم شراؤها ، ووصلت تطوان مع ما يتبعها من اللوازم ، ووضعت في الامكنة المخصصة لها الخ .

إعفاء النائب السلطاني ، السيد محمد الخطيب التطواني . 8 قعدة

وهذا كتاب يخبر السلطان فيه القائد أشعاش بأنه أعفى السيد محمد الخطيب التطواني من الوظيف الذي كان مطوقا به وهو النيابة عن السلطان في مباشرة الشؤون الخارجية ، والاتصال بسفراء الدول الاجنبية ، والمذاكرة معهم باسم الحكومة المغربية الخ.

وهذا نص ذلك الكتاب المختصر كل الاختصار :

« الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم

محمد بن عبد الرحمن الله وليه

خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش أعانك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فاذا أرحنا خديمنا الطالب محمد الخطيب لكبر سنه ووجهناه لداره ، والله يعينك والسلام .

8 ذي القعدة 1278 » .

وهكذا أراح السلطان خديمه الطالب محمد الخطيب بعد أن عقد الصلح مع الاسبان. وأعيدت تطوان الى حظيرة الدولة المغربية ، وبذلك انتهت مهمته ، فليرح وليوجه لداره مزوداً بذكرياته ، وتلك نهاية كل موظف كائنا من كان ، فليعتبر الغافلون ، وليعملوا من الخير في عهد وظيفهم ما به يذكرون ويرحمون . . . .

وهذا كتاب سلطاني آخر يتعلق بالخطيب بعد اعفائه والامر بتوجيهه لداره ونصه:

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد وصلنا كتابك أشرت فيه بتوجيه خديمنا الطالب محمد الخطيب لتطوان قاصدا لما ذكرته في توجيهه لطنجة من كثرة الكلام ، وبأن نامر بتوجيه من كانت له معه محاسبة إليه ليتحاسب معه هناك ، فها نحن أمرناه بذلك وكتبنا لخديمنا الطالب محمد بركاش بتوجيه من أراد الحساب معه إليه لتطوان ليتحاسب معه بها، والله يعينك والسلام.

في 17 ذي القعدة عام 1278 » .

وبهذه الرسالة صان السلطان - جزاه الله خيرا - كرامة خديمه الخطيب ولم يعرضه لتشفي بعض الناس من الذين يركعون أمام الشخص ويقبلون أطرافه وأعتابه في أيام وظيفه وإقبال الدنيا عليه ، فإذا أدبرت عنه ، غمزوا ولمزوا ، وأطلقوا لالسنتهم العنان ، وأشهروا الرماح والسنان ، وفتحوا أبواب الحساب ، وانتظروا نزول العقاب . . .

رسالة من الحاجب موسى بن احمد إلى قائد تطوان. 8 ذي القعدة

وكانت عادة ولاة الاقاليم أنهم تارة يكتبون للسلطان رأسا ، وتارة يكتبون للوزير الذي يطلع السلطان على ما يكتب به إليه أولئك الولاة ، وهذه رسالة كتبها الحاجب السلطاني موسى بن أحمد إلى قائد تطوان عن وصول إحدى رسائله وإطلاع السلطان عليها ، ونصها :

« الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا وخديم سيدنا أيده الله ، الارضى الحاج عبد القادر أشعاش رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير سيدنا نصره الله .

وبعد وصل كتابك مخبرا بوصولكم طنجة وقيامكم بها تسعة أيام عند سيدي مولاي العباس حفظه الله على سبيل الضيافة ، ويوم تاريخه قاصدين تطوان بالسلامة إلى غير ذلك من عدم المكاتبة ، أطلعنا علم مولانا الشريف عليه وعلى ما فيه بباله السعيد ، وعلى المحبة والسلام .

في 8 من ذي القعدة عام 1278 .

موسى بن احمد لطف الله به

ومن هذه الرسالة نعرف أن قائد تطوان قبل أن يصل إلى مقر حكمه ، قصد مدينة طنجة التي هي مقر سفراء الدول ونواب الاجناس ، وكان بها أيضا أخو السلطان وخليفته مولاي العباس ، وقد نزل القائد ضيفا على الخليفة المذكور عدة أيام نفهم أنه وقع فيها الاتصال بين الطرفين ، المغربي والاسباني ، وتم الاتفاق على تحديد وقت تسليم تطوان للجانب المغربي ، وبذلك لم يقدم القائد أشعاش على دخول مدينته إلا بعد التمهيد لذلك والاتفاق عليه ، وتلك اجراءات معقولة متزنة .

قائد تطوان يتسلم المدينة من حاكم الاسبان . 9 ذى القعدة

ووصل القائد أشعاش إلى تطوان بصفة رسمية ، وتسلم مفاتيح المدينة من يد القائد الاسباني الذي كان هو الحاكم العسكري بها ، وبذلك أصبحت هذه المدينة رسميا تحت السلطة المغربية ، وقد كتب قائدها الجديد بذلك إلى حضرة السلطان رسالة أجابه عنها برسالة هذا نصها :

« الحمد لله وحده   وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

ثم الطابع السلطاني الصغير ونقشه ، محمد بن عبد الرحمن الله وليه

خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك ، واستفدنا منه حلولكم بثغركم حرسه الله في مهل ذى القعدة والتقائك بكبير جنس الصبنيول ودفعه لك مفاتيح البلاد ، وعرفنا ما حصل من السرور بذلك للحاضر والباد ، فذاك عندنا غاية المراد ، نسئل الله تعلى أن يديمه علينا وعلى جميع المسلمين ، ويوفقهم لما فيه صلاح الدنيا والدين ، آمين .

وعرفنا ما أخبرت به من أن الكبير المذكور جد في حمل أثقاله من مرتيل ، وحال بين ركوبه البحر هيجانه ، وأنه عزم على التوجه براً لسبتة إن مضت ثلاثة أيام وبقي البحر على حاله والسلام .

في 9 من ذى القعدة الحرام عام 1278 » .

ومن هذه الرسالة ، نعرف أن وصول القائد أشعاش إلى تطوان رسميا ، كان يوم فاتح ذى القعدة عام 1278 ، وهو يوافق 30 ابريل سنة 1862 م ، وأنه بمجرد وصوله إليها تسلم من قائد الجيش الاسباني مفاتيح المدينة ، وقد كانت لتطوان في ذلك العهد ، أسوار تحيط بها من جميع جهاتها ، وكانت لها أبواب كبيرة تفتح وتغلق في مواعيد محددة فلا يستطيع أحد دخول المدينة أو الخروج منها إلا من تلك الابواب ذات المفاتيح الحديدية المتينة ، وكانت تلك المفاتيح تحفظ في كل ليلة لدى حاكم البلد نفسه ، فتسليمه لها ، يعتبر تسليما لمقاليد الامور في المدينة وتنازلا عن السلطة بها لمن تسلم منه تلك المفاتيح .

رسالة من الوزير ابن اليماني إلى قائد تطوان . 11 ذي القعدة

وكان القائد أشعاش قد أعلم الوزير ابن اليماني بو عشرين بوصوله إلى تطوان، وهذا جوابه من الوزير المذكور ، وفيه الاشارة إلى الرسالة السلطانية السابقة المؤرخة بـ 9 ذي القعدة :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

محبنا الاعز الارضى السيد الحاج عبد القادر أشعاش ، أمنك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا نصره الله .

وبعد وصلنا كتابك واستفدنا منه وصولكم لثغر تطوان بالسلامه ودخولكم إليها ، فلله الحمد والمنة ، وقد أجابك سيدنا بما فيه كفاية ، ووجه لك جوابه الشريف صحبة قائد مائة عرائشي توجه مع مال طنجة ، وعلى المحبة والسلام .

في 11 ذي القعدة عام 1278 .

الطيب بن اليماني

توزيع الخيل على مخازنية تطوان

وسكان تطوان ، عند ما رجعوا إلى بلادهم بعد هجرتهم منها وغيبتهم عنها ما يزيد على العامين ، لم يعودوا إلا برؤوسهم ، فلا خيل لديهم ولا مال ، بل إن السعيد منهم هو من استطاع أن يجد ما يسد به رمقه ورمق أفراد عائلته فلم يموتوا جوعا .

ولقد كان من جملة ما وجه السلطان إليه عنايته عند استرجاع هذه المدينة ، وجود قوة مخزنية بها لتحافظ على الامن وتحفظ هيبة السلطة المخزنية التي بها تصان الحقوق وتحفظ الكرامة، كرامة الحكومة وكرامة الافراد .

وقد علمت أن نفوذ قائد تطوان وحاكمها ، كان يشمل عدة قبائل ، منها ما هو متصل بالمدينة أو قريب منها ، ومنها ما يبعد عنها بعشرات الاميال - أعني الكيلومترات - ووسائل الاتصال والانتقال في ذلك العهد ، كانت كثيرا ما تعتمد على الخيل ، اذ لم تكن هناك لا تلغرافات ولا تيلفونات ، ولا طرق معبدة ولا سيارات، فمهمة الخيل ، زيادة على المظهر والفروسية ، والابهة والفخفخة ، كانت من الاهمية بمكان ، فلذلك كان تزويد المخازنية بالخيل ، من أهم ما اعتنت به الحكومة إذ ذاك .

ويظهر أن مخازنية تطوان ، كان عدد الفرسان منهم في ذلك العهد - مائة شخص، وهذا كتاب يخبر السلطان فيه القائد أشعاش بأنه أمر بأن ترسل إليه الخيول الصحيحة السالمة . ونصه :

رسالة سلطانية إلى قائد تطوان عن الخيل . 11 ذى القعدة

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد فانا أمرنا خديمنا القائد بو بكر الحباسي بأن ييسر خمسين فرسا صحيحة سالمة من العيوب من عند بني مالك ويوجهها اليك ، فان وصلتك فادفعها لخمسين مخزنيا من مخازنية أهل تطوان المعلومين ، والخمسون الباقية سنوجه لها الخيل إن شاء الله . وإن وجدت في هذا الخيل معيبا أو غير صحيح فرده إليه ولا تقبل الا الصحيح السالم ، وأمناء تطوان يقومون بترقيع سروج المخازنية الذين تدفع لهم الخيل وتكميل ما هو ناقص منها والسلام في 11 من ذى القعدة عام 1278 » .

حصر صرف الريال في 32 أوقية ونصف

ومن المعروف أن أساس العملة المغربية في ذلك العهد ، كان هو المثقال ، وأن المثقال الواحد كان يحتوي على عشر أوقيات (عشر اواق) فكانت المعاملات تبنى على أساس المثقال وأجزائه التي هي الاوقيات والموزونات والفلوس ، ولكن كانت هناك ريالات رائجة تباع كما تباع العروض ، وكان سعرها معرضا للارتفاع والنزول ، تارة حسب العرض والطلب ، وتارة حسب مصالح السماسرة وأهواء المتلاعبين والمستغلين .

ويظهر أنه وقع في ذلك العهد تلاعب في صرف الريال واستغلال أو فوضى في ذلك ، فأمر السلطان بأن يحصر صرف الريال الواحد في اثنين وثلاثين أوقية ونصف أوقية ، وكتب بذلك إلى القائد أشعاش رسالة هذا نصها :

رسالة من السلطان عن حصر صرف الريال. 12 ذى القعدة

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فنامرك أن تحصر صرف الريال في إيالتك باثنين وثلاثين أوقية ونصف ، وأطلق النداء بذلك ، ومن اطلعت عليه يزيد على ذلك فازجره حتى يقف فيها ولا يعود أحد للافتيات بالزيادة فيه والسلام .

في 12 ذي القعدة الحرام عام 1278 » .

ومن هذه الرسالة ، نعرف النسبة التي كانت بين المثقال والريال في ذلك العهد، أي إن الريال الواحد كان يساوي ثلاثة مثاقيل وربع مثقال ، وأن المثقال الواحد كان فيه نحو ثلث الريال .

على أن هذه النسبة بين الريال والمثقال والاوقيات ، لم تبق كذلك ، لان سعر الريال - كما قلنا - كان غير ثابت ، وقد صار الريال الواحد بعد ذلك يساوي عشرين أوقية أي مثقالين اثنين الخ .

رسالة من الحاجب موسى عن بعض شؤون تطوان. 17 ذي القعدة

وهذه رسالة مهمة كتبها الحاجب موسى بن احمد إلى قائد تطوان جوابا عن رسالة ذكر له فيها بعض ما قام به في تطوان من الاعمال ، تلك الاعمال التي لم نطلع عليها - ونتمكن من تسجيلها على صفحات التاريخ - إلا من هذه الاجوبة السلطانية والوزيرية، وسنوضح تلك الاعمال من بعد . ونص الرسالة :

« الحمد لله وحده   صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

محبنا وخديم مولانا وأمينه الانصح القائد الحاج عبد القادر أشعاش رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير سيدنا نصره الله .

وبعد فقد وصل كتابك تذكر فيه أن النصرى توجهوا من مرتيل يوم السبت الحادي عشر من شهر تاريخه ، وذهبوا لسبتة في البر ، وخلت المرسة منهم، وقد تركوا هناك خشبا كثيراً أنعمت به الرينه على الضعفا ، وقد اقتضى نظرك أن تصلح به الاحباس ، إذ هو أضعف الضعفا ، لان الاوقاف كادت أن تضمحل ، وأن أهل تطوان كل يوم يقدمون إليها أفواجا وهم في غاية السرور والفرح يدعون لسيدنا نصره الله ، وقد وليت القضا الفقيه السيد محمد عزيمان ، وخطة الحسبة الحاج عبد العزيز الفقاي، كلاهما كان في الخدمة الشريفة معكم ومع والدكم رحمه الله ، وتطلب من سيدنا نصره الله أن ينعم عليكم بشي من الزرع ، فان أهل المدينة في غاية الحاجة ، وقد بلغ ثمان وثلاثين أوقية إلى الاربعين أوقية للمد ، وتحب منا أن نجري في هذه الحسنة ونكون واسطة فيها إلى غير ذلك ، أطلعنا علم سيدنا نصره الله على ما سطرته كله ، وصار بباله ، فأجاب دامت سعادته بما نصه :

أما الخشب فيحصى عدده ويعلمنا به ، ولا نرضاه لمساجدنا ، فانه لا يصرف عليها إلا الطيب .

وأما الزرع ، فقد أمرنا بوسق مراكب منه لتطوان من آسفي لما تحققنا بخروج الكافر من البلاد ، لانا نعلم شدة احتياجهم إليه ، وعن قريب يصلهم إن شاء الله ه وعلى المحبة والسلام في 17 ذى القعدة الحرام عام 1278 .

موسى بن احمد لطف الله به

وأما القاضي والمحتسب ، فقال دامت سعادته ، أحسنت وأصبت في توليتهما ، أصلحك الله ورضي عنك ، لانهما جاءا في الظن صح به .

تاريخ جلاء الاسبانيين عن الاراضي المغربية

ومن هذه الرسالة ، عرفنا أن جلاء القوات الاسبانية وجيوش الاحتلال عن تطوان ونواحيها ومغادرتهم لارض الحكم المغربي نهائيا ، كان يوم السبت حادي عشر ذي القعدة الحرام ، عام 1278 ه وهو يوافق من التاريخ الميلادي ، يوم عاشر مايو سنة 1862.

وعرفنا أن رئيس الجيش الاسباني الذي كان بتطوان ، قد أنجز ما وعد به من مغادرة البلاد في الموعد المحدد، وأنه كان عازما على حمل أثقاله بحرا من ميناء مرتيل ، ولكن هيجان البحر حال دون ذلك ، فانتظر ثلاثة أيام ، فلما لم يصف الجو ولم يهدأ البحر ، عدل عن ميناء تطوان وارتحل برا الى ميناء سبتة ، ومنه غادر أرض المغرب إلى اسبانيا وفاء بالوعد المتفق عليه .

ومن المعلوم أن ميناء سبتة هو ميناء واقع في أرض المغرب ، وأن اسبانيا تحتله احتلالا عسكريا على سبيل الاغتصاب كما تحتل انجلترا ميناء جبل طارق كذلك منذ عدة قرون .

فهل سيعرف ورثة الاغتصاب سبل الحق والانصاف ورد الحق إلى نصابه ، وتأدية الامانة إلى أهلها ، فيعاد جبل طارق إلى اسبانيا وتعاد سبتة ومليلية إلى المغرب ؟

إن ذلك ليس غريبا من رجال احرار مستقلين ، جريئين يحافظون على مصالح شعبهم ويصفون مشاكل دولتهم ويحسنون علاقاتها مع مختلف الدول والشعوب . . .

تاريخ عودة المهاجرين التطوانيين الى مدينتهم، ذي القعدة 1278

وعرفنا من هذه الرسالة أيضا ، أن المهاجرين من أهل تطوان إلى مختلف المدن والقبائل المغربية ، لما علموا بجلاء القوات الاجنبية عنها وعودة الحكم الاسلامي المغربي إليها ، صاروا يعودون إليها أفواجا أفواجا .

ومن المعروف أن أفرادا منهم كانوا قد عادوا إليها قبيل ذلك ، إلا أن جل المهاجرين لم يعودوا مع أهلهم إلا في هذا التاريخ الذي هو شهر ذى القعدة عام 1278 هـ الموافق لشهر مايه سنة 1862 م .

ومن المعروف أن هجرتهم من تطوان هائمين على وجوههم في مختلف السبل ، كانت ليلة الاحد ، ثاني عشر رجب عام 1276 هـ موافق خامس فبراير سنة 1860 م .

فمدة غيبتهم عن تطوان، كانت نحو سبعة وعشرين شهرا ، أي سنتين وربع سنة.

ومن المعلوم أيضا أن جل اولئك المهاجرين قد عادوا الى هذه المدينة ، وأنه لم يتخلف منهم إلا عدد قليل من الناس طاب لهم المقام في ديار هجرتهم ، فاستقروا بها وماتوا فيها واستمرت ذرياتهم بها .

رسالة سلطانية عن القاضي والمحتسب والخشب، 19 ذي القعدة

وهذه رسالة أجاب السلطان بها قائد تطوان عن المسائل التي تكلم عليها الوزير موسى ، ونصها :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه .

(محمد بن عبد الرحمن الله وليه)

خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه أن النصرى تركوا هناك خشبا كثيرة ، وذكروا أن الزينة أنعمت بذلك لاصلاح أماكن الضعفاء . وظهر لك أن تنفذ ذلك للاحباس للمصلحة التي أشرت إليها ، ولاستيلاء الخراب على جلها ، والتعذر تفريقها على غير الحبس ، وذكرت أنك رددت الفقيه السيد محمد عزيمان لخطة القضاء ، ووليت خطة الحسبة الحاج عبد العزيز الفقاي لما كانا عليه من الخدمة معك ومع والدك .

أما الخشب فأحصو عدده وأعلمونا به ، وحين يرد على حضرتنا العالية بالله عدده، يظهر لنا ما يكون فيه إن شاء الله

وأما القاضي الذي ذكرت ، فنعم الرجل ، فنسئل الله أن يسدده ، والمحتسب أمضينا ولايته ، والله يوفق الجميع بمنه آمين والسلام ، في 19 من ذى القعدة عام 1278.

القاضي عزيمان والمحتسب الفقاي

ومن هذه الرسالة السلطانية ، مع الرسالة الوزيرية التي قبلها ، نعرف أن القائد أشعاش ، هو الذي أعاد الفقيه العلامة السيد محمد بن علي عزيمان إلى منصب القضاء بتطوان ، وهو المنصب الذي كان يشغله قبل الحرب والاحتلال الاسباني لهذه المدينة، وأن السلطان أقره على تلك الولاية وقال فيه إنه نعم الرجل ، وهي شهادة لا يستهان بها من مثل السلطان الذي نفهم أنه اعتمد في ذلك على تزكية رفيق الفقيه عزيمان في طلب العلم وفي العدالة وغير ذلك ، وهو الفقيه الصفار، الذي كان وزيرا ثقة لدى هذا السلطان ووالده رحم الله الجميع .

وفي نفس الرسالتين ، أن القائد المذكور أعاد الحاج عبد العزيز الفقاي إلى خطة الحسبة بتطوان وأن السلطان أقره على ذلك ، وقد سبق لنا أن الفقاي المذكور كان متوليا تلك الخطة بتطوان وأن القائد الحداد عزله منها في 28 شعبان عام 1267 . بعد نكبة القائد أشعاش .

ولاية قائد تطوان، على مدينة شفشاون 21 ذى القعدة

والقائد أشعاش ، لم يبق واليا على خصوص مدينة تطوان والقبائل الجبلية القريبة منها فحسب ، بل أسندت إليه أيضا الولاية على مدينة الشاون (شفشاون) وهذا نص الكتاب السلطاني الذي أرسل إليه صحبة ظهير توليته على المدينة المذكورة :

خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فانا وليناك على أهل الشاون ، وها كتاب الولاية يرد عليك ، أسعدك الله بهم وأسعدهم بك آمين والسلام .

في 21 من ذى القعدة الحرام عام 1278 .

وهذا نص ظهير توليته على شفشاون بعد الافتتاحية العادية والطابع الكبير .

خدامنا أهل الشاون كافة أعانكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فإنا ولينا عليكم خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش فاسمعوا له وأطيعوا في جميع ما يامركم به من أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم آمين والسلام .

في 21 من ذى القعدة عام 1278 .

الوزير موسى بن احمد يثني على القائد أشعاش، 14 ذي الحجة

وهذه رسالة أخرى من الوزير موسى بن احمد إلى القائد أشعاش ، وهي عادية إلا أن فيها ثناء من الوزير على القائد ، وهو ثناء يذهب مع الهباء ، حينما يقع الغضب ويحل البلاء :

«محبنا الاغر الارضى ، وخديم سيدنا وأمينه الناصح الاحظى ، الحاج عبد القادر أشعاش رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا أيده الله ونصره .

وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وما ذكرت في شأن ما أردت من توجيه أهل البلاد لحضرة مولانا في شهر المحرم فقد شاورت مولانا على ذلك ، فقد أذن لك أيده الله في توجيههم ، فوجههم في الوقت الذي ذكرت على بركة الله ، ويسلم عليك البركة سيدي عبد السلام وأنت والحمد لله من الجميع على بال ، لانك ولد الدار، ورتبتك ليست كرتبة غيرك ، وعلى المحبة التامة والسلام .

في 14 ذي الحجة الحرام عام 1278 .

موسى بن احمد لطف الله به .

وعند ما قرأت هذه الرسالة ، خطر ببالي هذا البيت :

إذا أثنى عليك المرء يوما   كفاك من تعرضه الثناء

ولا أدري ما علاقة هذا البيت بهذه الرسالة .

عدد الخازنية ومرتبهم بتطوان، 28 ذي الحجة

وهذا كتاب يوافق فيه السلطان على ما طلبه القائد أشعاش من دفع المرتبات الرسمية لخازنية تطوان، وسترى فيه أن مرتب الفارس كان ستين أوقية، أي ستة مثاقيل في الشهر ، ومرتب الراجل نصف ذلك ، أي أقل من ريال واحد في الشهر ، ونصه :

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته :

وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بان عدد الخازنية المعروفين بتطوان مائة وخمسون بين فارس وراجل وان سيدنا المقدس بالله كان رتب لهم ستين اوقية للفارس وثلاثين اوقية للراجل في الشهر وذكرت انك مجتهد في جمعهم وترتيبهم على خدمتهم وطلبت ان نامر الامناء بان يكونوا يدفعون لهم الراتب الذي نعين لهم فقد كتبنا لهم بان يكونوا يدفعون الراتب المعلوم لهم حياة سيدنا المقدس بالله ، الفارس بحسابه والراجل بحسابه والسلام .

في 28 ذي الحجة الحرام عام 1278 ».

من استغلال القناصل في تطوان

وهذ كتاب سلطاني يبين لنا كيف كان بعض القناصل يستغلون وظيفهم ويطلبون ما ليس لهم مع أنهم نواب دولهم التي من شأنها القيام بجميع لوازمهم ، ولكن أولائك القناصل كانوا كالضرائر ، وقبح الله الامتيازات الاجنبية .

« الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ثم الطابع السلطاني ونقشه .

(محمد بن عبد الرحمن الله وليه)

خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بتنفيذك دارا خارج الملاح لخليفة قونص الفرنصيص عملا بما كتب الك به أخونا مولاي العباس حفظه الله ، وأن خليفة النجليز لما رءا ذلك طلب مثلها فساعدته ، ثم طلبها أيضا خليفة الصبنيول ليسكنها حتى تطلع دءره ثم يسكن بها على يده بعض أهل جنسه ، وأنك دافعته عن ذلك خشية تشوف جميع الاجناس لمثل ذلك ، وأنه لا زال يطلبها منك ، وأخبرت أنه بلغك أن خليفتي النجليز والفرنصيص المذكورين عزما على الكتب لحضرتنا الشريفة بطلب تنفيذ كراء الدارين اللذين عينتا لهما ، وأشرت بعدم مساعدتهما على ذلك ، فقد أحسنت في مدافعة خليفة الصبنيول عما طلب من ذلك ، وإن عاد لطلبه فاعتذر له ودافعه بالتي هي أحسن حتى يكف ، وأما الآخران فان طلبا أداء الكراء فلا نساعدهما إليه إن شاء الله والسلام .

في 28 ذي الحجة الحرام عام 1278 » .

دخول عام 1279 هـ (1862 ـ 1863 م)

ودخل عام 1279 للهجرة ، وأول يوم منه يوافق 29 تاسع وعشري يونيه سنة 1862 م وأهل تطوان ما زالوا حديثي العهد بالعودة إلى مدينتهم ، بل كانوا كأنهم سكارى بخمرة السلوان ، لانقاذ بلدهم وانتشالها من وهدة الخراب بل الفناء بسبب الاحتلال العسكري الاجنبي المصحوب بالقضاء على الاسلام والعروبة والوطنية المغربية .

وقد أخذ المهاجرون منهم يتواردون من مختلف مهاجرهم ، ويتعهدون ما سلم من التهديم والتخريب من ديارهم ومتاجرهم ومصانعهم وبساتينهم ، وجلهم لم يجد مما خلفه لا قليلا ولا كثيرا ، لان يد النهب كانت قد عبثت بجميع ما بقي بتطوان من مال وبضائع وأثاث ، وما ظنك بقوم تركوا أرضهم وديارهم وأموالهم ، وخرجوا في جوف الليل لا يلوون على شيء ، ولا يحمل جلهم إلا العاجزين عن السير من المرضى والشيوخ والعجائز والاطفال ؟

وما ظنك بالفقراء الذين لم يكن الواحد منهم يملك غير ما يجنيه بعرق جبينه في النهار ، ليسد به رمقه مع أهله بالليل ، فاذا أصبح الصباح وقف بباب الله يطلب رزق يومه ؟

وما ظنك بقوم كانوا من التجار ولكن كل رأس مالهم ، كان مدفوعا في السلع المعروضة بمخازنهم، وقد هاجروا دون أن يحملوا منها لا نقيرا ولا قطميرا؟

وما ظنك بالاغنياء الكبار ، استغفر الله ، لان تطوان لم يكن بها أغنياء كبار ، بل لم يكن الذين يوصفون بالاغنياء ، سوى افراد مستوري الحال ، لان لديهم من الدور والاراضي ، والبساتين والمواشي ما يكفيهم لان يعيشوا عيشة اقتصادية ، ولكن تلك الدور وتلك الاراضي والبساتين لم يكن شيء منها مما يمكن حمله الى المهاجر ، في مختلف المدن والقبائل ؟ .

وما ظنك بالارامل والايتام والعجائز والشيوخ الذين يعيشون على فتات الموائد ، أو على ما يتفضل به عليهم الاجواد والمحسنون ؟

لقد كان الواقع ، أن جل أهل تطوان رجعوا إلى بلدهم وهم لا يملكون غير الدموع ، دموع الاسى ودموع الفرح ، لان الفلس كان قد أدرك من كان يعد من الاغنياء ، فضلا عمن كان في الاصل من الفقراء المدقعين .

وهكذا دخل هذا العام وجل أهل تطوان في بؤس ما عليه من مزيد ، ولكن أهل هذه المدينة ، كان جلهم متعودا على التحمل والصبر والقناعة والمعيشة الاقتصادية، لان طبيعة البلاد لا تسمح بغير ذلك ، حتى إن الذي يرد عليها من بلاد تعود فيها الفخفخة والاسراف ، لا يلبث أن يتعود عادة أهلها ، لانه يضطر لان يتقهقر شيئا فشيئا ، ويعتدل في مآكله ومشاربه وملاذه ، حتى يصير كجيرانه ، وربما حصل له رد الفعل فيصير أكثر اقتصادا وانكماشا من كثير من الناس .

ودعنا الان نتصفح بعض رسائل مخزنية وردت على القائد أشعاش وبها معلومات تتعلق ببعض حوادث تطوان وأنبائها في هذه السنة سنة 1279 هـ .

قائد طنجة يعين نائبا عنه بتطوان، 10 محرم 1279

فهذه رسالة بعثها السلطان إلى قائد تطوان :

خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فان وصيفنا القائد عبد الصادق الريفي طلب جعل خليفة بتطوان ليقبض من يستحق القبض من إيالته ، لكونهم ليسوا على كمال استقامة ، فساعدناه على ذلك، فان نصب خليفة هناك فاقبله ، ولاكن لا تعمل إلا بمقتضى ما يكتب لك به العامل نفسه ، وأما إن أتاك الخليفة من غير كتاب عامله وبطابعه ، فلا تلتفت إليه ، لان الخلائف لا يفعلون خيرا إن أطلق لهم الرسن والسلام .

في عاشر محرم الحرام عام 1279 .

السلطان ياذن بوسق القمح إلى تطوان

كان من الطبيعي كما قلنا أن يحتاج أهل تطوان إلى القمح بعد رجوعهم من مهاجرهم إلى بلدهم، وذلك لانهم بقوا نحو سنتين بعيدين عن أراضيهم لا يحرثونها ، وعن بساتينهم لا يتعهدونها .

وطبيعي أيضا أن ياخذ المحتلون جميع ما كان معهم من الذخائر والماكولات ، فلما رجع الناس إلى ديارهم التي خرب الكثير منها ، كان طلب القمح الذي هو المادة الأولى للحياة في هذه البلاد ، من أول ما قام به واليها .

والرسائل التي سننشر نصوصها ، تبين لنا أن السلطان كان ياذن للتجار بأن يجلبوا من مختلف المواني المغربية مراكب مملوءة بالقمح إلى تطوان ، ليباع لاهلها ولسكان نواحيها باثمان عادية يربح فيها التجار ربحا معقولا ولا يتضرر الناس منها .

ونلاحظ في تلك الرسائل عدة أشياء ، منها :

شدة الحزم في عدم تلاعب التجار بالقمح الذي يسمح لهم بوسقه ، وذلك مخافة أن يبيعوه بالاثمان الباهظة لغير الناحية التي سمح لهم بالوسق إليها ، فكان السلطان يامر الامناء باحصاء الموسوق واعلام قائد تطوان بذلك ليحصيه هو أيضا ، وقد لا يكتفون بذلك ، فيبعثون مع المركب أمينا يراقب حركاته حتى لا يتسرب من محموله شيء في غير محله .

ومنها حرص السلطان على عدم التضييق على الناس أو استغلال حاجتهم ، والمحافظة على أن يبيع التجار لهم القمح باثمان يقتصرون فيها على الربح اليسير ، وكان السلطان يتخذ لذلك الاحتياطات التي ستقف عليها في رسائله .

وهاتان رسالتان يخبر السلطان فيهما قائد تطوان بأنه أذن لتاجرين من تجارها بان يسق أحدهما مركب قمح من ميناء الجديدة ، وأن يسق الآخر مركبا آخر من ميناء الدار البيضاء بالشروط اللازمة .

ونلاحظ أيضا في الرسالة الثانية أن السلطان أخبر بأنه أذن لتجار آخرين بوسق أربعة مراكب أخرى من مرسى أسفي .

كما يلاحظ أيضا أن السلطان كما كان يحافظ على المصالح العامة ، كان يحافظ أيضا على مصالح التجار ، فهو يامر بان لا يسمح للتاجر الثاني بعرض بضاعته إلا بعد فراغ التاجر الاول من بيع معروضه ، وذلك عدل ما دام التزاحم مفقودا والكل يبيع بالاسعار المحددة له وليس له فيها إلا الربح اليسير .

الصفار يسق القمح إلى تطوان . 12 محرم

وهذا نص الرسالة الاولى :

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فاذا أذنا للحاج محمد الصفار في وسق مركب من القمح بقصد تطوان ، على أن يكتفي فيه بقليل الربح ، وأمرنا أمناء مرسى الجديدة أن يسرحوه له ويكيلوا ما يوسق فيه ويخبروك به أنت والامناء لتعيدوا كيله هناكم وتعلموا هل وصل كله أو لا، كما أمرناهم أن يعرفوا ما صير على القمح في الشراء وما صير عليه في حمله وغيره حتى يعرف ما دفع فيه ويعرف رأس مالهم فيه ثم يقدرون لهم في مقابلة مباشرتهم لذلك ربحا قليلا لا يضر بالناس ، لان المقصود بتوجيه هذا القمح نفع الناس لا إدخال الضرر عليهم ، وأمرناهم أيضا أن يعلموكم بما قدروه لذلك كله ليلا يزيدوا عليه والسلام.

12 من المحرم الحرام عام 1279 » .

ابن المفتي يسق القمح إلى تطوان . 7 صفر

وهذا نص الرسالة الثانية :

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر اشعاش ، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فاذا أمرنا أمناء الدار البيضاء بتسريح وسق مركب من القمح للتاجر مصطفى ابن المفتي بقصد التوسعة به على أهل تطوان ، على شرط أن يكتفي فيه بالربح اليسير ، وأن يسقوه له بالكيل ويعلموكم بقدره وما وجب فيه ويوجهوا أمينا في المركب حتى يوصله ، وأن لا يسرحوه له إلا بعد التاريخ بشهرين ، حيث وجدنا الحال أذنا لبعض تجار أهل تطوان في وسق مراكب أربعة من الزرع من مرسى أسفي والسلام.

في 7 صفر 1279 » .

السلطان ، يسق القمح الى تطوان . 4 ربيع النبوي

والرسالة الآتية يخبر السلطان فيها القائد بانه أذن بان يوسق إلى تطوان قدر كبير من القمح ويامره فيها بأن يعين من قبله أمينا يقف على بيعه ، والظاهر أن هذا القمح مجلوب على نفقة الحكومة ، ولا ندري هل كان السبب في ذلك أن ما جلبه التجار لم يكن كافيا ، أو أنهم كانوا لا يقنعون بالربح اليسير فجلبت الحكومة قمحها وباعته على نفقتها بالثمن المنخفض رحمة بالضعفاء .

وهذا نص الرسالة :

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فانا أمرنا خديمنا القائد الطيب بن هيمة بأن يوجه إليك سبعة آلاف فنيكه من القمح بقصد بيعها عندكم فاذا وصلتك فعين أمينا يقف على بيعها والسلام .

في 4 من ربيع النبوي عام 1279 » .

قصر الفتوى على أناس مخصوصين 17 ربيع الاول

وهذه رسالة يذكر فيها السلطان القائد أشعاش أن القاضي عزيمان تشكى من كثرة المفتين ، فأمر السلطان بقصر الفتوى على أناس مخصوصين .

وسياتي في أخبار سنة 1280 ، أن هذا العمل قد ظهر فيما بعد أنه كان فيه ما فيه ، فأمر السلطان بالغاء هذا الامر فيما بعد وترك باب الفتوى مفتوحا أمام جميع أهل العلم .

وهذا نص الرسالة .

« خديمنا الارضى القائد الحاج عبد القادر اشعاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فان القاضي السيد محمد عزيمان تشكى من كثرة المفتين لما ينشأ عن ذلك من تشعب الدعاوي واللدد في الخصام ، والآن فامره أن يعين من البلد وعمالتها إن كان ، من هو أهل للفتوى من أهل العلم والدين ، والمدار على الدين أكثر ، وأعلمنا بهم نقصرها عليهم ونرفع يد غيرهم عنها والسلام .

في 17 ربيع النبوي عام 1279 » .

السلطان ، يطلب من الشيخ عبد السلام بن ريسون ، الرجوع لتطوان.

18 ربيع الاول

وهذه رسالة كتبها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن إلى الشيخ الصالح سيدي عبد السلام بن ريسون طالبا منه العودة إلى بلده تطوان والسكنى بها كما كان من قبل ، ومن المعلوم أن السيد المذكور رحمه الله قد عاد إلى تطوان واستمر مقيما بها إلى أن توفي ودفن بها ، وهذا نص الرسالة (1) :

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

ثم الطابع السلطاني الصغير ونقشه :

(محمد بن عبد الرحمن الله وليه)

محبنا الارضى البركة سيدي عبد السلام ابن ريسون وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فان الحنين إلى الوطن معلوم ما فيه ، ولاسيما إن كان وطنا تقام فيه شعائر الاسلام ، وتحيى فيه معالم الدين وسنة سيد الانام ، كثغر تطوان حرسه الله الذي امتن الله برجوعه للمسلمين ، وطهره من دنس أعداء الله الكافرين ، فيتعين السعي في عمارته بمن كان فيه من أهل الخير أمثالك ، وعليه فارجع لمحلك به الذي كنت ساكنا فيه بنية صالحة ، تجد لذلك مزيد خير وبركة ويمن في الدين والدنيا إن شاء الله ، فان أهل هذا الثغر السعيد بخير ما دام أهله مثلك بين ظهرانيهم ، ونسأل الله أن يكفينا وإياكم وجميع المسلمين ما أهم وما لا يهم آمين والسلام .

في 18 من ربيع النبوي عام 1279 .

---

1) أصل هذه الرسالة محفوظ عند صديقنا الشريف الجليل نقيب جميع الشرفاء الريسونيين بالمغرب ، سيدي محمد بن المكي بن ريسون حفظه الله .

ما كان في الله تلفه ، كان على الله خلفه . 19 ربيع الاول

وهذه رسالة أجاب فيها السلطان عما كتب به إليه القائد أشعاش من تشكي بعض أهل تطوان مما وقع لهم من النهب والسلب عند جلائهم عن المدينة في الحرب الاسبانية وعند احتلال المدينة ، والسلطان يامر فيها الناس بالصبر والاحتساب ، لان ذلك السلب والنهب لم يقعا من أناس معروفين تمكن مطالبتهم بارجاع ما أخذوا ، فلم يبق للناس إلا الاعتماد على الله في أن يخلف عليهم ما ضاع لهم ، لان ما كان في الله تلفه ، كان على الله خلفه .

وهذا نص الرسالة :

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فما كنت ذكرت لنا من أن أهل البلد يشتكون كثيراً على شأن ما وقع لهم من النهب يوم الوقعة لا أعادها الله ، قد رأينا النظر فيه متعذراً لانه لو صدر عن أناس باعيانهم لامكن استرجاعه من أيديهم ، وحيث حضر فيه الجم الغفير من أوباش القبائل الجبلية وغيرها ، فالكلام فيه مما لا طائل تحته ، فحسبهم احتساب ذلك عند الله تعلى « لان ما كان في الله تلفه ، كان عليه سبحانه خلفه » ولينظروا لما وقع بالصويرة حياة سيدنا المقدس بالله ، هل رجع منه لاحد شيء ، مع أنه لم يحضر فيه إلا قبيلتا حاحة والشياظمة ، فكيف بما حضر فيه من ذكرنا ممن لا يحصى كثرة والسلام .

في 19 من ربيع النبوي عام 1279 » .

ملكة اسبانيا تتبرع ببقايا خشب في تطوان

ومن رسالتين سابقتين ، وزيرية مؤرخة بـ 17 ذي القعدة 1278 وسلطانية مؤرخة بـ 19 منه ، كنا عرفنا أن الاسبانيين كانوا قبل جلائهم قد تركوا في ميناء تطوان خشبا لم يحملوه معهم إلى اسبانيا ، بل تبرعت به ملكتهم - ايسابيل الثانية - على الضعفاء ، وأن قائد تطوان اقترح أن يستعمل ذلك الخشب في إصلاح المساجد وأملاك الاوقاف الاسلامية التي لحقها من تلك الحرب المشئومة ضرر عظيم .

أولا - لان الاحباس في حاجة لذلك .

ثانيا - لتعذر توزيعها على الضعفاء في نظره .

ولكن السلطان رفض ذلك الاقتراح ، وقال : إنه لا يرضى لمساجدنا ذلك ، وان بيوت الله يجب أن لا يصرف عليها إلا الطيب ، وأمر بأن يقع احصاء ذلك الخشب ويوجه إليه بيان بذلك . . .

وقد نفذ القائد المذكور ما أمر به ، فكتب إليه السلطان يامره بان يوزع ذلك الخشب على الضعفاء العاجزين، في رسالة هذا نصها :

السلطان يامر بتوزيع الخشب الاسباني على الضعفاء . 19 ربيع الاول

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فنامرك أن تفرق الخشب الذي أبقاه النصارى بتطوان ، على الضعفاء الذين أخذت سقف دورهم العاجزين عن إصلاحها والسلام .

في 19 من ربيع الاول عام 1279 » .

ونرى من هذا أن السلطان رأى أنه ما دام الاسبانيون قد ذكروا أنهم يتبرعون بخشبهم على خصوص الضعفاء المنكوبين ، فإنه ينبغي الوقوف عند ذلك ، وان المساجد وأملاك الاوقاف الاسلامية ، تابى الكرامة أن تستعمل فيها فضلات الاجانب ، ولقد كان رأي السلطان في ذلك من الصواب والسداد بمكان .

السلطان يساعد تجار تطوان ، 29 ربيع الاول

وهذه رسالة تدل على إعانة السلطان ومساعدته لتجار تطوان ، وفيها توسعة وعطف عليهم ، وشفقة ورحمة بهم ، وهو عمل في غاية الصواب والسداد ، خصوصا بعد تلك النكبة النكباء التي أفقرت التجار وأتت على مختلف الثروات والامر لله .

وهذا نص الرسالة .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فنامرك أن تدفع لخدامنا أهل تطوان ، المائة ألف التي أمرنا بسلفها لهم ، وتوسع عليهم فيها ستة أشهر ، ثم من رأيته منهم بعد كمال الستة أشهر قائما بأمور تجارته ، أهلا لان يبقى ما عنده على وجه القراض ، فأبقه عنده ، وبعد كل ستة أشهر يحاسب نفسه على ما حصله من الربح فيها ويدفع نصفه لجانبنا العالي بالله ، ومن رأيته منهم لا يصلح أن يبقى ما بيده عنده على الوجه المذكور ، فحزه منه إن لم يحصل له ضيق كبير بأدائه ، فان كان يحصل له ضيق فأخره ثلاثة أشهر ، وعند كمالها اقبضه منه ولا بد ، وإن ظهر لك أن دفع النصف كثير على صاحب القراض ، فاتفق معه على دفع الثلث ، والله يعينك والسلام . 29 ربيع الاول عام 1279 » .

وهذه ثلاث رسائل سلطانية أخرى تتعلق بهذا الموضوع .

الاولى

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه أن المائة ألف مثقال التي حزتم من أمناء مراسي الرباط والعرائش وطنجة ، وزعت على عشرين رجلا من أهل ثغركم ، وأشهدت عليهم بالعدول في كناش مرساكم ، غير أن الذين حازوها من الامناء المشار إليهم طلبوا نقلها للكناش المذكور ليلا يتكرر عليهم الاشهاد ، كما طلب الذين وزعت عليهم التوسعة في الاجل بزيادة ثلاثة أشهر على الستة أشهر المضروبة لهم أجلا لادائها ، ثم من أدى منهم ما عليه بمجرد انصرام الاجل، تبرأ ذمته مما حاز ، وإلا فيبقى بذمته على وجه القراض ، فقد أذنا لك في التوسعة عليهم بالزيادة المشار إليها ، وقد أمرنا أمناء المراسي المذكورة بان يسقطوا عنهم الاشهاد عليهم بما دفعوه إليهم ، ولكن بعد أن توجه لهم نسخة من رسم إشهاد جميع المائة الف مثقال عليهم في كناش مرساكم ، فوجهها لهم ولا بد والسلام . في 10 رجب الفرد عام 1279 » .

الثانية

« خديمينا الارضيين الحاج الطاهر بناني والطالب عبد القادر غنام ، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فان ما كنا أمرناكم بدفعه لاعيان أهل ثغر تطوان تجمل فيه بانضمام ما حازوا من أمناء العرائش وطنجة ، مائة الف مثقال مفردة ، وقد أشهدت عليهم بالعدول في كناش مرساهم ، فطلبوا من أجل ذالك إسقاط ما أشهدتموه عليهم ليلا يتكرر عليهم الاشهاد ، فامرنا خديمنا الحاج عبد القادر اشعاش بان يوجه لكم نسخة من إشهاد العدد المذكور عليهم ، فإذا وجهها فاسقطوا عنهم ما أشهدتموه عليهم ولا بد والسلام .

في 10 رجب الفرد عام 1279 » .

الثالثة

مثل الثانية وفي نفس التاريخ باسم الحاج ادريس بنيس وبوعز بن ابراهيم ، ولعلهما أمينا ديوانة العرائش .

السلطان يامر بالتيقظ وحراسة الشواطىء . 10 ربيع الثاني

وهذه رسالة محكمة يامر السلطان فيها بالاحتراس وعدم السماح للاجانب بالنزول في الشواطئ المغربية المتطرفة وتبادل المنافع فيها مع الخائنين لحكومتهم بصفة سرية مخالفة للقوانين .

وهذا نصها بعد الافتتاح العادي والطابع السلطاني الكبير الذي نقش وسطه

محمد بن عبد الرحمن غفر الله له

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر اشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته :

وبعد فان من أمور الدين التي عليها مدار الاسلام ، رد البال للثغور وسواحل البحر أخذا بالحزم نكاية لعبدة الاصنام ، فمن قام بأمرها وحفظها وصيانتها ، فقد قام بواجب عليه ، ومن لم يقم بأمرها ولم يعتن بشأنها ، استحق العقوبة الشرعية ورجع العار إليه ، وكفى المرء قبحا أن تكون له القدرة على إحراز أمر ديني ويفرط فيه ، ولا يهمل القيام به الا قليل دين سفيه ، فانتم ترون قيام النصرى بمراسيهم وبلادهم ، والمحافظة على طارفهم وتلادهم ، وعدم غفلتهم طرفة عين عنها حتى لو خطر أجنبي منهم بها وجدهم متيقظين ،منتبهين غير غافلين ، ولا يخطر ببال جليل أو حقير ، إخراج شيء

منها كطرباندو ولا الجولان في أطراف سواحلهم كما يفعلون هم ببعض سواحلنا ، لوجود عساتهم في كل موضع من مواضعهم ، بخلاف ما هم عليه المسلمون من التراخي والغفلة ، وعدم المبالاة بما فيه معرة ، حتى إن بعض النصرى خرجوا في السواحل غير ما مرة ، واشتروا من السفهاء ما أرادوا ، فما وجدوا من يتعرض لهم ، وإن لم ينتبه لهم يعودوا ، وليس هذا في الحقيقة إلا من العمال ، ولو كانوا على ما ينبغي أن يكونوا عليه ، لردوا لمثل هذا البال ، وعاملوا فاعله بالنكال والوبال ، وعليه فيتعين رد البال لمثل هذا ، وتكليف من يظن به الحزم والضبط من أهل ساحل ايالتكم ، بأن يكونوا عينا وأذنا على من عسى أن يخطر به من النصرى ، وعلى من عسى أن يتلاقى معهم من فجار المسلمين ، ولتكن نيتهم في ذلك ، ما هو مطلوب شرعا من حراسة الثغور والسواحل ، ليحصلوا بذلك الخير الدنيوي والاخروي ، فكن عند الظن بك في ذلك ، واسلك فيه أحسن المسالك والسلام .

في 10 ربيع الثاني عام 1279 » .

رسائل سلطانية عن تجار مدينين لبيت المال

وهذه رسالة سلطانية ، تليها عدة رسائل أخرى حول تجار مدينين لبيت المال ، وفيها الامر بوجوب إستخلاص مال الحكومة من الموسرين ، والتوسعة على الضعفاء والمعسرين ، وكل ذلك عدل وانصاف ، وبر وإحسان .

« خديمنا الارضى القائد الحاج عبد القادر أشعاش أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك وصحبته البطاقة التي كتب لك خدامنا أهل تطوان مستعطفين جانبنا العالي بالله فيما بذممهم لبيت المال معتذرين بما أصابهم من النهب وغيره واستوعبنا ما شرحوا من حالهم وما طلبوه فيما بذممهم ، وليسوا كلهم واحدا فان فيهم الموسر والمعسر ، ومنهم من يقدر على الاداء ولا يتضرر به ، ومنهم من يقدر عليه شيئا فشيئا ، ومنهم من هو عاجز عنه، ونحن لا نحب لهم ضرراً . وها نحن كتبنا للامناء بان يسيروا مع كل واحد بحسب حاله مما لا ضرر عليه فيه ، ومن كان معسرا فينظروه إلى ميسرته كما أمر الله ، والسلام .

في 12 رجب الفرد الحرام عام 1279 » .

ويظهر أنه لما حلت الآجال ، تشدد الامناء في المطالبة في الحقوق ، فوقع ما هو مبين في الرسالة الآتية التي يوسع السلطان فيها على الناس توسيعا ، وسع الله عليه .

« الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله

(محمد بن عبد الرحمن الله وليه)

خديمنا الارضى الحاج عبد القادر اشعاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه أن الامين الحاج عبد المجيد بن شقرون شدد على تجار أهل تطوان في استيفاء ما بذممهم لجانب بيت المال وفره الله ، فطلبوا المسالكة فيه وقبول الحلي من بعضهم رهنا فيما بذمته إلى أن يؤديه ، فأبى من ذلك ولم يسمع منهم كلاما ، فوقع بينه وبينهم هرج ومرج ، وخفت من هذا التشديد أن يؤدي إلى ما لا يليق ويتسع الخرق ، وأنك سكنت روعتهم وطلبت أن يدفع الميسور منهم اثنين ونصفا في المائة ، والمعسر ما يتيسر له ، وأن يثبت هذا المعني في ظهير شريف ونوجهه ليوضع في دار الاعشار ويعمل به كل من كلف من الامناء بالخدمة في مرساكم ، فقد أمرنا الامناء بما يعاملونهم به ، وذلك بأن يكلفوا كل واحد بالاعطاء على قدر حاله وما عنده ، وبان لا يضيقوا عليهم تضييقا يؤدي لما ذكرت والسلام .

في 7 من المحرم الحرام عام 1280 » .

وهذه ثلاث رسائل سلطانية بأسماء مدينين والمبالغ التي يجب استيفاؤها منهم لبيت المال .

ونص الاولى

خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد بقي بذمة المسلمين واليهود المقيدة أسماؤهم في الطرة من قبل الجلد والقمح والسلف والاعشار من لدن كان الحاج عبد الله مكوار والحاج عبد الكريم بن جلون والحاج الطيب بن شقرون يخدمون بمرسى العرائش ، ما هو مبين أمام اسم كل واحد منهم ، وقد أمرنا الامناء باستيفاء جميع ما بذمة كل واحد منهم بحساب عشرين أوقية للريال ، وتأخير ما بذمتهم إلى الآن هو من تراخي الامناء قبل وعدم اهتمامهم بمال بيت المال الذي لا يسع أحدا تركه ، ومن تهاون الغرماء ، مع أنهم يعرفون أن الحق في ذلك لكل من له حق في بيت المال ، والسلام .

في 21 رجب الفرد عام 1279 » .

والذي بطرة الكتاب هو ما ياتي :

فعلى الحاج عبد الكريم عدة من صاكة الفول مائة وستون ريالا يجب لها من المثاقيل ثلاثمائة مثقال وعشرون مثقالا .

وعلى الحاج محمد الرزيني من صاكة الدبغ الفا مثقال تثنية وسبعمائة مثقال وثلاثة وستون مثقالا وأوقية .

وعلى الذمي يوسف ليبي التطواني من الاعشار ثمانية وثمانون مثقالا وثمان أواقي .

وعلى الذمي بن فيغي من كنطردة تبغة ، خمسمائة مثقال وخمسة وعشرون مثقالا.

ونص الثانية

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فان بذمة أحمد اللبادي أربعة آلاف مثقال وستمائة مثقال وأربعة وثمانين أوقية 46084 (1) .

وبذمة المكي الشربي ثلاثمائة مثقال وواحد وستين مثقال 3610 .

وبذمة مسعود وصيف الرزيني تسعين مثقالا وثمان أواقي 908 ، الجميع 50602 خمسة آلاف مثقال وستون مثقالا ودرهمان من حساب مرسى الصويرة .

وقد أمرنا خدامنا أمناء تطوان بقبض ذلك منهم ، فبوصول هذا إليك ، قف معهم حتى يستوفوه منهم على التمام والسلام .

في 22 رمضان عام 1279 » .

ونص الثالثة

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر اشعاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فالتجار المقيدة أسماؤهم بالطرة بذمة كل واحد منهم ما هو مقيد بازائه ، وتعذر على أمناء فاس قبض ذلك منهم لسفرهم ، وهم هناك بتطوان ، فبوصوله إليك حز

1) هكذا ، خمسة أرقام لا غلط فيها ، لانهم كذلك كانوا يكتبون الارقام عند الحساب ، والاصطلاح الآن أن تقرأ تلك الارقام هكذا ، ستة وأربعون ألف أوقية وأربع وثمانون أوقية ، وهو نفس العدد ، أي أربعة آلاف مثقال وستمائة مثقال وثمانية مثاقيل وأربع أواق ، هو اصطلاح يختلف باختلاف الزمان ، والنتيجة واحدة .

من كل واحد منهم ما بذمته حسبما قيد عليه وما قبضت من ذلك ادفعه للامناء وأطلع علمنا الشريف به والسلام .

في 4 رجب الفرد الحرام عام 1280 » . . . الخ .

وهكذا كانت الامور تسير في بعض الظروف بيقظة وحزم ، وذلك هو الواجب في جميع الظروف ، إلا إذا كان هناك موجب شرعي أو مصلحة عامة في التساهل أو التخفيف .

الحاج محمد الرزيني والدين الذي عليه لبيت المال

وبمناسبة ذكر التجار التطوانيين الذين كانوا مدينين لبيت المال ، نذكر هنا رسالة كتبها النائب بركاش إلى السلطان في شأن ما كان من الدين على الحاج محمد الرزيني التطواني ، ونحن نثبتها هنا وإن كان تاريخها متقدما قليلا ، جمعا للنظائر كما ينزل الفقهاء ، وهي رسالة فيها البيان الكافي ونصها :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

أدام الله العز والنصر والتمكين ، والظفر والفتح المبين ، لسيدنا ومولانا أمير المومنين ، ابن سيدنا ومولانا أمير المومنين ، وبعد أداء ما يجب علينا لسيدنا من التعظيم ، وتقبيل حاشية البساط الشريف ، العلي القدر المنيف ، فينهى لكريم علم سيدنا أعزه الله ونصره ، أنه ورد علينا المكاتب الشريفة ، فقبلناهم ، وعلى الرأس وضعناهم ، وهم ، فقضية الحاج محمد الرزيني الاول استفدنا منه أن مولانا أعزه الله وسع على التاجر الحاج محمد الرزيني في العشرة آلاف ريال التي بذمته لجانب بيت المال عمره الله ، بأن يدفع ربعها عند تمام كل ثلاثة أشهر من تاريخه ، يكمل دفع جميع العدة المذكورة عند تمام السنة من تاريخه ، ثم ورد الامر الشريف أسماه الله يامرني مولانا أعزه الله بتسرح أملاكه التي في طنجة ، وداخل الكتاب الشريف رسم ضمانة أخيه الحاج أحمد الرزيني .

ونص الكتاب الشريف أسماه الله ، وها رسم ضمان أخيه عنه ما بذمته اتضع على ظهره ما يدفعه لكم حتى ياتي على الجميع إن شاء الله ، فلما طلعت الرسم المذكور وجدت فيه مكتوبا سوى اثنان وعشرون ألف مثقال ، وقد شكل علي الامر بكتاب مولانا أسماه الله ، لقول مولانا أعزه الله ، وها رسم ضمان أخيه عنه ما بذمته ، فنطلب من مولانا أعزه الله أن يامرني ما يكون عليه العمل ، لانه دفع لنا عند تمام الثلاثة أشهور تسعمائة ريال صغيرة وسبعة ريال 907 فأراد أن ننزلها له على ظهر

الرسم مثاقيل بسعر 33 ريال الصغير يجب فيهم مثاقيل 29931 . فامتنعت وأعطيته خط يدي بها حتى ياتي الامر الشريف أسماه الله ، وهذا كله بعد أن ورد الامر الشريف أسماه الله واستفدنا منه أن مولانا أعزه الله كان أجل الحاج محمد الرزيني سنة واحدة لاداء ما بذمته من مال السلف ، على أن يؤديه على الكيفية التي أمرنا مولانا أعزه الله بها ، ثم لما صار إلى رحمة الله ، حل ما عليه وأمرني مولانا أعزه الله نستوف ذلك من متروكه ، وإن كان بذمته مال لجانب المرسى فنستوفه أيضا ، فينهي لكريم علم مولانا أسماه الله ، أنه توفي في تطوان وليس عنده بطنجة متروكا سوى الاملاك الذي سرح له مولانا أعزه الله ، وقد تكلمت مع أخيه الضامن وهو الواصي على الحاجر ومع ولده الكبير ، فأجاب ولده أن عمه هو الواصي وهو الضامن وأبيه لم يترك شيئا سوى الاملاك في طنجة وفي تطوان وشيء يسير من المواشي ، وهم في تنضض ذلك ودفع تمانه ، وجواب عمه يطلب من مولانا أعزه الله يبقيه على ضمنته باجالها لينضض ويخلص، واستعذر وذكر أن الحاجر هما حاجر مولانا أعزه الله ، وسيدنا أيده الله فيه كل خير . وهذا ما وجب به الاعلام لمولانا أدام الله عزه وعلاه ، ومتعنا في رضاه ، بجاه جده سيدنا ومولانا محمد رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم والسلام .

في فاتح شعبان عام 1278 .

خديم المقام العالي بالله
محمد برقاش لطف الله به
(خ - ك)

أمينان فاسيان بديوانة تطوان . 8 شوال

وهذه رسالة أخبر السلطان فيها قائد تطوان ، بأن أحد الامناء سيرد من فاس على تطوان ليباشر عمله الرسمي في مينائها ، مرساها - ديوانتها - بدل أمين آخر من فاس ونصها :

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد أمرنا عامل فاس بتوجية الحاج عبد المجيد بن محمد بن شقرون للخدمة هناك بدل الحاج الحارثي برادة ، فاذا ورد عليكم فيكون في محله ويتوجه الحاج الحارثي لصلة رحمه بعد أن يبصره في أمور خدمته والسلام .

في 8 شوال عام 1279 » .

وعلى ذكر الامناء بميناء تطوان ، نذكر أن العادة كانت هي أن يكون بذلك الميناء أمينان اثنان أحدهما من تطوان والآخر من غيرها ، وفي الغالب يكون من فاس، وقد يكون من الرباط ، وقلما يكون من غيرهما ، كما أن من العادة أيضا، أن الامينين يكون بجانبهما عدلان اثنان أيضا .

هدية من القائد لوليمة خيالية . 17 شوال

والرسالة الآتية طريفة ، وسببها أن القائد أشعاش أرسل هدايا إلى دار السلطان ومعها وفد يحمل كتابا فيه أن سبب إرسال الهدية هو ما بلغه من أن السلطان عزم على جعل وليمة لاولاده . فبادر بارسال التهنئة اللازمة مع من ينوب عنه في حضور الوليمة ، فاجابه السلطان بأن الهدية وصلت وقبلت وإن كان السبب الداعي لارسالها لا أصل له ، فهل كان هناك شيطان بلغ القائد ذلك الخبر المكذوب لغرض مقصود ؟ وهل حقيقة ، أن القائد بلغه خبر الوليمة فأرسل الهدية ، أو إنما هو سبب انتحله القائد انتحالا لارسال هداياه إلى دار المخزن توطيداً لمركزه لديها ؟ مساكين هؤلاء القياد ، كيف كانوا دائما متخوفين على وظائفهم ، وكيف كانوا يجتهدون في إرسال الهدايا تلو الهدايا لتوطيد مراكزهم التي كانوا في الغالب ينتزعون منها انتزاعا فتحجز أموالهم وأمتعتهم التي لا يفرق فيها بين الحلال الطيب والحرام المغصوب .

وهذا نص الرسالة السلطانية :

« خديمنا الارضى القائد عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك مخبراً بما بلغك من أنا أردنا جعل الوليمة لاولادنا حفظهم الله ، ووجهت لاجل ذلك هدية التهنئة مع من ذكرت بقصد النيابة عنك في الحضور .

أما ما وجهته فقد وصل أصلحك الله ورضي عنك آمين .

وأما ما بلغك فلا أصل له ، والله يعينك والسلام .

17 شوال عام 1279 » .

تسريح البقر لعسكر سبتة . 14 ذي القعدة

وهذه رسالة ياذن فيها السلطان بالسماح للاسبانيين بأن ياخذوا من المغرب بقرا لتموين عسكرهم الذي بسبتة ، وهذا نصها :

« الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(محمد بن عبد الرحمن الله وليه)

خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى.

وبعد فان نائب دولة الصبنيول طلب تسريح ثيران لعسكرهم بسبتة وطلب مرورها إليها برا على وجه الخير ، فأذنا لهم في ذلك على أن يدفعوا ما وجب فيها بطنجة ، ومنها يتوجهون بها لامناء تطوان ليحسبوها ، ومنها توجه أنت مع الذين يسوقونها خيلا إلى سبتة إن شاء الله تعلى والسلام .

في 14 ذي القعدة الحرام عام 1279 » .

بقر المغرب لعسكر الاسبان بسبتة ، والانجليز بجبل طارق . 25 ذي القعدة

وهذه رسالة كتبها النائب السلطاني بطنجة السيد محمد بركاش الرباطي إلى السلطان في شأن البقر المذكور ، وفيها زيادة تفصيل وطلب الانجليزيين بقر المغرب لعسكرهم بجبل طارق ، وبيان التنافس الصبياني الذي كان إذ ذاك بين بعض ممثلي الدول الاوربية بالمغرب ، ونصها :

« الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

بعد تقبيل حاشية البساط الشريف ، وأداء ما يجب للمقام العالي بالله من التعظيم والتشريف، يكون في كريم علم سيدنا أيده الله بعزيز نصره ، وكان له في سره وجهره، أنه وصلنا كتاب سيدنا أسماه الله جوابا عما قدمناه لسيادته في قضية تسريح البقر لعسكر سبتة ، واذن سيدنا أعزه الله في مساعدة تجويزها برا على شرط أن ينظر العدد المراد توجيهه أمناء طنجة ، ويقيدوا أوصافه ويطبعوه ويؤدوا صاكته بطنجة ، ثم يوجه ذلك العدد لتطوان ليد عاملها وأمنائها حتى يقبلوه بأوصافه ويوجهه عامل تطوان لسبتة مع من يحتاج اليه من المخازنية حتى يدفع بمحله .

وأما توجيهه من طنجة لتطوان ، فإن اقتضى النظر توجيهه مع المخازنية فذاك ، وإن اقتضى الحال الاكتفاء بسواقته فيكتفى بهم ، فيعلم سيدنا أيده الله أنا قد أجبنا باشدور دولة الصبنيول كتابة بما ذكر مولانا أعزه الله من تسريحه بالشروط المذكورة،

فقبل ذلك ما عدا شرط جوازه لتطوان ، لكونه ذكر أنه لا يقدر أن يلزم سواقته على طريق تطوان خاصة ، ولا يصعب عليهم لا هو ولا عماله ، لاستلزام الحرية لهم في الشروط ، وطلب أن يتضمن الجواب الشريف تأييد الانعام بالخمسة عشر مائة رأس من البقر عن كل سنة المندفع في صاكتها خمسة ريال لكل رأس يدفعون ذلك لامناء طنجة بعد تعيين البقر وعده وطبعه وتشييعه بالعسة لسبتة من غير تحتم طريق . نعم إن أراد السواقة قوده على طريق تطوان ، يجب عليهم إحضاره لامنائها ليحصوه ويوجهون العسة معه .

ثم ذكر أن سيدنا أيده الله أنعم على عسكر جبل طارق بتسريح ثلاثة آلاف رأس من البقر ، زيادة على الثلاثة آلاف المنعم عليهم بها قبل عن كل سنة ، فصار الجميع ستة آلاف رأس ، ومنزلة جبل طارق وسبتة واحدة ، فان وقعت وقائع مخصوصة بسبب واحتاجت دولة اصبانيا إلى زيادة نزول عسكر بسبتة ، فدولتهم تطلب من سيدنا المساواة في العدد المنعم به لعسكر النجليز عن كل سنة يكون مثله لعسكر سبتة عند الاحتياج المذكور ، قال : وبذلك تتم قضية البقر ، وليس مقصوده الزيادة على الخمسة عشر مائة المنعم بها على عسكر سبتة ، لان فيها كفاية وإنما يطلب الزيادة عند زيادة العسكر بسبتة بالسبب المذكور ، وكتب كتابا يتضمن ما ذكر وطلب منا رفعه لسيدنا أعزه الله، فها هو يصل حضرة سيدنا طي هذا .

كما نعلم سيدنا أعزه الله ، أن الامر لا زال موقوفا معه ، ذاكرا أنه لا يفعل شيئا حتى يتوصل بالظهير الشريف المتضمن الانعام بالف وخمسمائة في كل سنة على التأبيد مثل ما هو عند النجليز من غير تحتم طريق .

وأما ما طلبه زيادة عند ما تمس الحاجة إليه ، فان اقتضى نظر سيدنا أن يجعل لهم ظهيرا آخر على ان دعتهم حاجة لزيادة العسكر في سبتة واضطروا إلى زيادة اللحم إلى أن تحصل المساواة مع النجليز في العدد المذكور ، وإن انتقل العسكر الزائد فيرجعوا لمعتادهم ، والظاهر انه ليس لهم حاجة وإنما هي معاندة ، والذي حملهم على ذلك ، حين بلغهم إنعام سيدنا على النجليز فيما طلبه ، وعلى البرطقيز بنصف ما طلبه ، فقالوا إن هذا ترجيح لكون الاول طلب فأعطي ما طلبه ، والثاني طلب مع الاضطرار وأعطي نصف ما طلب ، ودار الكلام بيننا وبين باشدور الصبنيول في ذلك يومين إلى أن ذكرت له أن الاول سبق في الطلب ، ولذلك وقع النقص للثاني حين تأخر ، وهذا توضيح لمولانا أعزه الله .

وأما ما ذكر أمناء تطوان على لسان قونص الصبنيول بها في شأن البقر وأجبت سيدنا أنه حين يقدم النائب المذكور من غيبته نحقق لسيدنا الامر، فها هو النائب وهو الباشدور قد توجه لحضرة سيدنا أعزه الله، فنطلب من سيدنا أن يأذن ببحثه ليحقق له ما ذكروه ويعلم سيدنا تحقيق ذلك، وهذا ما وجب به إعلام سيدنا أيده الله طالبين من سيدنا رضاه والسلام.

في 25 قعدة عام 1279

خديم المقام العالي بالله محمد بارقش لطف الله به (1)

العلاقة بين مدينة سبتة والمغرب ؟

وعلى ذكر سبتة وسماح حكومة المغرب بنقل البقر إليها من البلاد المغربية ، نبين للذين لا يعرفون العلاقة بين المغرب وتلك المدينة - وكثير ما هم - أن مدينة سبتة ميناء بحري واقع على مدخل الشاطئ الجنوبي من بوغاز جبل طارق، وهي مبنية في سفح جبل مغربي يحيط به البحر الابيض المتوسط من جميع جهاته ، وهذا الجبل تصله بالاراضي المغربية وببقية القارة الافريقية، قنطرة صغيرة حديثة بنيت لاول مرة في هذا القرن، أما قبله فانما كانت هناك قنطرة تمد بالنهار وترفع بالليل

وهذه المدينة المغربية، تحتلها اسبانيا احتلالا عسكريا منذ عدة قرون، ووجودها بها غير مبني لا على اتفاق ولا على قانون.

وهذه المدينة ليست لها أرض واسعة، لا للزراعة ولا المرعي ولا لغير ذلك ، فهي في كل ما يوكل ويشرب، عالة على ما يصلها من المغرب أو من اسبانيا أو من الخارج حتى الماء الذي يشربه أهلها، مجلوب اليها من جبال قبيلة أنجرة التي هي قبيلة مغربية صميمة .

وذلك ما يجعلها مضطرة لطلب السماح لها بنقل البقر اليها من البلاد المغربية . والحكم في سبتة، حكم اسباني محض، لانهم يعتبرونها قطعة اسبانية تابعة لمقاطعة قادس الاندلسية، بالرغم من انها تقع في صميم أرض المغرب، ويفصلها عن أرض اسبانيا بوغاز جبل طارق الكبير.

---

1) أصل هذه الرسالة كان موجودا في الخزانة الكتانية بفاس ومنها نقلت ما هنا بلفظه .

وجل سكان «سبتة» من الاسبانيين ، وليس فيها الآن، من المغاربة المسلمين ، إلا جماعة قليلة تعتبر رسميا وعمليا جالية أجنبية خاضعة للقوانين الاسبانية، وهي تحت رحمة الحاكم العسكري الاسباني يطردها في أي لحظة شاء .

إن وجود هذه المدينة المغربية على هذه الحالة، من المشاكل التي لم تحل حتى الآن بين دولتي المغرب واسبانيا .

ولكن هل طالبت الدولة المغربية رسميا ودوليا بارجاع هذه المدينة المغتصبة الى المغرب ؟

إن الغريب كل الغريب ، أن دولتنا الحرة المستقلة لم تعلن قط ولم نسمع عنها أنها قامت بهذا العمل الذي نرى أنه من أهم واجباتها في هذا العهد، عهد القضاء على الاستعمار من أصله ، فضلا عن بقايا اللصوصية الدولية من مخلفات العصور الوسطى ، عصور القرصنة والاستعباد والاغتصاب.

إن هذا الموقف الغريب من دولة المغرب ، إن لم يبلغ درجة العار ، فانه على الاقل إما إهمال فظيع ، وإما مبالغة في المجاملة والمداراة على حساب الشعب المغربي والوطن الذي يجب ان تكون مصالحه فوق الجميع .

إنه إذا كان الاسبانيون يرون احتلال الانجليز لجبل طارق يعتبر كدمل في جنبهم فان الشعب المغربي بالنسبة لاحتلال الاسبان لسبتة ، لا يقل شعوره عن شعور أحرار الاسبانيين .

على أن مشكلة سبتة، لا أسهل في نظرنا من حلها حلا سلميا ما دامت الاهمية التي كانت لهذه المدينة قد فقدت تماما كما فقدت أهمية جبل طارق المقابل لها.

وما أظن عقلاء الاسبان - وما أكثرهم - يرفضون حلا شريفا لا ضرر فيه ولا ضرار على أي واحد من الجانبين ، حلا معقولا يحفظ كرامة الدولتين، الاسبانية والمغربية، بل كرامة الاسبانيين والمغاربة أجمعين.

ولعل عهد الغفلة والسبات لا يطول، لعله اهله . . .

لضريح سيدي علال الحاج بالحرايق

وهذه رسالة رسمية بعثها السلطان لقائد تطوان ونصها :

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فبوصول هذا إليك ، كلف من يصنع شباكا فيه ستة أشبار وما يناسبها من العرض ، ايجعل بين ضريح سيدي علال الحاج بالحرايق وبين المسجد المتصل به ' وأوص المعلمين بشفشاون أن يجعلوا ما فيه كفاية من القرمود ليسقف به هذا المسجد، وأكد في التعجيل بذلك ولا بد .

فأما الشبك فيخلصه خدامنا أمناء المرسى .

وأما القرمود فيخلصه خديمنا الحاج علي العرائشي والسلام .

في 28 حجة الحرام عام 1279» .

وصاحب هذا الضريح ، هو جد الشرفاء البقاليين الذين يوجد منهم عدد وافر بمدينة تطوان وبغيرها من مدن المغرب وقبائله وخصوصا الجبلية منها في شمال المغرب .

من أخبار تطوان عام 1280 هـ (1863 ـ 1864 م)

وهذه رسائل أخرى من الرسائل الرسمية الواردة من دار المخزن على قائد تطوان الحاج عبد القادر أشعاش ، وفيها بعض أخبار تطوان وحوادثها في سنة 1280 . التي يوافق اليوم الاول منها يوم 18 يونيه سنة 1863 م .

أجناس الاجانب عند السلطان سواء ، 2 محرم 1280

وهؤلاء القناصل الذين يتمتعون بتأييد دولهم ، كان كل واحد منهم يريد أن يكون له امتياز خاص زيادة على الامتيازات العامة ، لقد كانوا كالضرائر يغار بعضهم من بعض ، وها هو السلطان في هذه الرسالة يامر بعدم التفريق بينهم ويقول : إن الاجناس كلهم عندنا على حد سواء .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فان الاجناس كلهم عندنا على حد سواء ، لا فرق بينهم في قليل ولا كثير في الامور ، وما يعامل به واحد منهم من المراعاة المناسبة اللائقة بجانبهم والوقوف عند القوانين في أمورهم ، يعامل به سائرهم ، ومن فرق بين أحد منهم في شيء ، فإنا نعاقبه بحول الله وقوته ، والسلام .

في الثاني من المحرم عام 1280 » .

ستة مراكب من القمح الى تطوان ، 4 محرم

ومشكلة القمح في تطوان مشكلة يظهر انها كانت تتجدد كل عام، فنواحي المدينة ضعيفة لا يكفي محصولها، والقائد دائما يطلب من السلطان السماح بارسال القمح إلى تطوان وإلا عم الغلاء وحلت المجاعة، وهذه رسالة يخبر السلطان فيها بأنه أذن بوسق ستة مراكب من القمح الى تطوان من أرض الخير، الدار البيضاء والجديدة وما إليهما.

وهذا نص الرسالة :

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش، وفقك الله وسلام ورحمة الله تعلى وبركاته.

وبعد فقد وصلنا كتابك بينت فيه ما هم عليه أهل ناحيتكم من الضعف ووصول الزرع عندكم الى ست وأربعين أوقية، وطلبت ان نامر بوسق نحو مراكب ستة من

القمح الجيد لاهل بلدكم ونواحيها، لان ما كنا أمرنا بجابه أشرف على التمام ، ولولاه لوصل ثمنه عندكم إلى غاية لم تعهد، فقد أمرنا أمناء الدار البيضاء وأمناء الجديدة بتوجيه مراكب ستة من الزرع، ثلاثة من كل واحدة منهما، وأكدنا عليهما في ذلك والله يعينك والسلام .

في 4 المحرم الحرام فاتح عام 1280 »

صنع المكاحل الجيدة في تطوان . 1 ربيع الاول

وهاتان رسالتان تبينان لنا أن تطوان كانت تصنع بها المكاحل (أي البنادق) الجيدة التي ربما تفوق بعض المكاحل الاجنبية ، وان السلطان يوافق على استعمال المخازنية لها بدل البنادق الافرنجية ، وتطوان كانت معروفة بأنها بلد صناعات ، وفي مقدمة ما كانت تمتاز بصنعه ، السلاح .

وفي اولى الرسالتين بعد المقدمة العادية ما يلي :

«وبعد فقد وصل المثال الذي وجهت من طريحة المكاحيل (1) فوافق المراد، فكلف المعلمين بالخدمة على هذا المثال ولا بد والسلام.

في فاتح ربيع النبوي عام 1280 » .

وفي الرسالة الاخرى بنفس التاريخ ما يلي :

« وصلتنا المكحلة التي وجهت مشطرة من المائة مكحلة الطرايحية واختبرناها فألفيناها جيدة ، وعلمنا أنها طلعت باربع وتسعين أوقية ، فالعمل عليها ، ونامرك أن تحزم المعلمين في خدمتها ، واجتهد في الوقوف عليها ، حتى لا يؤخر شيء من طريحة الشهر إلى شهر بعده ، بل لا يمضي الشهر إلا وقد فرغ من دفع طريحته ، (1) وأخبرت أنك كنت دفعت لخازنية تطوان المكاحل الرومية ولم تصلح لهم ، وطلبت أن تفرق عليهم من هذه المكاحل التي تعمل في الطريحة ، فقد أذنا لك في ذلك ، فاجمع الرومية التي كنت فرقتها عليهم ، وادفع لهم بدلها من هذه الجديدة ، والرومية التي تحوزها منهم ، اتركها تحت يدك في الخزين حتى نحتاج إليها وكن تتعاهدها بالمسح والتزييت تارة بعد تارة حتى تبقى محفوظة مصونة والسلام » .

---

1) كلمة الطريحة وتجمع على طرايح ، تطلق - في اصطلاح أصحاب بعض الحرف - على القدر الذي يجب إنجازه ، فطريحة اليوم أو الاسبوع أو الشهر ، هي العدد الذي يجب أن يتم فيه .

شراء السلاح بمال الزكاة . 2 ربيع الاول

وهذه الرسالة يامر فيها السلطان بجمع واجب الزكاة الشرعية من قبيلة أنجرة القريبة من تطوان والواقعة على حدود سبتة ، وبأن تشترى بذلك المال أسلحة توزع على الرجال الذين يستطيعون حمل السلاح وهم عاجزون عن شرائه ، وهذا عمل في غاية السداد .

ونص الرسالة :

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر اشعاش ، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فانا أمرنا قائد لنجرة الطالب محمد قنجاع أن يفرض بواسطة أهل العلم ، الواجب الشرعي على قبيلته ، وبان يحمله إلى تطوان ليباع بها ويشترى على يد الامناء عدة (1) لتعطى لمن ليست له عدة منها ، فان تيسر اهم حمله فليبع بتطوان على يد أمين ويشترى بثمنه عدة ، وليتوجه بها رجل من خيار الناس ويقف حتى تفرق على من ذكر على يد قائدهم ، وإن لم يتيسر لهم حمله فوجه رجلا أمينا ليقف على بيعه بقبيلتهم ويصحب ثمنه في يده ويشتري عدة ويفعل فيه ما ذكر ، وها نحن أمرنا قائدهم بالوقوف في ذلك ، فنفذ أنت الامر على نحو ما بينا ولا بد والسلام ،

في 2 ربيع الاول النبوي عام 1280 ».

منظمو البساتين السلطانية من تطوان . 11 ربيع الاول

وهذه رسالة يخبر فيها السلطان بوصول الرباعين اللذين أرسلهما إليه قائد تطوان، والرباعة هم الرجال الذين يحسنون تنظيم البساتين وغراسة فواكهها وزهورها الخ . . ولقد كان بتطوان وبالمداشر التابعة لها ، رجال ممتازون في هذا النوع من العمل ، وقد لبثت البساتين السلطانية بفاس ومراكش تحت إشرافهم مدة غير قليلة من الزمن .

« وبعد فقد وصل الرباعان اللذان وجهت لحضرتنا العالية بالله عملا بما أمرناك به وعرفنا ما وصفتهما به وما دفع لهما الامناء صلة عند سفرهما والسلام .

في 11 ربيع الاول عام 1280 » .

---

1) كلمة « عدة » بضم العين، وتشديد الدال ، كانوا يطلقونها على السلاح وخصوصا المكاحل والبنادق .

إصلاح المساجد وأوقافها المخربة في الحرب . 11 ربيع الاول

والحرب (قاتل الله الحرب) لا تحترم بيوت الله ، بل تخرب كل ما اتصلت به في سبيل مطامعها وأغراضها ، وهذه مساجد هدمت مع الاملاك المحبسة عليها في حرب تطوان وعجزت الاوقاف الفقيرة عن إعادة بنائها فأذن السلطان (جزاه الله خيراً) بتجديد بنائها من بيت مال المسلمين ، في رسالة هذا نصها :

« وبعد فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه أن ثلاثة مساجد عندكم تهدمت هي وأحباسها وتعطلت معالم الدين بها ، وطلبت اغتنام أجر بنائها لكونها جاءت في محل العمارة ، فها نحن أمرنا الامناء ببنائها والسلام .

في 11 من ربيع الاول عام 1280 » .

وقد امتثل قائد تطوان وأمناؤها هذا الامر السلطاني ، وكلف الامين السيد محمد ابن الحاج عبد الكريم اللبادي بمباشرة إصلاح الاملاك الحبسية .

وقد وقفت على كناش للامين المذكور ، وقد ابتدأ الكتابة والتقييد فيه من نفس الشهر الذي كتب فيه السلطان رسالته السابقة ، وهو ربيع الاول عام 1280 ، وقد استمر في عمله إلى عام 1287 .

ومما جاء في هذا الكناش ، أن الامين المذكور كان يقبض المال الذي يصرفه على الاصلاح ، من أمناء دار الاعشار بتطوان ، وأن من جملة أولئك الامناء ، عبد الرحمن اللبادي وعبد السلام جسوس .

وأنه كان مكلفا باصلاح الاملاك الحبسية لمختلف مساجد تطوان وزواياها ، وقد ذكر من ذلك ، المسجد الاعظم ، ومسجد الرابطة (جامع الرابطة) ومسجد غيلان ، (جامع غرسية) ومسجد الساقية الفوقية ، ومسجد العيون ، وزاوية سيدي علي بركة ، وزاوية سيدي احمد بن ناصر ، وزاوية سيدي عبد القادر الفاسي بالاترنكات ، وحبس برج مرتيل ، وحبس برج امسا ، وحبس المساكين . . . إلخ .

وأن من جملة الاملاك التي شملها الاصلاح في ذلك العهد ، عدة حوانيت في الجزارين والصباغين ، وثلاث حوانيت في تربيعة القطن وهي منسوبة لزاوية سيدي احمد بن ناصر ، وحانوت في تربيعة البيلم بسوق الغرسة الكبيرة ، وأخرى في تربيعة التوتة ، وحانوت محبسة على برج مرتيل ، وأخرى محبسة على برجي مرتيل وامسا ، وطراز في وسعة بن زاكور .

وأن الامين محمداً الباهي قد أصلح سبع حوانيت واقعة أمام معهدة العطارين ، واثنتي عشرة حانوتا بتربيعة الخياطين ، وكل ذلك من مال الاعشار بتطوان . . .

وقد جاء في مجموع ما صيره الامين اللبادي على إصلاح الاملاك الحبسية في ظرف شهر واحد ، ما يلي : 12 - $^1/_2$ - 26162 .

وجاء في بيان ذلك ، أنه ألفا مثقال بالتثنية ، وستمائة وستة عشر مثقالا ، وأوقيتان ونصف أوقية اي موزونتان ، ونصف موزونة ، اي اثنا عشر فلسا . . . والامين اللبادي كان في عمله هذا ضابطا حازما ، ولعله كان يعمل تحت إشراف كل من القائد والقاضي والامناء .

وفي كناشه المذكور بيانات ضافية عن المصاريف التي كانت تخرج على يده ، مع عدة شهادات عدلية مؤداة لدى قاضي تطوان من شيوخ النظر وأرباب البصر ، بأن المبالغ التي كان الامين المذكور يصيرها على إصلاح الاملاك الحبسية ، فيها صلاح وسداد ، وأنها لا غبن فيها ولا بخس ولا شطط الخ .

شهادتان عدليتان عن إصلاح أملاك الاحباس من مال الاعشار

وإتماما للفائدة ، نثبت هنا نموذجين من تلك الشهادات ، والاولى منهما كتبت عام 1282 هـ وهذا نصها :

الحمد لله تلقى شهيده من العارفين بما يذكر ويفسر ، وإليهما المرجع في علم ذلك بتطوان ، وهما المعلم عبد الكريم الدهري ورفيقه الحاج محمد بيصة بل المعلم عبد القادر البطوري ، وقوفهما عن إذن من يجب أسماه الله ، على عين الاصول التي أصلحها المكرم سيدي محمد بن الحاج عبد الكريم اللبادي المذكورة أعلاه ، فنظراها نظرا تاما ، واختبراها اختبارا شافيا عاما ، وطافا بها كذلك ، وسئل منهما النظر فيما صرفه اللبادي على الاصول المذكورة ، فظهر لهما بدليل معرفتهما ، وما أداه إليه اجتهادهما ، أن العدد الذي صرفه اللبادي المذكور وقدره ألفا مثقال بالتثنية ، وتسعمائة مثقال ، بمثناة أولى ، وواحد وتسعون بمثناة أولى مثقالا ، وخمس أواقي ، صلاح وسداد ، لا بخس فيه ولا غبن ولا شطط ، قالا ذلك وتقلده ، تلقيا تاما وقيد شهادتهما لسائلها في أواسط القعدة الحرام عام أحد وثمانين ومائتين وألف .

محمد بن علي الهراس لطف الله به .

الحمد لله أدى العارفان أعلاه فثبت وأعلم به عبد ربه محمد بن علي عزيمان الله وليه ومولاه .

والثانية كتبت عام 1287 هـ وهذا نصها :

الحمد لله تلقى شهيده من العارفين بما يذكر ، وإليهما المرجع في علم ذلك بتطوان، وهما المعلم عبد الكريم زكري ورفيقه المعلم السيد علي الشودري ، وقوفهما عن إذن من يجب أسماه الله على عين الاصول التي أصلحها السيد محمد بن عبد الكريم اللبادي المذكورة في الورقات الثلاث بمحوله ، بيانها بالغباري أعلى أعلاه ، فنظرا ذلك نظرا تاما ، واختبراه اختبارا شافيا عاما ، وسئل منهما النظر فيما صيره اللبادي على ما ذكر، فظهر لهما بدليل معرفتهما ، وما أداه إليه اجتهادهما ، أن العدد الذي صيره اللبادي المذكور وقدره خمسمائة مثقال ، وأحد عشر مثقالا ، وتسع أوقي إلا ربع ، صلاح وسداد، لا بخس فيه ولا غبن ولا شطط ، وأديا بذلك لديه أسماه الله وتلقاه منه شهيده ، قالا ذلك وتقلداه تلقيا تاما منهما في ثالث محرم الحرام عام سبعة بموحدة وثمانين ومائتين وألف

محمد بن علي الهراس لطف الله به .

الحمد لله أدى العارفان أعلاه فثبت وأعلم به عبد ربه محمد بن علي عزيمان الله وليه ومولاه .

والخلاصة ، هي أن مساجد تطوان التي لحقها الضرر أثناء تلك الحرب ، وكذلك الاملاك الحبسية التي أصابها الخراب في عهد الاحتلال الاجنبي ، قد وقع إصلاحها من مداخيل الاعشار (الجمرك) بديوانة تطوان ، وهكذا عادت تلك المساجد لاداء مهمتها الدينية ، وعادت تلك الاملاك لدر المدخول العادي الذي منه يصرف على بيوت الله ، وعلى القائمين بها ، وجزى الله المصلحين الذين يهتمون بشؤون دينهم خير الجزاء .

الفتوى مباحة لجميع العلماء بتطوان . 12 ربيع الاول

سبق لنا في أخبار سنة 1279 ، أن قاضي تطوان تشكى من كثرة المفتين وطلب قصر الفتوى على ثلاثة أشخاص ، فوافق السلطان على ذلك ، ثم ظهر أن ذلك العمل كان فيه ما فيه ، ولم تكن فيه مصلحة عامة ، فتدورك ذلك ، وألغي الامر الاول ، وصارت الفتوى مباحة لجميع من يقدر عليها من أهل العلم بتطوان ونواحيها .

وهذا كتاب السلطان في ذلك وبه البيان الكافي .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بوصول كتابنا اليك بان تامر بقصر الفتوى بتطوان

وعمالتها على الثلاثة الذين كان عينهم لها القاضي عزيمان ، وهم الحاج احمد السلاوي، والسيد الطيب اليعقوبي بتطوان ، والسيد الحسين العلمي بشفشاون ، وأن ترفع يد غيرهم عنها ، وعلمنا أنك بعد ما امتثلت أمرنا الشريف بذلك وأمرت به ، تبين لك أنه كان حيلة دبرت لغرض نفسي ، لان اليعقوبي لم يتعاط الفتوى من قديم ، ولكونه فر حتى من القضاء حياة سيدنا المقدس بالله ، ولان الحاج احمد السلاوي توجه لفاس لصلة رحمه بها ، وبقيت البلاد فارغة من أهل الفتوى حتى ضاعت الحقوق وفسدت الاحكام الشرعية ، وطلبت أن لا نرفع أيدي العلماء هناك عن الفتوى ليتعلم المتعلمون ويكثر العلم بتلك النواحي لكونك البصيرة بها ، وبينت العمل الذي كان عليه والدك رحمه الله حين كانت ترفع إليه دعوى يعلم توقفها على الشرع ، وكانت أحكام الشريعة بذلك مستقيمة لا حيلة فيها ولا دسيسة ، فالعمل على ما ذكرت في ذلك كله ، ولا عمل على الحصر في الفتوى على من ذكر ، والله يعينك والسلام .

في 12 من ربيع الاول عام 1280 » .

بين قاضي تطوان وشيخ أنجرة . 20 ربيع الاول

وهذه رسالة غنية عن الشرح والتعليق :

« خديمنا الارضى القائد الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فان الشيخ محمد العاقل الانجري اشتكى على حضرتنا العالية بالله ، أن أخانا مولاي العباس كان كلفه برصد المتوجهين بالمرافق لتطوان عند ما دخلها النصرى ، فعثر ذات يوم على أناس متوجهين اليها بشيء ، فقبضهم ووجههم لمولاي العباس ، وذكروا أن صاحب الفقيه عزيمان معهم ، فلما فتحت ورجع إليها المسلمون ، أتى الشيخ المذكور إليها لقضاء بعض مآربه ، فقبض عليه الفقيه المذكور ، وما سرحه حتى أعطاه خمسة عشر أو خمسة وعشرين ريالا ، والآن فحز منه ما حاز لهذا الرجل واردده عليه ولا بد ، وانهه عن ارتكاب مثل هذا ولا بد ، فكيف يقف الرجل في أمر واجب عليه وعلى غيره ويعاقب عليه والسلام .

في 20 ربيع النبوي عام 1280 » .

الشولو خبير في شؤون المدافع . 21 ربيع الثاني

وجاء في رسالة سلطانية ما نصه :

« وبعد فبوصول كتابنا هذا اليك ، وجه الحاج عبد الرحمن شولو لخديمنا الطالب محمد بركاش ليشافهه في أمر السرائر التي جلبت على يد العطار بقصد المدافيع القديمة ولا بد ، لانه جلبها بقصد المدافيع القديمة فلم تات موافقة لها والسلام .

في 21 ربيع الثاني عام 1280 » .

قتل فرنساوي راعي خنازير . 15 جمدى 1

وهذه إحدى القضايا التي كان ضعفاء العقول يقدمون عليها فيستغلها الاجانب لمصالحهم ويلحق البلاد من ذالك ضرر عظيم والامر لله .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد وصلنا كتابك أخبرت فيه أنك استرعيت مرارا على نواب الاجناس في عدم تأخر رعاة خنازيرهم التي عندكم الى غروب الشمس خشية أن يدس اهم الفساد دسيسة يحرجونكم بها معهم ، فاذا بهم تأخروا الى قرب العشاء ، وتعرض لهم الفساد الذين سميت من قبيلة وادراس ، وقتلوا واحدا افرنصيصيا ، وجرحوا ءاخر ، لكون الاحكام لا تنالهم لا هم ولا فساد بني يدر الذين ضيقوا بقبابل إيالتك ولم يقصروا في الاضرار بهم ، وبينت ما فعلوه بأهل بلدكم الذين توجهوا إليهم لرد البقر الذي نهبوه لهم بالثمن ، وذكرت أن المسجونين المقبوضين على دعوى قتل النصرانيين سرحا بموافقة الطالب محمد بركاش بعد أن أعطيا ضامنا لاحضارهم عند ثبوت شيء عليهم • فاعلم أنا أمرنا عامل طنجة بالقبض على الفساد الذين سميت وزجرهم ، ووبخناه على تعاميه عنهم حتى أقدموا على فعل ما لا تحمد لهم به عاقبة إن شاء الله والسلام .

في 15 من جمادى الاولى عام 1280 » .

تطوان ترسل عشرين الف ريال ، 17 جمادى 1

السلطان يامر أمناء تطوان بارسال المال المتوفر في الديوانة ، فيرسله القائد إلى نائب السلطان بطنجة ، ولكن ، لا حوالات ولا بنوك ولا . . . ولا . . . إنما هي أكياس الفضة تحملها الدواب ويحرسها الفرسان .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد وصلنا كتابك وعرفنا منه أن العشرين ألف ريال التي أمرنا أمناء تطوان بتوجيهها لخديمنا الارضى الطالب محمد بركاش على يدك ، وجهتها له صحبة خمسة من الفرسان فيهم رجل حازم ضابط عملا بما أمرناك به ، أصلحك الله ورضى عنك والسلام.
في 17 جمدى الاولى عام 1280 » .

لصوص ينهبون صاحب قنصل . متم جمدى 2

وهذه مشكلة أخرى سببها اللصوص المجرمون أعداء الوطن من ناحية ، وتهاون بعض القناصل واستهتارهم من جهة أخرى إن لم يكن مقصود بعضهم خلق المشاكل للاستغلال والامر لله .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه أن الذمي نائب جنس النبريال عندكم ، قدم عليكم مع صاحبه من طنجة من غير المخزني الذي ياتي مع نواب الاجناس على العادة ، ولما قرب من المدينة وفاتت المغرب ، خرج عليه بعض اللصوص ونهبوا البغلة التي كان صاحبه راكبا عليها ، فوجهتم في الحين من يتبع أثرهم فلم يقفوا عليه ، ثم تقصيت في البحث إلى أن حققت أنهم من قبيلة بني حرشن المصورية ، وهم رجلان من أولاد الوافي وشريف اسمه السيد المفضل من مدشر اجوانب ، وولد ابن حم من المنازل ، ورددت البغلة وبعض الحوائج المنهوبة معها ، وكتبت بذلك الطالب محمد بركاش وباشدور النجليز ، فقد أحسنت في الوقوف فيما ذكر أصلحك الله ورضى عنك ، وقد أمرنا عامل الفساد المذكورين بالقبض عليهم ، وكتبنا للطالب محمد بركاش بأن يتكلم مع باشدور لنجليز بأن يتكلم مع نوابه أن لا يسافر أحد منهم حتى يصحبه مخزني من قبل العامل على المحل الذي يريد السفر منه ، ليتوجه معه في الامان ولا يقع حينئذ في مثل ما وقع فيه النائب المذكور ، ومن سافر منهم بعد هذا من غير مخزني فإثمه على نفسه والسلام . في نهاية جمدى الثانية عام 1280 » .

وصول المدافع ولوازمها إلى تطوان. 3 شعبان

وهاتان رسالتان بعثهما السلطان إلى القائد أشعاش جوابا عن رسالته التي أخبر فيها بوصول المدافع إلى تطوان ووضعها في المحلات المناسبة لها ووصول ما تتوقف عليه المدافع المذكورة من المواد الضرورية ، وفيها أيضا اقتراح القائد مكافأة الرجال الذين يخدمون بنشاط ويستحقون الجزاء، وقد وافق السلطان على كل ذلك ونعم ما فعل.

ونص الرسالة الاولى :

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك مخبراً بطلوع المدافع التي أمرنا بجلبها لذلك الثغر السعيد وتركيبها في محالها على ما ينبغي ، ووصلت الورقة التي بينت فيها كيفية تركيبها وتقسيطها على الابراج وفرماتها ، وعلمنا ما حصل لاهل البلاد من الفرح والسرور بها وإكثارهم من الدعاء الصالح لجانبنا العالي بالله ، فالحمد لله على ذلك جعله الله من العمل المقبول ، وحرس ساحة الاسلام بسطوته ورعايته ءامين .

وعلمنا ما ذكرت في شأن الخازنية والبحرية والطبجية وقيامهم على ساق الجد في خدمتها وإيصالها لمحلها في نحو الشهر ، وطلبت أن ننعم عليهم بصلة تنشطهم على الخدمة ونميز كبيرهم الحاج عبد الرحمن الشولو بالاحسان لاستحاقه لذلك ، وأخبرت أن مولانا المقدس بالله كان يصلهم في كل سنة بما يسره الله ، لكون البحرية والطبجية منهم لا راتب لهم ، فها نحن أمرنا الامناء أن يدفعوا لهم مثل ما كان يصلهم به مولانا قدسه الله والسلام .

في 3 شعبان الابرك عام 1280 » .

والرسالة الثانية بتاريخ 27 شعبان 1280 .

وهذا نصها بعد الافتتاحية :

« وبعد وصلنا كتابك أخبرت فيه أن الله يسر فيمن جلب لكم ما توقفتم عليه من الاقامة المدافع المجلوبة لذلك الثغر السعيد ، ووجدكم الحال في غاية الاحتياج إليها ، ووجهت زماما متضمنا لجميع ما وجب في صائرها طالبا تنفيذه من عند الامناء ، فها نحن أمرناهم بذلك والسلام » .

السلطان يستوصي باليهود . 2 رمضان

وهذه رسالة سلطانية في قضية اليهود ، والذي يلفت النظر في هذه القضية ، هو تضامن اليهود على مصالحهم ودفاعهم عن إخوانهم بالرغم من بعدهم ، فهذا يهودي انجليزي بلندن ، يدافع عن يهوديين مغربيين في أسفي بأقصى بلاد المغرب ، فيقصد السلطان لاجل ذلك ، ويتخذ من الوسائل ما يتوصل به لما يريد ، والسلطان هنا يوصي خيراً باليهود ، ولكن بخيارهم فقط (إن كان في اليهود خيار) أما غيرهم فيجب أن يعاملوا بما يستحقون ، ولا ندري ما ذا سيفعل اليهود بالمسلمين في الدولة التي يعملون لتأسيسها في فلسطين لا أتم الله لهم مراداً . (1)

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد ورد على حضرتنا العالية بالله تعلى يهودي من الوندريز (2) متشفعا في يهوديين كانا مسجونين بأسفي في تهمة نصراني اصبنيولي مات ، ومستعطفا جانبنا العالي بالله في الايصاء على اليهود ، فأجبناه إلى ما طلب من تسريح اليهوديين حيث أبرأهما أصحاب دعواهما ، وإلى الايصاء الذي طلب ، فنامرك أن تستوصي خيراً بضعفاء اليهود ومساكينهم المعروفين بالسكينة ، المشتغلين بمعاشهم ، وأما صعاليكهم المعروفون بالفجور والتطاول على الناس والخوض في الامور ، فعاملهم بما يستحقونه على فعلهم إن فعلوا ما يوجب تربيتهم جزاء وفاقا ، والسلام .

في 2 رمضان عام 1280 » .

« قلت » ولهذه الرسالة فيما يظهر مثيلات كتبها السلطان لولاة المغرب ، ولذلك قصة بينها الناصري في الاستقصا بقوله : (3)

---

1) قبل أن يتم لهم الامر بدولة اسرائيل أخرجوا 3.500 عربي وتركوهم في العراء . ت . و .

كتب هذا قبل أن تؤسس دولة اسرائيل بفلسطين ، فلما تم تكوين تلك الدولة اللعينة واعترفت بها جل دول العالم في أوربا وامريكا ، طردت مآت الآلاف من العرب المسلمين والمسيحيين ، واستولت على أراضيهم وأمتعتهم فتبعثروا وما زالوا مبعثرين في مختلف البلاد العربية ؟ وهذه هي انسانية هذا القرن ، لدى دول هذا العصر ؟ .

2) يعني بالوندريز (لندن) عاصمة بريطانيا (انجلترا) .

3) ج 4 ص 227 .

« وفي هذه السنة (يعني سنة 1280 وهي سنة تاريخ رسالة السلطان إلى القائد أشعاش ، وذلك التاريخ يوافق أوائل سنة 1864 م) ورد يهودي من اللوندره على السلطان بمراكش يطلب منه الحرية ليهود المغرب ، وذلك لانه لما كانت وقعة تطاون ودهم الناس ما دههم من أمر الحمايات ، وأكثر من تعلق بها اليهود ، لم يقتصروا على ذلك ، وراموا الحرية تشبها بيهود مصر ونحوها ، فكتبوا إلى يهودي من كبار تجارهم باللوندرة إسمه روشاييل (1) وكان هذا اليهودي قارون زمانه ، وكانت له وجاهة كبيرة في دولة النجليز . لانها كانت تحتاج إليه فيسلفها الاموال الطائلة ، وله في ذلك أخبار مشهورة ، فكتب يهود المغرب إليه أو بعضهم يشكون إليه ماهم فيه من الذلة والصغار ، ويطلبون منه الوساطة لهم عند السلطان رحمه الله في الانعام عليهم بالحرية ، فعين هذا اليهودي صهراً له للوفادة على السلطان رحمه الله في هذا الغرض وفي غيره ، وأصحبه هدايا نفيسة ، وسأل من دولة النجليز أن يشفعوا له عند السلطان ويكتبوا له في قضاء غرضه ، ففعلوا وقدم على السلطان بمراكش وقدم هداياه (2) وسأل تنفيذ مطلبه ، فتجافى السلطان رحمه الله عن رده مخفقا وأعطاه ظهيراً فتمسك به اليهودي ، يتضمن صريح الشرع وما أوجب الله لهم من حفظ الذمة وعدم الظلم والعسف ، ولم يعطهم فيه حرية كحرية النصارى ، ونص الظهير المذكور بالطابع الكبير :

---

1) يعني به روتشلد ROTHSCHILD المثري الشهير .

2) قبح الله أمثال هذه الهدايا ، التي كان لها تأثير فظيع في كثير من الحوادث والمواقف والامر لله .

ظهير سلطاني عن اليهود بالمغرب . 26 شعبان

« بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، نامر من يقف على كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره ، وأطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره من سائر خدامنا وعمالنا والقائمين بوظائف أعمالنا ، أن يعاملوا اليهود الذين بسائر إيالتنا بما أوجبه الله تعلى من نصف ميزان الحق والتسوية بينهم وبين غيرهم في الاحكام ، حتى لا يلحق أحداً منهم مثقال ذرة من الظلم ولا يضام . ولا ينالهم مكروه ولا اهتضام ، وأن لا يتعدوا هم ولا غيرهم على أحد منهم ، لا في أنفسهم ولا في أموالهم وأن لا يستعملوا أهل الحرف منهم إلا عن طيب أنفسهم ، وعلى شرط توفيتهم بما يستحقونه على عملهم ، لان الظلم ظلمات يوم القيامة ، ونحن لا نوافق عليه لا في حقهم ولا في حق غيرهم ولا نرضاه ، لان الناس كلهم عندنا في الحق سواء ، ومن ظلم أحداً منهم أو تعدى عليه فإنا نعاقبه بحول الله ، وهذا الامر الذي قررناه وأوضحناه وبيناه ، كان مقررا ، ومعروفا محررا ، لكن زدنا هذا المسطور تقريرا وتأكيدا ، ووعيدا في حق من يريد ظلمهم وتشديدا ، ليزيد اليهود أمنا إلى أمنهم ومن يريد التعدي عليهم خوفا إلى خوفهم ، صدر به أمرنا المعتز بالله في السادس والعشرين من شعبان المبارك عام ثمانين ومائتين وألف » .

ولما مكنهم السلطان من هذا الظهير ، أخذوا منه نسخا وفرقوها في جميع يهود المغرب ، وظهر منهم تطاول وطيش ، وأرادوا أن يختصوا في الاحكام فيما بينهم لا سيما يهود المراسي ، فانهم تحالفوا وتعاهدوا على ذلك ، ثم أبطل الله كيدهم وخيب سعيهم ، على أن السلطان رحمه الله لما أحس بطيش اليهود عقب ذلك الظهير بكتاب آخر بين فيه المراد ، وأن ذلك الايصاء إنما هو في حق أهل المروءة والمساكين منهم المشتغلين بما يعنيهم ، وأما صعاليكهم المعروفون بالفجور والتطاول على الناس والخوض فيما لا يعني ، فيعاملون بما يستحقونه من الادب ـ انتهى .

وهذه الفقرات الاخيرة كما ترى مماثلة لما في رسالة السلطان المقائد أشعاش فلعل مضمن ذلك كتب به السلطان لقواد المدن المغربية كافة والله أعلم .

رسالة النائب بركاش عن تطاول يهود المغرب

ثم إن قضية اليهود لم تقف عند هذا الحد ، بل ظهر منهم بعد ذلك ما لم يكن في الحسبان ، وجرت في شأنهم مخابرات بين السلطان ونائبه بطنجة مع ممثلي الدول الاجنبية بالمغرب ، ومن ذلك رسالة مهمة هذا نصها : (1) .

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

بعد تقبيل حاشية البساط الشريف ، وأداء ما يجب للمقام العالي بالله من التعظيم والتشريف ، يكون في كريم علم سيدنا أدام الله علاه ، ومتعنا بوجوده ورضاه ، أنه وصلنا أمر مولانا العالي بالله أولا وثانيا في شأن قضية اليهود وما ارتكبوه من الجسارة والتطور على غير شكلهم حسبما استفدنا ذلك من المكاتب الواصلة الينا صحبة كتاب سيدنا ، وذكر سيدنا أيده الله أنهم من رعيته ، فلا دخل لاحد فيهم ، ومن ظلم منهم يرفع نازلته للعلم الشريف ، وسيدنا يرفع عنهم الظلم إن كان ، مع أن ما صاروا يدعونه الآن لم يدعوه قبل مع مرور السنين ، وذكر سيدنا أيده الله ، أنه كيف يدخل الغير فيهم ويحسن لهم أفعالهم حتى صار فجارهم يرمون العمال الذين هم في محل الامانة والصدق بالفجور ، وليس ذلك بقانون ولا بمعروف عند أحد من قديم ، وأمرني سيدنا أيده الله بالكلام مع باشدور النجليز بالمعقول في هذا الامر، لكونه كتب في شأنهم لخلفائه بالمراسي بما يزيدهم جسارة إلى جسارتهم ، وذكر سيدنا أنه هل يدخل أحد من سلاطين النصارى في رعية غيره من السلاطين ، لا . فيعلم سيدنا أيده الله ونصره، أن دخول النواب في الكلام في ذلك ، إنما هو من جهة رفع شكوى اليهود الواصلة اليهم بما يدعونه من الظلم، لحضرة مولانا العالية بالله ، طلبا لرفع الظلم وإظهار الحق ، لما يتحققونه من الجانب الشريف من عدم قبول ذلك ورضاه ، حسبما قدمنا لسيدنا أيده الله مكاتبهم في قضية يهود دمنات ، وقد تحققنا مما استفدناه من الكتب التي وجه لنا سيدنا أيده الله ، أن اليهود خرجوا عن طورهم بما ارتكبوه من الطيش والجسارة ، وعاينا شيئا من ذلك عند وصولنا للرباط ، واقتضى الحال إخماد ما راموه من إيقاد الفتنة بالمعالجة إلى أن رجعوا عما تحيلوه ، ولم يساعد الوقت المقابلة في الكلام مع النواب في نازلة اليهود وردعهم عما صدر منهم من البهتان ، لاجل ما وجهناه لحضرة سيدنا من مكاتبهم ونسخ شكواهم ليطالع ذلك سيدنا أيده الله ويظهر فيه موجب الحق ، وتعطى كل نازلة ما تطلبه من الحق ، فاذا تفرغنا منها نتصدى

1) نقلا عن أصلها الموجود في الخزانة الكتانية بفاس .

للكلام معهم بالمعقول فيما تعدوه من الحدود وارتكبوه من الجسارة وخرجوا به عما هو معهود في حقهم ، ويكون لذلك موجب قوي ، بخلاف ما إذا تعرضنا للكلام الآن فيتوهمون أن ذلك اعتراض عما يشتكون به من المظالم ، وينشأ عنه كلام مصادم للغرض المقصود ، وها نحن إن شاء الله بصدد الكلام مع باشدور النجليز وغيره من النواب ، ونشرح اهم القول في ذلك حسبما أمر به مولانا نصره الله ، ولا شك أني ندور معهم بأنواع القوانين الجارية على أحكامهم ، حتى نصل إلى ما يوفقهم بحول الله وسعادة مولانا المنصور بالله ، أدام الله عزه وعلاه والسلام .

في 23 محرم فاتح عام 1281 .

خديم المقام العالي بالله محمد برقش لطف الله به .

قبض المتسوقين من قبيلة الاخماس 28 رمضان

وقبيلة الاخماس قد اتهم بعض أفرادها بجريمة قتل أحد الاجانب ، وذلك ما جعل السلطان يامر بالقاء القبض على بعض رجالها لارغام القبيلة على تسليم القتلة، وهذا نص الرسالة السلطانية بذلك :

« وبعد فبوصول كتابنا هذا اليك، أجعل أرصاداً وعيونا على من يتسوق تطوان من « الاخماس » وكل من ظفرت به اقبضه وحز ما عنده، ثم بعد القبض على من تظفر به منهم ، ابحث هل هم من الفوقانيين أو السفلانيين ، فمن وجدته من الفوقانيين فأبقه بالسجن، ومن وجدته من السفلانيين فسرحه ، ولتستعن على هذا الامر بمن يوثق به، ولا يقلب لك الحقيقة فيهم من يتخذ هذا الامر متجراً، فإن الزمان فسد وفسد أهله إلا من عصمه الله والسلام في 28 رمضان المعظم عام 1280 » .

صائر القوات المخزنية تدفعه القبائل 3 شوال

هذا ما تقرره الرسالة السلطانية التي هذا نصها :

« وبعد فقد وصلنا كتابك مخبراً بانك لما أمرناك بشد عضد وصيفنا القائد محمد ابن عبد الكريم الجبوري على وادراس، أمددته بثمانمائة من رماة قبائل إيالتك ربطت في المحل الذي عينه لها ، وكنت تمونها بالخبز حتى اجتمع في صائر ذلك ألف مثقال وطلبت تعيين من أين يقبض ذلك، هل من القائد المذكور، أو من الامناء أو تحاسب به قبائل إيالتك، فوزعه على قبائل إيالتك، كل قبيلة تدفع منه قسطها فيه، لان الامر الذي كان سببا لذلك، وقع في أرض إيالتك والسلام » .

في 3 شوال الابرك عام 1280 .

فلتات من القائد ، وتيقظ من السلطان . 10 شوال

وهذه رسالة تدل على شدة تيقظ الدوائر المخزنية العليا وعلى دهاء المسيرين لسياستها ، واللبيب لا يحتاج لزيادة بيان ، ولعل فيها أيضا ما يشعر بشيء من التعكر في جو العلاقات بين القائد أشعاش ودوائر المخزن مما يوذن بقرب يوم الحساب ، ووقوع العقاب، وأمر هذا القائد لم يطل بعد هذه الرسالة كما سترى، ودوام الحال محال، والسياسة والوظائف الحكومية مثل النار قلما يسلم من يلعب بها ، وكثيرا ما يضحى بأصحابها .

« خديمنا الارضى القائد الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته.

وبعد فانا نعتاد منك الجد والوقوف في الخدمة والتبصر فى الامور، وقد كنت فعلت أمراً مستحسنا وهو استرعاؤك على النصارى أن لا يتأخروا خارج البلاد إلى الليل ، ومن فعل وأصيب بشيء فمصيبته هدر، ثم إنك شفعته بامر مستهجن، وهو انه لما قتل النصراني خارج البلاد في الوقت الذي نهيتهم عن التأخر إليه، أحلتهم على وادي راس بان الفاعلين منهم، ففتحت أعين النصارى بذلك، وحيث يعين لهم العامل الفاعلين فقد أثبت لهم الحق، ولو كنت تركت أعينهم مطموسة مع تقدمك لهم بالاسترعاء المذكور، لكانت الحجة عليهم ولا يجدون ما يقولون ، فاحتجنا الى ارتكاب المشقة في أمر وادي راس حتى كان آخر الامر أن برأهم النصارى من هذه الدعوى، ثم تراموا على أولاد شركوك من الاخماس، وأولاد شركوك تعصب عليهم إخوانهم وأبوا أن يسلموهم، مع أنهم بعد أن رموا بهذه الفعلة تسوقوا عندك المدينة ولم تقبض عليهم، فهي منك فلتة ثانية، وها نحن احتجنا الى مشقة أخرى مع الاخماس إخوانهم، فأمرنا جيرانهم بالتضييق بهم، وبعثنا لهم طائفة من الخيل كي يسلموهم، وأنت لا تغسل عنك هذا العار ولا تخرج من الورطة التي أوقعتنا فيها إلا باحتيالك على هؤلاء أولاد شركوك حتى تحصلهم بأي وجه أمكن ، ثم بعد تحصيلهم يطالب النصارى بالاثبات ، وترجع دعواهم للشرع ، فان ثبت عليهم شيء فيوخذ منهم الحق ، وإلا فيخلى سبيلهم ، لكن الغرض الآن هو تحصيلهم فاحتل عليه بما يمكنك والسلام ».

في 10 شوال عام 1280 .

الرفق باليهود في الجزية . 3 قعدة

وهذه رسالة فيها غاية العدل والانصاف في شأن اليهود (لو كانوا أهلا لذلك) فالسلطان يوصي بهم خيراً فيشعرون بذلك فيتيهون ويطلبون التخفيف مما تعودوا أداءه. فيجيب السلطان رغبتهم ولا يكلفهم الا بما يطيقون ، ولكن هل كل اليهود يستحقون هذا الاعتناء ، وهل يقابلونه بالشكر والثناء، وما يستحقه من حسن الجزاء ؟

يسأل التاريخ ، وعند دولة اسرائيل واليهود المهاجرين اليها الخبر اليقين .

« خديمنا الانجد الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد وصلنا كتابك مخبراً فيه أنك لما عزمت على قبض الجزية من أهل الذمة عن عامين عملا بأمرنا الشريف الصادر لك بذلك قبل ، أجابوا بالسمع والطاعة ، غير أنهم طلبوا الرفق بهم في ذلك بالاقتصار على قبض ألف مثقال واحد في كل سنة لكونهم كانوا يعطون في كل جزية ألفين مثقالا (كذا) وحيث حصل لهم الضعف ولم يبق فيهم تجار كبار يعينونهم على الجزية كعادتهم ، طلبوا الرفق بهم لما تيقنوا من إيصائنا بهم خيراً . فاعلم أنا لا نكلفهم إلا بما يطيقونه ، وعليه فاقبض منهم الجزية بقدر حالهم الآن والسلام

في 3 قعدة الحرام عام 1280 » .

العساكر يفرون من الخدمة . 4 قعدة

وهذه رسالة فيها حزم وحرص على النظام ، فالجندي يجب أن يقتصر على مهمته في أوقات الخدمة الرسمية ، وحركاته وسكناته كلها يجب أن تكون بنظام ، كل هذا صحيح . ولكن هل كان العسكري المغربي يتسلم من حكومته ما يكفيه للاكل والشرب والكسوة هو وأهله وعياله ؟ وهل كان في الامكان أن يترك ذلك الجندي خدمته الرسمية ويذهب للحصاد مع الفلاحين بالاجر الطفيف في حر المصيف لو كان يجد ما يغنيه عن ذلك ؟ النظام ، وإلا فالعقاب ، لكن العدل والانصاف قبل كل شيء ، حتى في النظام والعقاب .

« وبعد فان العسكر إذا لم يبن أمره على الحزم والجد ، ينحل نظامه ولا ينضبط أمره ، ومن جملة الامور التي ينضبط بها أمره ، عدم غيبته عن خدمته إلا باذن مخزني، وعليه فرد بالك إليهم وكل من ظفرت به منهم بايالتك توجه من غير إذن فاقبض عليه ، سواء وجدته مقيما بها أو فارا ، والغالب على من يغيب منهم في هذا الوقت ، أنه لا يذهب إلا للخدمة في الحصاد ، فان ظفرت باحد منهم يحصد فاقبضه واقبض على من استخدمه ولا بد لينضبط أمرهم بحول الله وقوته . والسلام .

في 4 من ذي القعدة الحرام عام 1280 » .

رسائل سلطانية عن وفود الاعياد وتقديم الهدايا

تلك عادة كانت معروفة ومتبعة لدى الدوائر المخزنية وما يتصل بها ، وهي أن يحضر الباشاوات والقواد الكبار بأنفسهم ، أو يقدموا من أعيان مدنهم وقبائلهم وفودا تقصد العاصمة أو غيرها من المدن التي يقضي السلطان فيها أيام العيد ، فتقدم إليه واجب الطاعة والولاء مصحوبا بالهدايا المختلفة الانواع والمقادير ، وفي الغالب تكون هدية العيد نقدا « ذهبا أو فضة » (حينما كان في الدنيا ذهب وفضة رحمة الله على عهدهما) وقد تكون الهدية خيلا أو ثيابا أو سلاحا الخ .

وهدية تطوان التقليدية (فيما حكاه لنا غير واحد من الشيوخ) هي المكاحل المزخرفة بالذهب والفضة من التي كانت تصنع بتطوان . . .

والقائد الحاج عبد القادر أشعاش لم يكن يقتصر على تلك الهدايا التقليدية ، بل كان يزيد عليها هدايا خاصة مكونة من حلويات اشتهرت دار اشعاش باتقان صنعها .

والرسائل الآتية تبين لنا كيف كانت دار المخزن تقابل تلك الوفود وتقبل تلك الهدايا وتعتني بالاجوبة عن ذلك بكيفية ملفتة للنظر ، فالجواب (كما سترى) لا يحتوي إلا على بضعة سطور ولكن الورق الذي يكتب فيه طوله سبعة واربعون سنتيمترا ، وعرضه خمسة وثلاثون سنتيمترا ونصف سنتيمتر ، وبين سطري افتتاحيته نجد الطابع السلطاني الكبير المحتوي على ثلاثة وثلاثين كلمة .

أما أنا فلو كنت متصلا بالدوائر العليا أو كانت لي كلمة مسموعة لديها ، لاشرت بالقضاء قضاء مبرما على عادة تقديم الهدايا وقبولها .

ولجمع المال واقتناء الحاجيات طرق ووسائل أشرف وأعز من طريق الهدايا التي قد يكون فيها ما هو في حكم المغتصب أو الرشوة، مما يترفع عنه ذوو المقامات المحترمة .. هذا رأيي ولكل رأيه .

وهذه نصوص بعض تلك الرسائل السلطانية المنقولة عن أصولها مباشرة :

« الحمد لله وحده   وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله

(ثم الطابع الكبير : ونقش وسطه محمد بن عبد الرحمن غفر الله له)

خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وأعانك وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد ورد على حضرتنا العالية بالله عيادتكم وحضروا معنا العيد الجليل ، والمشهد الحفيل ، وضربوا في ذلك بسهم مصيب ، ونالوا من بركة شهود دعوة المسلمين أوفر حظ وأكثر نصيب ، وأدوا ما وجهت معهم هدية وفق ما بينت في كتابك، كثر الله الخير عليكم ، وبارك لكم وعوضكم خلفا آمين والسلام .

في 13 من حجة الحرام عام 1278 » .

رسالة أخرى ، وافتتاحيتها مثل السابقة .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد ورد على حضرتنا العالية بالله عيادتكم وحضروا معنا الموسم الجليل ، والمشهد الحفيل ، وأدوا ما وجهت معهم هدية وفق ما بينت في كتابك كثر الله خيركم وبارك لكم وعوضكم خلفا آمين والسلام .

في 14 من ربيع النبوي عام 1280 » .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه ، ووصل من وجهت من العيادة (1) وحضروا العيد السعيد بحضرتنا العالية بالله ، ونالوا من بركة المشهد الحفيل وشهدوا الخير ودعوة المسلمين وأدوا ما وجهت معهم من الهدية المفصلة في كتابك ، كثر الله خيركم ، وشكر بركم ، وعوضكم خلفا وبركة آمين والسلام .

في 3 شوال الابرك عام 1280 » .

---

1) العيادة ـ بفتح العين وتشديد الياء ـ جمع عياد ، وهم الاشخاص الذين يفدون على السلطان لحضور حفلات العيد وتقديم الهدايا .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه ، ووصل من وجهت من العيادة وحضروا العيد المبارك بحضرتنا العالية بالله ونالوا من بركة المشهد الحفيل ، والجمع السعيد الجليل ، وشهدوا الخير ودعوة المسلمين ، وأدوا الهدية المبينة في كتابك ، كثر الله خيركم ، وشكر بركم ، وعوضكم خلفا وبركة آمين والسلام .

في 13 ذي الحجة الحرام عام 1280 » .

والرسالتان الآتيتان كتبتا جوابا عن الهدايا الخاصة التي كان القائد أشعاش يرسلها في غير الاعياد ، وقد بينت فيها الاصناف التي تحتوي عليها تلك الهدايا .

وهذا نصهما :

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر اشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك وصحبته ما وجهت لحضرتنا العالية بالله من السكر والاتاي والحلاوي وما معها حسبما ذكرت في كتابك ، كثر الله خيرك ، وشكر صنعك ، وعوضك خلفا وبركة والسلام .

وفي 19 شعبان الابرك عام 1279 » .

«الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

(محمد بن عبد الرحمن الله وليه)

خديمنا الارضى الحاج عبد القادر اشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصل ما وجهت من السكر والاتاي والقهوة والحلوا والشكلاط والشمع وسكنجبير وفق ما بينت في كتابك ، كثر الله خيركم وبارك لكم ، وعوضكم خلفا آمين والسلام .

في 2 من شعبان المعظم عام 1280 » .

وهذا كتاب من الوزير موسى بن احمد إلى القائد اشعاش جوابا عن وصول هدايا العيد ، وما كان ألين الوزير في هذا الكتاب ، وما أكرمه بالالقاب والمجاملات والتسليمات والتشكرات .

« الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا وخديم سيدنا أيده الله وأمينه الحاج عبد القادر اشعاش ، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير سيدنا نصره الله .

وبعد وصل كتابك وعرفنا ما فيه وحمدنا الله لسلامتك وعافيتك أدامها المولى سبحانه علينا وعليك ، ووصل هدايتك للحضرة العالية بالله ، وتلاقوا مع مولانا المنصور بالله ، ونالوا من بركة طلعته الشريفة ، وأدوا الهدية ودعا لك ولهم مولانا بخير ، هذا وقد وصل ما أكرمتنا به والاخوة حسبما أشرت إليه ، أكرمك الله وزاد في معناك ، ورزقك أحسن الخلف ، وعلى المحبة ، مسلما على أخيك الاعز السيد الحاج محمد باقمه ، وعلى المحبة والسلام .

في 12 حجة عام 1278 » .

موسى بن احمد لطف الله به

عشر رسائل سلطانية عن قضايا مدينة شفشاون 1278 ـ 1280

ذكرنا سابقا أن مدينة شفشاون كانت تحت حكم قائد تطوان الحاج عبد القادر أشعاش ، وأثبتنا نص الظهير السلطاني بتعيينه واليا عليها .

والمعروف أن القائد المذكور كان له بشفشاون خليفة ينوب عنه فيها ، والقضايا والاخبار التي تتعرض لها الرسائل الآتية ، مثل قضايا وأخبار مدينة تطوان ، لا تخرج عن أنها من تاريخ المغرب ، إلا أن هذه ربما كانت تهم أهل شفشاون أكثر من غيرهم ، لانها منهم وإليهم .

وحبذا ثم يا حبذا ، لو قام مثقفو كل مدينة بكتابة تاريخ بلدهم ولو في جزء واحد ، فهل من مستجيب يا أبناء شفشاون المقتطعة من الجنان ؟

وهذه عشر رسائل من السلطان إلى القائد المذكور عن قضايا تتعلق بالمدينة المذكورة ، وكلها (بدون استثناء) مبدوءة بالحمدلة والتصلية المعتادتين ، ثم الطابع الصغير الذي نقشه (محمد بن عبد الرحمن الله وليه) .

وهذه نصوصها :

الاولى

« خديمنا الارضى الحاج عبد القاهر أشماش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد ورد على حضرتنا العالية بالله عيادة أهل شفشاون وقاموا بواجب السمع والطاعة وحضروا معنا الموسم الجليل ، والمشهد الحفيل ، وأدوا هديتهم المصحوبة معهم، عوضهم الله خلفا آمين ، وها نحن وجهناهم والسلام .

في 13 من حجة الحرام عام 1278 » .

الثانية

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشماش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فنامرك ان تجري النفر الاربعة من الاخماس المقيدين بالطرة من سكان الشاون على ما كانت عليه عادتهم قبل في الكلفة ، فان كانوا يكلفون قديما مع الاخماس فيبقوا معهم فيها ، وإن كانوا يكلفون مع أهل المدينة فكذلك والسلام .

في 13 ذي الحجة عام 1278 » .

ومع الطرة : سي احمد ريان . سي الهاشمي ريان . المعلم علي بلخير . محمد ميمون .

الثالثة

« خديمنا الارضى الطالب الحاج عبد القادر أشماش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فحاملاه احمد بن قاسم ريان ، وأحمد ابن المعلم علي بو لخير الخمسيان ، كانا اشتريا سوق الاثنين المعمور خارج شفشاون حسبما بأيديهما ، واشتكيا أن ما يباع به من الفلفل يدخله الموكلون بأسواق المدينة إليها ويزنونه بها وياخذون مستفاد ميزانه ، والآن فنامرك أن تجريهم في ذلك على ما كان قديما ، فالشيء الذي كان من شأنه أن يباع في السوق المذكور ومستفاده من حساب مستفاد السوق ، فالمشتريان المذكوران ياخذان مستفاده ، ولا تترك الموكلين بالبلد يتعدون عليهما فيه ، وما هو خارج عن السوق المذكور وليس من مستفاده ، فأمره إلى الموكلين بالبلد والسلام .

في 15 حجة عام 1278 » .

الرابعة

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك مخبراً بانك أمرت خليفتك الذي بشفشاون بجعل الكنطرادات التي بها في يد الدلال وإشهارها بمحل ذلك على العادة ، وأنه فعل حتى وقفت بما بينته في الزمام الذي وجهت ، وعرفنا سبب نقص ما نقص منها عما بيعت به عام أول ، واستاذنت في إمضا° البيع فيها لمن وقفت عليه ، فأمضه فيها ولا بد والله يعينك والسلام .

في 10 من رجب الفرد عام 1279 » .

الخامسة

خديمنا الارضى القائد الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك صحبة الامين عبد السلام ويدان ، وعرفنا ما فيه ، ووصل ما وجهت صحبته من واجب كنطردات شفشاون عن عام 78 وقدره ثمانية °الاف مثقال وثلاثمائة مثقال ، وأن أربعمائة مثقال التي كانت زائدة عليها أخذها علال بن عبد الله فيما كنا نفذنا له عن مؤنته حسبما ببطائقه التي وجهت ، وعلمنا أن أمنا° شفشاون يطلبون أجرتهم على وقوفهم عليها في العام المذكور ، فادفع لهم أجرتهم عليها من الداخل بعده . واعلم أن تلك الكونطردات ينبغي فيها الاحتياط لبيت المال ، فان كان هناك من يزيد على ما هي به فاقبل زيادته بل أنت التمس الزيادة ما أمكنك ، لان بيت المال لا يكره زيادة . . .

في مهل ربيع النبوي عام 1280 » .

السادسة

خديمنا الارضى الحاج عبد القادر اشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصل ما وجهت من المال الوارد عليك من الشاون وقدره ثمانية °الاف مثقال وسبعمائة مثقال وخمس °اواقي ونامر الامنا° بتطوان أن يقدروا لامنا° الشاون ما يستحقونه من الاجرة على عملهم والسلام .

في 2 ربيع النبوي عام 1280 » .

السابعة

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وبعد فنامرك أن تجري الشرفا أولاد مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به القاطنين بشفشاون على عادتهم المالوفة وطريقهم المعروفة من إعطا أو عدمه ، فانهم ادعوا أن الاعطا أضر بهم والسلام .

في 13 من ربيع الاول عام 1280 » .

الثامنة

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فانا وجهنا حامله للوقوف على سمسرة الاسواق والابواب والملاح وتباغه وغير ذلك مما يباع باشاون حتى تقف على آخر زائد فيها إن شا الله ، وأعلمناك لتقف في ذلك ويكون على يدك والسلام .

في 25 ربيع النبوي الانور عام 1280 » .

التاسعة

خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك مخبراً بامتثالك أمرنا الشريف في جعل كنطردات شفشاون بيد السمسار حتى وقفت على آخر زائد بمحضر الامنا والعدول وصاحبنا الذي توجه للوقوف على ذالك بما ذكرت (91.300) (1) في كتابك حسبما بالرسم الذي وجهت واستاذنت في إمضا البيع بذالك لمن وقفت عليهم ، وعلمنا ما ذكرت في شأن الاخماس وخصوصا السيد محمد بن خجو وما يرومونه من إفساد كنطردات شفشاون وتعرضهم لما لا يعنيهم فيها ، وما أشرت من عدم مساعدتهم لما يطلبونه في ذالك ليبقى أمرها مضبوطا ولا يفتح فيها باب • أما ما ذكرت في شأن الكنطردات ، فقد حضر بحضرتنا الطالب احمد بن جنا (2) وزاد فيها ألف مثقال بالافراد على ما بلغته هناكم ، فأمضها له ، وإن زاد عليه أحد فاقبل زيادته ، ثم إن شا سلم وأبقاها المزائد ، وإن شا

---

1) بيان العدد المذكور ، هو تسعة آلاف مثقال ومائة وثلاثون مثقالا .

2) هو أحمد بو جنه .

زاد حتى تقف على ءاخر زائد منهما ، وأما ما ذكرته في شأن الاخماس والسيد محمد بن خجو ، فانا لا نفتح لهم بابا يفسد الكنطردات إن شاء الله والسلام .

في 20 جمدى الاولى عام 1280 » .

العاشـرة

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه أنك لما أمضيت البيع للطالب احمد بو جنه في كنطردات شفشاون عملا بما أمرناك به ، وذلك حيث لم يوجد من يزيد شيئا على الالف الذي زاده فيها ، قام معه شرفاء شفشاون وامتنعوا من إعطاء ما يعطى في الابواب وغيرها ، وذكروا أن من خاطبهم بدفع شيء يضربونه بالبارود حسبما في كتاب الطالب المذكور وكتاب خليفتك اللذين وجهت ، فاعلم أنا كتبنا لك كتابا مستقلا في أمر الاعطاء ، حاصله أنه يعطي جميع الناس في الابواب وغيرها لانه من إعانة بيت المال ، والناس متساوون فيها ، نعم من كان من الشرفاء ضعيفا وأتى بشيء تافه فلا يطالب باعطاء ، فليقرأ الكتاب المذكور على الناس كافة بشفشاون ، ومن امتنع من الاعطاء فهو يعرف (1) والسلام .

في 16 من رجب الفرد الحرام عام 1280 » .

مشاكل المتمردين بالقبائل الجبلية

وهذه القبائل البدوية يعيش سكانها ، إما في أراض واسعة لا يرون فيها إلا السماء والفضاء ، وإما في سفوح الجبال الشامخة التي لا يشاهدون معها إلا الاشجار والسراب ، أو البحار والسحاب ، فهم دائما يتمتعون بالشمس والهواء الطلق ، ويكدون ويتعبون للحصول على القوت الضروري فتكتسب أجسامهم قوة وصلابة ، ويتعودون الحرية في كلامهم وحياتهم فيقف البعض منهم عند حدودها القانونية ، ويتجاوزها البعض الآخر معتزا بقوة بدنه ومتانة سلاحه ، يعضده في ذلك ضعف الوازع الديني والسلطاني فتقع اعتداءات ، وتضيع أرواح وأموال ، وتنتهك أعراض وحرمات ، وتنشأ مشاكل وخصومات .

وهذه نماذج من الرسائل السلطانية المتعلقة بمشاكل المتمردين :

1) جملة « فهو يعرف » لا تستعمل للتخيير ، بل للتهديد والتخويف .

رسالة سلطانية عن اعتداءات قبيلة بني يدر

« خديمنا الارضى القائد عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك مخبراً فيه أن فساد بني يدر ومن جاورهم من القبائل الذين هم من إيالة طنجة لما زاغوا وخرجوا عن طورهم وكان ما شرحت من أمرهم ، كتبت لعاملهم المرة بعد المرة في شأنهم ، فلم يلتفت إليهم ، وغفل حتى وردت شرذمة فاسدة منهم على بني سالم الحوزية الذين هم من إيالتك ، ونهبوا لهم ما ذكرت من البقر (28) وتبعوهم في طلبها إلى أن وصلوا إلى قبيلتهم اليدرية ، وكان من أمرهم ما بينته من الالتفات إليهم وقتلهم الرجل صاحب البقرة ، ومراجعتك لعاملهم في ذلك فلم تنفذ فيهم أحكامه ، وأنك لما خشيت من قيام الفتنة ، سعيت سراً في الفصال الذي جعلت بينهم على يد الشريفين السيد عبد السلام بن ريسون والسيد محمد أفيلال ، وكان الصبر على بني سالم، ثم ان الفساد المذكورين اجتمعوا في صبيحة غد يوم الفصال بما يزيد على المائة ، وضربوا على قبيلة بني حزمر الذين هم من إيالتك ، وأخذوا لهم الثيران وبقرات الحليب ، وقتلوا الرجل الذي كان يحرث ، ثم بعد يومين رجعوا إليهم بما يزيد على ثلاثمائة من رماتهم ، وحين قربوا من ديارهم دافعوا بالضرب عن أنفسهم وأولادهم ، ومع ذلك كنت تمنعهم من محاربتهم المرة بعد المرة ولما تفاقم الامر واتسع الخرق واشتعلت نار الحرب بين الفريقين ، أعلمت جانبنا العالي بالله بذلك فاعلم أنا وجهنا حامله وصحبته أربعة فرسان لعامل طنجة ، وآخر لك في شأن هذه النازلة ليقرأ الكتابان على الفاعلين ويوخذ الحق من الظالم للمظلوم ويقبض ليتربى به غيره بحول الله وقوته ، فقف في ذلك ولا بد والسلام .

في 16 المحرم الحرام عام 1280 » .

بقالي مقتول بين قبيلة الحوز وأنجرة

وهذه رسالة سلطانية عن قضية شريف بقالي قتل بين قبيلتين من القبائل الجبلية، وهما الحوز ، وأنجرة ، وقد كان القتل لدى سكان تلك القبائل ، من أسهل الامور ، ما دامت الخلافات لا تنقطع ، وكل واحد يحمل سلاحه على عاتقه .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك شرحت قضية البقالي المقتول بحوز تطوان ، فأخبرت أنه قتل بالحوز بمحل قريب من قبيلة أنجرة قبل خروج النصارى من تطوان ، وبعد خروجهم ورد عليك أبناء عم المقتول واشتكوا بانه قتل في قبيلته الحوزية ، فوجهت لهم الخيل والرماة ونزلوا على المداشر القريبة من المحل الذي قتل فيه وما قصرت في البحث عن الفاعلين ، فألفيته قتل بالمحل المذكور ، وأن الدعوى بقتله كانت على الفعال من لنجرة ، وأن وصيفنا القائد محمد بن عبد الكريم تصرف في هذه القضية ووجه لاصحاب الدعوى ثلاثين فارسا وقائد مائة وتفاصلت على يده ، ومع ذلك لم تقصر في البحث عن الفاعلين وكلفت بهم أال مداشر الحوز فتبرأوا من الدعوى ولم تقبل منهم ذلك ، وعمدت إلى حرق ديارهم واستجاروا في الحرمات وما قبضت على واحد منهم ولا اتصل بيدك شيء من عندهم ولا زالوا مختلفين بينهم في شأن سخاري المخازنية الذين وجهت إليهم وصار ذلك بالبال والسلام .

في 24 من جمدى الاولى عام 1280 » .

من مشاكل قبيلة وادراس الواقعة بين طنجة وتطوان

وهذه رسالة سلطانية فيها الكلام على المعتدين على النصرانيين ، القتيل والجريح بين طنجة وتطوان ، وعلى مشاكل قبيلة وادراس ، ومن المعروف عن هذه القبيلة ، أنها كلها جبال ، وأنها كانت من أقوى وأكبر قبائل هذه الناحية ، وأن جل الطريق الواقعة بين تطوان وطنجة ، تقع في أرضها ، وأنها كانت تابعة في حكمها لمدينة طنجة .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك في شأن ما كتب لك به خديمنا الطالب محمد بركاش في قضية النصرانيين المقتول والمجروح ، وما أشار به باشدور الفرنصيص من توجيه قونص الرباط الموقوف على قضية وادراس ، وأن وصيفنا القائد محمد بن عبد الكريم وجه لكم أهل وادراس المتهمين وغيرهم مع ابن أخيه ، ونظرهم المجروح فلم يعرف أحداً منهم ، وعلمنا ما ذكر لك القونص من الخبر الذي سمعوه بطنجة بأن أولاد أشركوك من الاخماس هم الذين فعلوا ذلك وما أجبته به من عدم العلم بذلك ، وأن الذي شاع أن وادراس هم الفاعلون حسبما بشهادة الرجلين التي وجهت طي كتابك ، وذكرت أن المجروح لا يمكنه أن يثبت معرفة الفاعلين في تلك الحال التي كان بها من الدهش مع تلبيس الفساد بتبديل لباسهم وتغيير ألوانهم بالبارود وشبهه ، وكون القافلة كانت بعد المغرب ، وأخبرت أن فساد وادراس حيث سمعوا بابرائهم من هذه القضية، زاد فسادهم وتعنتهم ، وصاروا يدخلون بسلاحهم المدينة بعد أن كانوا يخافون من دخولها لما صدر منهم من فعل السوء ، فأما ما ذكرت في شأن قضية النصراني فقد عرفناها ، وأما ما ذكرت من دخول وادراس بالسلاح للمدينة ، فالذي يكون عليه عملك في أمرهم ، هو أن من عرف منهم بالذعارة والفساد ، يمنع من الدخول المدينة بسلاحه ويؤمر بابقائه بالباب ، ومن لم يعرف بفساد فلا يمنع من الدخول به والسلام .

في 24 رجب الفرد عام 1280 » .

جريحان وقتيل من الاسبان

وهذه قضية من قضايا المتمردين من القبائل ، فالرجل منهم يحمل سلاحه في غدواته وروحاته ، وعند ما يضعف الوازع الديني والرادع المخزني ، تتشوف نفسه للسلب والنهب ، فيصبح من قطاع الطريق الذين يبحثون عن ضحايا الضعف أو الجبن أو الغفلة ، فيسلبونهم وقد يقتلونهم بدون شفقة ولا رحمة ولا اعتبار لجنس أو دين ، وفي بعض الاحيان يكون البدوي المسلح الحر متعصبا فيرى أن الاجانب كلهم أعداء ، وأن منهم الذين تسلطوا على أمته وقتلوا منها وأحرقوا ونهبوا ، وأجلوا وشتتوا وبالغوا في الاهانة والاعتداء ، والاحتقار والازدراء ، فكل ما يفعل بهم مشروع مباح . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان بعض الاجانب يجهلون أنهم في بلد غير بلدهم ، وبين أناس يخالفونهم في الجنس واللغة والدين والاخلاق والعوائد ، فكانوا يسنون السنن ويعطون لانفسهم من الحقوق والحريات ما ليس لغيرهم ، وتتوافر الدواعي فتقع الاعتداءات ، وتاتي المشاكل ، وتتبادل الرسائل ، وهؤلاء ثلاثة من الاسبانيين القريبي

العهد بالاحتلال فالجلاء ، فتيلان وجريح ، وهذه ثلاث رسائل سلطانية في شأنهم تضاف إلى غيرها من الوثائق والمستندات ، وكلها مبدوءة بالحمدلة والتصلية والطابع الذي نقشه محمد بن عبد الرحمن الله وليه ،

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فان خديمنا الطالب محمد بركاش أخبر أن نائب الصبنيول تكلم معه على قضية المقتول منهم بجهة مرتيل فلا بد ابحث عن الفاعلين لعلك تظفر بهم واقبضهم وأعلمنا بهم ولا تقصر في أمرهم والسلام .

في 18 شعبان عام 1279 » .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد أخبر خديمنا الطالب محمد بركاش بان قونصو الصبنيول تظلم غاية من عدم الفصال في قضية النصراني المقتول بداخل تطوان والنصراني المقتول بين مرتيل وتطوان ، وخباز لهم جرح في داخل تطوان أيضا ، وذكر له أنك ماطلتهم في الفصال مع تكرر كلامهم معك في ذلك ، فأجبناه بأن ما أوجبه القانون في القضايا يتبع ويعمل به ، وأعلمناك لتقف في فصل القضايا على يد خديمنا المذكور على الوجه المسطور ، فقف في ذلك ولا بد ، وقد كنت ذكرت أنك حاججت من تكلم معك في نازلة المقتول بالبلاد، فقطعته بالحجة، فإذا بهم لا زالوا يتكلمون في أمره والسلام .

في 18 رمضان عام 1279 » .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك شرحت فيه ما دار بينك وبين الطالب محمد بركاش أولا وثانيا في أمر المقتولين والمجروح من نصرى الصبنيول هناك ، وما أجابك به من موجب تاخير الجواب ، ومن محاولته الكلام مع باشدورهم الذي عين ، وما دار بينك وبين قونصوهم في فصال نازلة المقتول منهم بالمدينة ، والاذن منه لك اولا في تسريح المتهمين ، وطلبه ثانيا منك إبقاءهم بالسجن حيث قتل الآخر بطريق مرتيل ، ومساعدتك له في إبقائهم بالسجن . وذكرت أن نازلة المجروح تفاصلت على يد قونصوهم بما بينت ، ودفع لك خط يده بفصالها ، ومع ذلك لم تسرح الفاعل ولا غيره حيث لم ينضبط كلامهم فيما ذكر وصار ذلك بالبال ، والاخذ بالحزم في الامور مطلوب والسلام .

في 23 من قعدة عام 1279 » .

عذير تطوان

العذير أراضي شاسعة الاطراف تحتوي على كلإ وماء ، تطلق فيها دواب السلطان واناث الخيل والبقر الاهلي والوحشي فتسرح وتمرح وترعى وتلد ويكون ذلك كله ملكا للحكومة ، وفي العذير أيضا أرض صالحة للزراعة يحرثها الولاة أو يسمح السلطان باستثمارها لبعض رعاياه ، ومن أشهر عذائر المغرب عذير العرائش الذي تجاوز عدد بقره في بعض الاحيان خمسة آلاف رأس ، وبلغ عدد خيله ما يقرب من ألف وخمسمائة .

وفي تطوان أرض يطلق عليها اسم « العذير » وهي واقعة بين المدينة وشاطىء البحر (شاطىء مرتيل) وتمتد شمالا لناحية الطريق الذاهبة إلى سبتة ، وكان السلطان يدفع أطرافا منها لبعض الشرفاء والعلماء وغيرهم إما على سبيل الاقطاع، وإما على سبيل الانتفاع ، وقد مر عهد كانت فيه أفراس سلطانية للتوالد .

وهذه رسائل تتعلق بعذير تطوان والافراس الموجهة إليه ، وكلها من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن :

« خديمنا الارضى القائد الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك في شأن العذير ، وعلمنا ما فيه ، وأخبرت أن الامناء دفعوه للسمسار ينادي عليه للجزاء ، فها نحن كتبنا لهم بالكف عنه وإبقائه على ما كان عليه ، وسنوجه له إن شاء الله بعض الفرسان تعمر فيه كما كانت قبل والسلام .

في 20 جمدى الاولى عام 1280 » .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فانا أمرنا وصيفنا فرجي الاحلافي بالتوجه بعودات من أكدال لعذير تطوان فاذا وصلتك فاجعلها فيه ولا بد والسلام .

في 24 جمدى الاخيرة عام 1280 » .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فيصلك صحبة حامله وصيفنا فرجي الاحلافي ست فرسات اجعلها بعذير تطوان على العادة والسلام ،

في 24 جمدى الاخيرة عام 1280 » .

وهذا إقرار سلطاني نثبته هنا بالرغم من تأخر تاريخه ، لانه يتعلق بهذا العذير وبعض ما نفذ من أرضه ، ونصه :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

أقررنا بحول الله وقوته ماسكه الطالب محمد بن الحاج محمد بن الحسن أمغني على حرث زوجتين المنفذة لوالده بظهيرنا الشريف من عذير تطوان بالمحل الذي عينه له الامينان الحاج محمد براحو والمختار العوفي وحداه وبيناه بالرسم الذي بيده ، بسهمتها المعلومة اقرارا تاما نامر المكلف بالعذير المذكور أن يعمل بمقتضاه والسلام .

في سادس رجب الفرد الحرام عام 1301 .

رسائل سلطانية مختلفة إلى قائد تطوان

قبل أن ننهي الكلام على عهد القائد الحاج عبد القادر أشعاش رحمه الله ، نثبت هنا عدة رسائل صغيرة أرسلها إليه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن في قضايا مختلفة قد يرى بعض الناس أنها ـ كبعض الرسائل التي نشرناها من قبل ـ قليلة الاهمية ، وربما رأى بعضهم أن إثباتها من قبيل العبث ، ولكنا لا نرى هذا الرأي ولا نقر صاحبه عليه ، فموضوع يكتب فيه السلطان بنفسه أو يكتب القائد في شأنه للسلطان فيجيبه عنه ، لا بد أن تكون له أهمية ، وأن تكون فيه فائدة ، وكم من رسالة لا يرى فيها شخص شيئا مهما ، ويرى فيها غيره فائدة كبرى ، وكم من مسألة لا يستفيد منها أهل عصر أو قطر شيئا ، ويستفيد منها غيرهم شيئا كثيراً ، فمثلا ، هذه أمة مستولدة (خادمة) تموت بنتها فترثها إرثها فيمنعها من ذلك ورثة سيدها ومالكها ، فتعتبر نفسها مظلومة وترفع شكايتها إلى السلطان ، فيكتب السلطان في شأنها إلى الباشا رسالتين (سياتي نصهما) هي قضية بسيطة ، ولكن أليس أقل ما نستفيده منها ، أن كل واحد كان يرى أن السلطان هو ملجأ المظلومين ، وأن ذلك السلطان كان لا يهمل أية شكاية ترفع إليه ، بل يامر بالبحث والوقوف مع الاحكام الشرعية والقوانين المرعية ، فالمظلوم يوخذ له حقه ، والظالم يضرب على يده ، وبذلك يطمئن الناس على حقوقهم .

ثم ألا يكون العدل مضمونا ، أو على الاقل محترما ، حينما يعلم الحكام أن باب الشكوى أو الاستيناف مفتوح لدى السلطان أمام رعيته ؟ .

وزيادة على ذلك إننا نرى في إثبات مثل هذه الرسائل ، تعريفا بمختلف الموضوعات التي كانت الرسائل تتبادل فيها بين قائد تطوان وجلالة السلطان ، وأننا منها نعرف كيف كان الرأي يتبادل ، والاقتراحات تقدم ، والاحترام الكامل والطاعة الكبرى لامر صاحب الجلالة ملك البلاد ، وفي كل ذلك مادة خصبة للباحثين في أنظمة الحكم المغربي وعوائده في عهد الاستقلال القديم قبل الحماية وزوالها وبزوغ شمس النهضة الحديثة .

إن تاريخ الامم والشعوب ، والدول والحكومات ، ليس قاصراً على تاريخ الحروب والغزوات ، والوظائف والحفلات ، وإن للحوادث الصغيرة ، والجزئيات البسيطة ، لحظاً وأي حظ في الدلالة على الحياة الحقيقية للامة ، وهل التاريخ الحقيقي إلا تصوير حياة الامة بحوادثها وتقاليدها وعوائدها ومختلف مظاهر الحياة والاجتماع فيها ، تصويراً يشعر القارئ معه كأنه يعيش وسط تلك الامة ! نحن نجد بعض التواريخ لا تحتوي إلا على أخبار السلاطين وما له علاقة بهم من الحركات والسكنات ، ذلك تاريخ السلاطين ، لا تاريخ الامم ، نعم إن السلاطين يجب أن يكون لهم تاريخ ، ومؤرخو السلاطين لهم رأيهم ، ولهم سياستهم وتقاليدهم وأساليبهم ، ولكن تاريخ الامم والشعوب ، شيء زائد على تاريخ الامراء والسلاطين ، لان الامم تتكون من الشعوب والحكام ، فالشعوب بلا حكام فوضى ، والملوك بلا شعوب حية، أصنام .

هذا وإن مما يلفت النظر في رسائل الدوائر المخزنية التي نشرناها والتي سننشرها ، أن تلك الدوائر كانت تقريبا تتبع الشاذة والفاذة من أعمال القواد ، وربما كانت تكاتبهم عدة مرات في الاسبوع ، بل ربما كتبت لهم عدة رسائل في اليوم الواحد ، تشير عليهم بما يعملونه في جل ما يعرض لهم من المشاكل والاحوال ، وهو عمل يتطلب جهودا وتيقظا واحتراسا ، فالذين كانوا يظنون أن دائرة السلطان في عهد الاستقلال كانت تغط في نومها ، يظهر أنهم كانوا مخطئين في ظنهم .

وها هي نصوص ما تيسر الاطلاع عليه من تلك الرسائل مرتبة على حسب تاريخها ، وربما قدم بعضها عن محله لمناسبته لما قبله ، والمجال فسيح أمام من يريد الاستفادة أو التعليق :

« خديمنا الارضى الطالب الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فنامرك أن تنفذ لاولاد الطالب الحسن التزكيني واجب المخزن من غرسة الياقوت حسبما كان بيد والدهم . كما نامرك أن تنظر لهم دارا بالكراء يسكنون بها ويؤدى كراؤها من حيث كان يؤدى في عهد والدهم والسلام .

في 10 قعدة عام 1278 » .

وعائلة التزكيني ، لا نعرف لها الآن وجودا بتطوان .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فنامرك أن تنظر لاولاد التزكيني دارا يسكنون بها مكان الدار التي حيزت منهم لسكنى النصراني والسلام .

في 23 شوال الابرك عام 1279 » .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد أخبر الامين الحاج الحرثي برادة بان البغال الموجهة للخدمة في المرسى يلزم في علفها صائر كثير لغلائه عندكم وطلب توجيه نصفها وهو عشرون بغلة وتعويضها بجمال لخفة مؤنتها ، فنامرك أن تحوز منه العشرين بغلة وتوجهها لعامل العرائش ليجعلها في العذير ، فإنا أمرناه بذلك ، وقد أذنا للامناء في اشتراء ما طلبوه من الجمال إن كانت تصلح والسلام .

في 13 من حجة الحرام عام 1278 » .

ومن المعلوم أن مدينة تطوان وقبائلها الجبلية لا توجد بها الجمال ، ولا تستخدم فيها بحال .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك صحبة الامين الحاج محمد الشربي ، وعرفنا ما وصفته به وفقه الله ، وعلمنا وقوفك في إصلاح العسات التي عندكم ، وجعلك فيها ما هو قانونها من العساسين ، فذاك هو المراد ، أصلحك الله ، وما ذكرت من أن عسات أنجرة فاسدة، وخصوصا الموالية إليكم ، وورد أناس يتشكون من ذلك خشية وقوع بيع أو ابتياع فيها ، وطلبت أن نامر بما يكون عليه العمل فيها ، وأن ناذن للامناء في دفع راتب المحتسب (140) وراتب رباع سانيتنا (90) ومتعلمة (30) (1) على العادة في أخذهم ذلك كل شهر من دار الاعشار ، أما عسات أنجرة فهي ببالنا ، وستحسم مادة الفساد المشار إليه إن شاء الله ، وأما الامناء فقد أمرناهم بدفع الرواتب المذكورة والسلام .

في 10 رجب الفرد عام 1279 » .

---

1) بيان الارقام المذكورة ، هي مائة وأربعون أوقية ، أي أربعة عشر مثقالا ، ثم تسعة مثاقيل ثم ثلاثة مثاقيل .

خديمنا الارضى القائد عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فنامرك أن تمكن السيد عبد القادر بن مرزوق من دار يسكن بها بثغر تطوان إن لم تكن له دار هناك والسلام .

في 24 رمضان المعظم عام 1279 » .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك جوابا عما أمرناك به من تنفيذ دار بتطوان للطالب عبد القادر بن مرزوق يسكن بها إن لم تكن له بها دار ، وذكرت أنه ليس هناك دار للمخزن فتنفذها له ، وإنما تكتريها له إن أذنا لك في اكترائها ، ونامر الامناء بأن يكونوا يدفعون كراءها ، فحيث لم تكن هناك دار المخزن فلا تكتر له غيرها ، وإن دعته الحاجة إليها يكترها هو على يده والسلام .

في 22 من قعدة الحرام عام 1279 » .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد اشتكت مستولدة حصار التطواني بان ابنتا (كذا) لها منه ماتت ومنعت من إرثها فيها ، فابحث عما ادعته ، فان وجدته صحيحا فقف معها حتى تتوصل بإرثها ولا بد والسلام .

20 من المحرم الحرام عام 1280 » .

« خديمنا الارضى القائد الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة تعلى وبركاته .

وبعد فان مستولدة الامين محمد الحصار التطواني رحمه الله كتبت تشتكي بان ورثته منعوا بنتها منه من إرثها فيه ، فنامرك أن تعمل لها معهم الحق بان ترفعهم معها للشرع المطاع ، وما حكم به فعليه العمل والسلام .

في 10 صفر الخير عام 1280 » .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته.

وبعد فان ورد عليكم الشريف سيدي محمد صالح المدني فقم بضيافته حتى يسافر من عندكم إن شاء الله والسلام.

في 6 صفر الخير عام 1280 » .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصل الامين الطالب عبد السلام ويدان الذي وجهت لحضرتنا العالية بالله عملا بما أمرناك به ، وما أخبرت به من أن الامناء أدوا له الزاد (400) وكراء البهائم (400) لحمل حوائجه وزاد الفارسين الموجهين معه على وجه السلف حتى ناذن في إمضاء دفع ذلك من الصائر أو رده فيحاز من متاعه ، فقد أمضينا ذلك وأطلع الامناء على هذا ليعملوا بمقتضاه والسلام .

في فاتح ربيع النبوي عام 1280 » .

« خديمنا الارضى القائد عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك جوابا عما أمرناك به من تكليف البلوط بعدم فتح محل المرسى للامناء والعدول إلا بعد حضورهم كلهم ، وذكرت أن محل المرسى هو الذي يعرف بالديوانه ، وأن دار الاعشار هي عندكم في المدينة ولا بلوط فيها سوى رجل من أهل البلد استعمله الامناء لفتح بابها وسده ، وأنك كلفته بما أمرنا به واستاذنت في إبقائه بمحله أو نظر غيره وتعيينه لذلك ، فان كان الرجل حازما ضابطا فأقره على عمله ، وإلا فأبدله بمن يكون حازما ضابطا ، والله يعينك والسلام .

في 14 ربيع الاول النبوي عام 1280 » .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه أن إيالتك تعذر عليهم دفع الزكاة والاعشار في هذه السنة على القانون الشرعي للاسباب التي بينت ، وطلبوا منك دفعها في هذا العام على العادة وإعلامنا بها فساعدتهم فقد أمضينا ما فعلت والسلام .

في 20 من جمدى الاولى عام 1280 » .

« خديما الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه بتعذر قبض الزكاة والاعشار بعينها على إيالتك للسبب الذي بينت وطلبوا قبضها منهم في هذه السنة على العادة فقد كنت كتبت بهذا وأجبناك عنه باجابتهم إلى مطلوبهم في ذلك والسلام .

في 28 جمدى الاولى عام 1280 » .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد كنت أجبت سابقا بما أجابك به الحاج عبد القادر العطار حين سألته عن مستنده في وسق الحلفا بانه وجد من قبله يسقها فوسقها وقد أمرنا السراج بسؤال ابن زاكور الذي كان قبله عن ذلك ، فقال إنه لم يسقها قط في مدة خدمته ، وتصفح كناشه فلم يلف لها فيه ذكر ، فلا بد أعد سؤال العطار عن مستنده في ذلك ، فان أتى بحجة واضحة في ذلك وإلا فيكون الكلام معه في أمرها والسلام .

في 20 رجب الفرد عام 1280 » .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصلنا كتابك مخبراً بتنفيذ الامناء ما أمرناهم به من صلة الخازنية والبحرية والطبجية ، وتوصل كل واحد منهم بنصيبه منها ، وأن ما خصصنا به الطبجية من الكسوة دون البحرية أخرت إعلامهم به ليلا ينكسر خاطر الآخرين ، وطلبت أن ننعم حتى على البحرية بالكسوة ، لكونهم معهم في الخدمة سواء ، ولا راتب للجميع ، وكون العادة جارية بأن لا يميز فريق منهم دون الآخر بشيء ، أو نامر بتأخير كسوة الفريقين حتى تطيب أنفس الجميع ، فقد قدمنا الامر للامناء بأن يجعلوا للبحرية ما جعلوه للطبجية والسلام .

في 25 رمضان عام 1280 » .

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر اشعاش ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فنامرك أن تعين أمينا يكون من المعرفة والحزم والضبط بمكان وتجعله يخدم بالمرسى مكان الطالب محمد الركينة ولا بد والسلام .

16 شوال عام 1280 » .

نهاية حكم الحاج عبد القادر أشعاش عام 1280

هذه هي الرسالة التي استدعى بها السلطان قائد تطوان الحاج عبد القادر أشعاش إلى حضرته العالية ، ويظهر أنها هي الرسالة الثانية في الموضوع ، ولعلها ءاخر رسالة سلطانية قبضها القائد المذكور والدوام لله، ونصها :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم

(محمد بن عبد الرحمن الله وليه)

« خديمنا الارضى الحاج عبد القادر أشعاش ، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد قدمنا لك أمرنا الشريف بالقدوم على حضرتنا الشريفة ، فنامرك أن تعجل بالقدوم وتبقي خليفتك نائبا عنك في الاحكام ولا بد ولا بد والسلام .

21 حجة عام 1280 » .

وذكر لي بعض شيوخ تطوان ، أن القائد أشعاش المذكور لما توصل بهذه الرسالة، أوجس خيفة من هذا الاستدعاء ، فعرض القضية على الشيخ الصالح البركة سيدي عبد السلام بن ريسون كالمستشير أو المستجير ، فقال له الشيخ المذكور ، تجب طاعة السلطان ، وأنا نفسي لو ورد علي مثل هذه الرسالة لما تأخرت لحظة عن امتثال صاحب الامر المطاع .

وامتثل القائد الامر السلطاني وسافر قاصداً عاصمة المغرب ، وكان ذلك ءاخر عهده بحكم تطوان ، وهنا يبين شيخنا الرهوني ما وقع له بعد ذلك مع ذكر سبب عزله بقوله :

« واستمر (يعني القائد الحاج عبد القادر أشعاش) على ذلك إلى أن وقع بينه وبين يهودي كان قنصلا الدولة الفرنساوية ، نزاع على قضية أفضى الحال فيها إلى اتفاق السلطان سيدي محمد مع دولة فرنسا على عزل كل من العامل والقنصل ، فورد عليه الامر الشريف بالتوجه للحضرة العلية ، فتوجه إليها وقبض عليه وبقي مدة ثم سرح واستخدم أمينا للمصائر السعيد إلى أن توفي بمكناسة عام 1282 » .

« قلت » ما ذكره أستاذنا الرهوني رحمه الله من وفاة القائد أشعاش في التاريخ المذكور ، يلاحظ عليه أن تلك الوفاة تأخرت عن ذلك التاريخ وقد وقفت لدى حفدة القائد المذكور على رسالة كتبها بخطه وإمضائه إلى أخيه الحاج محمد أشعاش بتطوان وهي مؤرخة بـ 14 رمضان سنة 1284 .

كما وقفت في كناش الوزير الطيب بن اليماني على ورقة توصيل بخط وإمضاء أشعاش المذكور بتاريخ 25 حجة 1284 .

ثم وقفت في نفس الكناش المذكور على ورقة أخرى مؤرخة بـ 29 ربيع الثاني عام 1286 وفيها لائحة قيد فيها ما وجد بكفري الحاج عبد القادر أشعاش على يد السيد محمد اللبادي وقد وجه بالامر الشريف لحضرة السلطان بمكناس في نفس التاريخ .

ويظهر أن وفاة القائد أشعاش كانت قبيل ذلك التاريخ والله أعلم .

أما سبب إلقاء القبض عليه وعزله عن حكم تطوان فهو كما ذكره شيخنا المذكور ، وتفصيل ذلك ، أن جماعة من أعيان تطوان تضجروا من حكم أشعاش وأنانيته ، فتآمروا ضده ، وحرضوا عليه القنصل الفرنسي ليقع التصادم بينه وبين أشعاش فيتم لهم ما يريدون من عزله ، فصادف أن الباشا نكب بعض الجزائريين الذين تحميهم فرنسا ، فما كان من قنصلها إلا أن لبس ثيابه الرسمية وحمل سيفه ودخل على الباشا أشعاش في محل حكمه بدون إذن ليحتج عليه، فاغتاظ أشعاش وصفع القنصل الذي كان يهوديا، فأعلم ذلك القنصل دولته بما وقع ، فكانت أزمة بين حكومتي المغرب وفرنسا .

أزمة بين دولتي المغرب وفرنسا بسبب القائد أشعاش

ويظهر « كما سترى في الرسالة الآتية التي كتبها السيد محمد بركاش النائب السلطاني بطنجة » أن الازمة كانت قد استحكمت بين دولتي المغرب وفرنسا ، حتى أدى الحال إلى أن قدمت فرنسا للمغرب مطالب حددت موعداً إذا لم تنفذ فيه تلك المطالب ، فانها تقطع علاقاتها مع المغرب ، وتسحب نائبها من طنجة الخ . وكان في مقدمة تلك المطالب ، قبض أشعاش قائد تطوان مع جبليين كانت لهما علاقة بالقضية التي وقع الخلاف من أجلها ، والتي لم أقف على تمام تفصيلها .

قبض القائد أشعاش وإيداعه سجن سلا في محرم 1281

ورسالة النائب بركاش كما سترى ، فيها زيادة بيان للصفة التي وقع القبض بها على القائد أشعاش في مدينة سلا وتثقيفه في سجنها ، ودونك نصها نقلا عن أصلها (1) :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم

بعد تقبيل حاشية البساط الشريف وأداء ما يجب لمقام سيدنا العالي بالله من التعظيم والتشريف ، يكون في كريم علم سيدنا أيده الله ونصره ، أنه ورد علينا كتاب من باشدور دولة النجليز بثغر طنجة على لسان دولته ، يحض فيه على المساعدة في مطالب الفرنصيص ، ويشير إلى ما أعلنوه من أمر ركوبهم عند تخلف المطالب ، ويرشد إلى المبادرة في إدراكها قبل تمام الاجل ، رغبة في بقاء الهدنة والمحبة بين الدولتين، وكذلك كتب لنا في شأن هذه القضية ، نائب جنس الطليان بمثل ذلك ، وها مكاتبهم تصل حضرة سيدنا ليعلم ما فيها ، وقد أجبتهم عن ذاك بأني ما سافرت من الحضرة الشريفة حتى ساعد سيدي أيده الله بقضاء جميع المطالب التي طلبتها دولة الفرنصيص، إيثاراً لبقاء المحبة والهدنة بين الجانبين ، كما كتب لنا نائب دولة الفرنصيص كتابا على لسان دولته ذكر أنه ءاخر المكاتب في ذلك ، ومسترعيا فيه بقرب الاجل ، وأن الامر يصعب بعد الاجل ، ولا محالة يقع الغيار ، مع ما عاينه خليفتنا بطنجة وما شافهوه به من طلوعهم عند تمام الاجل إذا لم يقع القبض والسجن لعامل تطوان ، ولم يحضر الاثنان الباقيان من أولاد أشركوك ، فلا محالة يقع غيار عظيم ، فلم يجد بداً من القدوم علينا في البابور على طريق الدار البيضاء ليشافهنا بما هو واقع ليحصل التدارك قبل تمام الاجل ، وها كتاب نائب الفرنصيص يصل حضرة سيدنا ليعلم ما فيه ، وحين ضاق الاجل ولم يسعنا الاعلام لحضرة سيدنا بما هو متعين من قبض أشعاش وسجنه حسبما جدوا في طلبه ، وقدم لمدينة سلا وتعينت المصلحة لجانب سيدنا وللمسلمين في قبضه، أنهينا الامر في ذلك لاخي سيدنا الارضى مولاي الرشيد كتابة ومشافهة ، فقام بهذا الواجب وثقفه في سجن سلا ، لانه لو سافر لفات الاجل ولم ينفع قبضه بعد الاجل ، فيتعين ارتكاب أخف الضررين ، إذ لا يخفى على سيدنا ما يترتب على طلوع قناصيهم من المراسي وظهور شكوادرة المراكب والارجاف بالعامة ، ولا نامن وقوع الفتن في

---

1) هذا الاصل كان محفوظا في الخزانة الكتانية بفاس قبل حجز الحكومة لكتبها ونقلها إلى عاصمة الرباط وضمها إلى الخزانة العامة بها بعد انتهاء عهد الحماية وعودة الاستقلال.

البوادي حسبما لا يخفى على سيدنا ، وكذلك طلبت من مولاي الرشيد حفظه الله توجيه خيل للاخماس حرصا على قبض الاثنين الباقيين من أولاد شركوك قبل تمام الاجل ، ليظهر الاعتناء ، عسى أن يخرج الامر على وجه جميل .

وها نسخة ما كتبنا به لسيدنا مولاي الرشيد تصل حضرة سيدنا ليطالع ما فيها، ونحن ما كتبنا له ذلك وأطلعناه على المكاتب إلا لضيق الوقت ، عسى أن يتدارك الامر تحفظا على الجانب الشريف وتنزيها له عما يتوهم لهم من عدم المبالاة بهم وإهمال مطالبهم ، فاقتضى الحال التنزه لسيدنا عن ذلك وإخماد نار الفتنة الناشئة عنه ، وقد استظهر سيدنا مولاي الرشيد أن ذلك من الحضرة الشريفة ، ليكون الامر تاما ، ويظهر أن الاعتناء في ذلك هو من جانب سيدنا أيده الله ، وهذا ما وجب به اعلام سيدنا أعزه الله ، طالبين من فضله رضاه والسلام .

في 8 محرم فاتح عام 1281 .

خديم المقام العالي بالله محمد بارقش لطف الله به .

النائب بركاش يطلب إبقاء أشعاش بسجن سلا 8 محرم

وقد كتب النائب بركاش المذكور أيضا في نفس التاريخ رسالة أخرى إلى الوزير الطيب بو عشرين ، وهي في نفس الموضوع وفيها زيادة تنبيه وتحذير ، وهذا نصها :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

أدام الله سعادة سيدنا الفقيه العلامة وزير مولانا المنصور بالله سيدي الطيب بن اليماني ، أمنك الله ورعاك ، وسلام على مقام سيادتك ورحمة الله تعلى وبركاته ، عن خير مولانا أيده الله ونصره .

وبعد فقد أوجب لنا الاعلام لسيادتك ليلا يقتضي النظر التوجه على أشعاش المشار إليه يقدم إلى حضرة سيدنا أيده الله ، لانه إذا يقع ذلك لا شك أنهم يتكلموا ويظهر لهم أن قبضه ليس هو من سيدنا ، ويتوهم لهم أنه إذا يصل يسرح وتصعب علينا مباشرته ، مع أنه حمد المحل الذي هو فيه لتوسعه وبرور العامل به ، وهذه إشارة لسيادتك لتكون على بصيرة ، ومن هذه الاشارة إستخرج منها وجوه وساعة الضيق والمشاحنة كل ما يتحفظ الانسان فيها تحمد عاقبة ذلك ، وأنت والحمد الله نبيه لا تحتاج إلى تنبيه ، والله يحفظك ويرعاك وعلى المحبة والسلام .

في 8 من محرم الحرام عام 1281 .

خديم سيدنا أعزه الله محمد بارقش لطف الله به .

ويلاحظ أنه ورد ذكر أولاد شركوك في رسالة النائب بركاش إلى السلطان ، وأن الفرنسيين طلبوا إلقاء القبض عليهم ، وأن الخليفة السلطاني أرسل إلى قبيلة الاخماس خيلا للقبض عليهم الخ .

وهذه رسالة من النائب بركاش أيضا إلى الوزير بوعشرين يخبره فيها بإلقاء القبض على الاثنين الباقيين من أولاد إشركوك ويحمد الله على ذلك الخ ونصها بالحرف نقلا عن أصلها (1) :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

أدام الله سعادة سيدنا الفقيه العلامة وزير مولانا المنصور بالله سيدي الطيب بن اليماني أمنك الله ، ورعاك وسلام على مقام سيادتك ورحمة الله تعلى وبركاته ، عن خير سيدنا أيده الله ونصره ، وأدام عزه وعلاه .

وبعد فقد قبضت كتابا من طنجة من السيد عبد السلام أحرضان وأخبرنا فيه بقدوم أولاد أشركوك الاثنان الذين كانوا لا زالوا ما حصل وهم اليوم تحت يد العامل بطنجة ، وقد كتب العامل على الاثنان الذين مسجونين بتطوان ليجتمعوا الاربعة بطنجة حسبما طلب الفرنصيص ليقع التأمل فيهم هناك ، نسئل الله يكفينا شر ما في الغيب فالحمد لله ثم الحمد لله الذي كفانا شر هذه القضية نسئل الله أن يتمها بخير ، وهذا ما وجب به الاعلام ، والله يحفظك ويرعاك وعلى المحبة والسلام .

في 12 من محرم الحرام عام 1281 .

خديم المقام العالي بالله محمد بارقش لطف الله به .

1) أصل هذه الرسالة محفوظ في الخزانة الكتانية بفاس ومنه نقلت عام 1369هـ 1950 م .

إصرار فرنسا على عزل قائد تطوان نهائيا . 28 ربيع الثاني 1281

ويظهر أن قضية هذا الخلاف بين فرنسا والمغرب ، لم تنته بما ذكر في الرسالتين السابقتين ، بل إن الفرنسيين شددوا في عزل القائد أشعاش عزلا نهائيا ، وفي دفع خمسة وعشرين ألف ريال الخ .

ودونك رسالة في الموضوع من النائب بركاش إلى السلطان ونصها نقلا عن أصلها (1) :

« الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

بعد تقبيل حاشية البساط الشريف ، وأداء ما يجب للمقام العالي من التعظيم والتشريف ، أنهي لكريم علم سيدنا أيده الله ونصره ، أنه وصلنا كتاب سيدنا أسماه الله جوابا عما أخبرنا به سيادته الشريفة من إرادة الباشدورات وبعض النواب القدوم لحضرته السعيدة ، وأمرنا مولانا بالقدوم معهم ، فلما عزم على السفر باشدور دولة النجليز وخرج من طنجة صبيحة يوم الاربعاء ، خرجت عقبه في نصف النهار ، وحللت برباط الفتح الساعة وهي نصف النهار من يوم الاثنين ، وتركته من وراءي بنصف رحلة ، واقتضى الحال مطالعة علم سيدنا أيده الله بذلك ، كما نطالع علمه الشريف بأن قضية الفرنصيص إذا لم يقع التدارك من مولانا أيده الله فيها بما طلبوه من الخمسة والعشرين ألف ريال ، ومن إراحة الحاج محمد (2) أشعاش ، فقد آل الامر للمطب بما لا تفيد فيه المعالجة ، لان باشدرهم ورد عليه بابور من دولته تامره إن كان صفا الامر والمحبة لا زالت بحالها فيتوجه فيه إلى حضرة سيدنا مهنيا ومهديا ، وإن وقع تردد في الامر فتاذنوا له بالركوب والرجوع من حيث أتى ، وفوضوا له فيما يامر به كبير البحر ، والفسحة التي وجدت معه هي التفويض المشار إليه ، فبسببه طلبت منه أجلا قدره خمسة عشر يوما من يوم الثلاثاء قبل سفري بيوم ، واحتجت معه في ذلك مشقة كبيرة يطول استقصاؤها ، وساعد على الاجل لكونه جديدا وصعب عليه مصادمته الاذن من دولته وعرض له وقوع الغيار في أوائل خدمته ، فرجح جانب التأني لفسحة الاجل المذكور رجاء أن يصفى الامر وينتفى الغيار ، والآن فنطلب من مولانا أعزه الله بحق أسلافه الطاهرين ، أن يساعد في مطلوبهم سدا للذريعة ورفقا برعية سيدنا ودفعا للمشاحنة ، والبابور المشار إليه تركته لا زال مقيما بطنجة منتظرا للجواب ، وعندي

---

1) أصل هذه الرسالة محفوظ في الخزانة الكتانية بفاس .

2) هذا سبق قلم لان اسم أشعاش هو الحاج عبد القادر لا الحاج محمد .

الشك فيه يمسى أو يصبح بالرباط يطلبني في الجواب قبل وفاء الاجل ، فلهذا بادرت بالاعلام لسيدنا أيده الله وطابت منه المساعدة ، وخير الدين النصيحة وهذا ما وجب به إعلام سيدنا أدام الله علاه طالبا من فضله رضاه والسلام .

في 23 ربيع الثاني عام 1281 .

خديم المقام العالي بالله محمد بارقش لطف الله به

هذا ونلاحظ أننا باطلاعنا على رسائل السلطان إلى القائد أشعاش ، قد وقفنا على عدة فوائد لم نكن لنعرف عنها شيئا لولا المحافظة على تلك الرسائل ، ويا حبذا لو كان أقارب أصحاب السلطات وأعيان ذوي البيوتات يحافظون على وثائقهم التاريخية ويمدون رجال البحث والفكر وكتاب التاريخ ، بالمستندات المهمة التي لديهم ، والتي إذا لم يحافظوا عليها ويفيدوا بها ، سوف لا تستفيد منها إلا الارضة أو النار ، حبذا لو بحثوا عن الكتاب والمؤلفين بحثا ، وعرضوا عليهم تلك الذخائر والمستندات عرضا ، حبذا لو عرفوا مبلغ ربحهم الادبي من اتصالهم باولائك الرجال الذين يتركون كثيراً من الملذات المادية لارباب الاموال والاعمال ، ويعتكفون على الاوراق والمجلدات والمراسلات والمذاكرات ، ليكتبوا تاريخ أمتهم ، ويخلدوا أسماء رجالها وما قاموا به من الاعمال وخلفوا من المآثر ، تأدية للواجب ، وإرضاء للضمير الحر الشريف .

ولاية القائد بن منصور المهدوي على تطوان عام 1281

ذكر أستاذنا الرهوني أنه لما قبض السلطان على القائد الحاج عبد القادر أشعاش، ولى على تطوان القائد . . . . المهدوي . وقد وصفه بأنه « كان رجلا بدويا لا يعرف من الاحكام شيئا ، ووقعت في مدته وقائع من سفك الدماء ونهب الاموال وهتك الاعراض وقطع الطرق وغير ذلك ، ففي مدته دخل عدد من الاشقياء على السيد بوزيع بداره وذبحوه وذبحوا أمته ونهبوا ما بداره وأصيب في جانبه عدد كبير من الناس دخلوا السجن حتى ظهرت براءتهم وثبتت الجريمة على من باشرها وسجن ثم سرح » .

ولم يذكر شيخنا الرهوني اسم هذا القائد المهدوي ولا تاريخ توليته بالتدقيق ، أما اسمه فهو محمد بن منصور ، وأما تاريخ توليته بالتدقيق فلم أقف عليه ، والظاهر أنه كان عقب عزل القائد أشعاش الذي قبض عليه وادخل سجن سلا في الاسبوع الاول من محرم عام 1281 ، والقائد ابن منصور ، لم نعرف من أخباره إلا القليل .

وقد وقفت على ثلاث رسائل أرسلها السلطان إليه وهو قائد بتطوان وكلها كتبت في أوائل سنة 1283 وستاتي لنا نصوصها :

حول قتل بوزبع بتطوان

ذكر أستاذنا الرهوني - كما رأيت - ان مما وقع في عهد القائد ابن منصور ، قتل السيد بوزبع ، وأنه قد اتهم بقتله أناس ادخلوا السجن الخ .

وهذه رسالة لها علاقة بهذه القضية وقد كتبها الوزير الصفار إلى القاضي عزيمان بتطوان ونصها :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا وأخانا الفقيه الاجل الارضى القاضي السيد محمد عزيمان ، سلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا نصره الله ، وبعد فإن المسجونين الباقيين في السجن في دعوى قتل بزوبع ، قد أبرأهما أولياؤه وتوقف تسريحهما على اسم عدة الاراثة وبحثنا عليه عند أولياء الدم فلم ييسر الله فيه الآن ، وكنت أخذت نسخة منه حيث أبرأوا أخاك ، فنحبك إن كانت مجردة عن الابراء ، فوجهها لنا ، وإن لم تكن مجردة عنه فاكتب لنا منها نسخة مسجلة ، وعجل لنا بتوجيهها ، بارك الله فيك وعلى المحبة والسلام .

في مهل ربيع الاول عام 1284 .

محمد الصفار وفقه الله

غلاء الحبوب بتطوان ونواحيها عام 1282

ذكر ابن زيدان في تاريخه (1) أن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ، لما بلغه ارتفاع ثمن الحبوب التي يقتات بها بتطاوين وطنجة والعرائش ، أصدر ظهيراً شريفاً لبعض عماله فيه ما نصه :

« خديمنا الارضى القائد محمد بن عبد الكامل الصبيطي ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فان الحبوب غلت أثمانها وارتفعت بتطوان وطنجة والعرائش حتى وصل ثمن المد بها إلى ست وثلاثين أوقية ، وهو في الزيادة إن لم يحصل لطف من الله تعلى ، واستغاثوا بجانبنا العالي بالله في توجيه الزرع إليهم بثمنه ، فاقتضى نظرنا أن نوجهه إليهم من الدار البيضاء والجديدة وآسفي ، فأمرنا أمناء الدار البيضاء باشترائه مما يرد عليهم من الشاوية بأمرنا الشريف عليهم ، وأمناء الجديدة باشترائه مما يرد

1) الاتحاف ج 3 ص 378 .

عليهم من دكالة ، وأمناء أسفي مما يرد عليهم من عبدة ، فنامرك أن توجه من يريد بيع ما عنده من الحبوب من إيالتك واصلا لامناء الجديدة ليشتروه منه ويخلصوه فيه ، فان في هذا الامر أجراً عظيما ، لانه من الرفق بالمسلمين وإعانتهم ، فقف في ذلك ولا بد أصلحك الله وأعانك ، وإن شق على المتوجهين للمرسى بالزرع لبيعه فيها وأرادوا الاقتصار على بيعه بسوق قريب منها ، فلهم ذالك ، وقد أمرنا الامناء بتوجية من يشتريه من أقرب سوق إليها إن شاء الله ، وحينئذ فمن وصل المرسى فيشتريه منه الامناء ، ومن اقتصر على السوق القريب منها فيجد من يشتريه منهم من جهة الامناء ، والله يعينك والسلام .

في 23 من ربيع النبوي الانور عام 1282 » .

عبد الله الخطيب مدين لبيت المال ، 1283

وهذه رسالة كتبها السلطان إلى القائد المهدوي في شأن دين لبيت المال على التاجر السيد عبد الله الخطيب - وقد خوطب فيها القائد المذكور بوصيفنا مما يدل على أنه كان من رجال الجند السلطاني أي جيش عبيد البخاري ، ونصها :

« الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(ثم الطابع السلطاني ونقشه) محمد بن عبد الرحمن الله وليه

وصيفنا الارضى القائد محمد بن منصور المهدوي أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فبوصول هذا إليك ، أحضر عبد الله الخطيب التطاوني إن كان هناك أو شريكه وكلفه بأداء ما عليه لبيت المال بمرسى العدوتين من عام 54 وقدره خمس عشرة مائة مثقال وثمانية وثلاثون مثقالا وخمس أواقي (15385) بحساب اثنى عشر مثقالا ونصف في المائة (125) وإذا استوفيته منه فعجل بتوجيهه واصلا لامناء الثغر المذكور ولا بد عزما عزما والسلام .

21 المحرم عام ثلاثة وثمانين ومائتين والف ».

وقد كتب القائد المذكور حول نسخة مسجلة من الكتاب المذكور بخطه وإمضائه ـ كما عرف به أحد العدول ـ توصلا هذا نصه :

« الحمد لله قبض الواضع اسمه عقب تاريخه بما له من الاذن من مولانا حواله من السيد الحاج محمد الخطيب (كذا) جميع العدد المذكور في كتاب مولانا الشريف حواله الذي أمرني مولانا بقبضها من السيد عبد الله الخطيب (كذا) لكونه غائبا وقت تاريخه عن البلد ودفعه عند ابن عمه المذكور لاجانب سيدنا نصره الله بقصد توجهها لامناء العدوتين كما أمر مولانا والسلام .

في تاريخ حواله في النسخة عبد ربه محمد بن منصور المهدوي لطف الله به آمين.

وتحت ذلك طابع مستدير نقشه (خديم المقام العالي بالله محمد بن منصور وفقه الله).

والتاريخ المشار إليه هو سادس صفر عام 1283 .

السلطان يحترم أولاد الغنمية ويسقط عنهم التكاليف . 1283

وهذه رسالة أخرى كذلك في توصية السلطان المذكور بأولاد الغنمية وإسقاط التكاليف المخزنية عنهم الخ ونصها :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

(محمد بن عبد الرحمن الله وليه)

وصيفنا الارضى القائد محمد بن منصور المهدوي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فان أولاد الشريف الحاج محمد بن السيد أبى القاسم الغنمية التطواني بيدهم ظواهرنا الشريفة بتوقيرهم واحترامهم واجرائهم مجرى والدهم وجدهم فيما كان اهما من التوقير والاحترام من قبل مولانا الوالد قدس الله ثراه ، لنسبهم ومروءتهم ولاشتغالهم بما يعنيهم ، مع ما كان لوالدهم وجدهم من التعلق بخدمة جنابنا العالي بالله ، ولم تجر عليهم كلفة في البلد قط ، وأردت أن تكلفهم بما تكلف به العامة ، فنامرك أن تترك سبيلهم ولا تطالبهم بكلفة من الكلف ، وأبقهم على توقيرهم واحترامهم كما كانوا، وبعد أن تقرأ كتابنا هذا ادفعه لهم يتمسكون به والسلام .

في 4 محرم فاتح عام 1283 .

وأولاد الغنمية المذكورون ، قد انقرض ذكورهم الآن من تطوان بوفاة آخرهم سيدي محمد ابن الفقيه الوزير سيدي أحمد الغنمية عام 1377 (1958 م.) والبقاء والدوام لله وحده .

صوائر المحلة السلطانية على أهل البلد 1283

وفي مدة الحرب بين دولتي المغرب واسبانيا (1276 هـ . 1860 م.) اضطر باشا تطوان السيد محمد الحاج لشراء أشياء للمحلة السلطانية من بعض التجار بتطوان ، كما استدان من عدد منهم لمصلحة المحلة المذكورة ، ثم بعد انتهاء الحرب وجلاء القوات الاجنبية عن تطوان ، صار أولئك التجار يطالبون الباشا المذكور بديونهم ، فكتب السلطان إلى عامل تطوان رسالة بين له فيها أن أولئك التجار لا حق لهم في ذلك ، لان المحلة إنما كانت هناك لمصلحة أهل البلد ، فالمطالبون بصوائرها هم أهل البلد ، والرسالة المذكورة هذا نصها :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

(محمد بن عبد الرحمن الله وليه)

وصيفنا الارضى القائد محمد بن منصور المهدوي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله

وبعد فان محمد الحاج التطواني الذي كان متوليا بتطوان قبل الكرة تشكى بأن أناسا قاموا عليه بأثمان مقضيات مما كان يشتريه ويصير على المحلة أيام الكرة، وبما كانوا سلفوه من خمسمائة مثقال للواحد وصير عليها أيضا في مؤونتها وتضرر من ذلك ، فلا تجعل لهم عليه سبيلا بمطالبته بكل ما كان من تعلقات المحلة ، لان المحلة إنما كانت هناك لمصلحة البلد ، والمطالب بصوائرها هم أهل البلد والسلام .

في 11 ربيع الثاني عام 1283 .

عيسى الريفي يقتل اليهود بتطوان عام 1283

قال أستاذنا الرهوني أثناء كلامه على عهد القائد المهدوي ما نصه :

« وفي أيامه أوقد الريفي المسمى عيسى ، فتنة عظيمة : وذلك أنه كان يحرس لليهود هو وأخ له غلل اللشين وغيرها ، فاتفق أن اليهود أغروا من قتل أخاه ، فلما رآه يجود بنفسه ، حلف أن لا بد ياخذ بثاره منهم ، فألف جماعة من المتالف مثل العربي أبطيو وابن منصور ، وكمنوا بكهف من كهوف بني صالح (1) وصاروا يترصدون كل من يخرج عن البلد من اليهود فيقتلونهم حتى ضاقت الارض على اليهود بما رحبت، وكان فيهم بعض أهل الحمايات ، فرفعوا أمرهم للدول التي تحميهم ، والجأت تلك الدول السلطان سيدي محمد ابن مولاي عبد الرحمن رحمهما الله إلى توجيه القوات العسكرية للضرب على يد عيسى الريفي وأتباعه تحت قيادة قائد عسكري يسمى الزروالي وآخر يسمى القائد فرجي وغيرهما فلم يزد الامر إلا شدة » .

فأستاذنا الرهوني - كما رأيت - يذكر أن سبب قيام عيسى الريفي بانتقامه الفظيع من اليهود ، هو أنهم أغروا بقتل أخيه ورفيقه في الحراسة ، وفي رواية أخرى أنهم دسوا له السم فمات منه ، فما هو السبب الداعي لان يقوم اليهود بقتل شخص بسيط عمله هو حراسة البساتين ؟ هل كان السبب هو أنه كان فتى وسيما تعلقت به إحدى فتياتهم فصارت لها معه علاقات ؟ فقتلوه لقطع تلك العلاقات وغسل العار ؟ ذالك ما يراه بعض أهل تطوان ، ولا يستغرب أن يكون الواقع هو شيء من ذالك القبيل ، خصوصا وإن فتيات القوم كان لهن في ميدان الجمال حظ ونصيب ، والشباب فيه من الفتوة والملاحة ما يزرى بالسير معه في ذاك السبيل . . . .

---

1) بني صالح ، مدشر في ضواحي تطوان ويعتبر من قبيلة بني حزمر .

رسالة من القائد بن منصور عن قتل يهودي بتطوان . 24 محرم 1284

« وهذه رسالة كتبها القائد ابن منصور إلى خليفته بتطوان الحاج محمد التلمساني حول قتل عيسى المذكور للذمي (الاسرائلي) ابراهيم برينطي وغير ذلك ونصها :

الحمد اله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

محبنا الخليفة القائد الحاج محمد بن احمد التلمساني ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير سيدنا نصره الله .

وبعد فقد وصلنا مكاتبك الاولى والثاني فيما أخبرتنا به من قضية قتل الدم (1) ابراهيم برينطي وصار أمر ذلك منا على بال ، وأخبرت به سيدنا نصره الله ، وبينت له حقيقة أمره ، وكذلك كتبت لوكيل مولانا الفقيه سيدي محمد بارقش ووجهت له النسخ الذي بطي كتابك ولا زلت في انتظار أجوبتنا نطلب الله يكون خيرا ، لاننا تشوشنا من هذا القضية ولا بقي لنا خاطر ، ونؤكد به عليك أن تقوم على ساق الجد والاجتهاد واقبض على من شممت عليه رائحة الفساد ولا تقصر ، لان مثل هذا لا يوجب لنا السكوت والتعامي عنه ، ولا تغيب عنا خبراً ، واتهلا وأحسن السيرة ، ولا تتراخى في أحكام الخزانية ، واعمل ما نسمع عليك ، ويصلك أصحابنا الخزنية الذي وردوا معنا للبلد ، وحين نتهيى القدوم إلى حضرتكم السعيدة نخبركم لتوجه من يلقانا بقرب ناحيتكم إن شاء الله ، وعلى المحبة والسلام .

في 24 محرم فاتح عام 1284 .

محمد بن منصور لطف الله به آمين

سلم منا على الفقيه سيدي محمد القيسي بأتمه صح به » .

وما أظن أن القائد ابن منصور تمكن من العودة إلى تطوان ، بعد هذه الرسالة لان السلطان عين بدله بعد تاريخها بقليل .

---

1) يعني الذمي أي الاسرائلي .

النائب بركاش يطلب من السلطان ارسال عامل حازم الى تطوان

وهذه رسالة كتبها النائب السلطاني بطنجة السيد محمد بركاش إلى السلطان في شأن قضية عيسى المذكور مع ما يتصل بها، ونصها (1) :

« الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

أيد الله مولانا أمير المومنين بنصره العزيز، وأسعد أيامه، ونصر جيوشه وأعلامه.

بعد تقبيل حاشية البساط الشريف أعزه الله وأدامه، يعلم سيدنا أيده الله بعزيز نصره، وكان له في سره وجهره، ان نواب الاجناس وهم النبريال والنجليز والصبنيول، وجهوا لنا مكاتب متتابعة يتضمن بعضها الاسترعاء على ما هو واقع بحوز تطوان من فساد المجاورين لها من بني حزمر ومن معهم وجرأتهم على سفك الدماء والتضييق بالبلد وأهلها، وكنا قدمنا لسيدنا الاعلام ببعض ذلك ليغيثهم سيدنا أيده الله بعامل ضابط حازم يحصل منه الزجر لاهل الجرائم لينكفوا عما هم عليه من القتل والفساد، وتأنينا في رفع مكاتبهم التي وجهوا لنا في قتل ترجمان قونص النبريال وهو اليهودي ابراهيم بريتطي، وجرح يهودي آخر كان ترجمان قنص الفرنصيص، وكتبنا للعامل بالوقوف واستقصاء البحث في هذه الدعوى وقبض الفاعلين وإعلام سيدنا أيده الله بالقضية، حتى الان، تعين علينا رفعها حين قتلوا المسلم احمد الخنوس لكونه وجدهم كامنين في زرب عرصة فظنوا أنه يخبر بهم فقتلوه، فعظم ذلك على النواب وخافوا على رعاياهم، ومن جملتهم باشدور الصبنيول، فاسترعى في كتابه الآخر وجعل في الاسترعاء ثلاثين يوما وكذا النجليز استرعى حسبما ينظر ذلك سيدنا أعزه الله في مكاتبهم، وأما باشدور الفرنصيص فلم يكتب لنا في القضية، وإنما كتب لخليفته بالرباط وأمره بالتكلم معنا مشافهة في أمر المجروح قائلا إنه لم يكتب في شأنه لانه يتحقق من عدل سيدنا الاخذ بالحق ولا يترك دما ضائعا، فمن أجل ذلك لم يتكلم الآن في هذه الدعوى.

والمرجو من مولانا أدام الله لنا وللمسلمين وجوده وعلاه، الاغاثة لهذه المدينة بعامل يضبط أمرها، ويزيح عنها ضرر أهل الفساد المكدرين لها، وياخذ الحق من الظالم للمظلوم، فقد شاع بحوزها الفساد وذاع، وسطوة مولانا قاهرة، ويده أعزه الله مبسوطة على أهل الجرائم، ونرجو من سيدنا الجواب بما يسكن الروعة لنعلم ما نجيب به عن المكاتب المشار إليها، طالبين من فضل سيدنا رضاه والسلام.

في 6 محرم عام 1284 » .

---

1) من الخزانة الكتانية بفاس .

السلطان يرسل إلى تطوان من يحسم مادة الفتنة

وهذه رسالة من السلطان إلى نائبه بركاش المذكور في شأن هذه القضية أيضا (1) وفيها يعلمه بتعيينه لمن يقوم بحسم مادة الفساد والقضاء على هذه الفتنة وهذا نصها :

« خديمنا الارضى الطالب محمد بركاش ، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد وصلنا كتابك مجدداً فيه الاعلام بنازلة الفاسد عيسى ورفيقه وما كتب به لاهل تطوان من التخويف والتهديد إن لم يخرجوا العامل منها ، وما نشأ عن ذلك من الفتنة والهرج والترويع ، حتى دار بينك وبين نواب الاجناس بسبب ذلك ما سطرته زيادة على ما قدمت الاعلام به ، وأشاروا بتوجيه رجل عاقل حازم وعدد من الخيل بكتاب شريف لاهل تطوان وجيرانهم بما يحملهم على القيام على ساق الجد في حسم مادة فساد هذين الفاسدين ، وأكدت في ذلك لما أشرت إليه ورأيته من حال نواب الاجناس، فها نحن نعين من يتوجه لحسم هذه المادة بحول الله وقوته ،وهو واصل في الاثر إن شاء الله ، وهو الذي يباشر هذا الامر ويرجع للوقوف على نازلة جرش إن شاء الله والسلام .

في 28 محرم عام 1284 » .

ولاية القائد أحمد الخضر السلاوى على تطوان عام 1284

وقد أنجز السلطان ما وعد به فعزل القائد العاجز « المهدوي » وولى على تطوان القائد أحمد الخضر السلاوي ، وقد وجدت بخط صديقنا المرحوم السيد محمد بن محمد بن احمد الخضر المذكور ما نصه :

« سبب تولية الجد على تطوان ، أن أهلها طلبوا من السلطان واليا حازما صارما ليريحهم من عيسى الفتان المشوش لنواحيهم بقتل اليهود ، فاستدعاه السلطان من تازا إذ كان قد ولي عليها لسبب مشابه لحادث تطوان . . . الخ » .

ولم يذكر أستاذنا الرهوني تاريخ عزل القائد المهدوي بالتدقيق ، وإنما ذكر أنه لما فشل في حكمه ، عزله السلطان وولى مكانه القائد السلاوي وقال فيه ما نصه :

« الباشا الانجد الفقيه الامجد السيد احمد الملقب الخضر ابن الباشا المرحوم سيدي محمد السلاوي (الذي كان باشا هنا) وولاه عمالة تطاون والقبائل المحيطة بها ، فورد يوم 21 ربيع الاول عام 1284 » .

1) الاتحاف ج 3 ص 483 .

رسالة من القائد السلاوي إلى أحد القناصل

وقد رأيت أن مشكلة عيسى الريفي هي المشكلة التي لاجل حلها ولي هذا القائد على تطوان .

وهذه رسالة منه إلى أحد القناصل حول هذا الموضوع ونصها :

الحمد لله وحده   والامر لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

إلى خادم دولة جنس النبريال القونصوا الذمي الطبيب النائب عنها الان بتطوان.

أما بعد فقد وصلنا كتابك وطلبت منا أن نسامحك فيما تهوسنا به من المكاتب وأعلمتنا بأنك تخبرت بأن عيسى كان هنا في البلد وطلبت أيضا أن نعمل فيك الفابور أن لا نبعث إليك أحداً من بني حزمار لانهم كل ساعة ياتون إليك ويقولون لك إن إخواننا في السجن من أجلك ، وكذلك ياتون إليك من عند الشريف سيدي ابن ريسون ويقولون لك هذا الكلام ، وطلبت منا أيضا أن لا ندخلك في هذا الامر ، وقلت لنا أنا المتصرف والحكم في يدي فما أحببته نفعله ، فاعلم أن عيسى هو المطلوب عندنا ، وقبضه واجب علينا ، ومنذ قدمنا لهذه البلدة ونحن نطلبه ونعمل له الحيلة في قبضه ، وأنت أكثرت بالاعلام به وبأخباره وبالمحل الذي يكون فيه وتطلب منا توجيه العسكر والرماة لقبضه ، وحين يذهبون إليه لم يجدوا شيئا فسمع ذلك ونفر وصعب علينا قبضه وأفسدت علينا العمل فيه ، لاننا كنا أردنا التعامي عنه والغفلة عن طلبه جهاراً حتى يحصل مثل الذئب في الخشبة ، وياليتك لم تدخل في هذا الامر أولا وتركتنا نعمل عملنا كما طلبت منا الآن وما ذكرت أن لا نبعث لك بني حزمار فاعلم أن بني حزمار أنت أعرف الناس بهم ومخالط معهم قبل قدومي لهذه البلدة ، فهم ياتون إليك على عادتهم معك وتتكلم معهم بالسوء في الفاسدين منهم ، فعادوا يطلبونك وياتون إليك يقولون لك ما ذكرت فحصل لك الخوف منهم ، وما أنا وجهتهم لك ولا بعثت أحداً منهم يتكلم معك ، فهذه المصيبة كلها طامت على يدك ، وإلى الآن أردت التخلي عنها ، فما أظن ذلك ينفعك وقد كنا أجبناك عن هذا بجواب آخر كان فيه اختلاف في بعض معناه لكن كلاهما في محلهما وأعدنا هذا الامر لموجب أوجبه والتمام هـ .

وفي طرته طابع القائد ، ونقشه .

خديم المقام العالي بالله أحمد الخضر بن محمد السلاوي كان الله له

القضاء على فتنة عيسى الريفي وقتله عام 1284

قال أستاذنا الرهوني ، عند كلامه على السيد محمد الغفياني خليفة القائد أحمد السلاوي ما نصه :

« فصرف همته أولا لقطع جرثومة الفتنة التي أحدثها « عيسى » فهيأ حملة عسكرية ووجهها لبني صالح ، ولم ترجع إلا برأس عيسى مقطوعا وأصحابه مقبوضين ، وقد دفن عيسى خارج سور قبة الولي الصالح عبد القادر التبين رضي الله عنه غربي محرابه ، وصار الناس يتداوون بتراب قبره للحمى وذلك من أغرب ما يسمع » .

(قلت) وحدثني الفقيه المسن السيد محمد بروحو « أن قائد تطوان جمع كبار بني حزمار وبني معدان ، وقال لهم ، إما أن تاتوني برأس الفتان عيسى الريفي ، وإما أن أحرك القبيلتكم بالحلة السلطانية، فاجتمعت فئة مسلحة منهم وقصدوا الكهف الذي يقيم به عيسى المذكور مع أصحابه ، فضربوا عليه نطاق الحصار ، ونادى بعضهم عيسى، فلما أجابه قال له ، رد بالك مع الله فأنك ميت ، فما كان من عيسى إلا أن أجاب مناديه بطلقات من بندقيته ، وتبودلت الطلقات النارية، وأصاب عيسى عدداً من محاصريه، وأخيراً تغلب المحاصرون بقوتهم وكثرتهم ، وقتلوا عيسى وقطعوا رأسه وقبضوا أصحابه وحملوا الجميع لتطوان ، وعلق رأس عيسى على باب التوت إعلانا لقتله وعبرة لامثاله».

قال الفقيه بروحو ، وكان عيسى يقتل اليهود إما في زيارتهم لمقابرهم وربما تنكر ودخل ملاحهم وقتل فيه بعضهم ، وربما مثل ببعضهم تمثيلا.

أما أخوه فكان حارس غلال لبعض اليهود فاطعم السم لسبب يعلمه الله فمات بذلك.

وأما قبر عيسى فقد طمست معالمه الآن ولا يعرف مكانه بالتدقيق .

وما ذكره أستاذنا الرهوني من أن بعض الناس صاروا يتداوون في ذلك العهد بتراب قبر عيسى المذكور ، هو غريب حقيقة ، ولعل حنق الناس على اليهود كان قد بلغ غايته في تلك الايام فكان بعضهم يرى فيمن يقتلهم أنه ولي من أولياء الله الذين يتبرك بتربات قبورهم ، والليالي حبالى يلدن كل عجيبة .

عن المخالطين للاجانب ومشاكلهم. 1284

وكان الاجانب حينما يستقرون ببلاد لهم فيها امتيازات ، يستغلون تلك الامتيازات، فيتعاملون مع أهل البلاد بالربى الفاحش ، ويعتمدون على السلطة التي تحمي امتيازاتهم، فتقع تهجمات ومظالم ومشاكل قد يذهب الضعيف أو الجاهل ضحية لها أمام جبروت ذوي القوة والنفوذ .

وقد فكرت الحكومة في تدارك هذه الحالة ، فكتبت هذه الرسالة إلى من يهمهم الامر ، ونصها بعد الديباجة العادية ، نقلا عن كناش الوزير الطيب بن اليماني .

وبعد فان للنصارى مخالطة مع أهل البوادي ، وصاروا يوجهون لعمال البوادي بسبب ذلك من لا خلاق له من أصحابهم ، فصاروا لرقة دينهم يتجاسرون على العمال ، وينسبون لهم أمورا باطلة لا أصل لها ، ومنهم من يدعى أن العامل سبه وسب قنصوه ليعظموا الحجة بذلك ويكثر هوسها والخوض فيها ، فحسمنا مادة وصولهم للعمال والكتب لهم فيها ، برد دعاويهم لعمال المراسي ليتولوا الكلام معهم فيها ، وبينا لهم ما يفعلون فيها ، وهو أن من كان له حق قبل أهل البادية وكان ذلك برسم ثابت ، فليرفع نازلته لعامل ذلك المرسى الذي هو بها ، ويطلعه على رسم رب الدين ، ثم يكتب لعامل ذلك المدين بانصاف رب الدين ، ويعلمه بالرسم الذي على المدين ، فإن سلمه وقام بالانصاف فالامر ظاهر ، وإن كان للمدين مقال في ذلك الرسم ، فليتوجه إلى ذلك العامل المذكور ويعرض حجته عليه لينظر فيها القاضي من جهة الشرع ، فإن وجدت حجته مقبولة شرعا فيعمل بها ، وإن لم تكن مقبولة فلا تعتبر ، ويكلف المدين بالانصاف ، وعلى هذا يكون العمل فيما يكتب الك به أحد عمال المراسي إن شاء الله ، ومن تحامل من العمال على المدين المدعى عليه ولم يسلك فيها طريق الحق ، فان الدرك يكون عليه ، لانا لا نحب أن يظلم أحد لا من أرباب الدين ولا من غرمائهم ، وقد قررنا ذلك كله للطالب محمد بركاش وأمرناه بالكلام مع القوانيص بما ذكر ، وبه يستريح العمال من شغب النواب إن شاء الله تعلى والسلام .

في فاتح جمدى الاخيرة عام 1284 .

ضابط لامتلاك الاجانب للخنازير بالمغرب عام 1284

وهذه رسالة كتبها النائب السلطاني بطنجة السيد محمد بركاش إلى السيد أحمد الخضر السلاوي قائد تطوان ، وفيها ضابط امتلاك الاجانب للخنازير مع العمل للتقليل من عددها في هذه البلاد الاسلامية الخ ونصها :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا وخديم مولانا الارضى القائد السيد احمد الخضر السلاوي رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته عن خير سيدنا أيده الله ونصره .

وبعد فغير خاف عليكم ما كنا كتبنا به سابقا قبل هذا بنحو أربعة أعوام في شأن حدوث تربية الحلوف بهذه الايالة السعيدة ، وكنا أذنا لمن كان عنده أن يسقه ولا يعود لتربيته حسبما تقدم ، ثم إنه الآن بلغنا أنه ظهر في بعض المواضع وكثر وحصل منه ضرر للناس ، فجددنا الكلام في الاراحة منه وجعلنا له قوانين لينحصر بها أمره ويستريح الناس من ضرره ، وهو أن كل من عنده شيء منه يشرع في وسقه لمدة من ستين يوما تاتي من إعلام عامل البلد للقناصي الذين عنده أو خلائفهم ليعلموا رعيتهم بوسقه وبأجله ، وبعد الستين يوما كل من وجد عنده أكثر من واحد بعد ما يكون داخل محل مشدود عليه ، فيعطي ريالا عن كل رأس زائد على الواحد المذكور ، ويستحق صاحبه أن يرفع كل ما زاد على الواحد المذكور ، إما بالوسق أو بالذبح ، وإذا مضت ثمانية أيام ولم يرفعه فيعطي ريالا آخر عن كل رأس زائد على الواحد المذكور، وهكذا يتكرر في كل جمعة ، على شرط أن يكون الواحد الذي يبقى عندهم خارج البلد ولا يمكن أن يكون داخلها بوجه ، ويكون في محل مشدود عليه بعيد من الطرقات ومحال رعي الناس ، وإذا وجد خارجا عن محله في طرقات أو محال رعي الناس فيعطي عليه المرة الاولي ريالا واحداً كبيراً ، وفى المرة الثانية يثنى له ذلك ، وإن وجده أحد في طريق وقتله فلا كلام لصاحبه ، لكن لا يعطي عليه ذعيرة حيث قتل ، فهذا مضمن القوانين المجعولة ، فعليها يكون عملكم في ذلك ، وقد طلب منا النواب أن يكون ابتداء الستين يوما المذكورة بعد رفع الكرنطينة من جبل طارق واصبانية وهي الآن قد رفعت فطالعوا أمناء سيدنا أيده الله بهذا ليسرحوا لهم وسقه لتقع الاستراحة منه وعلى المحبة والسلام .

في 22 من حجة متم عام 1284 .

محمد برقش لطف الله به

القحط والغلاء عام 1284

وهذه رسالة بعثها قائد تطوان إلى السلطان مخبراً فيها بوقوع القحط والغلاء ووفود عدد من أهل الريف على تطوان ، وسعي قناصل بعض الدول في إطعام الجائعين الخ ونصها (1) :

« الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

العبد المملوك يقبل الارض أمام سيده ومولاه ، ويثني عليه بما هو أهله .

أما بعد فينهي لشريف علم مولانا أنه بعد ان اشتد الحال بتطوان من كثرة الغلاء ووقع الهيف في الناس ومات عدد كثير من البرد والجوع وخصوصا من أهل الريف الذين فروا من بلادهم من غلاء الاسعار وعدم نزول الامطار وشاهد ذلك أجناس النصارى، جاء إلينا في يوم تاريخه قونصو الانجليز وقونصو الصبنيول وطلبوا مني إحضار أمناء مولانا بالمرسى وبعد حضورهم طلبا منهم أن يدفعوا من مال مولانا بدار الاعشار عشرة ريال في كل يوم لمن يشتري بها خبزاً وتفرق على الضعفاء الجائعين في البلد حتى يرحم الله عباده بالفرج ، لكونهم خافوا ربما يشتد الامر أكثر من هذا ويرامى عليهم وعلى إخوانهم النصارى ، الجياع وينهبون القوت وغيره منهم وينشأ من ذلك بلاء عظيم ، فامتنع الامناء من ذلك وقالوا لهما ، لا ندفع شيئا من مال سيدنا إلا باذنه ، ثم قالا لهم ادفعوا ثلاثمائة ريال تصرف على الضعفاء في القوت مدة شهر بحسب عشرة ريال في كل يوم ، واكتبوا لمولانا بما طلبناه منكم ونمكنكما من ضامن في الثلاثمائة المذكورة، فإذا أجازها سيدنا للمصروف على الضعفاء المذكورين فذلك ، وإذا لم يجزها سيدنا فإن الضامن يدفع لكم العدد المذكور الذي ضمنه لكم ، لانهما عندهما الخبر بان بعض النصارى في جبل طارق وفي إصبانية حين وصلهم الخبر بالمجاعة الكبيرة في هذه الناحية ، وأن الضعفاء من المسلمين في غاية الضرر والجوع ، أرادوا أن يجمعوا الصدقات ويوجهوها لمن ذكر من الضعفاء ، وألحا على الامناء في ذلك وفي إعطاء الضامن كما ذكر ، فداموا على امتناعهم ولم يقبلوا لا ضامنا ولا غيره منهما ، فلم يصلح بهما الحال وقالا لهم ولنا إن إخوانهم النصارى ومن في حمايتهم من اليهود وغيرهم انتهبت لهم بقر وغيرها من القوت أكلها الجياع وكانوا صابرين لهم عليها ، وإن ما مضى من ذلك فلا كلام عليه ، وإن وقع شيء من ذلك في المستقبل وضاع لهم أو لمن في حمايتهم

1) نقلت هذه الرسالة من أصلها المحفوظ في الخزانة الكتانية بفاس عام 1369.

شيء فانهم لا يسكتون عنه ولا يسمحون فيه ويطلبون فيه جانب المخزن ولا ياخذونه إلا من ماله وهذا ما وجب به إعلام مولانا ، وظهر لي أنه إذا ساعدهم سيدنا لمطلوبهم فإن الاخبار تطير بذلك ولم يبق أحد في الريف لانهم لم ينزل عندهم المطر ولم يبق هناك إلا قليل ، وإذا سمعوا هذا ياتون جميعا لتطوان ، ونظر مولانا أوسع والسلام .

في يوم الخميس الخامس من شوال عام 1284 » .

وصيف مولانا أحمد الخضر بن محمد السلاوي وفقه الله.

(والتاريخ المذكور يوافقه يوم 30 يناير 1868) .

فرض غرامة على بني حزمر لايوائهم عيسى قاتل اليهود

ثم إنه يظهر أن المخزن قد فرض على قبيلة بني حزمر غرامة مالية بسبب إيوائهم للفتان عيسى « قاتل اليهود » وعدم طردهم له من قبيلتهم حتى أضطر الحال لتوجيه محلة خاصة لذلك ، ويظهر أن أهل القبيلة المذكورة تقاعسوا عن أداء ما فرض عليهم حتى أدى الحال لتبادل المراسلات الرسمية بين السلطان وقائد تطوان في شأنهم ، واضطر القائد لطلب تجريد حملة عسكرية خاصة لاجبارهم على أداء الواجب بالقوة ، وكل هذا نفهمه من الرسالة الرسمية التي أرسلها السلطان سيدي محمد إلى القائد أحمد الخضر السلاوي بتاريخ 13 ربيع الاول عام 1287 . وقد جاء فيها ما نصه :

« وذكرت أن قبيلة بني حزمار تقاعدوا على ما بقي بذمتهم من قبل صائر المسكر الموجه في شأن عيسى ، وأن السبب في ذلك هو جرأة ابن راشن المتعصبين بجيرانهم بني اعروص ، وأن شيخهم أحمد الخراز يغريهم على المخالفة ، وطلبت صدور أمرنا الشريف للقائد العباس امقشد بتهديد الشيخ المذكور والقبيلة المتعصب بها ، وشد عضدك بقبائل إيالته المجاورة لهم إن احتجت إليها ، فها نحن أمرناه بما طلبت من شد عضدك والله يعينك والسلام ».

عن خلفاء القائد السلاوي

بعد أن ذكر أستاذنا الرهوني تاريخ وصول القائد أحمد الخضر السلاوي إلى تطوان بصفة وال عليها ، قال ما نصه :

« وأول عمل عمله هو تخليف القائد الحاج محمد التلمساني فلم يرق له فسجنه واستخلف القائد . . . . العياط فلم تطب نفسه به ، ثم استشار القطب سيدي عبد السلام ابن القطب سيدي علي بن ريسون رضي الله عنهما فيمن يستخلف ، فأشار عليه بالقائد محمد الغفياني فاستخلفه وقرأ قول العرب ، نبه لها عمراً ثم نم ».

ثم أسهب أستاذنا الرهوني في الكلام على القائد الغفياني وبين حزمه وضبطه وقضاءه على فتنة عيسى الريفي وغيرها من أنواع الفساد والفوضى داخل المدينة وخارجها ، وأن القائد السلاوي فوض له الامور حتى صار هو المتصرف في جميع الشؤون المخزنية بتطوان .

من رسائل السلطان إلى القائد أحمد الخضر السلاوي

هذه رسالة عن وصول وفد التهنئة والهدية لعيد المولد النبوي عام 1286 ، وهي رسالة عادية تقدمت مثيلاتها عن سنوات فارطة . . ونثبت هذه هنا للدلالة على أن العادة ما زالت هي هيه . ونصها :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ثم الطابع الكبير للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن

وصيفنا الارضى الطالب احمد الخضر السلاوي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد ورد على حضرتنا العالية بالله تعالى من وجهته من عيادة إيالتك ، وحضروا مع جانبنا السعيد الموسم النبوي الانور ، المبارك الازهر ، نيابة عنكم ، وقاموا بواجب السمع والطاعة ، وحضروا دعوة الجماعة ، وفازوا من ذلك كله بالحظ الاوفر ، والنصيب الاكبر ، وأدوا ما وجهته معهم هدية ، كثر الله خيركم ، وبارك لكم وعوضكم خلفا آمين والسلام .

15 ربيع النبوي عام 1286 .

ومن تمامه قد وصلت المائتان والخمسة والسبعون مثقالا بحسب الدرهم الشرعي التي وجهت بين جزية يهود تطوان وشفشاون ، وكذا ثمن الفرس الذي أشرت إليه صح به .

علاقات ومسائل بين حكومة المغرب ومختلف الدول

والآن ونحن على وشك الانتهاء من الكلام على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ، والانتقال إلى الكلام على عهد ابنه وخلفه السلطان مولاي الحسن ، يجمل بنا أن نلقي نظرة على ما لدينا من الرسائل والوثائق المتبادلة في عهد السلطان المذكور بين رجال الحكومة المغربية من جهة ، وممثلي الدول الاجنبية بالمغرب من جهة أخرى، حول شؤون السفراء الاجانب ودولهم والعلاقات والقضايا التي كانت بين الطرفين .

ومعلوم أن العلاقات بين دولة المغرب وبعض الدول الاجنبية ، قد تبدلت بعد الحرب الاسبانية المغربية عما كانت عليه قبل ذلك ، وخصوصا مع اسبانيا التي فرضت شروطها عند انتهاء تلك الحرب ، وصارت في كثير من المواقف والظروف تملي إرادتها أو تحاول أن تفرضها على المغرب حتى بعد عقد الصلح وجلاء الجيوش الاسبانية عن تطوان ونواحيها .

ومن هذه الرسائل نعرف كيف صارت تلك العلاقات ، وكيف أصبحت المعاملات بين الطرفين ، كما نعرف منها لهجات الخطابات ونفسيات المخاطبين ، زيادة على موضوعات تلك الرسائل وطرق عرضها وحل قضاياها ومشاكلها وما في بعضها من أزمات .

وهذه الوثائق إن كانت لا تهم تاريخ تطوان بالخصوص ، فانها تهم على العموم تاريخ وطننا المغربي المحبوب ، وهي - فيما أرى - تلقي كثيراً من النور أمام من يبحث أو يكتب عن العلاقات العامة بين دولة المغرب والدول الاوربية في ذلك العهد، وبالخصوص اسبانيا - كما قلنا - وانجلترا وفرنسا .

وتمهيد السبيل أمام من يقوم بالابحاث التاريخية المتعلقة بالمغرب ، وتقديم الوثائق والمستندات لمن يعنى بالبحث العلمي ، من أهم غاياتنا في هذا الكتاب على العموم، فعلى الذين يفهمون أو يظنون أن هذا الكتاب المتواضع ألف في خصوص تاريخ مدينة تطوان ، أن يعرفوا الحقيقة ، وهي أنه كتاب فيه من غير تاريخ تطوان، الشيء الكثير من تاريخ وطننا المغربي العزيز ، فلا تعصب ولا أنانية يا إخواننا هداكم الله ووفقكم لتأليف كتب أخرى أحسن منه أو على الاقل مثله ، في تاريخ غير تاريخ تطوان من مدن المغرب وقبائله ، ومختلف ميادين مفاخره المادية والادبية.

وبين يدي الآن من تلك الرسائل والوثائق نيف وعشرون ، وكلها قد وقفت بنفسي على أصولها الرسمية ، المختومة بالطوابع الحكومية ، وهي وإن كانت غير متصلة الحلقات ، ولا موحدة الموضوعات ، فهي تعطي صورة ولو مصغرة عما كان يدور بين حكومة المغرب والدول الاوربية التي كانت تتبع الشاذة والفاذة مما يجري في هذه البلاد من الحوادث والاخبار ، خصوصا وإنه كانت هناك دول لها مطامع مختلفة في السيطرة على الدول المتخلفة التي بكل أسف كان المغرب معدوداً من جملتها في ذلك العهد .

والدول التي ورد ذكرها في هذه الرسائل ، هي اسبانيا في الدرجة الاولى ، وكان الممثل لها من الانانية والعجرفة بمكان .

ثم انجلترا ، وكان ممثلها شيخا مجربا يفيد ويستفيد ، وهو من الذكاء والمرونة بمكان .

أما فرنسا فلم نقف على الكثير من الوثائق المتعلقة بها في هذا العهد وإن كنا نعتقد أن لدى غيرنا من تلك الوثائق الشيء الكثير .

وعلى كل حال ، هي رسائل ووثائق نثبت هنا نصوصها والمقصود الاهم لدينا من ذلك ، هو مساعدة من يهمهم البحث في موضوع العلاقات بين المغرب ومختلف الدول في ذلك العهد .

فهذه رسالة من الخليفة مولاي العباس إلى أخيه السلطان سيدي محمد ، وقد تكلم فيها على سفراء توجهوا من المغرب إلى فرنسا وانجلترا والاعتناء الذي قوبلوا به هناك ، ونبه على أن التحف التي يصحبونها معهم ليقدموها هدايا لرجال الدولة ، يجب أن تكون ثمينة ومهمة .

ومن المعلوم أن مدينة تطوان كانت في ذلك التاريخ ما تزال تحت السلطة الاسبانية ، وأن مولاي العباس كان بطنجة ، ومن خطه نقلت هذه الرسالة ونصها :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

بعد أداء ما يجب لعلي مقام مولانا أسماه الله ، أنهي لعلمه الشريف ، أنه جاء الخبر عن الباشدور الذي توجه لبلاد فرانصه ، أنهم فرحوا به غاية ، حتى إن سلطانهم كان خارجا إلى الكرة التي بينهم وبين لطالية ، ورجع لملاقاتهم وفرح بهم غاية ، وأعطاهم نصراني كان قنصو بالرباط هذه مدة يعرف العربية هو الذي ياخذ بيدهم فيما يحتاجون إليه وغير ذلك ، وعليه يلزم سيدنا أن يهيء للرائس الذي حماهم ، إكراما يناسب حضرة مولانا ، لان ما كان يكرمهم به أسلاف مولانا نصره الله ورحمهم، يتوارثونه، وهو عندهم بمنزلة النشان الذي تعطيه ملوك العجم ، وكذلك وقع مثل هذه الفرحة لمن توجه للاندريز ، حتى قيل إن سلطانة الانجليز أجلستهم معها على مائدتها وأكلوا معها غاية في الفرح ، وهذه السيوف التي وجه مولانا هي حاجة مليحة عندنا بالغرب ، وأما عندهم فلا تقاوم فرحهم ، وعليه فلو شاء مولانا وأبداهم أو زاد بهم حجرا تنبيتا لتغلا قيمتهم سيما والفرانصيص لم ياخذ من عند مولانا المرحوم بالله شيئا ، وربما يظن أن مولانا قصر في ذلك بسببه ، لانهم كانوا يرون السيوف الذي كان يعطي مولانا رحمه الله لرياس الانجليز الذين كانوا يحملون إخواننا الحجاج ، مع أنهم والله ما أتوا قبل هذه السفارة في المرتين بأمثال هذه المراكب ، فانها أمر عظيم ، وهذا إنما كتبناه لمولانا بعد أن سمعنا من له محبة في جانب مولانا يذكر ذلك ومن غير ذلك ، ولا بد إذا وجه مولانا حاجة نفيسة غير السيوف ، أو سيوفا أرفع من هذين ، يزيد لكل رائس فرس ولا بد ، فانه من أشرف الامور عندهم ، وهذا ما وجب التنبيه عليه ، وقد طرق سمعنا عن سلطان افرانصة أنه يقيم هذا البشادور عنده شهرين ، لاكن سماعا فقط . وعلى خدمة مولانا والسلام .

في 20 ذي الحجة عام 1276 .

العباس لطف الله به

وهذا التاريخ يوافقه 10 يوليه 1860 م .

حول كتاب مزور له علاقة بالسفير الانجليزي بالمغرب 1277 هـ 1860 م

وهذا كتاب بعثه السلطان إلى أخيه وخليفته مولاي العباس حول كتاب زوره أحد المغاربة ونسب فيه أكاذيب إلى السفير الانجليزي وإلى غيره الخ ونصه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

(محمد بن عبد الرحمن الله وليه)

أخانا الاعز الارضى مولاي العباس ، حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته.

وبعد فقد طالعنا ما كتبت به في قضية منستر النجليز الذي ذكر في كتابه أنه زور على كاتبنا الكتاب المتضمن سؤاله أي المنستر عن سبب دخول الصبنيول لتطوان ، هل كان ببيعة أو غيرها ، وأنه أي المنستر زور عليه الجواب الذي وردت منه نسخة في طي كتابك ، لكونه لم يصله كتاب من كاتبنا أصلا ، ولا صدر منه جواب له ولا قط كتب له ولا لغيره من حاشيتنا في أمر من الامور ، وطالعنا كتاب المنستر في ذلك واستوعبناه وعرفنا منه الرجل الريفي الذي ذكر أنه وجه النسخ المذكورة من فاس ، وأنه توصل بها من يد ولد السنوسي على ما ذكر له أحمد المرابط ، كما طالعنا نسخة الكتاب المزور على خديمنا القائد العباس المقشد ، وصار ببالنا ، وعرفنا ما حصل للمنستر من الغيظ بسبب هذا الزور الصادر ممن لا يراقب الله جلت قدرته وعظم سلطانه ، وما طلب من البحث عن فاعل ذلك ليزجر زجراً بليغا ، لكونه تسبب في تغيير القلوب ، فاعلم أنا أمرنا بالبحث عن الظالم الريفي صهر أولاد العربي السعيدي الذي وصفته في كتابك وصفا كاشفا وسميته فيه خفية ، فأخبرنا أنه كان ملازما لزاوية سيدي احمد التجاني ، وأنه كان مشتغلا بعمل الرهاطية وبالسحر المنساء ، وكان كالمختفي بفاس ، ثم إنه غاب قبل ورود كتابك بنحو ستة أيام ولم يظهر ، وذكر بعض من يعرفه أنه سافر مع ولد الفلوس الذي كان هنا يطلب الاذن له في وسق قمح وشعير من الدار البيضاء لطنجة فلم يساعد ، ثم لما لم يظهر ، لم نامر بالكلام مع ولد السنوسي حتى نرى هل يحصل هذا الفاجر فيكون الكلام معه فيمن أعطاه النسخة ليذكر من أعطاها له وننتقل للكلام مع معطيها له ثم يظهر ما يكون لهما معا ، أو لا يحصل فيكون الكلام مع ولد السنوسي إن شاء الله ، فلا بد ابحث عنه هناك ، وإن ظفرت به فاقبض عليه واسئله عمن أعطاه النسخة وعن أصلها ، إذ بالاصل يتبين فاعل ذلك ، والزور لائح ظاهر ظهور الشمس على الجميع من وجوه كثيرة ، إذ لم يكن أمر تطوان خفيا حتى يحتاج للسؤال عنها ، ولا خبرها مخصوصا بالمنستر حتى

يفرد بالسؤال على تقدير جهله ، وحتى على تقدير وقوع الكتب للمنستر ، فليس المنستر بأحمق حتى يجيب بمثل ذلك الجواب الذي زرو عليه ، لان العاقل يعرف ما يقول ، ويقتصر على المعقول ، وأما ما سطر في النسخة فلا يصدر إلا من أحمق أخرق ، وكذا ما تضمنته نسخة الكتاب المزور على القائد العباس من الكلام ، فهو بادي الزور من وجوه ، والحاصل أن ذلك عمل باليد ، ومن سمع ظهوره على يد أصهار أولاد العربي السعيدي يعرف بديهة سبب ذلك ، إذ ليس بخاف ما بقلوبهم على القائد العباس وعلى المنستر ، والله يرعاك والسلام .

في 5 من جمدى الثانية عام 1277 .

وهذا التاريخ يوافقه 19 دجنبر 1860 م .

عن وسق المحصولات من المغرب إلى الخارج 1279 هـ 1862 م

وهذه رسالة كتبها النائب بركاش إلى السلطان من طنجة ، ونفهم منها أن السلطان كان قد سمح لتجار بعض الدول الاوربية بوسق الصوف وبعض الحبوب ، فاحتج على ذلك البعض الآخر ، مما دعى النائب المذكور لان يطلب من السلطان أن يسمح بالوسق لجميع التجار بدون استثناء .

ومن المعلوم ، أن جل بلاد المغرب كان اعتمادها في حياتها العادية على الفلاحة، وأن المحصولات الفلاحية كانت في الدرجة الاولى من الصادرات المغربية .

والمغرب وإن كان في ذلك العهد ما يزال يسير في أعماله الفلاحية على الطريقة القديمة ، إلا أن محصولاته من الحبوب على اختلاف أصنافها ، كانت من الكثرة بحيث تكفي في غالب السنوات جميع سكان المغرب ويفضل منها ما يوسق للخارج وتستفيد منه البلاد ثروة طائلة .

ولقد كان من سياسة ملوك المغرب (رحمهم الله) أنهم لا يسمحون بوسق الحبوب وغيرها إلى الخارج ، إلا بعد التأكد من أن ذلك لا يضر بأهل المغرب ، لا من حيث وفرة المعروض ولا من حيث الاسعار ، فإذا كان الوسق يضر بالناس وخصوصا الضعفاء والمساكين فانهم يمنعونه ، تقديما لمصلحة الشعب على مصلحة الدولة .

رسالة من النائب بركاش عن وسق الصوف والحبوب

ورسالة النائب بركاش هذا نصها :

الحمد لله وحده وصلى على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

أدام الله العز والنصر والتمكين ، والظفر والفتح المبين ، لسيدنا ومولانا أمير المومنين، ابن سيدنا أمير المومنين .

وبعد أداء ما يجب علينا لسيدنا من التعظيم ، وتقبيل حاشية بساط مولانا الشريف المنيف ، فينهى لكريم علم سيدنا أعزه الله ونصره ، أنه ورد علينا الكتاب الشريف فقبلناه ، وعلى الرأس وضعناه ، واستفدنا منه أن مولانا أعزه الله صدر أمره الشريف أسماه الله بتسريح الصوف والقطاني لتجار النجليز والفرنصيص والطليان ، وحين نخبر بقبول غيرهم من الاجناس الشرط المشار إليه يامر مولانا أعزه الله بالتسريح لتجارهم إن شاء الله ، أنهي لكريم علم مولانا أعزه الله ، أن الذي كان تكلم ولم أراد يقبل هو اصبنيول لا غير ، وقد طالعنا علم مولانا أعزه الله أنه قبل ، فنطلب من مولانا أعزه الله أن يامر بالتسريح لجميع التجار ، ولم تكن خصوصية في الوسق ، ونحن منتظرين لجواب مولانا أعزه الله بالتسريح لجميع التجار لنعلم النواب بذلك إن شاء الله ، وهذا ما وجب به الاعلام لمولانا أدام الله عزه وعلاه بجاه جده سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والسلام .

في 29 من ربيع الثاني عام 1279 .

خديم المقام العالي بالله محمد بارقش لطف الله به

وهذا التاريخ يوافقه 24 اكتوبر 1862 م .

ممثل اسبانيا بالمغرب يحتج على الحكومة المغربية 1279 هـ 1862 م

قد رأيت في الرسالة السابقة ، أن النائب بركاش أعلم السلطان بأن ممثل اسبانيا هو الذي كان قد احتج ضد السماح بوسق الصوف والحبوب لبعض التجار دون البعض الآخر .

وهذه رسالة من الممثل المذكور في الموضوع ونصها :

الحمد لله وحده   ولا غالب إلا الله

الفقيه الاجل ذي الحجة الاكمل الوزير سنيور دون محمد بركاش لا زلنا نسئل عنك وعن أحوالك .

وبعد أننا تنبأنا بنبإ يقين أن حضرة سلطان مراكشة أنعمت للانجليز والفرنسيس والصاردو لا غير بخروج الحب والصوف من مراسي المغرب ، والانعام المذكور تنقيض لما في الفصل الرابع والاربعين والتاسع والاربعين من شروط التجارة المنبرمة مع اسبانيا ، ولذلك نسترعي من مخالفة نقض هذه العهدة المثبتة الواضحة بين الجانبين ، وقد قلدت دولة المغرب بكل درك يلحق للتجارة الاسبنيولية إذ عمال السلطان يمنع رعية مولاتنا السلطانة من خروج الحب والصوف بنفس التفضل الذي أنعمت به على الاجناس المذكورين والسلام .

في 27 اكتوبر سنة 1862 .

النائب المفوض لحضرة سلطانة اسبانيا أبد الله علاها

فرنثيسكو مري وكلوم

(ثم امضاؤه بالافرنجي)

(خ - ك)

والتاريخ المذكور يوافقه 3 جمدى الاولى 1279 .

وفي هذه الرسالة كما ترى استعجال وخشونة ، ولا نرى أنه كان هناك موجب لذلك ، ولو أن ذلك السفير طلب من أول الامر أن يمنح السلطان تجار الاسبان مثل ما منح غيرهم من التجار ، لما كان هناك معارض ، ولكن الغرور يبعث صاحبه على الرعونة والطغيان .

رسالة من السفير الانجليزي حول الوسق من المغرب 1279 هـ 1862

ويظهر أن السلطان أجاب نائبه بركاش لما طلبه من السماح بوسق الصوف والحبوب لجميع التجار على اختلاف أجناسهم ، فأعلم النائب المذكور ممثلي الدول الاجنبية بذلك ، وهذا جواب ممثل انجلترا عن ذلك الاعلام .

الحمد لله وحده

خديم السلطان أيده الله ، والنائب عنه أسماه الله في الامور ، الفقيه المحب السيد محمد باركاش نسئل عنكم كثير طالبين الله أن تكون بخير وعافية .

وبعد وصلنا كتابكم أخبرتنا فيه بأن السلطان أيده الله سرح وسق القطاني والصوف على سنتين ، وسرح أيضا أيده الله الكبريت وملح البارود على سنة ، وأمر أيده الله بجعل كنطردة طابة لجانب المخزن وتباع على يد الامناء ، فها نحن أمرنا للقونص بالاعلام لآل رعيتنا بأن لا يجلبها لكن ما هو بيدهم منها ينبغي أن يكون لهم أجلا إلى أن يبيعها ، وعلى المحبة والسلام .

وفي 18 نونبر سنة 1862 .

جان هي درمنض هي

عن إذن منسطر سلطانة اكرت ابرطن بايالة مراكشة

ثم الامضاء بالانجليزية .

وهذا التاريخ يوافقه 25 جمدى الاولى 1279 .

السفير الانجليزي يقترح السماح بوسق الحبوب لفائدة الفلاح وصندوق الدولة

ومضت سنوات يظهر أن محصول الحبوب فيها كان غير كثير ، مما أدى بالسلطان لمنع تصديرها للخارج ، ثم لما ظهرت بوادر تدل على أن محصول السنة جيد لا يمنع من السماح بالوسق إلى الخارج ، كتب السفير الانجليزي إلى النائب السلطاني راغبا منه السماح بالوسق، مبينا له ما في ذلك السماح من المنفعة للفلاح ولصندوق الدولة الخ.

وهذا نص رسالته :

الحمد لله وحده

خديم السلطان أيده الله ، ووزيره في الامور البرانية ، الفقيه الدحب السيد محمد بارݣش ، فبعد السلام التام نسئل عنكم كثير نطلب الله أن تكون بخير وعافية .

وبعد فقد كنت أخبرتنا في كتابكم بتاريخ 3 رمضان من سنة 1283 بأن السلطان أيده الله أمر باتفاق وسق جميع الحبوب بسبب رفع الاصعار بهذه الايالة من الضرر الاحق من الجراد وغيره في السنة الماضية ، هذا ونحن محققين من الجانب الشريف، فذاك هو من مشافقته ومحنته أيده الله لخير الفقراء والمساكن من رعيته ، والآن الحمد لله خبر الصابة الذي ورد علينا هي جيدة ناصحة الحمد لله والظاهر منه الصابة الكثيرة إن شاء الله راجع مما ذكرناه أعلاه ، من وفور عقل السلطان أيده الله يامر من خطره الشريف بنزع الاتفاق المذكور أعلاه ، وبهذا يكون النفع للفلاحة وتنجبر التجارة ، إذ هم أحد من اخواص الخارج ، ويستفاد بيت المال ، ونطلب منكم رفع كتابنا هذا إليكم للجانب الشريف ، إذ لا شك لنا من جانبه الشريف يسمع رأينا ويتأمل فيه أيده الله ، ويامر بتسريح ما طلبناه أعلاه ، وعلى المحبة والسلام .

وفي 6 من ابريل سنة 1867 .

جان هي درمنض هي

عن إذن منسطر سلطانة اݣرت ابرطن بايالة مراكوشة

ثم إمضاؤه بالانجليزية

والتاريخ المذكور يوافقه فاتح حجة 1283 .

١١٩

السفير الاسباني يحتج مرة أخرى على عدم السماح بوسق الحبوب

وهذه رسالة يحتج فيها الممثل لاسبانيا بالمغرب على عدم سماح المغرب بوسق الحبوب، ويذكر ان دولته لا تطبق ذلك، لان فيه مضرة لسكان جزر «كنارياس» المقابلة للشواطئ المغربية ، والتي تحتلها اسبانيا.

وهذه الرسائل التي يبعثها بعض السفراء الاجانب إلى رجال الدولة المغربية مكتوبة كما ترى باللغة العربية ، إلا أنها بلهجة ركيكة ، ونحن ننقلها كما هي بلفظها دون أي تغيير ، محافظة منها على الامانة التاريخية ونصها :

الحمد لله وحده

الفقيه العاقل وزير الامور البرانية للحضرة الشريفة السيد محمد بركش لا زال عنك السؤال فى سائر الاحوال.

وبعد فعلى ما أخبرنا به من خلفا قناصل اسبانيا بدار البيضا والجديدة وآسفي انه تضمن خصب الحب وعلى هذه الحالة حسبما اعلمناكم بنتاج وفق دولة اسبانيا بمنع خروج القطنية ام لا وقد وفدت علينا أوامرها لنطلب منكم خروجها لمدة ستة أشهر زيادة لانه كما لا يخفاكم من غير سبب شديد الذي لم يوجد والحمد لله حسبما أخبرنا من السواحل دولة اسبانيا لم تطق قبول منع خروج القطنية حسبما تأملته دولة مراكشة بحيث هذا فيه مضرة لسكان جزر كنارياس والسلام .

في 21 يونيو سنة 1867؛

الموجه المخصوص المفوض بالنيابة التامة
لحضرة سلطانة اسبانيا قرب الحضرة الشريفة
فرنسيسكو مري وكلام

ثم امضاؤه بالاسبانية

والتاريخ المذكور يوافقه 18 صفر 1284

السفير الاسباني يرغب من جديد في السماح بوسق الحبوب

بعد مرور ثلاث سنوات لا ندري ما فعل الله فيها ، نرى الممثل الاسباني يعود فيرغب من النائب السلطاني أن يطلب من السلطان السماح بوسق القطاني ، أي الذرة والحمص والفول وغير ذلك ، لتزداد بذلك مداخيل الديوانة التي تاخذ منها اسبانية النصف من قبل الغرامة الحربية.

وهذه الرسالة كما ترى ، خالية من التعنت المعهود من هذا السفير ، وهكذا يظهر أن أولئك السياسيين كانوا يتلونون حسب الظروف والمصالح تلون الحرباء ونصها :

Legación de España en Marruecos

الحمد لله وحده

الفقيه العاقل وزير الامور البرانية لحضرة الشريفة السيد محمد بارقش لا زال عنك السؤال نطلب الله تكون بخير وعافية.

وبعد المرغوب منكم تطلبوا من حضرة السلطان تاذن خروج الدرا المعروف بالتركية والحمص والفول وغيرها من القطنية ، خصب الحب والحمد لله وعليه لا حق في دوام المنع الموجود لخروج ما ذكر الغير لازم لمعيشة أهل هذه الايالة وبالاذن المذكور تزيد محصولات الديوانات لمنفعة مدخولات اسبانيا ومراكشة والمامول عندنا هو ان الحضرة الشريفة تساعد طلبنا هذا العادل وعلى المحبة التامة والسلام.

في 26 يليه سنة 1870 .

المنستر الموجه المخصوص المفوض بالنيابة التامة لاسبانيا

قرب الحضرة الشريفة

فرنسسك مري وكلوم

ثم امضاؤه بالاسبانية .

والتاريخ المذكور يوافقه 26 ربيع الثاني عام 1287 ه .

السفير الانجليزي يتكلم عن الحماية والمحميين 1279 هـ 1863م

وهذه رسالة يتكلم فيها السفير الانجليزى عن الاشخاص الذين تحميهم دولته من أهل هذه البلاد ، وعن الحماية الاجنبية بالمغرب . . . . ونصها :

الحمد لله وحده

خدام سيدنا أيده الله المحب الارضى الفقيه سيد إدريس بن سيد محمد بن إدريس ، والامين المرتضى المحب السيد الحاج محمد بن المداني بنيس ، بعد السلام قد وصلنا كتاب سيادتكم، وأخبرنا بما أمركم به السلطان أيده الله أن تسئلنا بما يتعلق في أمر الحماية معنا ومع خلافنا ورعيتنا المستقرين بهذه الايالة، فاعلم انه لم عندنا حماية لاحد إلا ما هو معهود في الشروط حسبما هم مذكورين بطرة يمنته، وأما خدامنا المذكورين قد كنا دفعنا زمامهم وبيانهم لنائب سيدنا بطنجة ولعامله بها ، بحيث لم عندنا أحد غيرهم فى الحماية أصلا ، وأما التجار أو الرعية فلم نساعد أن تكن لهم الحماية ولا لنوابهم ولا لشركائهم ولا لخدامهم ، نعم ما دامت هذه الحماية لاجناس أخر وعرضت دعوة مع أحد من أصحاب تجارهم ومع أحد من أصحاب تجارنا في طنجة ، فقد أعلمنا السيد محمد باركاش وعامل طنجة أنه إن ظهرت حماية منهم فيكون لاصحاب تجارنا في ذلك الدعوة الحماية، ليلا يظهر الغلب منهم لاصحاب تجارنا من حمايتهم، نعم إذا لم يتكلم نائب من النواب، فأصحاب تجارنا لا حماية لهم في ذلك الدعوة، إذ نحن محققين من سيدنا أيده الله لم يريد إلا الحق، ولا يوافق أن ولاته يظلمون أحدا ولا يظهرون غرضا ولا شهوة لاحد الذي هو في خدمة تجارنا ورعيتنا، وعلى المحبة والسلام.

وفي 7 من ابريل عام 1863 .

جان هى درمنض هى

عن إذن منسطر سلطانة اكرت ابرطن بايالة مراكشة

ثم الامضاء بالانجليزية

والتاريخ المذكور يوافقه 17 شوال 1279 .

وبطرة الكتاب ما يلي :

منسطر سلطانة اكرت ابرطن

الترجمان ـ 1
الكاتب ـ 1
واثنين مخزنية ـ 2
ومتعلمين طبلة الاكل ـ 2
وأصحاب الروا ـ 2
واثنين طباخة ـ 2
ومتعلمات ـ 3
ورباعة الاجنة ـ 3
والواقف على بلد المنعومة للدولة ـ 2
رقاص ـ 1
القونص بطنجة له أناس ـ 10
وخلاف المراسي لكل واحد منهم الترجمان وثلاثة أناس ـ 4

السفير الانجليزي يكتب للوزير المغربي عن شؤون مغربية 1279 هـ 1863

وهذه رسالة تدل على أن المستر دريموند هاي الوزير المفوض لدولة بريطانيا في المغرب ، قد استمر على الخطة التي كان قد انتهجها مع النائب السابق السيد محمد الخطيب ، من إطلاع الولاة المغاربة على ما يهمهم ويهم المغرب من الشؤون ، مع إعلامهم بما يتعلق بالمغرب من أعمال بقية السفراء الاجانب وغير ذلك مما كان يرى أنه من باب المصالح والمنافع المتبادلة ، ونصها :

الحمد لله وحده

وزير السلطان أيده الله ، وكاتب الاوامر الشريفة ، الفقيه العلامة المحب سيدي الطيب بن اليماني ، نسئل عنكم كثير طالبين الله أن تكون بخير وعافية .

وبعد اعلم أننا تخبرنا أن منسطر الاصبنيول متوجه للحضرة الشريفة على ثغر الصويرة في إثر هذا الكتاب ، ولا علم لنا ما هو مرادهم ، لاكن من باب المحبة والنصح سراً ، نطلب من سيادتكم تذكر لسيدنا أيده الله حيث مرادة في الخير مع

كل أحد ، يامر ولاته أيده الله بحسن ملاقته والاعتناء به ، وسيدنا نصره الله من وفور عقله لم يقصر في أمور مطالبهم القريبة التي لا ضرر فيهم ايكون رجوعهم بخطرهم ويخرج الامور بخير في هذا الوقت .

وفي هذه الايام كنا مسافرين في جبل طارق ورجعنا منها أولا البارحة وأخبرنا أن الفقيه السيد الحاج ادريس بن ادريس وصل لطنجة ، ولم تلاقينا معه إلى الآن بقصد نفي وهم الغير ، وتركناه يقدم الكلام مع الغير ، وحيث بشدور الفرنصيص الجديد لم ورد إلى الآن ، ظهر لنا أن أمر الحماية لم يباشره خليفته ، والتأني في أمر مثل هذا حتى يرد البشدور المذكور ، فلا بس به ، هذا وها نحن طالعنا علم دواتنا بجميع ما سمعناه من سيدنا نصره الله مشافهة وكتابة في أمر الحماية في وقت وصولنا ، اتحققنا أن خدامنا واقفين فيما أمرناهم به ، كتبنا للفقيه السيد محمد باركش ولعامل طنجة القائد السيد محمد بن عبد الكريم الجبوري واسألناهم عن هذا الامر ، وها يصلكم صحبة هذا نسخ مما كتبناهم به ومما أجابوني به ، وجواب السيد محمد باركش مشافهة ، هو مثل جواب الباشا المذكور ، ونطلب الله سبحانه أن الفقيه السيد الحاج إدريس يحصل له المراد ، ونحن لم نقصروا مع أصحابنا من النواب هنا من غيرتهم يقول بأن لا حماية منا إلا ما هو مذكور في الزمام . لاكن الكثير من أناس البادية أصحابنا ويوقرنا وحيث الولاة محبين معنا يحب هذا الناس ويوقرهم ، وجوابنا اهم هو أن نحن قدام في البلد، وكنفعل الخير مع المساكين ، ولم رأينا منهم إلا الاحسان ، فافعلوا مثل ما نحن نفعل معهم دون حماية وتكون مثلنا ، ولا سبب لكم أن تشتكوا من أننا نحب الناس أو أصحابنا وخدمنا ينظر فيهم المخزن بوجه جميل حيث لم يطلبون من المخزن حاجة لاصحابهم خارجة عن القانون ولم يتعرضون للمخزن ، وعلى المحبة الدائمة والسلام .

وفي 7 من مايه عام 1863 .

جان هي درمنض هي

عن إذن منسطر سلطانة اكرت ابرطن بايالة مراكشة

(ثم الامضاء بالانجليزية)

(والتاريخ المذكور يوافقه 18 قعدة 1279) .

النائب بركاش يكتب للسلطان عن أقساط السلف الانجليزي 1280هـ 1864م

وهذه رسالة كتبها النائب بركاش إلى السلطان عن بعض الاقساط المستحقة على المغرب من قبل السلف الانجليزي ، ونصها :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

بعد تقبيل حاشية البساط الشريف ، وأداء ما يجب لمقام سيدنا العالي بالله من التعظيم والتشريف ، يكون في كريم علم سيدنا أيده الله بعزيز نصره ، وكان له في سره وجهره ، أنه وصلنا كتاب سيدنا العالي بالله ، معلما لنا أن سيدنا أيده الله أمر أمناء العرائش أن يوجهوا لنا واحدا وأربعين ألف ريال بقصد دفعها لدولة النجليز من مال السلف عن المشاهرة التي كمل أجلها في منتصف صفر الفارط عن شهر تاريخه ، فيعلم مولانا أيده الله أنهم وجهوا لنا ثمانية وثلاثين ألف ريال وتسعمائة ريال وخمسين ريالا كبيرة هكذا 38.950 حسبما بينا لسيدنا أيده الله تفصيلها في زمام يصل حضرة سيدنا طي هذا ، وأجبنا الامناء عن وصولها وحلت محلها ، وهذه المشاهرة الآتية بعدها يحل أجلها في منتصف ربيع الثاني الموالي لتاريخه ، فنطلب لمولانا أيده الله تنفيذها لتكون ميسرة عند تمام أجلها المذكور ، طالبين من سيدنا رضاه والسلام .

في 28 ربيع الاول عام 1280 .

خديم المقام العالي بالله محمد بارقش لطف الله به

(وهذا التاريخ يوافقه 12 سبتمبر 1864 م) .

حول أقساط الدين الانجليزي والمراسي المغربية التى كانت تدفعها

وعلى ذكر السلف الانجليزي نذكر هنا أن الديون الاجنبية التي ترتبت بذمة المغرب، بعد انتهاء الحرب الاسبانية المغربية سنة 1860 م قد ظل المغرب يتحمل وطأتها الثقيلة، السنين الطويلة ، فكان الامناء الاسبانيون يجلسون جنبا لجنب مع الامناء المغربيين بموانئ المغرب ويقاسمونهم مداخيل الديوانات لتسديد الدين الاسباني .

وكانت الحكومة المغربية تجمع المال من هذه الديوانة ومن تلك ، لتسديد ما يحل أجله من أقساط الدين الانجليزي .

وهذه رسالة كتبها الامين محمد بن المدني بنيس إلى الوزير الطيب ابن اليماني حول الدين الانجليزي ، ونصها :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

سيدنا الفقيه الاجل العلامة الاوحد الحجة الافضل سيدي الطيب سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا أيده الله .

وبعد فينهى لسيادتكم أن مشاهرة النجليز تحل في منتصف شهر التاريخ ، وقد اختبرت المراسي المعينة لدفعها كما تفصيله بورقة طيه ، ولم يبق بيدنا سوى الجديدة ينفذ منها عشرة آلاف ريال ، ومن أسفي خمسة آلاف ، ومن طنجة عشرة ، فان اقتضى نظر مولانا أيده الله تنفيذ ثلاثة آلاف ريال من تطوان والعشرة الباقية [تكمل] من الدار البيضاء لان فيها الوفر كما تقف عليه في التقييد المذكور ولو كانت ليست هي من المراسي المعينة ، لكن لم نجد على من نخرج هذا الباقي ، لان الصويرة قد تقدم حسابها والباقي بها كله في الزمم ، والعرائش ليس فيها وفر ، غير أن أمناء طنجة كتبوا بأن الوفر الذي هو الآن تحت أيديهم كله سكة الدرهم ، والنصف الذي يقبضونه هو في مقابلة نصف الصبليون حيث لا يقبل الدرهم ، وذكروا أنهم أطلعوا علم مولانا أيده الله بذلك هم وغيرهم ، فنحب إطلاع علم مولانا أيده الله بهذا بارك الله فيك ، نعم إن وقع التنفيذ أعلمنا عنه من أي المراسي نفذ ، لنثبته عندنا بالكناش ، ومضمن قدر المشاهرة الحالة ثمانية وثلاثون ألف ريال افرنصيص تحكم بستة وثلاثين ألف ريال ومائة ريال ذهب ، وبه يجب الاعلام ، وعلى المحبة والسلام .

8 جمدى 2 عام 1284 .

محمد بن المدني بنيس لطف الله به

وقد كتب حول هذه الرسالة ما نصه :

تقييد وفر المراسي لمتم ربيع الاول عام 1284

وما نفذ منه لمشاهرة النجليز الحالة في منتصف جمدى الاخيرة عملا بما أشار به ج محمد بن المدني بنيس في كتابه :

فمن مرسى آسفي خمسة آلاف ريال فرنصيص	05,000
ومن مرسى الجديدة عشرة آلاف » »	10,000
ومن مرسى الدار البيضاء » » » »	10,000
ومن مرسى طنجة » » » »	10,000
ومن مرسى تطوان ثلاثة » » »	03,000
الجميع ثمانية وثلاثون ألف ريال	38,000

وبهذه المناسبة ، نثبت هنا - كنموذج فقط - نص تقييد آخر فيه بيان المراسي المغربية التي كانت تدفع من المال ما تؤدى به أقساط السلف الانجليزي وهذا نصه :

تقييد كيفية تنفيذ مشاهرات عام 1284

الحمد لله وحده

1 - مشاهرة منتصف صفر عامه	38,000
فمن مرسى تطوان ريال	05,000
ومن العرائش ريال	06,000
ومن الجديدة ريال	20,000
ومن أسفي ريال	07,000
الجميع ثمانية وثلاثون ألفا	38,000
2 - مشاهرة منتصف ربيع 2 عامه	38,000
فمن مرسى تطوان ريال	02,000
ومن طنجة ريال	05,000
ومن العرائش ريال	03,000
ومن الجديدة ريال	13,000
ومن مرسى أسفي ريال	05,000
ومن الصويرة ريال	10,000
الجميع ثمانية وثلاثون ألفا	38'000
3 - مشاهرة جمدى 2 عامه	38,000
فمن مرسى تطوان ريال	03,000
ومن مرسى طنجة ريال	10,000
ومن الدار البيضاء ريال	10,000
ومن الجديدة ريال	10,000
ومن مرسى آسفي	05,000
الجميع ثمانية وثلاثون ألفا	38,000

4 - مشاهرة منتصف شعبان

وجهت من بيت المال بمراكش

5 - مشاهرة منتصف شوال عامه	37,081
فمن مرسى تطوان ريال	12,871
ومن الجديدة ريال	10,000
ومن الدار البيضاء ريال	04,210
ومن مرسى طنجة ريال	10,000
الجميع هذا	37,081
6 - مشاهرة منتصف ذي الحجة	37,081

وجهت من بيت المال صحبة ج محمد الزبدي . . .

حول زيارات السفراء لمقر الحكومة المغربية ورجالها

من المعلوم ان مدينة فاس كانت في القرن الماضي هي العاصمة الاولى للمغرب ، وقد استمرت كذلك الى عهد الحماية في هذا القرن، وأن سلاطين المغرب كانوا يقضون بفاس جل أيام السنة، وقد يقضون بغيرها أياما معدودات قد تطول وقد تقصر بحسب المصالح والظروف، إلا أن سفراء الدول الاجنبية وقناصلها وممثليها، كانوا يقيمون بصفة دائمة في مدينة طنجة التي كان يقيم بها في ذلك العهد أيضا النائب السلطاني الذي كان بمثابة وزير الشؤون الخارجية للدولة المغربية.

وكان أولئك القناصل والممثلون لدولهم يتصلون بالنائب السلطاني شفويا أو كتابيا في كل ما يعرض لهم من شؤون دولهم ورعاياهم ومصالحهم ومشاكلهم ، فكان ذلك النائب يقضي أغراضهم ويحل مشاكلهم ، تارة في الحين وتارة بعد استشارة السلطان أو الوزير ، وفي بعض الظروف كان بعض أولئك الممثلين ينتهزون إحدى الفرص ، فيقصدون حضرة السلطان للسلام عليه أو تهنئته ببعض المناسبات التي ينتهزونها انتهازا، وفي نفس الوقت يقومون بالاستطلاع على الاحوال من قريب ، وبالاتصال ببعض رجال الحكومة الذين كانوا يحسنون استقبال الاذكياء الذين يتحفونهم بالهدايا والتحف والزيوت التي تدهن بها السيور فتسير ، وعلى الخصوص الساسة الدهاة الذين يعرفون من أين توكل الكتف .

وفي هذا الميدان نجد أن الانجليزيين كانوا متفوقين على غيرهم، إذ كانوا يفيدون دولتهم ويحافظون على مصالحهم ومصالح رعاياهم وتجارهم ، بمرونتهم وحسن معاملتهم ، وقد يفيدون مع ذلك دولة المغرب أيضا ، وإن كان الساسة على العموم ، يعملون لمصالح دولهم قبل أي اعتبار .

وفي نفس الوقت نرى أن ساسة اسبانيا أو على الاقل من يمثلون اسبانيا بالمغرب، كانوا في الغالب ، أقرب إلى الخشونة والعجرفة منهم الى الدهاء والمرونة اللتين هما من أول ما يجب أن يتحلى به الدبلوماسيون ، ولو أن اسبانيا كانت تحسن اختيار ممثليها من بين الاذكياء الذين يحسنون اللغة العربية ويعرفون نفسيات قومنا ، لكانوا أقرب إلى النجاح منهم إلى النفور والمعاكسة والاصطدام.

السفير الانجليزي يزور رجال الدولة بالرباط 1281 هـ 1864 م

وهذه رسالة من الممثل الانجليزي عن إحدى زياراته لمدينة الرباط بمناسبة زيارة السلطان لها .

الحمد لله وحده

وزير السلطان أيده الله ، وكاتب الاوامر الشريفة ، الفقيه العلامة سيد الطيب ابن اليماني ، نسئل عنكم كثير طالبين الله أن تكون بخير وعافية .

وبعد اعلم أننا وصلنا لرباط الفتح البارحة بخير وعافية ، وبعد ما كنا طلبنا قبل بان لم نريد تكليف أحد من ولاة السلطان أيده الله ، فلم قصروا معنا في الطريق ، وفرحوا بنا بخير وضيافة وكذلك الاشياخ ، وهذا كله من وجود سيدنا نصره الله ومحبته في جانب دولتنا ، ونطلب من سيادتكم أن تكن لنا واسطة خير في مجازة خير سيدنا أيده الله بذلك وبضيافته أيده الله هنا ، هذا ولم يخفا من سيادتكم أن قدومنا لهنا هو بأمر سلطانة اكرت ابرطن بقصد حمد سلامة سيدنا أيده الله لبلوغه بخير لهذه الناحية والحمد لله ، فذاك مرادنا ، ونباشر أيضا بعض الامور الذي يك فيهم المصلحة وخطر الجانبين ، وقد توحشناكم كثير فنطلب الله أن تكون بخير وعلى خير وعافية ونحن على المحبة والسلام .

وفي 28 شتمبر سنة 1864 .

جان هي درمنض هي

عن إذن منسطر سلطانة اكرت ابرطن بايالة مراكشة

ثم امضاؤه بالانجليزية .

وهذا التاريخ يوافقه 26 ربيع الثاني 1281 .

حول صرف الريال بـ 19 ـ أوقية بدلا من 32. عام 1285 هـ

مسالة العملة التي كانت متداولة بين الناس في مختلف أصناف البيع والشراء وبقية المعاملات التجارية بالمغرب في القرن الماضي ، من المسائل التي تحتاج إلى بحث ضاف ليس هذا محله، وإذا فسح الله لنا في العمر، فاننا سنقوم بذلك في كتابنا «التكملة» الذي هو ذيل لكتابنا هذا « تاريخ تطوان » إلا أن ذلك لا يمنعنا من أن ننتهز كل فرصة تتاح لنا لاثبات ما نرى في إثباته فائدة من نصوص الوثائق والمستندات التي تهم من يشتغلون بمثل هذه الابحاث التاريخية المفيدة .

ومن المعروف أنه مر بالمغرب وقت كان أساس المعاملات التجارية فيه هو المثقال ، وكان المثقال الواحد يحتوي على عشر أواق ، وكل أوقية تحتوي على أربع موزونات ، والموزونة الواحدة ، مر وقت كانت تساوي فيه أربعة وعشرين فلسا ، وفي وقت آخر كانت تساوي ستة عشر فلسا.

أما الريال الذي هو قطعة فضية كبيرة، فكانت نسبته مع المثقال تختلف باختلاف الازمان، وقد مر وقت حددت فيه الحكومة المغربية سعر الريال باثنين وثلاثين أوقية، أي بثلاثة مثاقيل وأوقيتين . وفي سنة 1285 هـ وقع التفكير في جعل سعر الريال هو تسع عشرة أوقية بدلا من اثنتين وثلاثين أوقية، فكتب الامين محمد بن المدني بنيس في شأن ذلك تقريرا هذا نصه :

وبعد فما ظهر لمولانا نصره الله وأيده من رد الريال لتسع عشرة أوقية والدرهم لما كان عليه، علمناه، وهو بالنسبة لامور التجارة والاسعار، فيه صلاح ومنفعة، وبه يترتب أمر التجارة وتنضبط أحوالها من المعاملات من الآن لما يستقبل، لكن يحصل منها حرج وخصومة ولجاج لا ينقضي، وضرر على الناس يحصل لهم به الفلس .

منها من عليه دين لاحد فيما سلف ، إن كلف بدفعه بهذا السعر الذي يحدث ، يدفع فيه ما يقرب من المثل مثلين ، والناس ذمتهم عامرة من أمور التجارة ، ومن الذيون، وأموال المحاجير عند الاوصياء ، إن كلفوا بدفعها بما ذكر يحصل لهم من الضرر ما لا يخفى.

ومنها أن أمور الاسعار ثابتة في قدر معين الآن، مثل القمح ثمنه $47^1/_2$ الآن يجب ريال ونصف فيصير بهذا السعر ريالين ونصف وهكذا سائر الامور ، كالمواشي والادام وغير ذلك .

نعم إن عزم مولانا نصره على تنفيذ الامر، فيجعل لهذا دواء يخف به الهرج وتسكن به النفوس عند سماعه ، وهو ظهير شريف صحبة الامر بما ذكر يسمع الناس الامرين في دفعة واحدة ، ويكتب بذلك لجميع الايالة ، ويكون إظهاره في يوم واحد في البوادي والحواضر حتى لا يقع اختلاف بين البلاد كلها ، ومضمن هذا الظهير، أن ما سلف من المعاملات بجميع أنواعها فيما قبل يوم الامر بما ذكر، حكمه ما تقدم في السكة لا يكلف أحد بزيادة، وحكم المحاجير والرشداء وبيت المال والعامة في ذلك على حد سواء ، وجميع من بذمته شيء فيما سلف، يؤديه بحساب السكة السابقة ، والعمل على هذه من الآن لما يستقبل ، ويومر جميع القضاة بذلك في جميع الايالة السعيدة، ويكون الظهير عند عامل البلد ، ومن أراد نسخة منه يمكنه منها، فإن النفوس تسكن بذلك، ويومر المحتسب برد جميع الاسعار إلى نسبة السكة ليعلم الضعفاء والاقوياء ذلك ، وان ما كانوا يدفعون فيه ريالا مثلا باثنين وثلاثين اوقية $32^1/_2$ سعرها اليوم تسع عشرة أوقية . وأما أمر التجارة البحرية فان أربابها ينزلون ثمنها، لان حسابهم بالريال، وهم يعملون به، يحسبون رأس المال وما يناسب من الربح ويشرعون في البيع وهم أحرص من المشتري على الشراء.

وهذا إذا تركت خدمة الفلوس وبقي التعامل بالفضة والذهب، ولا يبقى منها أي من الفلوس إلا ما لا بد منه لقضاء الحاجة ويرد روجانها لنسبة الريال ، وأما إن بقيت على حالها وحطت الاسعار، فجميع من اشترى شيئا يريد دفع الفلوس، وهي لا تقوم بها التجارة ولا يطيق حملها أهل الآفاق ، فيتعذر الامر ويبخل الناس بأمتعتهم ، ويحصل التعذر في البيع والشراء.

هذا ما ظهر لنا فيما أشار به مولانا أيده الله، والنظر لسيادته أدام الله علاه والسلام .
في 20 من شعبان عام 1285 .

صح به عبد ربه محمد بن المدني بنيس لطف الله به

وقد كتب النائب السلطاني السيد محمد بركاش على ذلك ما نصه :
الحمد لله

ما ذكر أعلاه مصلحته ظاهرة لاجل مساواة السكة للريال ومساواتها الاسعار والاحتفاظ على الديون القديمة في دفعها من الزيادة، لاكن لا بد من المفاوضة مع نواب الاجناس وتسليمهم لذلك لينقطع الكلام من جهتهم لما هم عليه من كثرة البحث في أمور التجارة، وظهر لي أن لسيدنا أيده الله الحق في ذلك، كما أن نواب الاجناس إن وقع تسليمهم لما ذكر وطلبوا أجلا لذلك نحو ستة أشهر على مقتضى القوانين، فيكون لهم بعد بذل المجهود في عدمه إلا لضرورة لينقطع النزاع، هذا ما ظهر لنا والسلام.
في 22 شعبان عام 1285

محمد بارقشي لطف الله به

عن أمناء الديوانات المغربية في سبع سنين 1279 ـ 1285 هـ

كانت مداخيل الديوانات المغربية (الجمارك) عن الصادرات والواردات ، من أهم ما تعتمد عليه الدولة المغربية في مصاريفها .

وكان عدد الموانئ والمراسي التي بها ديوانات رسمية مشهورة ، ثمانية مدن هي :

الدار البيضاء ، وطنجة ، وتطوان ، والعرائش ، والرباط ، وسلا ، والجديدة ، وأسفي ، والصويرة .

وكان الامناء هم الذين يقومون بقبض أموال الديوانات وحفظها وصرفها في محلها بأمر السلطان ، فكان بكل ديوانة أمينان اثنان معهما عدلان من أحسن العدول الثقات ، وكان وظيف الامانة من أهم وظائف الدولة ، فكان لا يسند إلا لمشاهير الاعيان ، وخصوصا من فاس والرباط وسلا وطنجة وتطوان .

وقد وقفت على تقييد به أسماء أمناء أهم الديوانات المغربية في سبع سنين ، من عام 1279 هـ إلى عام 1285 هـ وإني أثبته هنا حفظا للتاريخ ولاسماء العائلات التي كانت تتولى الامانة ، والمدن التي كان الامناء يختارون من بين رجالها ، ومساعدة الباحثين في موضوع الديوانات المغربية وأمنائها .

أمناء الدار البيضاء

عام 1279 هـ	الحاج محمد بن جلون من فاس
	الطالب محمد بوحد من سلا
» 1280 هـ	الحاج المدني الديوري من فاس
	الطالب محمد التازي من الرباط
» 1281 هـ	الطالب عبد الحفيظ برادة من فاس
	الحاج مصطفى جسوس من الرباط
» 1282 هـ	الحاج محمد بن عبد الرحمن الحلوي من فاس
	الطالب محمد بن العربي معنين من سلا
» 1283 هـ	الحاج عبد الكريم بن زاكور من فاس
	الحاج احمد الركراكي من الرباط
» 1284 هـ	الحاج محمد بن محمد مكوار من فاس
	الحاج مصطفى جسوس من الرباط

عام 1285 هـ الحاج عبد الرحمن أقصبي من فاس
الحاج العربي فرج من الرباط

أمناء طنجة

عام 1279 هـ الحاج بو جنان البرودي
الحاج عبد الكريم أحرضان من طنجة
» 1280 هـ الحاج محمد بن شقرون من فاس
الحاج عبد السلام أحرضان من طنجة
» 1281 هـ الحاج الطاهر بناني من فاس
الحاج محمد الغسال من طنجة
» 1282 هـ الحاج العباس بنيس من فاس
الطالب عبد السلام أحرضان من طنجة
» 1283 هـ الطالب عبد الحفيظ برادة من فاس
الحاج محمد الغسال من طنجة
» 1284 هـ الحاج محمد بن شقرون من فاس
الطالب عبد السلام أحرضان من طنجة
» 1285 هـ الحاج العربي الشراط
الطالب عبد السلام أحرضان

أمناء تطوان

عام 1279 هـ الحاج . . . . من فاس
. . . . اللبادي من تطوان
» 1280 هـ الحاج عبد المجيد بن محمد بن شقرون من فاس
الحاج محمد الر . . . . (لعله الرزيني) من تطوان
» 1281 هـ الحاج عبد . . . . من فاس
الطالب عبد الرحمن بريشة من تطوان
» 1282 هـ الطالب بلقاسم . . . .
الطالب محمد بن محمد بريشة من تطوان

عام 1283 هـ	الحاج محمد بن الكبير . . . . .
	الطالب عبد الكريم . . . . .
» 1284 هـ	الطالب عبد النبي مزور من فاس
	الحاج محمد بن محمد بريشة من تطوان
» 1285 هـ	الحاج عبد السلام جسوس
	الطالب عبد الرحمن اللبادي من تطوان

أمناء العرائش

عام 1279 هـ	الحاج ادريس بنيس من فاس
	لطالب بوعز بن ابراهيم من سلا
» 1280 هـ	الطالب عبد الكريم التازي من فاس
	الطالب محمد مرين من الرباط
» 1281 هـ	محمد بن الكبير التازي
	عبد الله ملين من الرباط
» 1282 هـ	الحاج المدني الديوري من فاس
	عبد الله حصار من سلا
» 1283 هـ	الحاج الحارثي برادة من فاس
	الحاج المكي معنين من سلا
» 1284 هـ	الحاج محمد بن عبد الوهاب بنيس من فاس
	الطالب محمد بن العربي معنين من سلا
» 1285 هـ	الحاج عبد الكريم بن زاكور من فاس
	الطالب عمر بن سعيد من سلا

أمناء الرباط وسلا

عام 1279 هـ	الحاج الطاهر بناني من فاس
	الطالب عبد القادر غنام من الرباط
» 1280 هـ	الطالب بلقاسم كنون من فاس
	عبد الخالق فرج من الرباط
» 1281 هـ	الحاج محمد بن عبد الوهاب بنيس من فاس

عام 1281 هـ	الطالب عبد القادر غنام من الرباط
» 1282 هـ	الطالب عبد الكريم التازي
	الطالب محمد الحساني من الرباط
» 1283 هـ	الحاج عبد المجيد بن شقرون من فاس
	الطالب عبد القادر غنام من الرباط
» 1284 هـ	الطالب بلقاسم كنون من فاس
	الطالب محمد غنام من الرباط
» 1285 هـ	الحاج محمد بن موسى
	الطالب عبد القادر غنام من الرباط

أمناء الجديدة

عام 1279 هـ	الطالب عبد الحفيظ برادة من فاس
	الطالب محمد عبد الله من الرباط
» 1280 هـ	الحاج محمد بن العربي القباج من فاس
	الحاج محمد الرايسي من الرباط
» 1281 هـ	الحاج بوجنان البرودي
	الحاج احمد الركراكي من الرباط
» 1282 هـ	الحاج محمد بن الكبير كنون
	الحاج احمد بوعز
» 1283 هـ	الحاج الطاهر بناني من فاس
	الحاج محمد الرايسي من الرباط
» 1284 هـ	الحاج محمد بن عبد الرزاق بن شقرون
	الطالب محمد الحساني من الرباط (1)
» 1285 هـ	الحاج محمد بن عبد الوهاب بنيس من فاس
	الطالب الطيب الغربي من الرباط

1) في شعبان توجه للخدمة بفاس وورد بدله الحاج محمد بن عبد الكبير التازي -

أمناء أسفي

عام 1279 هـ	الحاج محمد بن عبد الوهاب بنيس من فاس
	الطالب احمد بن الطيب وعزيز من أسفي
» 1280 هـ	الحاج محمد الحلوي من فاس
	الطالب الطيب الغربي من الرباط
» 1281 هـ	الحاج الحارثي برادة من فاس
	الحاج محمد الغربي من الرباط
» 1282 هـ	الحاج عبد النبي مزور من فاس
	الطالب محمد بن حساين من الرباط
» 1283 هـ	الحاج عبد الرحمن أقصبي من فاس
	الحاج العربي فرج من الرباط
» 1284 هـ	الحاج محمد الحلوي من فاس
	عبد الله حصار من سلا
» 1285 هـ	الحاج محمد كنون من فاس
	عبد الله حصار من سلا

أمناء الصويرة

عام 1279 هـ	الطالب عبد السلام جسوس من فاس
	الحاج عبد الرحمن بن الحسن من الصويرة
» 1280 هـ	الحاج محمد بن شقرون من فاس
	الطالب محمد الحساني من الرباط
» 1281 هـ	الحاج عبد الكريم القباج من فاس
	الطالب العربي فرج من الرباط
» 1282 هـ	عبد الواحد أقصبي من فاس
	الطالب عمر بن الهاشمي بن عمرو من الرباط
» 1283 هـ	الحاج العربي الشراط
	الحاج محمد بن عبد الله من الرباط

عام 1284 هـ الطالب عبد الكريم التازي
الطالب محمد التازي من الرباط
» 1285 هـ الطالب عبد الحفيظ برادة من فاس
الحاج محمد بن عبد الله من الرباط

رسائل حول مطالب اسبانيا ومشاكلها بالمغرب

زيادة على الرسائل الاسبانية السابقة التي تتعلق بقضية وسق الحبوب والصوف من المغرب إلى الخارج ، بين يدي الآن بضع عشرة رسالة أخرى صادرة من الوزير المفوض الاسباني بالمغرب، وهو القائم مقام سفير اسبانيا لدى حضرة السلطان .

وتواريخ هذه الرسائل ما بين سنة 1280 هـ 1863 م وسنة 1288 هـ 1872 م .

والشخص الذي كان يشغل الوظيف المذكور في ذلك العهد ، هو فرنثيسكو مري إي كلوم . FRANCISCO MERRY Y COLOM وموضوع تلك الرسائل في الغالب هو المطالب الاسبانية من الحكومة المغربية ، والمشاكل التي كانت تحدث للاسبانيين، لا في الاراضي الاسبانية التي كان في إمكانهم أن يقتصروا عليها فيعيشوا في هدوء وسلام واطمئنان، بل في الاراضي المغربية التي يستعمرونها بطريق الاغتصاب والاحتلال العسكري، ومع ذلك يريدون من الناس أن لا يتضايقوا من وجودهم .

وهذه الرسائل الاسبانية، لا نجد فيها من المرونة والتأدب مثل ما نجده في رسائل السفير الانجليزي الذي كان بالمغرب في نفس ذلك التاريخ ، ويظهر أن القنصل الاسباني كان في ذلك العهد ما يزال متأثراً بخمرة الانتصار الذي أحرزت عليه اسبانيا في حرب سنة الستين، وكيفما كان الامر، فإن التاريخ ينبغي أن يسجل الواقع كما هو ، والعاقل اللبيب ، لا ينسى أبداً أن دوام الحال ، من المحال .

سفير اسبانيا يطلب الانعام بعدة أملاك . . . .

وهذه رسالة كتبها الممثل الاسباني المذكور إلى حضرة السلطان يطلب منه أن ينعم على إسبانيين بعدة أملاك فى بلاد المغرب، ولا يستغرب أن يكون هذا الممثل قد طلب ذاك من النائب السلطاني مراراً فلم يلب رغبته ، جزاءً له على خشونته وعدم مراعاته لادب الخطاب ، فلما أيس منه كتب إلى السلطان مباشرة في الموضوع، وهذا نص رسالته :

الحمد لمستحقه

الحضرة المعظمة الفخيمة ، حضرة السلطان الشريفة ، بعد إهداء السلام نرغب من حضرتكم أن تنعم بدار للرهبان الاسبنيوليين فى إحدى المراسي اللواتي بين الرباط والصويرة، ونرغب أيضا من سعادتكم أن تنعم بدار بأسفي والجديدة لسكنى قناصلنا بما تناسبهم من الهمة، والديار المذكورين لا يكون كسبهم إلا لدولة اسبانيا، ونطلب من حضرتكم إنعام بعض حوانت صغار بحذاء الدار المنفذة عن إذن حضرتكم بالرباط ، لتوسعها أو تتحيفها بالبنا حسبما يحتاجون إليه ، ودولة حضرة مولاتنا السلطانة تجازي جميل حضرتكم الكريمة أفضل الجزا إن نعمتم بذلك، لان به زيادة وقار ولاتها بمملكتكم وتوضيح نية محبتكم كما كانت عند الاسلاف بالانعام للرهبان والقناصل بكثير الاملاك والتمام .

في 24 ينيه سنة 1863

الوزير الوجيه لسعادة مولاتنا سلطانة

اسبانيا قرب الحضرة الشريفة

فرنثيسكو مري وكلوم

(ثم إمضاؤه بالاسبانية)

والتاريخ المذكور يوافقه 7 محرم 1280

وهذه رسالة أخرى من الممثل الاسباني إلى النائب السلطاني حول حادثة وقعت في حدود مليلية التي هي مدينة مغربية واقعة في أقصى الشمال المغربي تحت الاحتلال الاسباني منذ عدة قرون ، وقد زعم هذا الممثل أن راية دولته قد أهينت من قبل بعض المغربيين ، وقدم بسبب ذلك عدة مطالب ينتظر من المغرب تنفيذها ويهدد بالوعيد إذا لم تنفذ تلك المطالب ، وقد كتب بذلك لوزير السلطان بالعاصمة .

وهذه الرسالة تذكرنا بالرسائل التي كان النائب السابق الخطيب يتسلمها من ممثل أخرق قبل حرب سنة الستين .

ونص الرسالة :

Legación de S. M. Católica en Marruecos

الحمد لله وحده

الفقيه العاقل وزير الامور البرانية لحضرة سلطان مراكشة السيد محمد بركَش .

بعد السؤال عنك نطلب الله تكون بخير ، هذا وإن في شأن مشافهتنا صبيحة تاريخه ، أضحنا لكم تفصيلا جميع ما وقع يوم 29 بمليلية ، ورفعنا لكم في اسم دولة سعادة مولاتنا السلطانة ، المطالب الثلاث في شأن خبر ما وقع من النقصان للسنجق الاسبنيولي وجعل التاويل الواجب لثبوت الهدنة حتى لا يثنى هذا وشبهه ، ومن غاية قوة هذه القضية ، حتم علينا توجيهها للوزير السيد الطيب بن اليماني ، ويصلك طيه هذا كتابا ترفعه له عاجلا مؤمنا ، وبه تكرير المطالب الثلاث الموجهين لكم ، دولة سعادة مولاتنا السلطانة تنظر بالتكدير تغيير الصلح والمحبة بين اسبانيا ومراكشة ، وقد أدنتنا بتسميع الحق والعدل بمراكشة عن لساننا ، وهذا الواقع المؤسي بدا به شهية دولة اسبانيا لما فيه الصلاح مع نظرة فكرها وثبت منه عمد من تعرض لجعل ما أشرنا به لحضرة السلطان ، وان بقيتم على غير سمع كلامنا ، دولة اسبانيا المعتمدة على عدم وفق نقصان همة سنجقها بضرا حتما يلزمها تطلب الجبر الواجب على وجه ءاخر ، ونطلب منكم رفع هذا للحضرة الشريفة تلحوا بوفاء مطالبنا الحقيقية عزما ، وبهذا لا غير ، تتجدد المحبة على حالتها الباطنية كما تركناها وقت إيابنا من مراكشة والسلام . في 1 شتنبر سنة 1863 .

الوزير الوجيه لحضرة سعادة مولاتنا سلطانة اسبانيا
قرب الحضرة الشريفة
فرنثيسكو مري وكلوم

ثم امضاؤه بالاسبانية .

والتاريخ المذكور يوافقه 17 ربيع الاول 1280 .

سفير اسبانيا يهدد المغرب باحتلال بلاد الريف

وهذه رسالة رسمية أخرى من الممثل الاسباني إلى النائب السلطاني ، وفيها التهديد الصريح باحتلال بلاد الريف في الحين ، إذا لم تنفذ المطالب الاسبانية حرفا حرفا ، ويزجر الريفيون زجراً يرضي الاسبانيين ، ونصها :

Legación de S. M. Católica en Marruecos

الحمد لله وحده

الفقيه العاقل وزير أمور البرانية لحضرة سلطان مراكشة السيد محمد بركّش ، السؤال عنك وعن أحوالك .

وبعد ان حالة كتب هذا قبلنا من دولة سعادة مولاتنا السلطانة ما تشير لنا به من الانهاء لكم أنه إذا دولة مراكشة لم تبادر بوفاء جميع مطالبنا الحقيقية حرفاً حرفاً ، وزجر آل الريف حتى يكون به الجبر الواجب لاسبانيا مقابلة الجسارة الصادرة من القبائل على عسكر حضرة السلطانة ، دولة اسبانيا تامر بالدخول في الريف من غير إمهال للجند المهيء للانتقال في المراكب الموجود بمالقة .

دولة اسبانيا مطمئنة أن جواب حضرة السلطان يكون موافق لمطالبنا على التمام ، وإلا فالدولة توفي بما تقدم ذكره كما يجب لها من الوقوف على عرض وهمة سنجق الاسبنيولي المهان ، وما سيحدث من الدرك القوي في هذا ، دولة اسبانيا لا شيء عليها من ذلك ، لانها ألقنت على لساننا تدبير صلاح وصواب لحضرة السلطان والتمام ،

في 19 شتنبر سنة 1863 .

الوزير الوجيه لسعادة مولاتنا سلطانة اسبانيا

قرب الحضرة الشريفة

فرنثيسكو مري وكلوم

ثم امضاؤه بالاسبانية .

Francisco Merry y Colom

والتاريخ المذكور يوافقه 5 ربيع الثاني 1280 .

مولاي العباس يعمل لحل مشكلة حدود مليلية

وهذه رسالة يظهر منها أن السلطان قد كلف أخاه مولاي العباس بمقابلة الممثل الاسباني والاتفاق معه على حل مشكلة الحدود الغربية من مدينة مليلية ، ونصها :

الحمد لله وحده

أسعد الله أوقات الشريف الارضى مولاي العباس .

بعد السلام التام ، الطيب العام ، بلغنا الاطيب كتابكم إعلاما لنا بساعة الملاقات ذلك الدليل على محبتكم ، ومن تمام تباته يكون في الساعة المذكورة بكتابكم ، عسكركم مهيئا مع بعض رؤسائه لخروجنا معهم لملاقاتكم ولا نريد الخروج مع عسكرنا ودمتم بخير والسلام .

في 6 نونبر سنة 1863 م .

الوزير الوجيه لسعادة مولاتنا سلطانة اسبانيا
قرب الحضرة الشريفة
فرنثيسكو مري وكلوم

والتاريخ المذكور يوافقه 24 جمدى الاولى 1280 .

رسالة من سفير اسبانيا عن مشكلة الحدود والمطالب الاسبانية

وهذه رسالة مطولة من السفير الاسباني إلى مولاي العباس ، وفيها زيادة بيان عن مشكلة الحدود والمطالب الاسبانية.

Legación de S. M. Católica en Marruecos

الحمد لله وحده

لمن اختصه الله في سابق علمه ، الشريف العلوي مولاي العباس ، أسعد الله أوقاته ، يليه بلغنا كتابكم وهذا جواب مطالبكم مقتفيا لما بينتم .

أوله : يجب لنا الجواب عنه أن لا نطيق تضييق الحدود ولو بالكلام ، لانها أرسموها مهندسين اسبانيا ومراكشة ورسمت شهادتها في ما وقع على وجه الجد وبمقتضى الفصل الثاني من شروط سنة 1859 المثبت بالفصل الخامس من شروط الصلح المصححة بوضع الملكين اسبانيا ومراكشة ، ولا بد من حفظ الحدود مثل ما أثبتوهم بعلامات أخر في المواضع التي غرسوا المهندسين المذكورين الاعمدة الاولى وتقلعت بنقض ما عهد بين الجانبين .

الثاني : يجب لنا الجواب لا شيرة لنا في إمضاء هذه النازلة ونطالع عليها دولة سعادة مولاتنا سلطانة اسبانيا .

الثالث : جوابنا إذا بقت الجامع التي بداخل أرضنا على أصلها ينشأ عنها مشاحنة كبيرة ، فلا بد من هدها ومن إزالة الهندي ليلا يبقون سببا للهواس، ونطلب هد وإزالة ذلك على يد مخزنكم ، ومطلبنا هذا بيد رعية السلطان دليل محبتنا فيكم حيث هذا داخل أرض حضرة السلطانة ، لنا الحرية نفعل فيه ما شئنا ، فإن لم تدعنوا لمطلبنا العادل الصالح نجعل هده على يد عسكر اسبانيا ولو بتجديد المحاربة .

الرابع : الجواب عنه أن جميع الاراضي المسلمة من أربابها الذين سياخذون الدراهم بداها ، صارت ملكا لجنس الاسبنيول ، ولا يقدر يقيم بها أحد من أربابها ، ولا يوافق على إعادة القيام بها ويبق الامر مثل ما بسبتة .

الخامس : الجواب عنه أن والي امليلية لا سجن ولا سام بمكروه أحداً ، وإنما أدب سافكين الدماء والسراق المجرمين بأرض اسبانيا وأوقف على حقوق سلطانته، فلو عامل الريف عبد الصادق أبدل جهده في الوقرف واستوفى ما بالشروط الموصى فيها أن يكون بالحدادة قائداً بعسة كافية لمنع هجوم القبائل وحفظ الصلح ، لم يجب لعامل امليلية أن يلتفت بقوة السلاح لحصول وقاره ، ولا بد أن عامل الريف يحسن سيرته في الاستقبال ويفصل المشاحنات بقصد العدل وموافقة عامل امليلية ، وإذا لم توقع الموافقة في بعض القضية يطيقوا ترديدها لنائبي اسبانيا ومراكشة بطنجة،وعامل الريف لم يوف بالشروط بانه لا يسلم الفارين على ما وفق حضرة السلطان مع جناب السلطانة.

السادس : جوابه أن دولة اسبانيا شهية كذلك رسوخ الصلح والود .

السابع : جوابه ما ذكرناه في الخامس .

الثامن : لما عامل الريف يخبر بالخوض في القبائل عامل امليلية يقوي العسة الطرفية ويامر بما يظهر له فيه مصلحة لوقار أرض حضرة السلطانة ، لاكن لا يمنع أبداً خروج سكان امليلية المفحص ، لان هذا ينقض همة جنس الاسبنيول .

هذا جوابنا عن مطالبكم ، والآن لا زلت في ثناء الطالب على وفاء الشروط وما عوهد من حضرة السلطان في مكاتبه المختوم عليها بطابعه الشريف وعلى يد وزيره السيد الطيب بن اليماني والسلام .

في 11 نوفمبر سنة 1863 .

الوزير الوجيه لسعادة مولاتنا سلطانة اسبانيا
قرب الحضرة الشريفة
فرنثيسكو مري وكلوم

ثم إمضاؤه بالاسبانية .

والتاريخ المذكور يوافقه 29 جمدى الاولى 1280 .

حول الاتفاق على حل مشكلة الحدود بين المغرب واسبانيا

وهذه رسالة من ممثل إسبانيا إلى مولاي العباس ، ونفهم منها أن الاتفاق قد تم بين الجانبين ، المغربي والاسباني ولو بصفة موقتة ، وهي وإن كانت لا تبين على أي صفة كان ذلك الاتفاق بالتدقيق ، إلا أن لهجتها تدل على أن المغرب قد اضطر لبعض التضحية في سبيل المحافظة على الهدوء والاستقرار ، والامر لله.

Legacion de S. M. Catolica en Marruecos

الحمد لله وحده

سامي الاسامي الشريف الارض (كذا) مولاي العباس .

وبعد حيث لم يتيسر لنا القدوم لحضرتكم لتعذر الحال ، وجهنا لكم بطي هاذا الثمانية فصل الذي أعرضناها عنك ، ومضمنها بمقتضى الشروط وما طلبتم منا فلنا الرجا أن تقبلوهم لاننا أحصينا جميع ما أشرتم لنا به ولا شك أن تخبرنا بموافقتكم لننقلوا النسختين ونختموهم بخط يدنا غداً وقت الزوال ، إحدى النسختان تبق تحت حفظكم والاخرى عند الفريق عامل امليلية ولا بد أن تتم هذه القضية من غير إمهال حيث أمرها ساهل غاية ، ليلا دولة اسبانيا تستغرب مع عدم موافقتنا وفصال الامر فوراً بعد ترك المسجونين من غير مكافأة ظلمهم ، وإن أردت تكتب لنا عشية تاريخه أو بكرة بالموافقة فجزيتم عنا خيرا لنحصلوا النسختين من غير انصرام المدة ونختماها غداً عند الزوال والسلام .

في 12 نوفمبر سنة 1863

الوزير الوجيه لسعادة مولاتنا سلطانة اسبانيا
الفخيمة أيد الله علاها قرب الحضرة الشريفة
فرنثيسكو مرى وكلوم
ثم إمضاؤه بالاسبانية .

والتاريخ المذكور يوافقه متم جمدى الاولى 1280

سفير اسبانيا يذهب إلى الرباط للسلام على السلطان

وهذه رسالة من ممثل اسبانيا إلى الوزير ابن اليماني يخبره فيها بوفوده على الرباط ليسلم على حضرة السلطان الخ ونصها :

Legacion de S. M. Catolica en Marruecos

الحمد لله وحده

الفقيه العلامة الاستاذ البركة وزير الحضرة الشريفة السيد الطيب ابن اليماني بعد إهداء السلام ، المتتابع طول الدوام ، نجعل في علمكم أن سعادة حضرة مولاتنا السلطانة حالة علمها بقدوم الحضرة العلية لثغر الرباط ، أمرتنا بالقدوم للثغر المذكور لنجدد عن اسمها الفخيم شهية المحبة الراسخة العظيمة عندها في الحضرة الشريفة ، حضرة سلطانة اسبانيا أمرت أيضا لاحدى فركاطتها بالقدوم للرباط لتسلم على الحضرة الشريفة وتحمدها وقصدت بهذا العمل الحالي ايعرف الخاص والعام ولا يجهله أحد أن شهية مودتنا ثابتة في حضرة السلطان وتاريخ هذا وفدت الفركاطة الموجهة على هذا المراد ، ومعها نقدم للرباط ، والمرغوب منكم تجعلوا ذلك في علم حضرة السلطان ، ولما تختبروا بقدومنا القريب عند اعتدال الحال ونتهيأ لذلك، نحبكم توضحوا لحضرته الشريفة ما لنا فيها من الاحترام ودمتم بخير والختام .

في 29 اكتبر سنة 1864

الوزير الوجيه لسعادة حضرة مولاتنا سلطانة
اسبانيا قرب الحضرة الشريفة فرنثيسكو مرى وكلوم
ثم إمضاؤه بالاسبانية

والتاريخ المذكور يوافقه 28 جمدى الاولى 1281

رسالة مجاملة من ملكة اسبانيا إلى سلطان المغرب

وهذه رسالة من الملكة الاسبانية ايسابيل الثانية ، إلى سلطان المغرب تعلمه فيها بوفاة أحد أمراء البيت المالك باسبانيا .

Legación de S. M. Católica en Marruecos

الحمد لله وحده

نسخة كتاب حضرة سلطانة اسبانيا لحضرة مراكشة ضونية اليسبات الثانية بفضل الله ومنة قوانين المملكة الاسبنيولية سلطانة كسطلية وليون وأرغون والسقلتين والمقدس ونبرة وغرناطة وطليطلة وبلنسية وكَلسية وميورقه ومنرقة واشبيلية وسردانيا وقرطبة وقرسقة ومرسية وجيان المغربية والجزر بالبحر المحيط والارض الفسحة والجزيرة الخضرا

وجبل طريق وجزر الكناريس وارتشيدكاسة التمسة ودكاسة برڤونيا وبربانتا وميلان وكنداسة ابسربورڭو والفلامنك والطيرول وبرسلونه وسيادة بسكاية وملينه وغيرهم الخ .

وهي . . . .

من له غاية الاحترام والمدح بين المسلمين سلطان مراكشة وفاس وسوس ومكناسة ، حبيبنا الصادق المعظم ، لنا غاية الاسى باعلامكم ما حل لنا من فقد عمنا وصاهرنا الارضى جناب العلي السلطني من نسل مملكة اسبانيا ضون فرنثيسكو دي پولة انطنيو وذلك بجريط ثالث عشر غشت الفارط المرجو منكم تشاركونا في النكد الوافر الواقع لنا ولابنه السلطان زوجنا السعيد الذي لم يجد عنه صبراً وكذلك أهله وقربته السلطنية حيث فقد أحد من أخير نسل مملكتنا وملحوظ عند الخاص والعام وبهذا استحسنا تجديد ثبات المحبة الخالصة والود الصادق .

حرر بثراوث ثامن عشر غشت سنة 1865 .

وهذا التاريخ يوافقه 25 ربيع الاول 1282 .

طلب إخراج فرس من المغرب ؟

وهذه رسالة من ممثل اسبانيا إلى النائب السلطاني يطلب فيها أن يسمح السلطان لاحد الاسبانيين بان يخرج من المغرب أحد الافراس المغربية إلى بلده ، ونصها :

Legación de S. M. Católica en Marruecos

الحمد لله وحده

الفقيه العاقل وزير الامور البرانية لحضرة مراكشة السيد محمد بركش ، لا زال عنك السؤال في سائر الاحوال ، نطلب الله تكون بخير .

وبعد أن رئيس علوم أهل الحرب ضون پدر ڭمس مدبييل يريد خروج فرس ، وطلب منا نكاتب حضرتكم في خروج التسريح من الحضرة الشريفة كما لا يخفى الرئيس المذكور عنها أولا وثانيا ونحن في انتظار التسريح المذكور والسلام .

في 2 شتنبر سنة 1865 .

نائب الوزير الوجيه لحضرة سلطانة اسبانيا

قرب الحضرة الشريفة

يوسف ديوسدادو

ثم امضاؤه بالاسبانية .

والتاريخ المذكور يوافقه 10 ربيع الثاني 1282 .

رسالة مجاملة اخرى من ملكة اسبانيا الى سلطان المغرب

وهذه رسالة أخرى من ملكة اسبانيا إيسابيل الثانية إلى سلطان المغرب تعلمه فيها بازدياد مواودة لدى البيت الملكي الاسباني ، وهي رسالة يظهر انها كانت كنشرة دورية يوزعها البلاط الاسباني على مختلف الدول ، دون ان تكون لها أهمية خاصة لها نتيجة مهمة ونصها :

Legacion de S. M. Catolica en Marruecos

الحمد لله

نسخة كتاب حضرة سلطانة اسبانيا لحضرة مراكشة

ضونية اليسبات الثانية بفضل الله ومنة قوانين المملكة الاسبنيولية سلطانة كسطلية وليون وأرغون والسقلتين والمقدس ونبره وغرناطة وطليطلة وبلنسية وڤلسية وميرقة ومنرقة واشبيلية وسردنية وقرطبة وقرسقة ومرسية وجيان المغربية والجزيرة الخضرة وجبل طريق وجزر الكناريس وارض الهند المشرقية والمغربية والجزر بالبحر المحيط والارض الفسحة وارتشيدودكاسة النمسة ودكاسة برڤونيا وبربانتا وميلان وكنداسة ابرسبرڤو والفلمنك والطيرول وبرسلونه وسيادة بسكاية ومولينا وغيرهم الخ.

وهي . . . . .

من له غاية الاحترام والمدح بين المسلمين سلطان مراكشة وفاس وسوس ومكناسة حبيبنا الصديق المعظم ، لنا السرور باعلامكم حيث الحضرة العلية السلطنية من نسل مملكة اسبانيا ضونية مرية اليسبات فرنثيسكة الاسسية كنداسة بريس بنت أختنا العزيزة قد زيدت عندها بثامن عشرين الشهر الفارط ولاء تاريخه بتويكنها صبية معظمة المسمية بحوض المعموية المقدس مرية أمالية بويسه الانه المرجو منكم تشاركونا فى الفرح وبهذا استحسنا تجديد ثبات المحبة الخالصة والود الصادق.

حرر بحصار سان إلدفنسو بسادس اكتبر سنة 1865.

José Diosdalo y Castillo

وذلك التاريخ يوافقه 15 جمدى الاولى 1282

سفير اسبانيا يتشكى من أجوبة النائب السلطانى

وهذه رسالة كتبها ممثل اسبانيا إلى الوزير الطيب ابن اليماني مبينا له فيها أن النائب السلطاني بطنجة أجابه عن مطالب دولته بأجوبة غير مقبولة ، لانها في نظره مخالفة للمعاهدة المعقودة بين دولتي المغرب واسبانيا. ونصها :

Legacion de S. M. Catolica en Marruecos

الحمد لله وحده

الفقيه العلامة السيد الطيب بن اليماني وزير للحضرة الشريفة أهدى السلام، يليه أن السيد محمد بركاش أخبرنا بأجوبية عن المطالب الذي طلبناها باذن دولة حضرة مولاتنا السلطانة، الاجوبية المذكورة لا توافق الشروط ولا لعقد المحبة، وقد أضحنا له في اسم دولتنا أننا لا أقبلوهم، فان قبلتهم ووجهت بهم للدولة الاسبانيولية، فينشأ منه المساحنة، دولة مراكشة انقضت ما بالفصل الخامس والسادس والسابع من شروط الصلح ، فأمعن النظر فى مطالعتهم تجد فلو كان العمل بهم من جنابكم لم يهجم على المراكب الاسبانيوليين ولم ينهبوا ولم يقتل مخزنية منا ولا يهجم المسلم الحداد على سكان امليلية دولة مراكشة بنقضها لشروط الصلح الموسومة ، كان ذلك سببا للقتل في رعية حضرة السلطانة وفي النهب للمراكب الاسبانيولية، فيجب لدولة مراكشة علاج المضرة الصادرة منها، ولينبغي لها في ذلك عن مدة يسيرة زجر الفعال مع عوض الضرر، وأنتم رأس الدولة القائمين بانفاذ الشروط المطبوعة بالطبع الشريف، وفقكم الله بفعل الخير ودفع التقليد المعلق على منع تنفيذ وفق الشروط الموسومة والمطبوعة بيد الامراء لثبات الصلح بين الايالات، ونحن للان صحبكم ولا يخفاكم قد أبدلت جهدي مدة من ثمانية سنين في أخير الصلح والود ، ولذلك جعلنا لكم هذا الاعلام السري الذي يكون هو الختام ، ووجهنا لكم هذا الرقاص مخصوصا المرجو منكم أن يأتينا بالجواب الحاسم لمطالب دولتنا والسلام .

في 20 مايو عام 1868

الموجه المخصوص المفوض بالنيابة التامة
لحضرة سعادة سلطانة اسبانيا قرب الحضرة الشريفة
فرنسيسكو مري وكلوم
ثم إمضاؤه باللغة الاسبانية

وذلك التاريخ يوافقه 27 محرم 1285

سفير اسبانيا يخشى إفلاس تجار مغربيين ؟

ولقد كان بالمغرب في عهد الامتيازات الاجنبية ، عدد من التجار الاجانب الذين كانوا يعتمدون على قناصلهم وامتيازاتهم فيتجرون مع مخالطين وتجار مغربيين مغامرين بالربى الفاحش الخارج عن القانون فتحدث بسبب ذلك مشاكل .

وهذه رسالة من ممثل اسبانيا إلى النائب السلطاني ، وفيها الخوف من إعلان بعض أولئك المغامرين للفلس فتضيع بذلك أموال التجار الاسبانيين ، ونصها :

Legación de S. M. Católica en Marruecos

الحمد لله وحده

الفقيه العاقل وزير الامور البرانية للحضرة الشريفة السيد محمد بارقش ، لا زال عنك السؤال ، نطلب الله تكون بخير وعافية .

وبعد إن خليفة قنصل اسبانيا بأسفي هذه مدة وهو يخبرنا بالغرماء المراكشية قصدهم الفلس بحيث لم يوفوا بما عليهم للتجار النصارى ، وذلك فيه ضياع عظيم للاغراض الصبنيولية ، لا شك عندنا أن حضرة السلطان تجعل الواجب لمنع الوقايع الساقطة من ظهور فلس جميع الغرماء ربما يظن وأن الحكام لهم في ذلك خطة ، وعليه التقليد يقع على دولة مراكشة ، وها نحن أخبرنا لقناصل وخلفاء قناصل اسبانيا بأن لا يقبلوا رسوم الفلس ، حتى يتضمن التحقيق لذلك من عامل الايالة التي بها الغريم ، وإن وجد في بعض الوقائع عدم التحقيق من العامل وثبت عدم الفلس من الغريم المثبت عند العامل بالفلس ، حينئذ القناصل يلزموا العامل بالاداء ، وأوصينا أيضا لقناصل اسبانيا بعدم قبول شهادة الملاطفة في المفلس على مفلس ، وعلى أن يردوا البال على سلوك الغرماء ويخبرونا بجميع ما يظهر من نية أو قصد بما لم يؤدوا ما عليهم شرعا وعلى المحبة والسلام .

في 5 غشت سنة 1870 .

المنسطر الموجه المخصوص المفوض بالنيابة التامة لاسبانيا
قرب الحضرة الشريفة
فرنسسك مري وكلوم

ثم امضاؤه بالاسبانية .

وذلك التاريخ يوافقه 7 جمادى الاولى 1287 .

عود إلى المشاكل القائمة بين اسبانيا والمغرب 1287 هـ 1870 م

وتمر سنوات لا نجد بين أيدينا شيئا مما تبودل فيها من الرسائل بين رجال الحكومة المغربية وممثل اسبانيا ، وفي سنة 1870 م نجد هذا الممثل يبعث إلى السلطان هذه الرسالة التي يتحدث فيها عن عدة مشاكل وقعت للاسبانيين في أراضي المغرب، وهي مشاكل نترك التوسع في تفصيلها لمن يتفرغ لذلك ، لان بيانها يستدعي طولا ليس هذا محله ، وما كان أغنى الاسبانيين عن هذه المشاكل وأمثالها لو أنهم بقوا في بلدهم واقتصروا على استثمار أرضهم التي فيها من الخيرات ما يكفيهم ولكنه الطمع والشره قاتلهما الله .

Legación de España en Marruecos

الحمد لله

من سفير حضرة دولة اسبانيا .

الحضرة المولية الشريفة العلوية المنيفة أبد الله علاها ونصرها وأشرق في فلك السعادة شمسها وبدرها .

وبعد فالاعلام للجانب الشريف أنه لا يخفى عليه محبة اسبانيا ودولتها لانها من صميمها ولها شدة الرغبة فيما ترتبط به حسن المخالطة الموجودة مع مراكشة مع ما تدافع به المشاجرة بين الدولتين ، ودولة حضرة وكيل سلطنية اسبانيا نظراً لما ذكرناه أمرتنا بالقصد للحضرة الشريفة ونشرحوا لها حالة بعض الدعاوي التي فصالها عاجلا فيه خير الجانبين العظيمين ، دولة اسبانيا لها الامل التام في استقامة وعدل ومحبة الحضرة العالية، ولا شك عندها أنها لم تبلغ صحة الوقائع إليها كل الدعاوي تتم وتفصل على نهج الشريعة المناسب للدولتين ، وهذه أعوام كثيرة منذ تشرفنا بالنيابة عن اسبانيا قرب الحضرة الشريفة ، وفي خلالها وقعت دعاوي صعبة جداً حسبما يقع بين الدول المجاورة التي تشركت في الاغراض الكثيرة ورعيتهما مصرين على المخالطة وجميعها تفاصلت على حسن ما ينبغي وإن صدر المنع مرة واحدة فيها فقد غاب وقت رفعنا الدعاوي للعلم الشريف ودولة حضرة وكيل سلطنية اسبانيا لها الامل أنه الآن يكون ما قد يكون قبل ولهذا تسر جداً حيث إن اسبانيا تشتهي جميع الخير للحضرة الفخيمة والسعادة كما لرعيتها أيضا .

غير خاف على حضرتكم أسماها الله ، الواقع بالصبنيوليين الثلاثة بوادي نون ووزرا الجانب الشريف واعدوا لدولة اسبانيا بفكاكهم من هناك في مدة ثلاثة أشهر ، فانصرفت ولم يحصل طائل ، فطلبوا أجلا ثانيا من أربعين يوما وأكدوها فاذعنت دولة اسبانيا لذلك ، فانصرم كذلك ولم يوف بالعهد ، وبعد ذلك طلب وزير الامور البرانية المجانب العالي في 12 شعبان قطع رجا' الصبنيوليين ليحصلوا على حسب ما يقال كان في قصدهم وقصد ولد بيروك ودولة اسبانيا أدلت بدليل ما يدل على الاستقامة السالكة فيها دائما وساعدت لما طلبه السيد محمد باركش وكتبت للاصبنيوليين بالالفاظ الواجبة وأنا وجهت لهم كتاب الدولة بنفسه وحيث وقع ذاك غاب كل سبب الامطال والمناسب الآن انتصرف الحضرة الشريفة مع حسن المخالطة بين اسبانيا ومراكشة ، هو خروج الصبنيوليين الثلاثة من وادي نون حالا في اسم دولة حضرة وكيل سلطنية اسبانيا نطلب من الحضرة العالية تامر بالاوامر الاكيدة التامة لوزرائها وعمالها ليبدلوا جهدهم بجعل جميع الواجب فيما يتوصلون به لخروج الصبنيوليين المذكورين من عند ولد بيروك ويدفعونهم صحة وسلامة بيد فنصل اسبانيا بالصويرة ، ولا يخفى على الجانب العالي أن الحق هو دائما فيما نذكروه ونقدموه بين يديكم ونعم نوكد على الحضرة الشريفة أنه مناسب للدولتين جداً لتتميم دعوة وادي نون بما يطاق من السرعة حيث مجلس الديوان الصبنيولي مشتغل بها ولما تتم القضية ، دولة اسبانيا تمنع صدور الوقائع مثل هذه وتعلم للصبنيوليين أن جميع من يذهب لوادي نون على مراده فلا حماية له من اسبانيا ولا يقع عليه طلب منها وهذا الوعد الموفى به في الاستقبال يدل للحضرة العالية غاية شهية دولة اسبانيا في منع أسباب الغيار .

وفي ليلة 4 يليه سنة 1869 هذه سبعة عشر شهراً قتل الصبنيولي كرر مرا وهو نائم وقتله وقع بداخل أرض اسبانيا بسبتة وأخذوا القتال له بعض لبهائم ووزرا' الحضرة الشريفة مع عمالها يعرفون الفعال ولا يخفى عليهم من اشترى البهائم المسروقة ، ولو بهذا كله وكررنا عليهم الطلب لم يفعل شي' ازجر الظلم الاعظم من حيث القتل وقع بارض اسبانيا ، وفي هذه الفرصة نقضت الشروط مع الشرائع المراكشية التي يتضمن بها أمن الاصبنيوليين مع حرمة حدودنا والنقض الصادر وقع من حكام جنابكم الارفع .

وبعد هذا بشهر ونصف في 29 غشت السنة المذكورة 1869 ، صدر من ا'ل الريف نقض أعظم من ذلك مع إهراق الدم أشد مما ذكرناه قبل ، فقتلوا ثلاثة من اصبنيوليين وجرحا اثنان بداخل الارض التي لاسبانيا قبلة امليلية عند ذهابهم لاخذ بقرهم وبعد ما طلقوا القتال البارود عليهم ترامو إليهم وجرحوهم بمديتهم حيث لا طاقة

لهم بالمدافعة عن نفسهم ، وفعال ذالك معروفين ولم يجعل شيء أيضا لقبضهم وللحكم عليهم .

من عدم الزجر الواقع من حكام الحضرة الشريفة لا بد بذلك الاشرار تقدم على الهجوم مع زيادتهم في القتل والسبي وهذا ما صدر في الشهور القريبة المدة ، اصبنيوليان قتلا بايالة العرائش لا يفعل شيئا لما يوفي به الشريعة، والشروط، واو علم بالقتال .

وفي ثمانية عشر شهرا قتلوا ستة من الصبنيوليين وجرحا اثنان ولا طقنا نحصل من وزراء وعمال الحضرة الشريفة على إجراء الحق - الارامل ومحاجيرهم طلبوا حماية دولة اصبانيا ، ودولة اصبانيا يجب عليها حمايتهم ، ولنجنب حالة يمكن منها صدور الدواهي الجديدة مع الغيار ، دولة حضرة وكيل سلطنية اسبانيا تطلب من الجانب الشريف بواسطتنا الظهير الشريف للوزير الامور البرانية وتامره فيه أن يتوافق معنا على اجل يسير للقبض فيه على قتال الصبنيوليين وتامره أيضا أنه إذا لم يقبض على الفعال في الاجل المذكور يجعل على قبائل الفعال غرامة كبيرة التي تدفع كعوض لارامل ومحاجير الصبنيوليين المقتولين ، ولهذا القبائل تعلم باعتبار الصبنيوليين وتمنع هجوم الاشرار ، والاجل مع قيمة العوض المذكور ، يجعل بالموافقة بين وزير الامور البرانية للحضرة السامية وبيننا .

دولة حضرة وكيل سلطنية اسبانيا طلبت من دولة مراكشة الاذن لخروج بعض عدد من البقر عن كل سنة لعسكر جزر كنارياس الذين هم أراضي كبيرة اصبنيولية وقريبا للصويرة وذلك بالصاكة الواجبة .

وزير الامور البرانية للحضرة الشريفة جعل اسبانيا غير مؤسسة لانكاره مطالب اسبانيا العادلة في هذا الشأن ، وهذه الاسباب لا تطاق قبولها .

دولة حضرة وكيل سلطنية اسبانيا نظرت في هذا السلوك انه نقض في المحبة من وزراء الحضرة الشريفة ، وأمرتنا أن نشرح للحضرة المولوية هذا الامر ليذهب العارض الذي وجد فيه الانعام والمنفعة للدولتين .

دولة حضرة وكيل سلطنية اسبانيا لها الامل أن هذه الدعوة تتفاصل على حسن البغي والمراد لما الحضرة الشريفة تعلم شهية حضرة الوكيل المذكور .

وهذه هي المطالب العادية التي تطلبها دولة حضرة وكيل سلطنية اسبانيا من الحضرة الشريفة، وقد ثبت عندنا أن الحضرة العالية تساعد لذلك وتامر بالتوجيه لنا بنسخة

من الظهير بالاوامر الشريفة إلى وزرائها إلى أن نوجه بها لدولة اسبانيا ويصفو بذلك التاثير المكار الصادر من قلة الاعتنا، مع التواني الواقع من حكام مراكشة في هذه الدعاوي .

المرجو من الحضرة الشريفة أن تقبل رسولنا السنيور ضون أنبل رنلدي المامور برفع كتابنا للمقام العالي وتنعم عليه بحسن القبول المعهود لدينا من الجناب الاسعد .

السنيور رنلدي المتوظف الاعلى بدار نيابة اسبانيا عليم باحوال هذه الدعاوي ، كلها وإن أرادت الحضرة الشريفة يشرح لها مشافهة جميع الدعاوي المذكورة فهي الخيرة ، وقصدنا في هذه الفرصة إلى الحضرة الشريفة جعلناه تاكيداً لخير المحبة والصلح الذي لا ينفصم أبداً بين اسبانيا ومراكشة ، وثناؤنا على الجانب العالي الثنا، الجميل على ما فعلته معنا من دلائل الاحسان سرمداً فالله تعلى يدوم عزه ويبارك في إيالته بوجوده والسلام عائد عليها والرحمة والبركة .

حرر بطنجة في 10 دجنبر 1870 .

المنسطر الموجه المخصوص المفوض بالنيابة التامة لاسبانيا

قرب الحضرة الشريفة

افرنسسك مري وكلم

ثم إمضاؤه بالاسبانية هكذا

Francisco Merry y Colom

(والتاريخ المذكور يوافقه 16 رمضان 1287) .

توسط سفير انجلترا لحل مشاكل اسبانيا في المغرب 1288 هـ 1871 م

والمشاكل التي تنشأ عن احتكاك الاجانب بالمغاربة المقيمين في أرضهم وديارهم ووطنهم ، يستدعي حلها أبحاثا وأوقاتا ، وأخذاً ورداً ، وهذا بيان نستفيد منه أن حكومتي المغرب واسبانيا ، قد اتفقتا على توسيط السفير الانجليزي بالمغرب ، المستر دريموند هاي لحل المشاكل القائمة بين البلدين بطريقة لا ضرر فيها ولا ضرار ، وقد بين السفير المذكور في هذا التقرير ما وقع عليه الاتفاق بين الطرفين ، المغربي والاسباني وهو اتفاق إن كانت فيه تضحية من الجانب المغربي ، فان فيه حلا لما كان بين الطرفين من مشاكل وقضايا وخلاف إلى ذلك التاريخ الذي هو سنة 1288 هـ 1871 م.

الحمد لله وحده

هذا تقييد من الفصال الصادر بين خديم سيدنا نصره الله الفقيه السيد عبد الرحمن العاجي ، وبين منسطر الاسبنيول عن مطلوبه . وبما أشار به الواضع اسمه عقب تاريخه منسطر الحضرة المولاوية سلطانة اكرت ابرطن .

أوله : في أمر نهب مركب الاسبنيول بساحل الريف ، تفاصلوا بان رئيس المركب يقدم لطنجة ويظهر بما يثبته في أمر النهب ويعطي حق الله لدى قنصوه ، وحينئذ يدفع له أمناء مرسة طنجة ريال 260 ، مع بليون 18 ، وهذا الفصال هو مثل ما كان أمر به سيدنا .

ثم في شأن تحويل واد امليلية في أرض الاسبنيول ، فقد وقع الفصال بان قائد امليلية يحول الوادي على مقصودهم في أرضهم ، والفقيه السيد الحاج عبد الرحمن العاجي كان منع في الفصال المذكور ووقع بينهما كثرة الكلام ، ولم قبل منه ذلك إلى أن تحقق أن المنع يورث منه الغير ، وذلك من نصحنا ، ولم يخفى من سيدنا أيده الله أن دولة الاسبنيول كانوا يشتكون بالضرر اللاحق لمليلية من الواد ، ومرادهم هو أن يحولوه لموضع آخر في بلادهم ، ومعلوم أن الحق معهم في دفع الضرر ، ويفعلون ما يظهر لهم في بلادهم ، ولا في ذلك ضرراً لآل الريف ، وإن كان مراد آل الريف في المنع ، فسيدنا نصره الله من عقله السديد يامر بما يندفع به قبح آل الريف ، وحيث البلاد أعطيت للاسبنيول ، فلم يكن رجوع في ذلك ، ولا يناسب الكلام لسيدنا فيها .

وأما قضية الاسبنيولي الذي أعطى الدين لاناس من آل الريف تفاصلوا بان قائد الريف وولاة الاسبنيول يبحثون في ذلك ، وإن ثبت يقبضه وهذا هو الحق اللائق .

وأما قضية الاسبنيوليين الذي خرجا من العرائش ، تفاصلوا بان سيدنا أيده الله يامر عامل العرائش بحضور المتهومين الذي يخبره بهم قونص الاسبنيول هناك ، ويكون عليهم الحكم بمجلس الشرع ، وهذا الاسبنيوليين كانا خرجا من القوانين بالسفر دون موافقة من قنصوهم والمخزن ، لكن نحن محققون أن سيدنا لم يرضى أن رعيته يقتلون الارواح ، سواء كان مسلما أو نصرانيا أو يهوديا ويقع السكوت عليهم ولم تظهر سطوة المخزن وهذا فصال سهل .

وأما في شأن معيشة امليلية فقد تفاصلوا بأن سيدنا نصره الله يوجه كتابه الشريف المعهود في ذلك للفقيه السيد الحاج عبد الرحمن العاجي ، ففيه كل خير .

وأما قضية وسق الفرشي ، قد تفاصلوا بجعل أجل لذالك من سيدنا لوسقها ، ولم في هذا ضرر إلا المنفعة لبيت المال ، نعم ففي الشروط المقررة مع جميع الاجناس كما لا يخفى من سيدنا أن لا يكون تخصيص لاجل التجار ، فلذلك ينبغي إن كان التسريح لاجل، يكون للجميع من الاجناس ، ويعلمون به من قبل .

وأما قضية تسريح ثلاثة ءالاف من البقر لدولة الاسبنيول ، فقد تفاصلوا أن سيدنا يسرح ذلك لدولة الاسبنيول لعسكره في جزور كنارية بالصاكة المعلومة من مرسة الجديدة، وقد كنا أشرنا للسيد الحاج عبد الرحمن العاجي بتسريح ذلك أمارة الخير وجبرا لخطر دولة الاسبنيول وإن ارتفع قيمة الثيران أو اقلوا فهم حينئذ لم يردون اشتراءهم، لكن سيدنا نصره الله يجبر خطرهم بهذا في المستقبل إن شاء الله ، ولو كان صدر المنع من السيد الحاج عبد الرحمن في ذلك ، فلم كانت تخرج هذه الامور كلها بخير ، حيث هذه الدولة كان مرادهم في شيء ، ونطلب من سيدنا أن لا ينقص لهم شيء من العدد المذكور أعلاه .

وأما مطلوب الثلاثين ءالاف ريال عن خمسة أرواح من الاسبنيول ، أعني ستة ءالاف لكل أحد منهم ، فقد تفاصلوا بعشرين ءالاف ريال ، والسيد الحاج عبد الرحمن العاجي كان وقع له كلام الجد ، وبلغ في ذلك ما بلغ ، ولم يسلمون العشرون ألف ريال إلى أن فعل أكثر من جهده ، وعلى شرط بأن دولة مراكش هم الذين يتفاصلون مع المقتولين من رعيتهم ، ولو ما كان قبل ذلك ووقف الامر، لكان يظهر من ذلك ما يظهر من جعل الاسترعاء والفتنة العياد بالله ، ولم يخفى من سيدنا أيده الله ، أن أحدا من ءال الريف المقتول كان هاجما حيث قتل وقت النهب ، ومثله فلم يكن عليه مطلوب، وبخلاف ذلك يظهر من شهادة كبراء امليلية أن الثلاثة عساكر من الاسبنيول الذين كانوا قتلوهم ءال الريف وقع ذلك في الوقت الذي كانوا يهرمون فيه الثيران ءال

الريف الذي وجدوهم في أرض الاسبنيول ، ومن ذلك ، الحق مع دولة الاسبنيول في الكلام عليهم ، وليس بهاجمين حيث الثيران كانوا ببلاد الاسبنيول ، وأيضا ءال الريف كان قتلوا رجلا خيالي بالغدرة ، ورجلا من ءال قبيلة أنجرة قتل اسبنيولي ءاخر بأرض سبتة بقصد النهب ، ومن هذا كله يظهر أن الحق لهم في الشكاية ، وحيث وقع التخلي من عشرة ءالاف ريال هو مثل معاوضة الرجلين المقتولين من المسلمين الذين ليس بهاجمين ، ومن ذلك نحن محققون من عقل سيدنا السديد ومن مراده في الصلح والمهادنة لجميع عباد الله ، يامر نصره الله بقبول هذا الفصال كله وتنفيذه ليلا يورث منه غير ويبقى الصلح والمهادنة مع هذه الدولة والسلام .

وفي 12 من يونيه عام 1871 المقابل 23 من ربيع الاول عام 1288 .

جان هي درمنض هي

رسالة من سفير اسبانيا إلى المندوب العاجي حول نفس المشاكل

وهذه رسالة من نفس السنيور مري المعروف بتهديداته الكيخوطية ، وهي أيضا حول مشكلة حدود مليلية وما إليها ، ولها علاقة بتقرير السفير الانجليزي السابق الذكر ، ونصها :

Legación de España en Marruecos

الحمد لله وحده

الفقيه العاقل السيد عبد الرحمن العاجي المفوض لحضرة سلطان مراكشة لفصال الدعاوي المتوقعة مع اسبانيا ، لا زال السؤال عنكم ، نطلب الله تكون بخير وعافية .

وبعد فقد وصلنا الرسم الذي وجهته لنا صبيحة تاريخه ، وفيه نسخة الاوامر الشريفة الواردة عليكم في شأن دعوة تحويل وادي امليلية مع قتل الاسبنيوليين الخمسة، وها نحن نجاوب عن الدعوتين على سبيل التفصيل .

إن دولة اسبانيا لا تعرف بحق لدولة مراكشة في بحثها على الاشغال التي تجعل بداخل أرض اسبانيا ، ولا في إعطائها الاذن لجعل الاشغال المذكورة ، وزائداً على ذلك اعلم أن حضرة السلطان بالكتاب المؤرخ في 16 شعبان عام 1286 .

قررت أن دولة اسبانيا لها الحق التام في جعلها الاشغال بتحويل الواد، وعليه نطلب من دون إمطال أكثر من ذلك، الوفاء بما اتفقنا عليه نحن وإياكم بالفصل الاول من الوفق المجعول في 11 ينيه الفارط، وذلك ما هو إلا ما تقتضيه الشروط وما أوعدته حضرة السلطان بوعدها السلطاني.

وفي شأن القتل فقد وضحنا ما فيه الكفاية بمكاتبنا، وخصوصا بالكتاب المؤرخ في 18 ابريل وأعطينا جميع ما يمكن إعطائه لشرف اسبانيا، ولا نزيد لفظاً واحداً ولا نبدل حتى جزء من أجزاء الكلمات فيما اتفقنا عليه بالفصل الثالث من الوفق المؤرخ في 11 ينيه، وننبه عليكم فقط، وقول السلطان إنه في انتظار التقاييد من قلعية وأهل أنجرة فيما يدعوا به، لا بد يكذبون في ما يقولونه مثل ما كذبوا للآن ليخفوا الجرم الصادر منهم على الصبنيول.

وفي هذا الوقت يخرجون البارود أهل الريف على مراكب الصبنيول حسبما كتبنا بذلك للسيد محمد بارقش، ليقطع هذا الشنشان.

نقرر لكم على وجه أكيد أن دولة اسبانيا معتمدة على جعل وفاء الشروط في شأن امليلية كما وعلى تحصيلها على الانصاف اللطيف الذي اتفقناه معا في شأن الصبنيوليين الخمسة المقتولين.

وكذلك نقرر لكم أنه إذا دولة مراكشة امتنعت عن وفاء الفصل الاول والفصل الثالث من الوفق المجعول بيننا وبينكم او امطلت من دون سبب أكثر من ذلك فهذا يحتم على دولة اسبانيا أن تحفظ حقوقها بجميع ما يمكنها.

وكذلك نقرر لكم أيضا أنه بالفرصة المذكورة، دولة اسبانيا ستطلب من دولة مراكشة ترجع لها جميع الدراهم التي تصيرها منذ تحرك العسكري الاول أو المركب القرصان الاول إلى أن تحصل على الحق المنكور لها من دون حق. لان العادل هو أن يكلف المصاريف من نقض الشروط وغير المحبة، ونطلب جواب واضح كافي ونجعل له أجل أربعة عشر يوما، وعلى المحبة والسلام.

في 31 يليه سنة 1871.

المنسطر المفوض لحضرة سلطان اسبانيا قرب الحضرة الشريفة

افرنسسك مري وكلوم

ثم امضاؤه بالاسبانية.

وهذا التاريخ يوافقه 13 جمدى الاولى 1288.

حل مشكلة حدود مليلية عام 1288 هـ 1872 م

وهذه رسالة من ممثل اسبانيا إلى النائب السلطاني بطنجة ، ونفهم منها أن مشكلة حدود مليلية قد حلت على الكيفية التي أرادها الاسبانيون ، وفيها اقتراح إبقاء قوة مغربية ترابط على تلك الحدود ، لتمنع أهل الريف من القيام بأي عمل يثير المشاكل من جديد .

ومن الغريب أن السنيور مري في هذه الرسالة يصف الاتفاق بأنه على أحسن وجه ، وأن كلامه فيها خال من كل تهديد وذلك نادر الوقوع .

Legacion de España en Marruecos

الحمد لله وحده

الفقيه العاقل وزير الامور البرانية للحضرة الشريفة السيد محمد بركش ، لا زال السؤال عنك نطلب الله تكون بخير وعافية .

وبعد لما تفاصلت قضية امليلية على أحسن وجه ، الواجب على الدولتين أن تجعلا الواجب لمنع إعادة الوقائع المكدرة للصلح والمحبة بينهما ، فقد كتب لنا عامل امليلية بتاريخ 24 دجنبر الفارط ، وبين لنا ما يجب لذلك ، وأنه بعد تمام أشغال الوادي وقت ذهاب النجل الشريف مولاي عبد الله ، يستوجب أن تبقى صحبة عامل الريف ثلاثمائة فارس وهو القليل ومن العدد المذكور يجب على عامل الريف أن يجعل كل يوم ثلاث عسة منهم وفي كل عسة عشرين فارسا أحدها بالمحل المسمى بأتكه والاخرى بالجبل المسمى داس كمليوس والثالثة بالدار المسمية دلمرينه ، والطلب الصادر من حاكم امليلية إنما هو وفاء لمقتضى الفصل السادس من شروط الصلح ، ونطلب في اسم دولة حضرة سلطان اسبانيا من حضرة سلطان مراكشة بواسطتكم ، أن تامر في كتابها لنجلها مولاي عبد الله وقت قيامه من هناك وتتم أشغال الوادي أن يترك صحبة عامل الريف ثلاثمائة فارس المذكورة معينة مع قوادها معتبرة ، وتامر لعامل الريف أن يجعل كل يوم ثلاث عسة وفي كل عسة عشرين فارسا ويجعلها بالمحل المعين من عامل امليلية ، ونحن في انتظار مساعدة الحضرة الشريفة لما طلبناه لخير دوام الصلح والمحبة بين الجانبين والسلام .

في 7 اناير سنة 1872 .

الموجه المخصوص المفوض بالنيابة التامة لدولة اسبانيا
قرب الحضرة الشريفة
فرنسسكو مري وكلوم

ثم امضاؤه بالاسبانية .

والتاريخ المذكور يوافقه 25 شوال 1288 .

وهذه رسالة تابعة في موضوعها للرسائل السابقة ، وخصوصا الاخيرة منها ونصها :

Legación de España en Marruecos

الحمد لله وحده .

الفقيه العاقل وزير الامور البرانية للحضرة الشريفة السيد محمد بارقش ، لا زال بالسؤال عنكم نطلب الله تكون بخير وعافية .

وبعد إن وقت كتب هذا ورد علينا تحرير من عامل امليلية وحقق لنا ذهاب النجل الشريف مولاي عبد الله من هناك بمن معه من الجند لفاس ، وكنتم عالمون بذلك على طريق السلك الوارد قبل هذا بثلاثة أيام ، حاكم امليلية لما أعلمه السيد الحاج ادريس بن ادريس بانتقال النجل الشريف متولي الاسبنيولي العاقل العارف بحالة الريف الساعي في الخير والصلح بين الجانبين ، وطلب أخيراً بقاء ما يكفي من العسة ، ويكونوا تحت يد عامل الريف لكف ما يمكن صدوره من هجم آل الريف ، فأجابه السيد الحاج ادريس المذكور أنه لا إذن له من دولته في ذلك ، وأوضح له أن حالة آل الريف مستحسنة ، وطلب منه عدم وقوف أشغال الوادي ، وذكر أنهم لا يقدرون على ترك شيئا عدا عشرين رجلا إلى الثلاثين ، عامل امليلية لحسن ظنه ساعد في دوام أشغال الوادي ، غير أن طلبنا لنطلب منكم تاكيداً توجه عدداً كافيا ويكون تحت يد عامل الريف كما طلبته منكم هذه النيابة على أن يبقى هناك عدداً كافيا بعد ذهاب النجل الشريف ، ولا شك لنا تسرعوا بالكتابة لحضرة الشريفة في هذا الشأن، وتوضحوا أعزها الله تأسس هذا الطالب كما شرحناه لكم وقت ملاقاتنا الاخيرة معكم ووضحنا لكم أن طلبنا عادل ومناسب من حيث لا يخفاكم أنه إن أمكن صدور ما يخدل على عدم الموافقة بيننا وقت دوام خدمة الوادي ، ولو كان حسن ظن عند عامل امليلية وحالة آل الريف كذلك على حسب ما ذكره السيد الحاج ادريس بن ادريس وعامل الريف ، وعلى المحبة والسلام .

في 17 ابرايل سنة 1872

خليفة المنسطر لحضرة سلطان اسبانيا قرب الحضرة الشريفة

خصي ديوزددو كستليو

ثم امضاؤه بالاسبانية .

والتاريخ المذكور يوافقه 7 حجة 1288 .

إعلام تطوان ، بوفاة السلطان عام 1290

هذه رسالة كتبها وزراء السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن إلى شيخ تطوان وبركتها الشريف الجليل سيدي عبد السلام بن ريسون معلمين فيها بوفاة السلطان المذكور وبيعة ولده الامير مولاي الحسن ، ونصها .

« محبنا وسيدنا البركة الخير الصالح الشريف سيدي عبد السلام بن ريسون سلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا نصره الله .

وبعد فإن مولانا المنصور بالله ، صار إلى عفو الله وسعة رحمته ، عظم الله أجرنا وأجركم فيه ، وأجر جميع المسلمين ، لانهم كلهم يعزون في مصيبته ، غير أنها هانت في الجملة باتفاق من يعتد به من الشرفاء إخوان سيدنا وبنيه ، ومن القضاة والعلماء الاعلام وغيرهم من أهل الحل والعقد ، على بيعة نجله وخليفته الاسعد مولانا الحسن ، نصره الله وأعزه وأسعد به المسلمين ، وحمى به الدنيا والدين ، امين .

وأعلمناكم لتكونوا من ذلك على بال وتكونوا عند الظن بكم ، وعلى المحبة طالبا منكم صالح الدعاء والسلام .

19 رجب عام 1290 .

موسى بن احمد . ادريس بن الطيب اليماني . وعبد السلام بن الطيب البقالي ومحمد بن عبد الله الصفار . الجيلاني بن حم . وعبد الله بن احمد .

جواب الشيخ عبد السلام بن ريسون لرجال الحكومة

وهذا جواب الكتاب المذكور :

أحباءنا حجاب سيدنا ووزراءه ، الفقيه الوجيه سيدي موسى بن احمد والشريف سيدي عبد السلام البقال ، والوزير الاجل سيدي ادريس ، والفقيه العلامة سيدي محمد الصفار ، والقائدين الارشدين السيد الجيلاني بن حم ، والسيد عبد الله بن احمد ، أكرمنا الله وإياكم بتقواه ، وأرشدنا وإياكم لما يحبه ويرضاه ، وسلام عليكم ورحمة الله، عن خير مولانا نصره الله .

وبعد وصلنا كتابكم معلما بوفاة سيدنا المنصور بالله ، وصيرورته إلى دار الرحمة والبقاء ، أحسن الله فيه عزاءنا وعزاءكم ، وجعل الصبر إزاءنا وإزاءكم ، وألهمنا جميعا الشكر ، وعظم لنا الاجر ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، لكن هون هذا الخطب الجليل ، ما بشرتمونا به من اجتماع الكلمة واتفاق أهل الحل والعقد على بيعة نجله وخليفته السعيد المظفر الهمام ، الذي استبشر به الاسلام ، وخفقت بعزه الاعلام ، مولانا الحسن ، أنبته الله في الخلافة النبات الحسن ، وأمده بالنصر والتمكين ، والفتح المبين ، وأدام سعادته ، وسرمد مجادته ، فنحبكم أحبكم الله ، أن تنوبوا عنا في تأدية ما يجب لمولانا ، وأن تقوموا مقامنا في تعزيته وتهنئته ، والله المسؤول أن يوجهه لما فيه الخير والسداد، وصلاح البلاد والعباد ، ويجعله مجدداً للدين في رأس هذه المائة ، بحق أسلافه الكرام، وعلى المحبة والسلام .

في 8 شعبان الابرك عام 1290 .

نصر السلطان مولاي الحسن ورسالته إلى تطوان عام 1290

كانت وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن بمدينة مراكش في 18 رجب 1290 ، وقد دفن بالمدينة المذكورة في ضريح جده مولاي علي الشريف رحم الله الجميع ، وباثر ذلك اجتمع أهل الحل والعقد وبايعوا نجله وخليفته مولاي الحسن ، وكان غائبا عن مراكش فقصدها ، وأثناء ذلك كتب إلى تطوان رسالة هذا نصها :

« الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

(ثم طابعه الخاص ونقشه ، الحسن بن أمير المومنين وفقه الله)

خدامنا أهل تطوان ، خصوصا وصيفنا الانجد القائد احمد الخضر السلاوي ، والقاضي الفقيه السيد محمد عزيمان ، والاعيان من الشرفاء والفقهاء والمجاهدين وأهل البلد كافة، وفقكم الله وأرشدكم ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد فمن المعلوم عند الخاص والعام ، أن مآل الدنيا إلى انصرام ، والعيش فيها غرور وأحلام ، والشمل فيها وإن انتظم فلا بد أن تفرقه الايام ، وكل حي لا بد له أن يشرب كأس الحمام ، فالموت سبيل درج عليها الاول والآخر ، وقضية استوى فيها العاجز والقادر ، وأن سيدنا ووالدنا ومولانا أمير المومنين ، والداب عن حوزة المسلمين ، قد اختار الله له جواراً خيراً من جواره ، وداراً خيراً من داره ، ونقله إلى محل كرامته ، ومستقر رضوانه ورحمته ، ففجعنا وفجع المسلمين بمصيبته ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، تسليما لما قدره وقضاه ، ورضى بما حتمه وأمضاه ، فآجرنا وإياكم والمسلمين فيه ، وجعله في حرز رسوله الذي يحبه ويصطفيه ، ومن هالت لديه مصيبته، فليتذكر مصيبته بسيد الاولين والآخرين ، قال تعلى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفاين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين » ، جعلنا الله وإياكم ممن استسلم لقضاه ، وعمل عملا صالحا يرضاه ، وصادفنا الحال إذ ذاك غائبين في الحركة ، فاجتمع أهل الحل والعقد من الجيش والاشراف والعلماء والاعيان من أهل الحضرة المراكشية ومن جاورها من القبائل المعتبرة ، ومن حضر بها من أعيان القبائل النائية ، وتشاوروا فيما فيه صلاح المسلمين بحقن دمائهم، وصون أموالهم وأعراضهم، فأجمع رأيهم على عقد البيعة لجانبنا العالي بالله، فعقدت على الوجه التام ، لم يختلف أحد من خاص أو عام، ووصلت إلينا فرأينا أن الله اختار لنا ما لا نختاره لانفسنا، واستعنا بالله على حمل أعبائها وعلى حوله وقوته اعتمدنا، وعليه توكلنا ، ثم تتابعت البيعات ، من كل من بلغه خبرها من سائر الجهات ،

حتى عمت هذه النواحي والبلدان ، وشمل الامن والامان ، فالناس بين غاد ورائح وصادر ووارد في هناء وسلام ، لم يتعرض أحد لاحد حتى بالكلام ، فحمدنا الله وشكرناه، وعددنا ذلك من التيسير والسعادة والحمد لله ، نسئله سبحانه أن يتم علينا وعلى المسلمين نعمته ، وأمنه وعافيته ، وأعلمناكم لتدخلوا فيما دخل فيه المسلمون ، وتعجلوا بتوجيه بيعتكم صحبة وفدكم كما هو المعهود منكم مع من درج من أسلافنا رحمهم الله ، وغير خاف عنا ما كان لكم من الشفوف والعناية منهم قدسهم الله ، لقيامكم بسد الثغور ووظيفة الجهاد ، ونحن معكم على ذلك الاثر ، وفي النية أوفى منه وأكثر ، فلا تعدمون منا بحول الله خيراً ، ولا ترون من جانبنا العالي بالله إلا إحسانا وبراً ، ونطلب الله تعلى أن يعيننا على ما حملنا من أعباء الامة ، ويجعل ولايتنا لامرهم إعزازاً ورحمة ، ويوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه ءامين والسلام .

في 26 رجب الفرد عام 1290 .

ومنه ويوم ختمه 27 حللنا بمراكشه حلول أمن وسعادة والحمد لله صح به ه .

وذكر ابن زيدان (1) انه « في ثاني شعبان بويع المترجم (يعني السلطان مولاي الحسن) بطنجة ونواحيها ، ووجهت المكاتب لتطوان معلمين لهم بوقوع البيعة والامر بالدخول في زمرة إخوانهم المسلمين حسبما وقفت على التصريح بذلك في كتاب من الحاج محمد بركاش لموسى بن احمد الحاجب السلطاني » .

وقد بايعت تطوان أيضا في اليوم التالي ، أي في ثالث شعبان المذكور كما سترى في نص بيعتها :

1) الاتحاف ج 2 ص 126 .

نص البيعة التطوانية للسلطان مولاي الحسن عام 1290

هذه هي بيعة أهل تطوان للسلطان مولاي الحسن بن محمد ، وقد رأيت بخط العلامة سيدي محمد بن الطاهر الزواقي أنها من إنشاء الشريف العلامة سيدي مفضل أفيلال وهذا نصها :

« الحمد لله الذي عظم ملكه وعز سلطانه ، وعم البرية إنعامه وإحسانه ، لا إلاه إلا هو رفع سماء وبسط أرضا ، وأعطى من شاء ما شاء فأرضى، وقدر الارزاق بسطا وقبضا ، تبارك مولانا أرسل رسوله محمداً وأولاه لواء الحمد ، وأناله من مواهب اختصاصه ما لا يحصره الحساب والعد ، صلى الله عليه وعلى آله وأسرته ، وأصحابه الذين قاموا بنصرته .

وبعد فقد ثبت عندنا بطريق الاستفاضة والخبر المتواتر ، على لسان كل وارد وصادر ، أن سيدنا أمير المومنين ، وجابر انكسار المعدمين ، المظفر المؤيد ، مولانا محمد ، قدم على ربه ، وفاز برضوان الله وقربه ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، وعظم فيه أجر الجميع ، وأحله دار المقامة في المنزل الرفيع ، كما ثبت عندنا أن ولي عهده من بعده ، لديانته وحزمه ورشده ، هو ولده الامام ، العلامة الهمام ، ذو الجود المنسكب الامطار ، والعدل المشرق الانوار ، شمس الملك وبدره ، وعين الزمان وصدره ، المولى الذي طوق المنن وأحيا السنن ، وأنبت الله حبه في القلوب النبات الحسن ، أمير المومنين مولانا الحسن ، وصل الله أسباب سعده ، كلما حلى المنابر بالدعاء لمجده ، وجعل جنود السماء من جنده ، وما النصر إلا من عنده ، فبادر إذ ذاك أهل تطوان ، مغتنمين الاجر والرضوان ، تطير بهم أجنحة السرور ، واجتمع منهم طوائف الخاصة والجمهور ، ما بين شريف ومشروف وأمير ومأمور ، وعقدوا له البيعة الوثيقة الاساس ، السعيدة بفضل الله على الناس ، البرئ عهدها من الارتياب والالتباس ، الحائزة شروط الكمال ، الضمينة حسنى العقبى ونجح الآمال ، على ما بويع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن له من الصحب والآل ، وعلى السمع والطاعة ، وملازمة السنة والجماعة ، وقد بسطوا أيديهم يستنزلون رحمة الله بالاخلاص والانابة ، وصرفوا وجوههم إلى من أمرهم بالدعاء ووعدهم بالاجابة ، يسئلونه خير ما يقضيه ، والسير على ما يرضيه ، وجهه الله لما فيه الخير والسداد ، وأرشده لما فيه صلاح البلاد والعباد ، وأمده بالمعونة والعناية والفتح المبين ، وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين ، وحرس مهجته وذاته ،

وأطال المسلمين حياته ، بجاه النبي الحبيب، الذي أنزل عليه، نصر من الله وفتح قريب، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما تعاقب الملوان ، وخصوصا أهل العقبة وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان ، شهد على من ذكر بما فيه عنهم باكمله. في ثالث شعبان الابرك عام تسعين ومائتين وألف .

عبد ربه محمد المفضل بن محمد أفيلال الحسني العلمي لطف الله به .

وعبد ربه عبد السلام بن علي بن زيسون وفقه الله .

وعبد ربه وأسير ذنبه محمد العربي بن احمد مرتيل ، لطف الله به ووفقه .

وعبد ربه محمد بن احمد النجار لطف الله به .

وعبد ربه محمد المكي بن عبد الوهاب الحسني العلمي وفقه الله .

الحمد لله أدى العدول الاربعة فثبت ، وأما العاطف (الثاني) فهو الولي الصالح الكوكب اللائح سيدي عبد السلام ابن ريسون نفعنا الله به وأعلم به عبد ربه محمد ابن علي عزيمان الله وليه ومولاه .

سفير انجلترا يكتب لمولاي العباس عن مال السلف ويخبره بأسرار ؟

وهذه رسالة كتبها المستر دريموند هاي سفير انجلترا بالمغرب إلى مولاي العباس عم السلطان الجديد مولاي الحسن ، وقد نبه فيها على المحافظة على حقوق أرباب السلف الانجليزي بدفع الاقساط المستحقة في مواعدها المحددة المتفق عليها ، وأفاده بأخبار وأسرار خاصة ، ودولية عامة ، وعرض استعداده للمكاتبة بما يتجدد من الاسرار في المستقبل . . .

وأصل هذه الرسالة ما زال محفوظا لدى عائلة مولاي العباس بمكناس ومنه نقلت ما هنا ، إلا أنه وقع فيه بعض تقطع ضاعت به كلمات جعلنا في محلها نقطا . وهذا نصها:

الحمد لله وحده

إلى سعادة الشريف الجليل مولانا العباس ، بعد السلام التام على سيادتكم والرحمة والبركة ، نسئل عنكم وعن أحوالكم كثيرا ، نطلب الله تكون بخير وعافية .

أما بعد فاعلم خيرا وأننا راجين وأن كتابنا لسيادتكم بوجه الخدمة بهذا التاريخ، فلم يكن مخالفا عن العادة ، بعد ما نحن محققون من محبتكم تعدرنا سيما نحن عارفون وأنه خلاف القوانين الكتب لاحد في الحضرة الشريفة حتى نسوع من يتعين لذلك من السلطان مولاي الحسن أيده الله ، والفقيه السيد محمد بركاش فقد أخبرنا أيضا وأنه لا زال ما ورد عليه كتاب من الحضرة الشريفة إلى الآن ، وذكر وأنه في انتظار ما يومر به قبل ما يكتب للسلطان أيده الله في أمور الخدمة ، ونحن فلم نريد نعزم على السلطان أيده الله ولا على سيادتكم في هذا الوقت في بعض الامور المعلقة إذ نحن محققون برد البال إليها وقت فراغ السلطان أيده الله من الامور المهمات في المخزانية الملزومة على سيادته الآن ، لكن فقد لزم علينا نعلم سيادتكم بأن دفع المال السلف من شهر كتبر ونونبر فقد حل دفعه ويصدر تشويش بال دولتنا وأرباب السلف إذ تقع غفلة في هذا الوقت من دولة السلطان عن وفاء ما تلازمت به ، وأيضا فأرباب السلف المذكورة يعمرون الخطيئة من عدم الاداء في الوقت المجعول ، وعدد ما يندفع في الشهرين المذكورين كتبر ونونبر قدره ريال 29،250.7.4 ريال وعدد ما يندفع في دجنبر وينابر قدره ريال أيضا ـ هذا ـ 29،250.7.4 ريال ، وهذا الحساب الاخير بمقتضى الشروط يحتاج أن يندفع لنا في يوم 16 من دجنبر أو قبله حيث هو تمام الستة أشهر ، وقد كتبنا لسيادتكم عن هذا الامر حيث الفقيه السيد محمد بركاش لم أراد الكتاب في هذا الوقت كما ذكرناه أعلاه ، وها يصل سيادتكم بطيه هذا تقييد من الامور المذكورة ، وباشرتها طالبين من سيادتكم أن تامر برد البال إليها وقت تمكن

سيادتكم عن قريب ، وسيما في قضية القبائل العدو للفرانصيص القاطنين . . . . الايالة وبجعل الحق على الخسارة الصادرة لخليفة اكرت ابراطن بآسفي عن حوس خزائنه . . .
. . . ن الثغر المذكور ، وهذه خسارة كبيرة على محل سكنى قونصو الذي دولتنا تطلب جعل الحق عن ذلك .

هذا والسيد بوبكر ابن الحاج الباشر فقد كنا عيناه نائبا سرا بمراكشة . وله الخبر بهذه الامور كلها بحيث إذا يكون لنا أمر سرا للجانب الشريف المرحوم ، فكنا نوجه به بواسطة السيد بوبكر المذكور ، ويصل سيادتكم صحبة هذا كتاب إليه نحب من جانبكم أن تمكنه به وسيستخدمه الجانب الشريف فيما تريدون ، ونحن فلم نريد مطالعة نواب الاجناس بطنجة بان بوبكر المذكور نائبنا ، ولم نذكره لاحد في طنجة ، فاننا كتبنا لسيادتكم غير لعاملها بوجه السر الذي وجهنا هذا الكتاب بواسطته ، حيث فنخش من المشقة التي يستطيع صدورها لسيادتكم من كثرة المكاتب من جميع نواب الاجناس ، وإن كتب أحد لسيادتكم فلم هو منا ، ونعلم سيادتكم سرا بان الدولة الفخيمة ألمان مرادهم في تعيين منسطر في هذه الايالة عن قريب ، ويستقر بطنجة ، واسمه بارون جيك ، وقد أمرتني دولتنا بالاعانة له عن وجه الاحسان ، ويناسب لدولة السلطان أيده الله جعل المحبة ودوامها مع دولة ألمان الذي كان جنس البروس ، وقدومه منتظرا في قريب .

هذا وأما دولة الاصبنيول لا زالت عما كانت عليه من الفتان في كل موضع بايالتها.

وضون كرلوس الذي يريد المملكة عليهم مع اثنين فرتات أخر منهم يتقاتلون مع بعضهم بعضا ، ويفسدون أمتعة بعضهم بعض ، كما وقع الشر بين مراكب الجهتين في التخم البحر ، ويظن وأن كومند شربولك الذي هو ولد السلطان الذي كان قبل الويز فلب يتولى المملكة في قريب في افرانصية .

وأما هنا الهنا والحمد لله ومركب قرصان انجليز والبعض من مراكب الاجناس قد كان توجهوا المراسي الايالة ومركب قرصان افرنصيص لا زال هنا .

وأما ٠ال المراسي فقد صدر منهم الوقوف التام لحفظ ارقاب وامتعة رعية الاجناس ، وفي الصويرة يقع النهب مرارا ولم ينف ضخول النهاب قط ، راجي من سيادتكم أن تذكر لنا صراحة كان تريد أن نكاتب سيادتكم في المستقبل وإن كان كذلك فنحب أن تعين رجلا من السلطان أيده الله أو من سيادتكم لمن نكتب في الحضرة الشريفة حين يكون عندنا ما نكتب به من الامور السرية ودمتم بخير وعلى المحبة والسلام .

وفي 22 كتبر سنة 1873 .

جان هي درمنض هي

هذا وفي ختام هذا الكتاب سمعنا بقدوم منسطر المان أعني البروص المذكور صح به.
والتاريخ المذكور يوافقه متم شعبان 1290 .

فتنة التجنيد الاجباري بتطوان عام 1292

أفادني أخي وصديقي الاستاذ الحاج محمد بنونه رحمه الله بما لخصه من رسائل كتبها الحاج محمد الصفار والحاج محمد اللبادي إلى جده للام الحاج عبد الكريم بريشه ، ومضمنه أنه في أواسط محرم سنة 1292 ، ورد على قائد تطوان كتاب سلطاني يامره بتجنيد العسكر من أهالي تطوان، فامتثل القائد الامر السلطاني وأمر المقدمين ورجال الشرطة بقبض كل من يصلح للخدمة العسكرية ، وشرعوا في تنفيذ ذلك بشدة وفوضى ، ولما جمعوا نحو خمسين شابا ، حجزوهم في مكان اختلط فيه الحابل بالنابل ، وحشدوا فيه أبناء العائلات الشريفة المعروفة مع أوباش الناس ، وانتشر الخبر في المدينة فإذا بشبانها يفرون خارجها ويتشردون في مختلف القبائل ، وبسبب ذلك وقع تشويش عظيم في البلد ، فأقفلت المصانع والمتاجر وتأخر الجبليون عن التسوق بالمدينة ، وقلق الناس على من قبض ومن لم يقبض من أبنائهم ، خصوصا وقد أشيع أنهم سيصفدون بالحديد ويرسلون إلى فاس مشيا على الاقدام ، وقد بقيت تطوان على تلك الحالة المقلقة نحو الشهر ، وأولئك الشبان محجوزون بدار الباشا والحكومة تدفع لهم ثمان موزونات في اليوم . وقد اهتم الشيخ الصالح سيدي عبد السلام بن ريسون رحمه الله بقضية أولئك الشبان المقبوضين خصوصا ، وبقضية ذلك العسكر عموما ، فتبرع على أولئك المحجوزين بمائة مثقال قسموها بينهم ، وكتب للسلطان في شأن العساكر الذين تريد الحكومة جمعهم من تطوان وطلب إبقاءهم بالمدينة .

تاليف فرقة من العسكر بتطوان . صفر 1292

وفي أواسط صفر ، ورد على القائد كتاب سلطاني آخر فجمع أعيان البلد وقرأه عليهم ، فإذا فيه أن عدد العسكر الذي يطلب جمعه ، هو مائة من أهل البادية ، ومائة من أهل تطوان ، وأن ذلك العسكر يبقى في تطوان لحراستها ، وفيه أمر الامناء بأن يدفعوا لاولئك العساكر كسوتهم ومونتهم بحسب خمس أواقي في اليوم لكل نفر ، وفيه أن رئاستهم تسند إلى الحاج عبد السلام أقلعي الرجل العارف الضابط الحازم وهو منهم وإليهم ، وأن العسكر المطلوب إرساله للحضرة العلية، هو العسكر القديم الذي كان مكونا من أخلاط الناس الخ . وقد فرح الناس بذلك وعاد الشبان الهاربون إلى بلدهم وأعمالهم ، وأصبح الانخراط في سلك الجندية اختياريا ، فتطوع بذلك عدد من الناس بدون ضغط ولا تهديد ، وجمع العدد المطلوب ممن يصلح للحياة العسكرية ويرضاها ، وبذلك انفرجت الازمة وهدأت الاحوال .

وقد ذكر الحاج محمد اللبادي أن الامناء بقوا في حيرة من أين يخرجون ثمن كسوة العسكر ومونته ، لان أمر المرسى كان متعذراً ، والخزينة كانت فارغة .

ثم إن قائد البلد راجع السلطان في أمر سفر العسكر القديم ، وكان يريد إبقاءه بالمدينة (لان عدده لم يكن كاملا) إلا أن أعيان البلد استاءوا من ذلك ، لان ذلك العسكر القديم كان من الاوباش ، وبقاءه بالمدينة يفسد أخلاق العسكر الجديد الذي تكون من طبقة معروفة ، وقد تم أمر هذا العسكر الجديد وسار به رئيسه أقلعي أحسن سيرة .

ولما كانت سنة 1294 كان في حالة استحسنها كل الناس حتى السلطان ، وقد جاء في رسالة كتبها الحاج محمد اللبادي من فاس إلى الحاج عبد الكريم بريشة بتطوان في 28 محرم سنة 1294 ما نصه :

« وأمس تاريخه قدم الهدية ولد القائد ومعه أهل تطوان ، وفي الاثر يتوجهون بالسلامة ، وكذلك العسكر . وقد أنعم سيدنا أعزه الله على الآغا الحاج عبد السلام أقلعي بفرس وسلاح مذهب ومكحلة وسكين وقبة ، وعلى قواد المائة بالخيل والاسلحة المفضضة، وعلى جميع العسكر بالكسوة ، واستحسن سيدنا العسكر وكذلك استحسنه جميع الناس » .

ولعل قضية جمع العسكر ونفور الناس من ذلك ، لم تكن قاصرة في هذا العهد على تطوان .

من ضباط وجنود الفرقة العسكرية بتطوان عام 1294

وقد وقفت في أحد دفاتر الحكومة المغربية ، على بيانات مهمة تتعلق بالفرقة العسكرية التطوانية وضباطها ، وبعسكر طنجة والعرائش ، وقد جاء في ذلك الدفتر الرسمي ما نصه :

« الحمد لله ، لما وفد على الحضرة العلية ، المحفوظة بعناية خير البرية ، أيد الله سبحانه نصرها ومجادتها ، وأيد بحفظه سيادتها ، عسكر الثغور الثلاثة المحوطة بعناية الرحيم الرحمان ، طنجة والعرائش وتطوان ، وحلاها سيدنا نصره الله ، وأدام وجوده وعلاه ، بالمكاحل والعوالي ، اللامعة بضياء اللآلي ، وأخرج ذلك من الخزين بالمشور البراني السعيد ، بباب الدار العلية ، من المدينة البيضاء فاس الجديد ، على يد القائد الحاج الجلاني بن الباشا فرجي ، فدفع منها ما دفع ، والباقي بعد الكفاية لمحله رجع ، بمحضر رئيس العسكر الاسعد ، الفقيه الارشد ، الحازم الامجد ، سيدي محمد بن الفقيه الوزير النزيه سيدي العربي الجامعي ، ودفع ذلك بمحضر شهيديه ومعاينتهما ، مع السكاكين والسيفين والمكحلتين ذاتي الجعبتين ، الخارج ذلك من عند سيدنا نصره الله ، ثم فرق ذلك على الكيفية التي ستذكر ، وتبين وتسطر ، وكان ابتداء العمل في تاسع وعشري محرم الحرام المتصل الفروط ، وتأخر الكمال إلى سادس صفر المؤرخ به عام أربعة وتسعين ومائتين وألف » .

ثم بين ما دفع لنائب عامل طنجة من المكاحل والتوافل ، وعددها مائة وثمان وعشرون مكحلة بتوافلها ، وأن قيمة كل واحدة منها عشرة ريال ، وذكر أسماء الجنود وأوصافهم .

ثم بين ما دفع للعرائش ، وقدره مائة وتسع عشرة مكحلة بتوافلها ، وذكر أسماء الجنود كذلك ، وبعد ذلك قال ما نصه :

« الحمد لله وحده .

بيان ما دفع لنائب عامل تطوان من المكاحل والتوافل ، بمحضر شهيديه ، حاز خديم المقام العالي بالله خليفة عامل تطوان السيد احمد بن سيدي محمد الطريس مائة مكحلة وخمسا وستين مكحلة بتوافلها من العدة العسكرية ، قيمة كل واحدة عشرة ريال ، لعسكر مولانا نصره الله الذي ببلد تطوان ، وهي في ذمة الخليفة وماله ـ عددها 166 ـ

الحمد لله بيان من حاز العدة أعلاه من الخليفة أعلاه بمحضر من سيذكر بعده ، وهو الاغى الاشيب الحاج عبد السلام أوياسين أقلعي ، وقائد المائة الاولى ، سيدي محمد ابن الراضي شقور ، شاب طويل بجانب أنفه يساراً خال كبير ، وقائد المائة الثانية احمد ابن سلام الدراوي ، شاب طويل مفلج بشفته العليا جرح ، والتزم الاغى المذكور للخليفة أعلاه بما يحوزه من إلى نظره من العسكر الذي سيذكر ، كما التزم قائدا المائتين كل واحد عن مائته بما تحوزه من العدة بعد معرفتهم بقيمتها .

وقيد في سادس صفر عام 1294 » .

ثم سطر أسماء جنود المائة الاولى مع أوصافهم ، ثم المائة الثانية كذلك ، والجميع 165 جنديا ، ثم قال ما نصه :

« الحمد لله تقييد ما حازه الخليفة السيد احمد بن سيدي محمد الطريس المذكور يمنته زيادة على ما ذكر أعلاه ويمنته ، وهي مكحلة بجعبتين ، وسيف وعشر سكاكين، فالمكحلة والسيف لأغا العسكر ، والسكاكين واحدة لخليفة الاغا العربي ابن الحاج احمد حدادو طويل متصل أسوده ، وأخرى لقائد المائة الاولى سيدي محمد بن الراضي شقور ، وأخرى لملازمها الاول سيدي محمد بن احمد النجار ، شاب متصل أشهل ، وأخرى لملازمها الثاني احمد بن سيدي محمد العمارتي ، شاب للبياض حديث النبات مقرون الحاجبين ، وأخرى لباش شاوش عبد الكريم بن الحسن الشريف ، وأخرى لقائد المائة الثانية احمد بن عبد السلام الدراوي ، وأخرى لملازمها الاول سيدي محمد بن احمد بن الازرق ، طويل شاب متصل أسوده للزهرة ، وأخرى للملازم الثاني أحمد بن محمد أقلعي للبياض حديث النبات رقيق الحاجبين ، وأخرى لباش شاوش سيدي محمد بن عبد الله سلاف ، متصل ربعة ، وأخرى المحراب سيدي محمد بن ابراهيم القرواني شاب أعين بموجب أسيل للبياض اجتمع سكاكين 10 .

الحمد لله معاينة حاز الخليفة أعلاه عشر سكاكين والمكحلة ذات الجعبتين والسيف لماله وذمته ، ودفع المكحلة والسيف لأغا العسكر الحاج عبد السلام أقلعي ، كما دفع السكاكين لمن ذكر أعلاه يليه ، بعد معرفته بأن قيمة المكحلة ، ثلاثون ريالا والسيف عشرة ريال ، وقيمة كل سكين خمسة ريال ، فمن حضر لحيازة المكاحل والتوافل والسكاكين وتفريقها وشهد على من ذكر بما ذكر ، قيده شاهداً به في سادس صفر الخير عام أربعة وتسعين ومائتين وألف (هنا علامتا عدلين لم يبين اسما صاحبيهما) .

وعند تصفحنا لاسماء الجنود ، وجدنا من بينها أسماء أفراد من عائلات تطوانية نذكر من بينها ما يلي :

محمد بن عبد السلام زرقيق	محمد بن الحسن بن رحمون
العربي بن الحاج عبد الله بن يسف	احمد بن محمد الجحرة
محمد بن احمد شنا	علي بن عبد الكريم المرابط
محمد بن محمد بايصه	عبد الباقي حيون
عبد الرحمن السلاوي	محمد بن محمد العلوي
عبد الرحمن بن احمد الهاني	سلام بن العربي بايصة
محمد بن احمد عزيمان	محمد بن عبد الله رمضان
عبد السلام بن أحمد العرود	محمد بن عبد المالك الخلادي
احمد بن محمد البروبي	عبد السلام بن محمد الفتوح
عبد الكريم مزروع	محمد احمد النجار
عبد السلام بن محمد الجمال	احمد بن الطيب غيلان
عبد الكريم بن الحسن الصبان	عبد الرحمن خريف
عبد السلام بن محمد صيدون	الهاشمي بن الحاج احمد الزكاري
احمد بن قاسم حيون	علي زيوان
عبد الله بن محمد البراق	عبد الله جبور
عبد الرحمن بن احمد التومي	عبد السلام بن ابراهيم زرقيق
محمد بن محمد بن عبد الوهاب	العربي السراج
محمد بن عبد الرحمن الحسكي	عبد السلام بن عبد الرحمن بن رقاد
احمد بن عبد الرحمن اليعقوبي	محمد بن المهدي بن قريش
علي بن محمد شقور	محمد بن محمد الزواق الخ الخ

وهذه العائلات ، كلها - أو على الاقل جلها - من العائلات المعروفة ، ما بين عربية أندلسية ، ومغربية فاسية وريفية وجبلية وغيرها ، وذلك يدل على أن الناس لم ينفروا من أصل الجندية الشريفة ، وإنما تذمروا من الصفة التي كانت السلطة تجمع بها الشبان تحت الضغط والاكراه كما يجمع اللصوص والمجرمون ، كما أنهم كانوا يانفون من أن يحشروا في زمرة الجنود المرتزقة الذين كان جلهم في ذلك العهد من المتشردين والسقطاء والاسافل الذين لا تربية لهيهم ولا أخلاق ولا مظهر ولا مخبر، فلما زال الضغط والاكراه وفتح باب التطوع ، أقبل عدد من الناس على التجند إقبالا ، وحصلت النتيجة وكانت الفائدة للجميع .

والحقيقة أن الجندية الشريفة التي يخدم الشخص فيها وطنه ويحفظ شرفه ، ويؤيد دولته العادلة لمصلحة الامة والشعب ، ولحفظ الامن ونصرة الحق والعدل ، كان العقلاء وما زالوا يعدونها من أشرف الاعمال وأجل الخدمات ، وينبغي أن تعد لدى جميع الطبقات من الواجبات المقدسة على كل وطني غيور على سمعة وطنه .

صحيح أنه قد مر وقت كانت فيه الجندية عندنا سبة وعارا على من ينخرط في سلكها ، وذلك عند ما كان الاجانب المستعمرون يجندون الناس لتثبيت قدم الاستعمار في بلادنا وبلاد إخواننا ، بقتال المجاهدين الذين يدافعون عن الوطن ويقفون في وجه استيلاء الاجانب عليه ، ولكن ذلك العهد قد مضى وانقضى ولا أعاده الله .

أما الآن فان الجندية شرف ومجد ، ما دامت تخدم الوطن المحبوب بالحق والعدل والمصلحة العامة الوطنية ، لا السياسات الضيقة الحزبية ، ولا التعصبات المتزمتة العنصرية ، ولا المصالح الشخصية الاستغلالية ، وفق الله الدولة والشعب لما فيه مصلحة الجميع .

القائد السلاوي يستوصي خيراً بوفود العيد عام 1291

وهذه رسالة كتبها القائد السلاوي إلى الامين الحاج عبد الكريم بريشة يستوصيه خيرا بالوفد التطواني الذي ذهب إلى العاصمة لتهنئة السلطان بالعيد ودفع مال الزكاة، ونصها :

« الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

عوض ولدنا وأمين سيدنا التاجر الارضى السيد الحاج عبد الكريم ابريشة ، أعانك الله ورعاك وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا نصره الله .

وبعد فعيدكم مبارك سعيد ، أعاده الله على المسلمين بوافر الخيرات ، وأنواع الافراح والمسرات ، هذا والمؤكد به عليك أن تستوصي خيرا بأصحابنا العيادة والحاملين لمال الزكاة ، وأن تتولى قبوله بنفسك حتى يحل محله كما هو الظن بك ، مسلما على محل ولدنا صهركم الامين السيد الحاج محمد اللبادي وجميع الاحباء ، والاهل والاخوان كلهم بخير ، يسلمون عليك ، والمولى سبحانه يحفظكم ويرعاكم ، وعلى المحبة التامة والسلام .

في مهل ذي الحجة الحرام عام 1291 .

أحمد الخضر أمنه الله

قائد تطوان يرسل جزية اليهود إلى السلطان . 1292

وهذه رسالة أخرى مثلها إلا أن المال المدفوع فيها هو مال جزية اليهود الخ ونصها بعد الحمدلة والتصلية :

عوض ولدنا وصفي ودنا أمين سيدنا التاجر الارضى السيد الحاج عبد الكريم ابريشة أعانك الله ، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا أيده الله .

وبعد فعيدكم مبارك سعيد أعاده الله على المسلمين بوافر الخيرات ، وأنواع الافراح والمسرات ، هذا والمؤكد على سيادتك أن تستوصي خيراً بأصحابنا وأن تتولى بنفسك قبول مال الجزية حتى يحل محله . فإن حسابه صحيح وسكته سالمة كما هو الظن بك ، والاهل والاخوان كلهم بخير يسلمون عليك كما هو خبر بركتنا فقد توجه لاقامة الموسم الجليل بزاوية أسلافه الكرام على عادته نفعنا الله وإياكم ببركاته (يعني به الشيخ سيدي عبد السلام بن ريسون رحمه الله) والمولى سبحانه يحفظكم ويرعاكم وعلى المحبة التامة والسلام .

في غرة ربيع النبوي الانور عام 1292 .

مسلما عليك النجل والكاتب .

احمد الخضر السلاوي أمنه الله

الملابس التي كانت تهدى لوفود الاعياد بالمغرب

وعلى ذكر الوفود التي كان السلاوي قائد تطوان يرسلها إلى العاصمة المغربية ، لتهنئة السلطان بمناسبة الاعياد الرسمية الثلاثة التي هي عيد الفطر وعيد الاضحى وعيد المولد النبوي ، نذكر هنا أن العادة كانت جارية بأن رجال تلك الوفود تقدم إليهم - على سبيل الهدية - ملابس محترمة يدفع أثمانها أمناء السلطان بتطوان .

كما أن العادة كانت جارية أيضا بأن جميع الوفود التي ترد على حضرة السلطان من مختلف مدن المغرب وقبائله لتهنئته في المناسبات المذكورة ، كانت تهدى إلى رجالها ملابس من ذلك القبيل ، وقد وقفت على تقييد رسمي كتبه أحد رجال الحكومة المغربية ، وفيه بيان ما كانت عليه العادة في ذلك على عهد السلطان مولاي عبد الرحمن وابنه السلطان سيدي محمد ، والتقييد المذكور هذا نصه :

« الحمد لله تقييد ما كان عليه عمل مولانا المقدس بالله في كسوة العيادة حيث يكون بمراكش .

أهل فاس ، يكسون بها بملف وكتان .

أهل تطوان وطنجة والعرائش ، كل منهم يكسى ببلده بملف وكتان .

وأهل سلا والرباط ، بها مخيطة بملفها وكتانها .

وأهل آسفي ببلادهم .

وأهل ازمور بالجديدة .

وعيادة البرابر وأهل الغرب وبني حسن ، يكسون بالرباط بأدرع 25 من الكتان وقيمة الخياطة ، ويميز مقدم كل طائفة بأدرع 4 من مكرانة .

والمخازنية لا يكسون في الاعياد ، لانهم يكسون حين يكسى الجيش .

ويقبض الجميع هنا معونة السفر .

وعيادة أهل مكناسة والجيش ، كانوا في أول الامر يكسون كغيرهم بالرباط ، ثم كتب لمولانا بأنهم لا يوجهون إلا المكارى ، فوقع التغافل عن كسوتهم .

وعلى هذا كان عمل مولانا المنصور بالله لما كان هنا بمراكش عام 1278 هـ .

المسلمون الذين كانوا في حماية اسبانيا بتطوان عام 1292

مسألة الحماية مسألة طويلة عريضة ، ولها فصول وذيول ربما بسطنا فيها القول في إحدى المناسبات ، وكان عمال المدن لا يستغنون عن معرفة الاشخاص الذين تحميهم الدول الاجنبية ، لان معاملتهم كانت تختلف عن معاملة غيرهم ، وقد وقفت في أوراق القائد محمد بن احمد الحضر السلاوي على لائحة المسلمين الذين كانوا في حماية اسبانيا عام 1292 ، وهم أشخاص سبعة ، خمسة رجال وامرأتان وهذه أسماؤهم :

الحاج عبد القادر العطار

احمد اللبادي

العربي صالص

احمد جبور

عبد الله الصبان

ام كلثوم زوجة الفقيه ماشان

ام كلثوم زوجة الحاج احمد أبعير

واللائحة المذكورة مكتوبة في سادس يناير سنة 1876 م (1292 هـ) .

حالة القائد احمد السلاوي بتطوان ووفاته بها عام 1296

بعد أن ذكر أستاذنا الرهوني أن القائد السلاوي فوض الامر لخليفته القائد محمد الغفياني قال :

فانه « أي القائد السلاوي » احتجب في داره لقراءة الحديث من صحيح البخاري وغيره ومحادثة أهل خصوصيته وتلاوة القرءان ودلائل الخيرات ، وإنفاق ما يمطره عليه الخليفة الغفياني من مدخولات العمالة ، إلى أن قضى نحبه فجأة بعد صلاة عشاء يوم الثلاثاء سادس محرم الحرام عام 1296 وسنه 85 سنة ، ومدة ولايته اثنا عشر عاما وتسعة أشهر ، ثم ذكر أنه دفن بالزاوية الريسونية ، وأنه سبق له أن تولى بفاس ومكناس رحمه الله .

« قلت » كانت نشأة القائد المذكور بتطوان وبها توفيت والدته ، وقد قدر له أن يموت هو بها أيضا في التاريخ المذكور رحمه الله .

ولاية القائد محمد بن احمد السلاوي على تطوان عام 1296

ذكر أستاذنا الرهوني أنه لما توفي القائد احمد الخضر بن محمد السلاوي عام 1296 ، ولى السلطان مكانه ولده محمداً ، وقد وصفه بقوله :

« القائد الانجد ، الباشا الاسعد ، الخير الدين السيد محمد الكبير ، تولى في محل أبيه عند ما توفي، ودخل تطوان عاملا عليها وعلى عمالتها واتبع سيرة أبيه في تفويض الامور للخليفة الغفياني والاشتغال بما يعنيه الخ .

وقد ذكر لي أخونا الاستاذ محمد بنونة أن أصحاب شيخ تطوان سيدي عبد السلام بن ريسون رحمه الله كانوا مسرورين بل كانوا يعملون من قريب أو بعيد لتولى محمد بن أحمد الخضر المذكور لعمالة هذه المدينة ، وقد جاء في رسالة كتبها الحاج محمد اللبادي من مراكش إلى الحاج عبد الكريم بريشة بتطوان في 16 صفر 1296 ما يلي :

واعلم أن سيدنا نصره الله عين سيدي محمد بن احمد الخضر السلاوي لباشوية تطوان مكان أبيه المتوفى وقد تشرف بمقابلة سيدنا وأنعم عليه بكسوة وفرس بسرج مذهب ، وبعد قليل يتوجه بالسلامة ، وقد فرحنا بتوليته ، لانه على كل حال يعرف أهل البلد وهم يعرفونه ، فلا بد سلم على سيدنا رضي الله عنه ونب عنا في تهنئته بالقائد الجديد الخ .

وقد وقفت على مجموعة تقاييد بخط صديقنا المرحوم السيد محمد ابن القائد محمد السلاوي المذكور ، وفيها أن جده الباشا أحمد الخضر توفى في التاريخ الذي ذكره أستاذنا الرهوني ، انما ذكر أن اليوم كان يوم أربعاء ، أي إن دفنه كان يوم الاربعاء ، وأن والده لم يتريث إلا ريثما كملت أيام الجنازة، ثم سافر إلى حضرة السلطان بمراكش، فلم تطل غيبته إلا لاواسط ربيع النبوي ثم آب متوليا وظيف والده وبيده الاوامر السلطانية بذلك .

ثم أكد في محل آخر أن ولاية والده على تطوان كانت في ربيع النبوي من هذا العام (1296) يعني أن وصول والده لتطوان بصفة وال عليها كان في ذلك التاريخ ، أما تاريخ توليته فقد سبق ذلك بنحو الشهر كما يستفاد من رسالة بريشة السابقة .

مرتب قائد تطوان من مستفاد مينائها

وهذه رسالة سلطانية بإقرار القائد الجديد على قبض مرتبه الشهري من مستفاد المرسى ونصها :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

ثم الطابع السلطاني ونقشه: « الحسن بن محمد وفقه الله »

أقررنا بحول الله ماسكه وصيفنا القائد محمد بن احمد الخضر السلاوي على قبض المرتب الشهري الذي كان يقبضه والده من مستفاد مرسى تطوان ، فنامر أمناءها أن يكونوا يدفعونه له والسلام .

في 22 من صفر عام 1296 .

الاذن للقائد بالتوسع من الذعائر 1296

وهذه رسالة ياذن السلطان فيها للقائد بأن يتوسع من الذعائر أي الغرامات المالية التي يفرضها على الناس على سبيل العقاب ، إذا كان مبلغها طفيفا الخ . وإلا فبيت المال أحق بها ونصها :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

ثم الطابع الرسمي ونقشه : « الحسن بن محمد وفقه الله »

أذنا بحول الله لماسكه وصيفنا القائد محمد بن احمد الخضر السلاوي في التوسع من الذعائر التي يقبضها من إيالته ، بالذعيرة التي تكون من العشرين مثقالا فما دون ، وأما التي تكون فوق العشرين مثقالا فيثبتها بكناش المخزن الذي بيد أمناء المرسى والسلام .

في 22 من صفر الخير عام 1296 .

اعتناء السلطان بنظافة تطوان عام 1296

وهذه رسالة من السلطان مولاي الحسن إلى أمناء تطوان يامرهم فيها بالاعتناء بنظافة المدينة وبتخصيص مداخيل المجزر لمصاريف النظافة ، ونص الرسالة بعد الافتتاح العادي والطابع الذي نقشه ، الحسن بن محمد وفقه الله .

« خدامنا الارضين أمناء تطوان ، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته.

وبعد فقد رفع لحضرتنا العالية بالله ، الاعلام بتكاثر الازبال والقذرات بالطرق ، ولا ينبغي السكوت عنها ، فإن الدين مبني على النظافة ، مع ما ينشأ عن التغافل عنها من الوخم وفساد الهواء ، وقد كنا عينا للتنظيف مستفاد الجزرات ، وأمرنا بصرفه فيه ، ثم إنه لا يصرف في ذلك على ما ينبغي ، ويقع فيه ما يقع ، وعليه فنامركم أن تقوموا على ساق الجد في ضبط ذلك على ما ينبغي ، وتعينوا رجلا حازما ضابطا يقف عليه على يد المحتسب ، وتتعاهدوه بأنفسكم ، وكل ما يدخل في مستفاد المجزرة يبقى مقابلا للتنظيف ، وقد كتبنا للعامل والمحتسب بذلك وبشد العضد فيه وتعاهده والسلام .

في 10 ربيع الاول عام 1296 .

رسالة من وزير الطليان ، إلى قائد تطوان

وهذه رسالة من نائب دولة ايطاليا بالمغرب إلى قائد تطوان ، ومنها نرى كيف كانت المعاملة بين الطرفين، ونصها :

الحمد لله وحده

حبنا القائد محمد بن القايد المرحوم سيدي احمد الخضر السلام عليك والرحمة نطلب الله تكون بخير .

وبعد فقد كنت كتبت لك وقت سفرك للحضرة الشريفة ومن حسن محبتك لنا كتبتنا وأخبرتنا بتوجهك وأجبتك في الحين ، وقد عز بنا كثيراً خبر موت والدك الذي كنت تحبه غاية المحبة ، وقد نجدد السلام عليك بمجيئك لمحلك وتوليتك في محل أبيك ببلاد تطوان ونواحيها ، وتحققى أنك تسير سيرة أبيك في قبض الحق وفعل الاحسان لأنني نعرف أنك كنت مرضي عند أبيك ، والآن نطلب منك الوقوف في أمور رعيتنا ومحميتنا على ما يصدر هناك في جميع ولايتك ، لاني لم عندي هناك أحد في حمايتي عدى الذمي موسى بن شتريت ولا أحد هناك غيره سوى من ياتي من الطليانيين مسافراً تقف مع من أتى كأنك أنت القنصل عليهم ، فنطلب منك الوقوف في أمر السيد أحمد البقاش الذي تقدم إليك الكتاب عليه من القائد عبد الصادق وأتحقق بوقوفك على الحق ، وأن الرجل الذي وجدوا عنده الاثنان من البقر لم هو رجل خير ، لان من كان ثقة لم يشتري البقر المسروق ، وبعمله يبين أن له أيد مع السراق ، ويظهر منه أن عنده اللومة حيث لم يبين اسم البائع له ، وقال اشترى من رجل سعيد ، والرجل الذي هو تحت يديك بالسجن يدري ولو قابلت كلامه أي الزرقيق الذي قال إنه اشترى من السعيدي وبالسجن المدري يعرف أن الزرقيق كذاب ، وعليها نحن محقق اذا لم يكن الاربعة البقرات متاع البقاش بيد زرقيق فهو موافق مع السراق الذي يشتري منهم ليربح كثيراً فيما يسرق من بهائم الناس ، ومن جهة أخرى يظهر أنه شريك معهم ، ومن الواجب عليه يخلص الاربع البقرات الذي يخص مما نهب ، وعلى المحبة والسلام .

في 16 أبريل عام 1879 موافق 28 ربيع الثاني عام 1296 .

(الامضاء . . . . . .)

منيسطر لجانب سلطان الطليان بايالة مراكشة

قائد تطوان ينبه القنصل الانجليزي 1299

وهذه رسالة كتبها القنصل الانجليزي بتطوان لقائد المدينة ، وهي جواب عن رسالة كتبها إليه القائد المذكور ، ومضمنها يعرف من هذا الجواب ، ونصها :

الحمد لله محبنا الساعي في مصالح الرعية القائد الاسعد الباشا سيدي محمد .

بعد إهداء السلام ، مع ما يجب لك من التعظيم والاحترام ، فقد بلغنا كتابك المؤرخ في 27 صفر الفارط مخبراً فيه بأنك تيقنت أن أناسا من إيالتنا يبيتون خارج البلد ، وبعضهم يتأخر حتى تسد الباب ، وذلك من غير علم منك ومنا الخ . ما ذكرت فاعلم وأننا نطلب منك تعيينهم لنكون منهم على بال ، ونمنعهم من مثل هذه الفعال ، لان ذلك لا يصلح بنا ولا بكم، وها نحن نعمل المجهود في كفهم وكف أمثالهم من إيالتنا والحث على أن لا يعودوا لمثل ذلك والسلام .

في 18 ربيع الاول عام 1299 .

السلطان يامر بالاحتراس وخصوصا في شأن الاجانب . 1299

وهذه رسالة يامر السلطان فيها قائد تطوان بالحزم والتيقظ والاحتياط ، وخصوصا في شأن الاجانب ، الذين طالما جلبت قضاياهم المشاكل والمصائب ، ونصها :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

ثم طابع السلطان مولاي الحسن ونقشه « الحسن بن محمد الله وليه ومولاه »

وصيفنا الارضى القائد محمد بن الخضر السلاوي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد فبوصول كتابنا هذا إليك ، نامرك أن تقوم على ساق في ضبط أمر عسة المخزن المعتادة على مخازن التجار هناك ، وتتكلم مع قناصل الاجناس يردون بالهم لكون الناس لحقتهم الخصاصة والحاجة في هذا الوقت ، ولا يبالون بارتكاب الامور الذميمة ، لان الخلة ، تدعو إلى السلة ، جبر الله كسر عباده وأجراهم على عوائد بره الوفي ، واطفه الخفي ، وأن يامروا رعيتهم وأهل حمايتهم بأن لا يخرج أحد منهم من المدينة للبادية بقصد السفر إلا مع صاحبك ، وإذا خرج معه فاكتب لعمال طريقه حتى لا ينتقل إلا من يد في يد ، رعاية لحال الوقت ، وأن يتركوا السفر في البكور والغروب كما هو القانون في ذلك ، وإلا فمن خرج بدون صاحبك أو سافر في الغلس أو في الغروب ووقع له آفات فيكون دركه على نفسه ، ورد بالك أنت كذلك في ذلك كله . واعمل ما يتعين عليك فيه من الحزم والضبط والسلام .

في 21 جمدى الثانية عام 1299 .

زكاة المال والحبوب بتطوان، ترسل إلى السلطان

وقفت على عدة رسائل رسمية (1) تفيد أن تطوان كانت ترسل زكاة حبوبها إلى حضرة السلطان في كل سنة، ودونك بيان ذلك :

جاء في رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (بطابعه الرسمي) إلى قائد تطوان السيد أحمد الخضر السلاوي بتاريخ 18 ربيع النبوي سنة 1290 ما نصه :

. . . وأنك وجهت زكاة الايالة واصلة لولدنا الارضى مولاي اسماعيل كما أمرناك . . . أصلحك الله . . . الخ .

وفي رسالة من الوزير محمد بن العربي بن المختار إلى قائد تطوان السيد محمد بن احمد الخضر السلاوي بتاريخ 12 ذي الحجة الحرام سنة 1296 . . . كما أعلمت بأنك وجهت من ينوب عنك في دفع أعشار فلاحة أهل تطوان لخال سيدنا العربي والد أب محمد . . . الخ .

وفي رسالة من السلطان مولاي الحسن (بطابعه الرسمي) إلى القائد محمد السلاوي المذكور بتاريخ 21 دي الحجة الحرام عام 1296 . . .

وبعد فقد وصل كتابك مخبراً بأنك وجهت من ينوب عنك في دفع أعشار سنة تاريخه بين قمح وشعير، فقد دفع ذلك وحل محله عوضكم الله خلفا وبركة الخ .

وفي رسالة أخرى (كذلك) بتاريخ 15 ربيع النبوي عام 1297 . . .

وصلنا كتابك بأنك وجهت ثلاثة آلاف مثقال مال الزكاة الباقي بذمة إيالتك، وأن الواجب فيها من الريال سوم 32 ونصف . 924 ريال الخ .

وفي رسالة أخرى (كذلك) بتاريخ 25 ذي الحجة الحرام عام 1297 . . .

وبعد وصلنا كتابك مخبراً بأنك وجهت مائة وعشرين مداً قمحا ومائتي مد شعيراً عشر فلاحي أهل تطوان عن عام تاريخه، فقد وصلت وحلت محلها أصلحك الله وعوضكم خلفا والسلام .

وفي رسالة أخرى (كذلك) بتاريخ 16 ربيع النبوي عام 1298 .

. . . وصل كتابك مخبراً بأنك وجهت ثلاثة آلاف مثقال . . . زكاة إيالتك عن سنة 1297 الخ .

---

1) هذه الرسائل كلها مع رسائل الجزية الآتية، ما تزال أصولها محفوظة لدى صديقنا الاستاذ احمد الخضر السلاوي من حفدة قائد تطوان، وقد أخذت نسخا منها في زيارتي له بمكناس أوائل عام 1368 .

وفي رسالة من مولاي اسماعيل ابن أمير المومنين إلى قائد تطوان السيد محمد ابن احمد الخضر السلاوي بتاريخ ثاني ربيع النبوي عام 1299 . . .

وبعد فقد بلغنا كتابك معلما فيه بتوجيه عشور إيالتك من قمح وشعير ، فقد أمرنا خال مولانا الباشا العربي ولد اب محمد الشرقي بحيازة ذلك ، وحاز من ذلك مائة مد واحدة من القمح ومائتين وعشرين مداً من الشعير إلى محله المعتاد ، وقد أطلعنا علم مولانا نصره الله بذلك ، كثر الله خيركم وبارك لكم وعوضكم خلفا والسلام .

وفي رسالة من السلطان مولاي الحسن إلى القائد السلاوي المذكور بتاريخ 22 ربيع النبوي عام 1299 .

. . . وصلنا كتابك بأنك وجهت ثلاثة آلاف مثقال زكاة إيالتك الخ . وأخبرت أن أعشار الحبوب وصلت للخزين السعيد على يد مولاي اسماعيل . . . الخ .

وفي رسالة أخرى من مولاي اسماعيل المذكور إلى القائد المذكور بتاريخ 24 ذي القعدة الحرام عام 1299 . . .

وبعد فقد بلغنا كتابك مخبراً بأنك وجهت أعشار الحب الواجب على أهل تطوان إيالتك عام تاريخه طالبا من جانبنا السعيد أمرنا الشريف للمكلف بحوز ذلك ، فقد حيز للهري السعيد ، وها خط أمنائه مع باشاهم يصلك طيه والسلام .

جزية يهود تطوان وشفشاون

كان القائد أحمد الخضر السلاوي يقبض الجزية من يهود تطوان وشفشاون كل سنة ، وكانت العادة أولا أنه يرسلها إلى السلطان ، ثم صدر الامر بدفعها لامناء المرسى ، وقد وقفت على عدة رسائل بعثها إليه السلطان في هذا الشأن ، ومنها نعرف مبلغ تلك الجزية ، والموعد الذي كانت ترسل فيه .

وبمراجعة تواريخ تلك الرسائل ، نجد أن ذلك الموعد هو ربيع النبوي ، فهل هو موعد اتفاقي غير مقصود ، أو كان المقصود منه موافقة ذكرى خاصة ؟ الله أعلم ، إنما المفهوم أن الوفد الذي كان يسافر من تطوان لتقديم هدية تطوان للسلطان وتهنئته بالعيد النبوي الشريف ، هو الذي كان يصحب معه أيضا جزية اليهود .

والرسائل المذكورة هذا مضمنها :

في رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (بطابعه الرسمي) إلى قائد تطوان السيد أحمد الخضر السلاوي بتاريخ 9 ربيع الثاني عام 1285 ما نصه :

وصل كتابك معلما بأنك وجهت جزية أهل ذمة تطوان (ألف مثقال) وشفشاون (مائة مثقال) وهي إحدى عشرة مائة مثقال ، فقد وصلت وحلت محلها . . .

أما جزية سنة سنة 1286 ، فلم يكتب السلطان في شأنها رسالة خاصة بل اكتفى بطرة في رسالة الجواب عن وفد التهنئة وهدية عيد المولد النبوي ونصها :

ومن تمامه ، قد وصلنا المائتان والسبعون مثقالا بحسب الدرهم الشرعي التي وجهت بين جزية يهود تطوان وشفشاون . . . الخ .

وفي رسالة أخرى من السلطان المذكور إلى نفس القائد بتاريخ 13 ربيع النبوي عام 1287 . . .

وصل كتابك وصحبته جزية ذمية تطوان (ألف مثقال) وشفشاون (مائة مثقال) الخ.

وفي رسالة أخرى كذلك بتاريخ 8 ربيع النبوي عام 1288 . . .

وصل ما وجهته من جزية ذمية تطوان وشفشاون ، والمبلغ هو نفسه .

وفي رسالة أخرى (كذلك) بتاريخ 13 ربيع النبوي عام 1289 . . .

وصل كتابك مخبراً أنك وجهت لاعتابنا الشريفة 275 مثقال بالسكة الشرعية بين جزية أهل ذمية تطوان (250) وشفشاون (25) فقد وصلت وحلت محلها .

ويلاحظ أن مبلغ جزية هذه السنة هو ربع المبلغ المعتاد ، ولا ندري سبب ذلك، فلعل المبلغ المذكور حول إلى غير المثاقيل العادية ، أو لعل العام كان صعبا فوقع التخفيف فيه ، وربما كان هناك سبب أو أمر آخر لم نعرفه .

وفي رسالة أخرى كذلك (أعني من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن للقائد احمد الخضر السلاوي عامل تطوان) بتاريخ 18 ربيع النبوي عام 1290. أنه وصل كتابك وصحبته ما وجهت من الريال (308) جزية أهل ذمة تطوان والدرهم بالشرعي جزية ذمية شفشاون على العادة (كذا) الخ .

وفي رسالة أخرى إلى القائد المذكور ولكن من السلطان مولاي الحسن بتاريخ 12 ربيع النبوي عام 1291 . أنه قد وصلت جزية يهود تطوان (ألف مثقال) وجزية شفشاون (مائة مثقال) عن السنة الفارطة اتصالا .

وفي رسالة كذلك بتاريخ 16 ربيع النبوي عام 1292 . . .

وبعد فقد وصلنا كتابك مخبراً بانك وجهت الف مثقال جزية أهل الذمة بتطوان ومائة مثقال جزية شفشاون ، فقد وصلت أصلحك الله ورضي عنك الخ .

وفي رسالة أخرى (كذلك) بتاريخ 15 ربيع النبوي عام 1293 . . .

وصل كتابك تذكر فيه أنك وجهت لحضرتنا العالية بالله ما تحصل من جزية أهل

ذمة تطوان (الف مثقال) وشفشاون (مائة مثقال) وأن قدر الجميع احدى عشرة مائة مثقال بحساب أربع أواقي المدرهم فقد وصل ذلك وحل محله أصلحك الله وأعانك آمين والسلام .

وفي رسالة أخرى (كذلك) بتاريخ 15 ربيع النبوي عام 1294 .

وبعد فقد وصلنا كتابك وصحبته الاحدى عشرة مائة مثقال جزية أهل الذمة بتطوان وشفشاون عن العام الماضي أصلحك الله والسلام .

ولم أقف على الرسالة السلطانية المتعلقة بجزية سنة 1295 ، وإنما وقفت على رسالة إلى القائد المذكور من الحاج محمد اللبادي يعلمه فيها بأنه توصل بكتابه الذي طلب فيه منه الوقوف مع أصحابه ويعلمه بأنه وقف معهم الخ وفيه إشارة للجزية الخ وهو بتاريخ 14 ربيع الاول عام 1295 .

وفي أوائل سنة 1296 ، توفي القائد أحمد الخضر السلاوي فتولى ابنه القائد محمد السلاوي مكانه ، فاتبع الولد سنة أبيه في قبض الجزية وإرسالها على العادة .

ففي رسالة من الوزير محمد بن العربي بن المختار إلى القائد محمد المذكور بتاريخ 12 حجة عام 1296 .

. . . وصل كتابك مخبراً بأنك وجهت جزية ذمية تطوان وشفشاون عن العامين اللذين بينت ، فقد وصل ذلك وها أجوبة سيدنا تصلك الخ .

وفي رسالة أخرى من السلطان مولاي الحسن إلى القائد المذكور بتاريخ 15 ربيع الاول عام 1297 ،

. . . وصل كتابك مخبراً بأنك وجهت مال جزية أهل ذمة تطوان (ألف مثقال) وشفشاون (مائة مثقال) وقدره احدى عشرة مائة مثقال ، وأن الواجب فيها من الريال سوم 32 ونصف (308 ريال) فقد وصل ذلك أصلحك الله والسلام .

مال الجزية يدفع للامناء بدل إرساله إلى السلطان . 1298

ثم صدر أمر السلطان للقائد المذكور بأن يكف عن إرسال الجزية إلى السلطان ، ويدفعها لامناء مرسى تطوان . وهذه رسالة سلطانية في هذا الموضوع .

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(ثم الطابع ونقشه : الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

وصيفنا الارضى القائد محمد بن احمد الخضر السلاوي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فقد وصل كتابك مخبراً فيه بأنك كنت توجه لاعتابنا الشريفة كل سنة جزية أهل الذمة بملاحي تطوان وشفشاون ، وقدرها احدى عشرة مائة مثقال في سكة الريال بحسب اثنين وثلاثين أوقية ونصف الاوقية ، ثم إنه لما ورد عليك أمرنا الشريف على يد الامين الطالب محمد التازي بدفعها لامناء المرسى هناك بتطوان ، دفعت لهم العدد المذكور جزية عام أول المتصل الفروط ، فقد عرفنا ذلك وصار بالبال والسلام .

في 13 ربيع النبوي عام 1298 .

وفعلا دفع القائد المذكور جزية يهود تطوان وشفشاون إلى أمناء المرسى بتاريخ ثاني ربيع النبوي عام 1298 ، وقدرها ثلاثمائة وثمانية وثلاثون ريالا ونصف ريال من ضرب الفرنصيص ، هكذا - $^{1}/_{4}$ 11001 بحساب ثلاثين اوقية وعشر موزونات وقبض بذلك توصيلا من الامينين الحاج احمد القباج والتهامي بناني .

أما السنة التي بعد ذلك ، فقد دفع القائد المذكور جزيتها للامينين الجديدين وهما محمد بنيس وعبد السلام والزهراء ، وقبض منهما بذلك توصيلا مؤرخا ب 22 صفر 1299 .

والمبلغ الذي دفعه هو ثلاثمائة وثمانية وثلاثون ريالا ونصف ريال (عن جزية يهود تطوان وشفشاون) .

وكتب السلطان مولاي الحسن إلى القائد المذكور رسالة أخبره فيها بعلمه بما دفعه للامناء من جزية هذا العام الخ .

وفي 21 ربيع الاول سنة 1300 دفع القائد محمد الغفياني (خليفة القائد محمد السلاوي) نفس المبلغ المعتاد لاميني ديوانة تطوان محمد بنيس وعبد السلام والزهراء عن ذمية تطوان وشفشاون على العادة .

نهاية القرن الثالث عشر للهجرة 1300

وانتهى القرن الثالث عشر للهجرة، بانتهاء شهر ذي الحجة الحرام عام 1300، الذي يوافق آخر يوم منه ، يوم فاتح نوفمبر سنة 1883 للميلاد ، وقائد تطوان وحاكمها المدني ، هو السيد محمد بن احمد الخضر السلاوي المكناسي ، وخليفته هو القائد محمد الغفياني التطواني .

وسياتي لنا الكلام على بقية أخبار هذين الشخصين وعلى حوادث تطوان وأخبارها في عهدهما عند الكلام على القرن الرابع عشر بحول الله .

الفصل الثاني

من الباب الثامن

من رجال تطوان في القرن الثالث عشر

سنذكر في هذا الفصل بحول الله ، ما عرفناه من تراجم رجال تطوان في هذا القرن مع عدم تقيدنا لا بايجاز ولا باطناب ، وسنرتب هذه التراجم على حسب تواريخ الوفيات ، أما الذين لم نقف على تاريخ وفاتهم بالتدقيق ، فانا نذكرهم بازاء معاصريهم والله المستعان .

الولي الصالح سيدي عبد الله الحاج (1207)

هو الشيخ الجليل الولي الصالح صاحب الكرامات سيدي عبد الله الحاج البقال ابن محمد بن احمد بن محمد بن عيسى (الكبير) ابن سيدي علال الحاج دفين الحرايق المتوفى سنة 981 رحمه الله .

ولد المترجم بمدشر ترانكت من قبيلة بني حزمر حوز تطوان ونشأ بها في حجر والده ثم انتقل إلى الحرايق مقر أسلافه بقصد القراءة فلبث فيها مدة ثم عاد إلى بلده ثم انتقل منها مع أخيه سيدي أحمد إلى تطوان فأكرمهما قائدها في ذلك العهد وهو الحاج محمد عاشر (الذي حكم بتطوان من سنة 1179 ، إلى سنة 1200) ووهب لسيدي عبد الله أرضاً وداراً فسكنها إلى أن توفى ليلة الثلاثاء خامس ربيع الثاني عام 1207 ، ودفن بروضته المشهورة بساحة الفدان من تطوان .

ويحكى أنه لما كبر سنه طلب من الولي الصالح سيدي علي بن محمد بن علي ابن ريسون الذي كان مقيما بتازروت أن يقدم على تطوان ويقيم بها فلبى طلبه في الحال ووفد على هذه المدينة واجتمع معه فيها ، ويقال إنه تلمذ له فلما توفى سيدي عبد الله كان سيدي علي ممن حضر جنازته ووضعه في قبره رحمهما الله .

وسيدي عبد الله الحاج ، من عائلة البقال (أو البقالي) الشريفة المشهورة في كثير من مدن المغرب وقبائله ، وخصوصا في ناحية الشمال .

وكان رحمه الله معدوداً من الاولياء الكبار بتطوان ، يزوره الناس ويتبركون به حيا وميتا ، وكانت حالته حالة جذب وجد وأحوال ومكاشفات وكرامات ، وقد توفي عن غير عقب عليه رحمة الله ورضوانه .

وإن شئت فانظر ما كتبه عنه الشيخ محمد بن علي الزبادي الفاسي في كتابه « الطريق الوارية » فانه قد زاره بتطوان وتبرك به وحكى ما جرى له معه ، وقد نقلنا كلامه في الفصل الرابع من الباب الخامس من هذا الكتاب .

الفقيه القاضي عبد السلام بن قريش (1207)

هو الفقيه العلامة المدرس قاضي تطوان السيد عبد السلام بن محمد بن محمد بن قاسم بن سعيد بن قريش ، وقد وصفه شيخنا الرهوني بالفقيه الصالح المدرس الخطيب القاضي ، وذكر أنه كان فقيها متواضعا خاشعا حسن الاخلاق ذاكراً لله تعلى .

وذكر السكيرج أنه كان كثير الامداد ، عظيم الاحسان للعباد ، وأنه كان من قضاة العدل ، وأهل البشاشة والفضل ، وأنه كان من أحباء السلطان المقدس سيدي محمد بن عبد الله ، وأنه ولد سنة 1132 . وتوفي سنة 1207 .

ويظهر أن المترجم كان كثير التدريس أيضا فقد ذكر أبو محمد السكيرج أنه قرأ عليه مختصر خليل مراراً والاربعين النووية وشمائل الترمذي والتفسير وصحيح البخاري مراراً ولامية الزقاق وتحفة ابن عاصم ، وذكر أنه قرأ صحيح البخاري في جامع الباشا بمحضر السلطان مولاي اليزيد بن محمد بن عبد الله لما قدم تطوان عام 1204 .

وذكر ابن زيدان في ترجمة مولاي مسلمة ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله ما نصه (1) :

« وفي يوم الاثنين خامس الشهر (يعني رجب 1206) ورد عليه قاضي تطاوين أبو محمد عبد السلام بن قريش وفي معيته الشرفاء والفقهاء والاعيان فاهتبل بوفادتهم وأكرم نزلهم ووصلهم بصلات ضافية » اه .

ويظهر أن ولاية المترجم لقضاء تطوان قد طالت أكثر من ثلاثين سنة أي من سنة 1171 إلى سنة 1206 وهو آخر قضاة تطوان من عائلته رحمه الله .

وقد ترجم له تلميذاه ابن عجيبة والسكيرج وشيخنا أبو العباس الرهوني رحم الله الجميع .

---

1) الاتحاف ج 4 ص 348 .

الفقيه الوجيه السيد أحمد الرشاي 1210

هو الفقيه العلامة المدرس الوجيه السيد أحمد بن عبد الرحمن الرشاي أو (الرشي) أو الروشاي وقد ترجم له تلميذه ابن عجيبة في أزهار البستان بقوله :

« ومنهم شيخنا الفهامة العالم الدراكة سيدي أحمد الرشي بضم الراء وفتح الشين له فهم وإدراك ، وله مشاركة حسنة في النحو والفقه والتنجيم ، أخذت عنه فنونا من العلم ، وهو في قيد الحياة » .

وترجم له معاصره وتلميذه أبو محمد السكيرج بقوله :

« ومنهم الفقيه الامام ، العالم العلامة الهمام ، الدراكة الفهامة سيدي الحاج أحمد الرشاي ، ثم ذكر أنه كان جميل الوجه والثياب ، وأن الناس كانوا مطبقين على حبه وتعظيمه ، وأنه كان يضرب به المثل في العلم والزهد ، وأنه قرأ عليه تفسير كلام الله العزيز الخ .

وترجم له أيضا أستاذنا الرهوني ونقل ما وصفه به ابن عجيبة، وزاد أنه كان من أهل الخير والصلاح والصلابة في الدين ، وأنه كان إماما بجامع الربطة ، وأنه كان مدرسا للعلوم ، معروفا بالعلم والتحقيق والتحصيل ، وأنه رحل للمشرق ووصل أرض الترك وكان يعرف لسانهم أي يحسن لغتهم .

وكانت وفاته بتطوان في 24 رجب سنة 1210 .

وقبره جنب قبر العلامة أبي العباس الورزيزي المشهور في باب المقابر.

وقد وجدت بخط الفقيه العدل سيدي محمد بن الهاشمي أفيلال ما نصه :

وللفقيه الاديب البليغ الاريب شيخنا سيدي عبد القادر المنون التطواني رحمه الله في تاريخ وفاة شيخه الفقيه الرشاي :

لا تسل عما اعتراني يا أخي ... إنني قد همت وجدا برشي
وتوالت أدمعي لما نشا ... في كد من رجب عام رشي
لست أنساه وإن شط النوى ... كيف ينسى يا لقومي ابن رشي
إن سلوتم وصبرتم فاعلموا ... أنني لم يغن عني الصبر شي

ومن خط الفقيه المذكور أيضا ما نصه :

وينسب للفقيه العلامة ، الصدر الفهامة سيدي أحمد الرشاي التطواني رحمه الله وأفاض علينا من بركاته هذان البيتان :

إلاهي عفواً عن غريب أوحد ووسعن عليه ضيق الملحد
وشفعن فيه الذين شيعوا واجعله في حرز النبي محمد

ويقال إنه أوصى بأن يقرآ عند تشييعه لقبره رحمه الله .

وهذان البيتان ما زالت بعض الفرق العيسوية تشيع بهما الاموات إلى زمننا هذا.

(قلت) وقد كان المترجم رحمه الله من أعيان تطوان ووجهائها وكانت له دار من أكبر دورها وأحسنها في ذلك العهد ، وهي الدار التي صارت ملكا ومسكنا للفقيه الوجيه السيد علي الخطيب بشارع المطامر .

وقد وقفت على رسوم بها إيصاء المترجم رحمه الله بجزء من متخلفه لطلبة العلم الشريف الذين كانوا يسكنون بالمدرسة المجاورة للجامع الاعظم من تطوان ، وهي مدرسة لم يبق الآن لها أثر والدوام لله .

وقد رثى المترجم رحمه الله ، تلميذه الفقيه الاديب سيدي عبد القادر المنون بقصيدة مطلعها :

بكت سلمى وأكثرت العويلا وما وجدت إلى صبر سبيلا

وقد أثبتها في ترجمته فلينظرها فيها من يهمه ذلك .

الفقيه المدرس الحاج محمد الصردو

ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه الخير ، وذكر أنه كان كثير التأمل والاعتبار ، كثير النفع للعباد ، وأنه كان إماما بالزاوية الناصرية ، ملازما لتدريس صحيح الامام البخاري ، ومختصر الشيخ خليل ، وألفية ابن مالك ، وغير ذلك، ثم ذكر أنه قرأ عليه الألفية ، ولم يذكر تاريخ وفاته ، ولعلها كانت في العقد الاول من هذا القرن والله أعلم .

الفقيه السيد الطيب بن عبد الكريم ابن زاكور

هذا السيد لم أقف على ترجمته ولكني وقفت على اسمه كمروي عنه في ترجمة العالم الاديب السيد التهامي بن عمرو الرباطي من كتاب «فهرس الفهارس» ففيه (1) أن ابن عمرو المذكور « المتوفى سنة 1244 » يروي بعض الصلوات عن الفقيه السيد الطيب بن عبد الكريم ابن زاكور التطواني عن شيخه أبي محمد عبد الوهاب التازي الخ ولا ندري من هو هذا السيد الطيب ، نعم قد كان في تطوان السيد عبد الكريم ابن زاكور الذي تولى وظيف قائد البلد مدة إلى أن نكبه السلطان سيدي محمد بن عبد الله عام 1179 فلعل السيد الطيب هذا هو ابنه ، ولعل وفاته كانت في العقد الاول من القرن الثالث عشر والله أعلم .

الفقيه الرياضي الحاج علي مدينة 1212

الفقيه التاجر الحاج علي ابن الحاج علي مدينة الاندلسي هو جد جل أولاد مدينة الموجودين الآن بتطوان ، وقد ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه الحسيب، اللوذعي اللبيب ، التاجر الابر ، الخير الاطهر ، كما وصفه بالعلم والحلم، والذكاء والنباهة، والديانة والنزاهة الخ .

وذكر أنه كانت له معرفة بعلم الحساب والهيئة ، وأنه قرأ عليه كتاب القلصادي في الحساب ، والمقنع في التنجيم ، وأرجوزة الدادسي كذلك ، وروضة الازهار ، وغير ذلك ، ولم يذكر تاريخ وفاته ، ووجدت في بعض التقاييد أنها كانت عام 1212 والله أعلم.

وقد ترجم له أيضا أستاذنا الرهوني بملخص ما ترجم له به السكيرج ، وزاد في محل آخر وصفه بالعلامة الفلكي ، وذكر أنه قرأ العلوم الرياضية وغيرها بمصر واشتغل بالتجارة الواسعة والتدريس وطار صيته في المشرق والمغرب وكانت له شهرة ومكانة عند السلطان فمن دونه الخ .

---

1) فهرس الفهارس ج 1 ص 204 .

سيدي بو سلهام 1212

هذا السيد هو صاحب الضريح المعروف بحومة العيون ، وقد تكلم عليه معاصره أبو محمد سكيرج وترجم له الرهوني وذكر أن اسمه أحمد بن بوسلهام وأن أصل عائلته من أولاد الكوش من قبيلة بني توزين الريفية ، وأن أباه « بو سلهام » كان مخزنيا ـ خادما ـ مع الباشا علي بن عبد الله ، وأن المترجم ولد بتطوان عام 1125 . ثم التحق بخدمة الباشا أحمد الريفي فألحقه بخدمة قصره وكلفه بالطاس الذي تغسل به الايدي ، فصار ينطق بكلام لا يناسب مقام الطغاة ، فسجنه بطنجة ولبث في سجنه نحو عامين ولم يطلق سراحه إلا بعد قتل الباشا المذكور ، وأنه ظهرت عليه أسرار الخ وكانت وفاته ودفنه بتطوان عام 1212 .

وهذا السيد معدود من صلحاء تطوان ، وله ضريح مشهور أمام الباب الرئيسي للجامع الكبير الذي بحومة العيون .

وقد ذكره الشيخ محمد بن علي الزبادي الفاسي في كتابه « الطريق الوارية » وكان قد زاره بتطوان وحكى له بعض الكرامات ، وإن شئت فانظر كلامه عنه في الفصل الرابع من الباب الخامس من هذا الكتاب .

وذكر أستاذنا الرهوني أن المحل الذي به ضريح سيدي بو سلهام ، كان بيتا داخل دار المعلم محمد بن عبد العزيز العسيل المدعو مولاطو الحجام حرفة ، وكان يخدم السيد المذكور فلما توفي دفنه في داره ، ثم أمره السلطان المولى سليمان أن يجعل لذلك البيت بابا على الشارع ففعل ذلك وصار الضريح مزارة عامة .

وذكر السكيرج حكاية أثبتها هنا للدلالة على نفسية القوم في ذلك العهد وإن كنا نعتقد أن الفاعل المختار هو الله وحده لا شريك له سبحانه . وملخصها :

أن القائد علي بن عبد الله ، بلغه أن الشيخ سيدي الحاج علي بركة «التطواني» قد ذهب إلى جبل العلم للاجتماع فيه بشيخه سيدي أحمد بن عبد الله معن « الفاسي» وزيارة الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه ، فأرسل القائد المذكور خادمه « بو سلهام » (والد الشيخ المترجم) بحمل بغلة من الاطعمة والفواكه هدية للشيخين المذكورين ، ففرق سيدي أحمد بن عبد الله ذلك على شرفاء العلم ، وطالبه المخزني بو سلهام بسخرته « أي بأجرة خدمته » فقال له ما ذا تريد ، فقال أريد ولداً صالحاً ، فلما عاد إلى تطوان رزقه الله ولداً سماه باسم الشيخ المذكور ، وهو المترجم ، فصار فيما بعد من صلحاء هذه المدينة ورحمة الله على الجميع .

الفقيه الخير السيد محمد بن علي الورزازي (1214)

هو الشيخ العلامة المشارك أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن محمد الورزازي أصلا التطواني داراً وموطناً (1) قال فيه تلميذه الشيخ أحمد بن عجيبة في كتابه أزهار البستان :

« ومنهم شيخنا الفقيه العالم المتفنن سيدي محمد بن علي الورزيزي ، له مشاركة حسنة في فنون من العلم كالفقه والنحو والبيان والاصول والحساب والتنجيم ، وله فهرسة ذكر فيها من أخذ عنه من الاشياخ بالمشرق والمغرب ، وله شرح على قصيدة سيدي محمد بن ناصر في الفقه ، وكتاب في التوحيد مع قواعد الاسلام وتوابعها من تصوف وغيره . وهو في قيد الحياة (2) » .

ووصفه تلميذه الشريف العلامة سيدي محمد بن الصادق بن ريسون ، بـ « شيخنا العلامة القدوة ، الزاهد الورع المدرس المشارك الخطيب أبي عبد الله سيدي محمد بن علي الورزازي » وذكر أنه أخذ عنه واستفاد منه وأجازه إجازة مطلقة عامة بخط يده الكريمة الشريفة فيما له من مقروء ومسموع ومجاز وتآليف . . . الخ .

ووصفه معاصره أبو محمد السكيرج بالشيخ العالم الولي الصالح الخ .

ووصفه أبو الاسعاد الكتاني في فهرس الفهارس بالعلامة الصالح أبي عبد الله محمد بن علي الورزازي أصلا التطواني داراً ومسكنا ومدفنا .

وحلاه تلميذه بالاجازة أبو محمد عبد الوهود بن عمر التازي دفين فاس في إجازته لابن رحمون بالفقيه العلامة الحجة البركة العارف بالله .

(قلت) وقد وقفت على مجموع به التآليف الثلاثة التي ذكرها له تلميذه ابن عجيبة وأولها فهرسته ، وقد قال في أولها بعد الافتتاح .

أما بعد فيقول العبد الفقير، المضطر لرحمة ربه المولى القدير ، محمد بن علي الورزازي أصلا التطواني داراً ومسكنا ، هذه فهرسة أذكر فيها المشاهير من أشياخي الخ.

ثم ذكر أولهم ، وهو أبو عبد الله محمد (بالفتح) بن محمد بن عبد الله الورزازي، وسرد الكتب التي قرأها عليه .

---

1) هكذا ذكر اسمه ونسبه في شرحه لمنظومة الشيخ بن ناصر .

2) النسخة التي نقلنا عنها هذه الترجمة ، كتبت من خط المؤلف في حياته عام (1208) ومعلوم أن الورزيزي هذا توفي عام 1214 والمؤلف (ابن عجيبة) توفي عام 1224 رحمهما الله .

ثم ذكر الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله الورزازي .

وذكر أنه قرأ عليه عدة كتب وأنه أجازه كتابة بتاريخ 11 رجب 1168 .

ثم ذكر أنه توفي سنة 1179 ، وأن أخاه المذكور قبله توفي قبله سنة 1166 بمكة المكرمة ، وأن شيخهما وابن عمهما المتبحر في العلوم ، محمد بن أحمد المعروف بالصغير توفي بمصر عام 1137 .

وذكر أنه قرأ على الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي بسجلماسة ، وأنه توجه لفاس سنة 1162 بقصد القراءة ، فوجدها محصورة .

ثم قال : فتوجهت حينئذ لتطوان قاصداً شيخنا العلامة سيدي أحمد الورزازي ، فأقمت عنده على رسم القراءة تسعة أشهر الخ .

ثم توجه للحجاز سنة 1163 ورجع لفاس فأقام بها ثلاث سنين ونصفا وقرأ على أعلامها ، وقد أجازه بها الشيخان التاودي بن سودة ومحمد بن قاسم جسوس عام 1175

وذكر أيضا العلماء الذين أجازوه في رحلته المشرقية .

ومنهم الشيخ عمر السوداني عالم طرابلس في وقته ، وأبو الحسن السندي بمكة وأجازه في مصر شيخ المالكية محمد البليدي ، وأحمد الملاوي ، وعلي الصعيدي ، ومحمد الحفناوي ، وعمر الطحلاوي .

وذكر أيضا أنه لما رجع من حجه الثاني عام 1175 إلى تطوان ، لقي فيها الشيخ أحمد بن عبد الله الغربي الذي قدم عليها من بلده رباط الفتح فطلب منه الاجازة فأجازه ، كما أجاز معه جماعة من أعيان فقهاء تطوان .

وأثبت المترجم في فهرسته أسانيد الشيخ عمر السوداني الطرابلسي ، وأسانيد أبي العباس الورزازي ، ثم أسانيد الشيخ محمد بن عبد السلام بناني وشيوخه ، وكان المترجم قد زاره بفاس عام 1163 ، أي سنة وفاته ، وقد كتبها صاحبها (بناني) عام 1161 ، وقد استغرقت أسانيد الشيخ بناني المذكور نحو 36 صفحة .

أما فهرست المترجم فتقع في 77 صفحة متوسطة الحجم في كل صفحة 23 سطراً بخط دقيق .

وأما الكتاب الثاني من كتب المترجم فهو شرحه لمنظومة الشيخ محمد بن ناصر التي مطلعها :

الحمد لله حمداً طيباً عطراً   ثم الصلاة على المختار من مضرا

وهي منظومة في التوحيد والطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج ، وقد ذكر المترجم أنه فرغ من هذا الشرح في تاسع جمدى الاولى سنة 1203 ، وهذا الشرح يقع في 61 صفحة متوسطة الحجم .

والكتاب الثالث يقع في 64 صفحة وقد قال المترجم في أوله :

هذا كتاب لطيف في ذكر ما يجب على المكلف معرفته من قواعد الاسلام وما يلتحق بها مما لا بد من معرفته .

ثم ذكر باب التوحيد وذكر فيها حقائق الصفات وأدلتها النقلية والعقلية .

ثم ذكر الرسل وقواعد الاسلام ، ثم كتاب الطهارة ، ثم الصلاة ، ثم الزكاة ، ثم الصيام ، ثم الحج ، ثم الكتاب الجامع وفيه السيرة النبوية وبيان العلم وفضله وشروطه وفنونه والتوبة والواجبات والمنهيات الخ .

وذكر أنه فرغ من تاليفه في 17 صفر عام 1204 .

وفي المجموع المذكور أيضا عدة منظومات للمترجم في مسائل لغوية ونحوية وأبيات في التوسل وغير ذلك .

ووقفت له أيضا على كتاب آخر ألفه في أواخر عمره وسماه « مجموع المنافع والفوائد ، وفرائد التمائم والقلائد » وهو تأليف يزيد عدد صفحاته على مائتين ، ومن أبوابه ، باب التوحيد ، باب الطهارة ، باب الصلاة ، باب فيما يجب على المرأة لزوجها ، وتكلم على اتباع الكتاب والسنة وتجنب البدع والاهواء ، وصلة الرحم وقطعها .

وعقد أبوابا وفصولا فيما يوجب للعبد الجنة ويبعده عن النار ، وفي وصف الجنة وأهلها والنار وأهلها ، وفي الشفاعة ، وفي قراءة القرآن ، وذكر الله والدعاء والاكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الخ .

وقد ذكر في آخره أنه فرغ من تأليفه في سابع وعشري شوال عام 1214 ، أي في أواخر السنة التي توفي فيها رحمه الله .

ووقفت له أيضا على تقييد في بيان حقيقة الحمد والشكر لغة وعرفا وما بين أقسام ذلك من عموم وخصوص الخ . وهو تقييد محقق نفيس افتتحه بقوله :

الحمد لله الذي لا معقب لحكمه ، ولا مرد لما أراد إنفاذه في خلقه وقضاه بعدله الخ .

وذكر أنه ألفه بعد إلحاح الطلبة وكثرة ترددهم عليه وطلبهم له الخ .

وقد كتب اسمه فيه هكذا محمد بن علي بن أحمد بن محمد الوازري هكذا بدون لف بين الزايين ، وكذلك فعل في كتابه مجموع المنافع الخ .

تلاميـذه

من تلاميذ المترجم ، العلامة الشيخ أبو العباس أحمد ابن عجيبة .

وذكر الشيخ عبد الحي الكتاني أن من تلاميذه أيضا الشيخ الرهوني الكبير محشي الزرقاني ، والعلامة الشريف سيدي محمد بن الصادق بن ريسون وقد تقدم أنا نه أجازه إجازة عامة الخ .

جامعه ووفاته ومدفنه

ذكر شيخنا الرهوني أن المترجم تولى الامامة والخطبة بجامع لوقش بعد سلفه الشيخ أحمد الورزازي .

وقد رأيت مثل ذلك مكتوبا بخط قديم في إحدى الطرر ، وزاد كاتب تلك الطرة أن السلطان مولاي سليمان كان يحب هذا الشيخ في الله ، وأنه لما زار تطوان صلى معه الجمعة في المسجد المذكور ، ولما توفي هذا الشيخ ، اعتنى السلطان المذكور بولده الصغير ، وأمر بتوجيهه لفاس للقراءة بالقرويين ، فتوجه إليها معتنى بشؤونه وترك نائبا عنه في الجامع المذكور .

أما وفاته فكانت زمن الوباء رابع عشر القرن الثالث عشر أي سنة 1214 .

وأما قبره فبجوار قبر الشيخ أحمد الورزازي في المسجد الذي عن يسار الداخل لمصلى الجنائز في باب المقابر من تطوان وهو القبر المنخفض الذي في القوس الوسطي المواجه للبحر ، أما القبر المرتفع المتصل بالجدار لجهة الغرب ، فهو لشيخه أبي العباس الورزازي رحم الله الجميع .

الفقيه المفتي السيد محمد بن محمد الجنوي 1214

هو ابن الفقيه العلامة الشيخ محمد بن الحسن الجنوي دفين مراكش ، وقد ترجم له معاصره الشيخ ابن عجيبة في أزهار البستان بقوله :

« ومنهم الفقيه المحصل الدراكة الفهامة العالم العلامة سيدي محمد ابن شيخنا الفقيه سيدي محمد الجنوي ممن حاز رياسة الفقه في زمانه ، ودارت الفتوى عليه بمدينة تطوان ، له معرفة تامة بالنوازل ، تولى مرتبة أبيه بعده ، وهو يدرس ويخطب في جامع الولي الشهير سيدي علي الجعيدي ، وهو في قيد الحياة » .

ويعني بالجامع المذكور جامع العيون .

وترجم له أيضا أستاذنا الرهوني ووصفه بما وصفه به ابن عجيبة وزاد أنه توفي عام 1214 .

وترجم له أيضا معاصره أبو محمد السكيرج ووصفه بالعالم الكبير الوارث العلم الكثير ، وذكر أنه كان مشاركا في كثير من العلوم مدرسا لها .

وحكى عنه أنه قال له :

« إن درقاوة قاموا في هذا القطر (يعني المغرب) والنصارى الفرنصيص قاموا في قطرهم (يعني بذلك الثورة الفرنسية سنة 1789 م - 1203 ه) وكلهم ينشأ منهم فساد هذا العالم » .

وقد علق أستاذنا الرهوني على هذه الكلمات بقوله :

« انظر إلى هذه المقالة ما أبشعها » .

أما السكيرج فقال عقبها :

« أطلب الله سبحانه النجاة من الجميع بمنه ، والاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه » .

وإنه لمن الغريب حقاً أن يقارن أحد فقهاء تطوان في ذلك العهد ، أي قبل تاريخنا هذا بنحو قرنين ، بين الثورة الفرنسية ، والحركة الصوفية التجريدية ، ويتنبأ بأن كلا منهما سيؤدي الى فساد نظام هذا العالم . . .

فهل كان الفقيه الجنوي يرى أن الديمقراطية على العموم والمساواة الكاملة بين جميع الطبقات ، مخالفة لطبيعة الكون التي تفرق بين العالم والجاهل ، والعامل والخامل ، والمخلص والخائن ، والنشيط والكسول ، والطيب النفس والخبيث الروح ؟ .

وهل كان يرى أن التصوف على العموم مفسد للمجتمع الذي يتطلب الجد والعمل ، والبناء والتعمير ، لا الخمول والكسل ، والانزواء والتخريب .

إن الذي نفهمه من نفسيات فقهاء تطوان في ذلك العهد ، أن الفقيه الجنوي ، ما كان يقصد بكلمته إلا أن استيلاء الصعاليك والجهال والفوضويين على الحكم ، مآله فساد النظام ، وتوقف الاعمال ، وعموم الخراب .

وأن سيطرة الروح الصوفية على العموم ، تجعل الناس يزهدون في الدنيا وزهراتها ، ولا يعملون إلا للآخرة ونعيمها ، وفي ذلك أيضا فساد نظام هذا العالم ، وتوقف الاعمال ، وعموم الخراب . . .

والواقع أن العالم يسير ويتقدم مع هذا النظام وذاك ، وفي زمننا هذا ، نرى كلا من الولايات المتحدة الامريكية وهي تمثل الرأسمالية اليمينية المتطرفة التي تتحكم في العالم بأموالها وإنتاجها الذي لا حد له ولا حصر .

كما نرى الاتحاد السوفياتي وهو يمثل أقصى ما في اليسار من التطرف الشيوعي الذي لا يملك معه الفرد شيئا ، ولا يتمتع ولو بقيد شعرة من حرية التصرف ، لا في نفسه ولا في فكره ولا في قلمه ولا في انتاجه المادي والادبي ، وإنما هو عبد المجتمع يشرع له فينفذ ، ويومر فيمتثل ، وهذان الطرفان الرأسمالي والشيوعي ، بالرغم من كل ما بينهما من الاختلاف ، قد بلغ كل منهما في عصرنا هذا من التقدم العلمي والحربي ، درجة لم يتقدم لها نظير في التاريخ ، وكل منهما ينسب سبب تقدمه وتفوقه ، للنظام الذي يعتنقه ويعتقد أنه هو وحده الصواب وغيره خطأ ، ويرى أن النظام المخالف له يجب القضاء عليه ومحوه من الوجود ، ولا يستبعد أن يؤدي تعصب كل من الطرفين المذكورين ، إلى قيام حرب عالمية تهلك الحرث والنسل ، ويكون ذلك هو السبب الحقيقي لخراب هذا العالم .

إن الواقع ـ كما قلنا ـ هو أن الدنيا تسير ، والعالم يتقدم مع كل من النظامين ، اليميني واليساري ، الرأسمالي والشيوعي ، الملكي والجمهوري ، الديمقراطي والديكتاتوري .

والمدار ، إنما هو على الادارة العالمة ، النشيطة الحازمة ، التي تحسن التدبير ، وتتقن التسيير ، ولله سبحانه في خلقه شؤون ، والدنيا على العموم شجون وحزون ، والله تعالى يقول : « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك » ويقول سبحانه « إن الدين عند الله الاسلام » صدق الله العظيم .

الفقيه الاديب السيد عبد القادر المثون 1214

هذا السيد عرفنا به تلميذه الفقيه الاديب سيدي محمد بن الهاشمي أفيلال . وقد وصفه بالفقيه الاديب البليغ الاريب سيدي عبد القادر المنون التطاوني .

ثم ذكر أنه كان مدرسا متواضعا نزيه النفس شديد الحياء ، إلا أنه يعجبه الجمال، وقد قرأ عليه الاجرومية مرتين ، وكانت قراءته ممزوجة بالفكاهات والمستملحات ، وكان كل يوم ياتي الطلبة بنظم جديد جمع فيه مسائل أو فوائد ، وكان كثير المطالعة لكتاب المغني ، مولعا بتقييد المسائل وتاريخ الحوادث التي تقع في زمنه ، ويودع ذلك شعره الذي ياتي فيه بمحسنات لفظية ومعنوية بلغت الغاية في العذوبة والسلاسة، ومن ذلك قصيدته المشهورة التي سماها « مجلى النفوس ، ومضحك العبوس » وقد أطرف فيها وأبدع ، وموضوعها هو التهكم والاستهزاء بالجيوش الملتقطة التي جمعها المولى سلامة الذي ثار على عمه السلطان مولاي سليمان وحاصر بها مدينة تطوان ثم عجز عنها ورجع خاسئا .

(قلت) هذه القصيدة أو المنظومة مطلعها قوله :

حمداً لمن رفـع عنا النقما وغفر الذنب وأسدى النعما

وعدد أبياتها يقرب من مائتين ، وقد نقلت نصها الكامل في الباب السادس من هذا الكتاب) .

ثم ذكر أن له قصائد وموشحات وأزجالا ، وله صبوحي على منوال الصبوحي المنسوب للفقيه عمر ، وله في أشياخه وفي الصالحين قصائد عديدة .

ثم ذكر أنه كان ليلة في حفلة عرس بتطوان وقد حضر فيها شاب من أهل فاس يدعى اللبار وكان مغنيا جميل الصورة والصوت ، حسن الاخلاق والثياب ، فأنشد فيه المترجم هذه الابيات :

فديتك يا لبار حـزت لطافـة سموت بها أهل المفاخر والادب
أمِن يوسف الصديق ألبسك البها ففقت بها حسن الاعاجم والعرب
وداوود قد أولاك من حسن نطقه فحركت أرباب المذاقة والطرب
وأوتيت تعليم الجماد أما ترى إلى العود يبدي من تعلمك العجب

ومن شعر المتوجم قصيدة قالها في رثاء شيخه العلامة السيد أحمد الرشاي ونصها:

بكت سلمى وأكثرت العويلا ... وما ألفت إلى صبر سبيلا
فقلت لها على م فداك نفسي ... أفارقت الحبيب أو الخليلا
فقالت لو قدرت لعظم ما بي ... بكيت دماً ولم أشف الغليلا
ولولا الصبر يحمد في الرزايا ... لكنت لخندق أبداً نزيلا
خليلي كيف لا أبكي وإني ... أرى أخياركم جدوا الرحيلا
وولوا مسرعين وما شعرتم ... ولم يبق الزمان لكم نبيلا
وأهل العلم قد شدوا المطايا ... وقد كانوا حووا علما جليلا
وقبض العلم يوذن بانصرام ... وإن نتل الحديث نجد دليلا
وهذا ابن الرشاي ثوى بلحد ... وبطن الارض صار له مقيلا
فلو رمتم نظائره رجعتم ... ولم تلفوا له أبداً عديلا
لقد فقتم به الامصار طرا ... وحملتم به رزءاً ثقيلا
ولو أنصفتموه إذن لجدتم ... بأدمعكم له دهراً طويلا
ولكن التبصر كان أولى ... وأجمل فاصبروا صبراً جميلا
لقد حكم الإله بأن سيبقى ... ويفنى خلقه جيلا فجيلا
وكل الخلق منقادون طوعا ... لحكم الله لن يغنوا فتيلا
فيا رب العلا هبنا رضاء ... وهبه في العلا ظلا ظليلا
ويا رباه يا مولاه يا من ... إليه توسلي كن بي حفيلا
وعم الآل والاخوان منا ... برحمتك التي تشفي العليلا
بجاه المجتبى خير البرايا ... وأفضلهم وأشرفهم قبيلا
عليه وءاله والصحب طرا ... صلاة الله عنهم لن تميلا

ثم ذكر الفقيه أفيلال أن المترجم رحمه الله توفى بتطوان في وباء سنة 1214
رحمه الله .

الفقيه الاديب سيدي عبد الله بن علي شطير

هو الفقيه العدل الشاب الاديب الشريف سيدي عبد الله ابن الفقيه الخير المتبرك به المدرس سيدي علي بن طاهر شطير الحسني .

كان هذا السيد من عدول تطوان وأدبائها ، وقد وجدت بخط الفقيه الموقت السيد محمد بن عبد الوهاب لوقش وصفه بالفقيه الاديب، وذكر أنه كان له كبير تعلق بكتب التفسير والحديث ، وأنه كان له إلمام بالشعر واعتناء بنسخ الكتب وله خط حسن ، وأنه تولى الامامة بعد وفاة والده بمسجد الربطة من تطوان ، وأنه توفي وهو ابن نحو ثلاثين سنة (1) الخ.

« قلت » كانت ولادة المترجم رحمه الله في أواسط رمضان عام 1181 بمدينة تطوان ، وبها نشأ وشب وقرأ العلم على عدة شيوخ بها .

منهم العلامة الكبير سيدي محمد بن الحسن الجنوي ، وولده الفقيه سيدي محمد بن محمد الجنوي ، والفقيه السيد محمد بن علي الورزيزي ، والفقيه السيد احمد الرشي ، والشيخ سيدي احمد بن عجيبة وغيرهم .

ويظهر أنه شرع في قراءة العلم صغيراً دون البلوغ ، لانه في سنة 1195 . « أي حينما كان عمره خمس عشرة سنة » كان يقرأ مختصر الشيخ خليل على العلامة سيدي محمد بن الحسن الجنوي .

كما يظهر أنه ابث يقرأ بتطوان نحو عشرة أعوام ، ثم رحل إلى فاس ، وفي أوائل سنة 1203 كان يقرأ بها على العلامة الشيخ التاودي ابن سودة ، وعلى ابنه الشيخ سيدي احمد بن سودة ، وعلى العلامة الشيخ الطيب بن كيران ، والعلامة الشيخ حمدون ابن الحاج وأضرابهم .

ويظهر أن إقامته بفاس لم تطل وإنما قضى بها سنة 1203 وبعض سنة 1204 ، وفي أواخر سنة 1204 ، كان بتطوان وقد عاد للقراءة بها .

ويظهر أنه لما كان بفاس ، كان ملازما لدروس العلامة الشيخ التاودي ابن سودة فانه ذكر أنه قرأ عليه :

الخلاصة ، ومختصر خليل ، من القسمة إلى آخره .

ومن التفسير ، سورة البقرة ، ومن سورة غافر إلى الفتح .

كما قرأ عليه أيضا الحديث والبيان . . .

1) بل عاش نحو أربعة وثلاثين سنة كما سيظهر من بعد .

وفي نفس الوقت كان يحضر دروس غيره من شيوخ فاس .

وقد ذكر أن مما قرأه بفاس .

النصف الثاني من مختصر الشيخ خليل على الشيخ احمد بن سودة ، عام 1203 هـ .

وكتاب التلخيص على الشيخ الطيب بن كيران في نفس العام ، وعلى الشيخ حمدون ابن الحاج عام 1203 - 1204 .

وكتاب جمع الجوامع على علي بن اويس في نفس العام ، وقرأ الخزرجية أيضا على الفقيهين العراقي والحوات الخ .

ويظهر أنه بعد أن رجع من فاس عاد للقراءة على كبار شيوخه بتطوان لانه أرخ ختمهم لكتاب جمع الجوامع على العلامة الشيخ محمد الورزيزي بصفر عام 1206 .

ثم لا نعرف عن حياة المترجم بعد فراغه من الدراسة إلا أنه كان فقيها عدلا جميل الخط حسن العبارة مشتغلا بالادب معتنيا بالكتابة .

كتاب نضار الاصيل

وقد وقفت على كناش كبير بل مجموع نفيس (1) كله بخط المترجم وهو خط دقيق جيد في غاية الوضوح والاتقان ، وقد جمع فيه من الفوائد العلمية والتاريخية والاشعار والادبيات والمواعظ والحكم واللطائف شيئا عجيبا ، وسماه « نضار الاصيل ، في بساط الخليل » ويحتوي على نحو أربعمائة صفحة في كل صفحة نحو أربعين سطرا من النثر وبعضها يبلغ الخمسين سطرا وبعض الصفحات محتوية على نحو ثمانين بيتا من الشعر وبعضها يزيد على ذلك .

وهذا الكناش يصح أن يعد تأليفا لطيفا ، أو مجموعة من أنفس مجموعات الادب العربي القديم .

ولعل من المناسب أن آتي هنا بفذلكة عن هذا المجموع مع مقتطفات مما كتبه صاحبه الفقيه الاديب كنموذج لكتابة أدباء تطوان وأسلوبهم وتفكيرهم واتجاههم في ذلك العهد . (أعني في الربع الاول من القرن الثالث عشر) .

1) هذا المجموع النفيس الفريد هو الآن في خزانتي « الخزانة الداودية بتطوان » وقد أهداه إلي الفقيه الخير المطلع السيد احمد ابن الخمار الكنوني القصري عام نيف وستين وثلاثمائة وألف بدون مقابل جزاه الله خيرا .

هذا المجموع « وصاحبه يسميه الديوان » عبارة عن مجموعة علمية أدبية تاريخية، فهو كباقة زهور شذية انتخبها ونظمها شاب أديب له فكر ثاقب ، وذوق سليم ، وشعور رقيق ، مع ثقافة دينية وأدبية ، وعنصر طيب شريف .

وقد رتبه على أقسام أربعة .

الاول كتاب العلم .

الثاني كتاب الادب .

الثالث كتاب الحكايات .

الرابع كتاب الشعر .

ولكل كتاب من هذه الكتب مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة وربما احتوت بعض الابواب على عدة فصول .

وقد شرع المؤلف في كتابة ديوانه دون أن يجعل مقدمته في أوله ، وكان من حين لآخر يكتب تاريخ انتهائه من كتابة بعض فصوله . فأحد الفصول انتهى منه ظهر يوم الثلاثاء سابع ربيع النبوي عام 1200 ، أي حينما كان في التاسعة عشرة من عمره ، وفصل آخر فرغ منه ضحوة يوم الجمعة خامس ذي الحجة الحرام عام 1200 أيضا.

وقد جعل لكل كتاب من الكتب الاربعة مقدمة بل خطبة خاصة به فلكتاب العلم خطبته وهذا نصها :

« الحمد لله العليم بالخفيات ، وما تكتنفه الطويات ، المحتجب بنوره عن الابصار المدركات ، والمنزه عن الصفات الحادثات ، وصلاته على من جاء بالهدى والبينات ، وعلى آله وأصحابه وذريته ، ومن تبعهم إلى أن تبدل الارض غير الارض والسموات .

وبعد فان العلم لا شيء أرفع ولا أنفع منه ، ولا لاحد غنى عنه ، ومن طعم بحلاواته ، وتنعم بثناياته ، وسحب ضافي أثوابه ، وشرب خالص أكوابه ، لم يشتغل بسواه، ولم يعدل عن فحواه ، ورآه أنفع شيء ناله في اكتسابه ، وأرفع ثوب اكتسى به ، فناهيك به من صراط الكرام ، ومنهل عذب كثير الزحام ، قال فيه عليه الصلاة والسلام ، لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الخير ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها ، وقال صلى الله عليه وسلم ، أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم . رواه ابن ماجة .

ثم ياتينا المؤلف بالباب الاول فيما جاء في فضل العلم والترغيب فيه والعمل به : آيات ، أحاديث ، أشعار ، حكايات ، نوادر :

« لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن أنه علم فقد جهل » .

إذا كان يوذيك حر المصيف   وكرب الخريف وبرد الشتاء
ويلهيك حسن زمان الربيع   فأخذك للعلم قل لي متى

« اكتبوا أحسن ما تسمعون ، واحفظوا أحسن ما تكتبون ، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون ، وخذوا من كل شيء طرفا ، فانه من جهل عاداه » .

ويملأ المؤلف عدة صفحات ثم ياتي بالباب الثاني، ثم بالثالث، ثم بالرابع، ثم بالخاتمة.

ثم ياتي كتاب الادب ، وهذا نص خطبته :

« الحمد لله الذي أنطق بالبيان ، وطوق من شاء منه بقلائد العقيان ، فضلا وكرما من رب الارباب ، والصلاة والسلام على المجتبى من ولد عدنان ، المبعوث للاحمر والاسود والانس والجان ، وعلى آله وأصحابه أولي الالباب ، الذين دخلوا بيوت العلم من خير باب .

وبعد فاني لما رأيت الادب عنوان المكارم ، وقلم صاحبه يغني عن السيف الصارم، وأنه جليس ممتع ، وأنيس مقنع ، وخل لا يخل ، وإلف لا يمل ، وعلمت أنه ما تهذب ، من لم يتأدب ، ومن لم يمتط ظهر الاشعار ، لم يكن له بدقائق العلم من إشعار ، أزمعت لذلك أن أجمع في هذه الاوراق ، ما رق من جميل الكلام وراق ، مما وقفت عليه لمشاهير الحذاق ، أو نحو ذلك من كلام الايمة الاعلام ، المحاربين عساكر الجهلة بأسنة الاقلام ، وها أنا أنشد لذوي العقول الراجحة والفضائل ، ما تيسر من الوسائل .

رحم الله امرءا طالعه   فأتى عن زلتي بالمعذرة
وإذا ألفى خطا أصلحه   وإذا أبصر عيبا ستره

وبالله سبحانه العناية بالاعانة والتسديد ، فما خاب من آوى إلى ركنه الشديد .

ثم الباب الاول في الحث على الادب والتخلق بأوصافه الحسان .

لكل شيء زينة في الورى   وزينة المرء تمام الادب

ثم يوزع من زهور الادب العربي القديم ما يملأ أربعة أبواب ايضا .

ثم ياتي كتاب الحكايات ، وله أيضا خطبته وأبوابه وخاتمته .

ثم كتاب الشعر وهو مرتب على بحور الشعر المشهورة .

ويلتفت المؤلف لناحية التاريخ فيعقد فصلا يؤرخ فيه لوفيات بعض المشاهير من الاقدمين والمعاصرين له .

ويذكر شيوخه بتطوان وفاس وما قرأه عليهم من العلوم والفنون وتاريخ افتتاح الكتب وختمها .

ويذكر لنا سلسلة نسبه فيبين أنه شريف عمراني يتصل نسبه بسيدي عبد الله ابن مولاي ادريس بن ادريس .

ويذكر أن أصل عائلة شطير من سماته فهو سماتي أصلا ، تطواني منشئا ودارا .

ثم يتذكر صاحبنا أنه لم يضع لديوانه خطبة عامة فيتدارك الامر ويكتب خطبة الكتاب في صفحته الثالثة والسبعين بعد الثلاثمائة أي بعد أن رأى أن كتابه كاد يتم . فهو لم يكن من الذين يتوهمون أن اهم تئاليف فيكتبون لها مقدمات ما بين صغرى وكبرى ، ويضعون اها برامج وأبوابا وفصولا ، ثم يثقلون على الناس بقراءتها عليهم تثقيلا ، ثم يضعف الحماس وتتضاءل فكرة التأليف ، ويصطدم المؤلف الخيالي بالحقيقة فيظهر العجز ثم لا تكون كتابة ولا يقع تأليف . . . . .

فعلى المؤرخين أن لا يغتروا بما يسمعونه أو يقرأونه من المقدمات ، فرب مقدمة ، لم يزد عليها صاحبها كلمة ، وقد سجل المتسرعون اسمه في لائحة المؤلفين .

ولكن ما لنا ولهذا ، وأستغفر الله من الفضول .

كتب الاديب شطير خطبة ديوانه بعد عصر يوم الثلاثاء خامس جمادى الاخيرة عام ثلاثة عشر ومائتين وألف . أي بعد أن مضى على شروعه في كتابته نحو ثلاث عشرة سنة ، وكان إذ ذاك في الثانية والثلاثين من عمره ، وقد شعر بأن عهد الشباب قد ولى فظهر أثر ذلك الشعور في كتابته ، ولعل ذلك كان قبل وفاته بنحو السنتين

وهذا نص تلك الخطبة :

« الحمد لله الذي أدرج أحياء القلوب في أكفان العقول ، وأجرى فلك الافهام في نهر المعقول ، وبحر المنقول ، وفجر ينابيع حكمته في روض شريعة سيد كل فاضل ومفضول ، والصلاة والسلام على هذا النبي الامي طه الرسول ، وعلى آله وصحابه أهل الاحاطة بطاعته والشمول ، ثم على من اتبعه باحسان واتسم بالخمول ، وعلى جميع من اهتدى بهديه فاستراح من الفضول ، صلاة دائمة بدوام الدارين لا تحول ولا تزول .

وبعد فيقول هذا العبد المذنب الضعيف ، جامع فوائد هذا الكناش الظريف ، عبد الله بن علي بن طاهر شطير الشريف ، قد كنت زمن الصبا وضعف السلوك ، عنيت بجمع هذا الديوان المسمى بزعفران الدلوك ، في بساط الملوك ، والمترجم لعزة المثيل ، بنضار الاصيل ، على مقام الخليل ، فلما أذن عصر الشباب ، وظهرت فوائد اشغال أولي الالباب ، مع أني لم أكن أسلفت خطبة لهذا الكتاب ، بدا لي أن أضعها على هذا الاسلوب منوطة بعتاب ، خوف تناسي ما لله من نعيم أو عذاب .

هذا وإن مضمن هذا المجموع ، نفيس منشور الكلام ، وعزيز مشهور النظام ، وأنيس من ابتلي بالهوى والغرام . وشمس من خيمت به قراطيس الاقلام ، وطرس من رمته بالاغتراب الايام ، وعرس من كان لطيف الشمائل من الانام ، ثم ترتيبه على أربعة كتب ناعمة . لكل كتاب أربعة أبواب وخاتمة ، إلا أخيرها فلم ياخذ من ذلك إلا الخاتمة ، وتفسير ذلك بتفصيله عند تراكم أمواجه المتلاطمة .

وسر الاربعة الاصلية والفرعية فيه ظاهر للعيان ، فالفصول أربعة ، والطبائع والعناصر والكتب والاركان ، والزوجات ، وأشهر العدة ، ودنانير الجزية ، والاشهر الحرم ، وأشهر الهدنة ، وأيام الاقامة وشبهها في الاعيان ، ثم خلاصة جده وهزله في خاتمة الكتاب بعد ما ذكر ، إذ الدين النصيحة كما هو مشتهر ، ثم إذا ذكر الهوى ، فانما لكل امرئ ما نوى ، فرؤية الرفيع والوضيع من الاقوال والافعال ، كرؤية التقى والردى من النساء والرجال ، وانما امتازت الاشياء بأضدادها ، وقويت الجيوش والطلائع بامدادها ، فعلى الانسان أن يسعى لنفعه المشكور ، وليس عليه أن تساعده الدهور ، على أن الانسان إذا خلصت منه الفطرة ، ففي كل شيء له فكرة وعبرة ، وهذا جهد المقل لضيافة الحبيب ، وعلى الله توكلت وإليه أنيب . . . . الخ .

ثم إذا تفسحت داخل هذا البستان اللطيف ، فانك لا تنتقل من جميل إلا إلى جميل ، ولا تترك ظريفا إلا إلى ظريف .

فبينما أنت أمام مجالس وعظ وإرشاد ، تقرأ فيها كتب الزهد والورع ، إذا بك إزاء مجالس الطرب والسلوان ، تموج بالحور والغلمان ، والهوى يلعب بالنفوس ، والنجوم تدور بالكؤوس .

ثم يتذكر صاحبنا ثقافته الدينية ، أو تطير نشوة الفتوة والشباب ، ويخشى أن يسوء ظنك به فينبهك المرة بعد الاخرى إلى أن كل ما في ديوانه مما لا يجوز شرعا إنما هو مذكور على وجه الملحة فقط .

ثم نزيد قليلا فإذا بنا نجد الفقيه الاديب ، قد صار أستاذا ماهرا في لعب الكارطة ، يسرد لك أنواعها سردا ويعرفك بكيفية لعبها تعريف مطلع خبير ، ثم يترقى فياتيك بفصل عن الشطرنج وأصله وتاريخه وترتيبه ونوادره وما قال الناس فيه ثم يصير إماماً مجتهداً في الموضوع فياتينا بلعب شطرنجي قد ابتكره هو ابتكاراً وأخرجه للوجود إخراجا لاول مرة في شعبان عام 1204 .

وقد وضع للعبه المبتكر اسما خاصا هو « الوطيس » وهو متكون من رقعة الشطرنج نفسها ، ومن بيادقه عينها ، إلا أن ترتيبه مخالف للعب الشطرنج الذي نعرفه .

والامام المجتهد المبتكر هنا يعدد لنا مزايا الترتيب الذي اخترعه ، ويقارن بينه وبين ما هو معهود لدى الناس ، ولكنه ينصف في الموضوع إنصافا .

ثم بينما تجد صاحبنا يحمل باقة من عيون الادب العربي الفصيح ، إذا بك تجده سابحا في أنهار الشعر الملحون ، ما بين موشحات أندلسية ومغربية ، وبين قصائد شيوخ الكلام ، الغارقين في بحار الغرام .

ثم هذا فصل في الكلام على الخيل ومتعلقاتها ، وفصل آخر في الالحان والطرب الاندلسي وأصوله ونغماته وأصحابها وأوقاتها وطبائعها .

وهذا فصل في الكلام على النجوم والفلك ، وفيه فوائد وقواعد ، ثم نجد ما قيل في مختلف البلدان ، من أوصاف مذمومة أو حسان ، وهذه مدينة القصر الكبير التي أكرمني أحد فضلائها بهذا الكتاب ، من المروءة أن أثبت هنا بعض ما قيل فيها نقلا عن هذا الكتاب نفسه ، قال فيه سيدي عمر الحراق جد شرفائنا الحراقيين التطوانيين :

خبرت بقــاع الارض شرقا ومغربا وإني بها من كل من قد درى أدرى
فمن سره أن ينظر الجنة التي أعدت لاهل الخير فلينظر القصرا

وقال فيه أيضا :

إذا ما رأيت القصر والشمس طائحة ونور كما الابريز غطى بطائحه
فما نظرت عيناك للحسن رونقا ولا شم أنف منك للطيب رائحة

وقال فيه ابن زاكور العلامة الاديب الفاسي .

أبى القصر إلا أن يحوز العلا قسراً وأن يبني المجد التليد به قصرا
فان فاته الماء المفجر من صفا ففيه مياه الفضل قد فجرت بحرا

ثم هذه أنواع المكاتبات وحرفة الكتابة وواجبات الكتاب وكيفية صناعة أنواع كثيرة من المداد ثم أنواع الارقام الحسابية ، والاجوبة المسكتة ، وأمثال عامية ، وأخبار المتنبئين والطفيليين والثقلاء والمغفلين الخ .

وهذه قواعد صحية ومنافع بعض الماكولات وضرر الاخرى .

ويختم صاحبنا ديوانه بحكم ووصايا ، ومن أحسن ما نقله في هذا الموضوع هذه الارشادات :

« اذا أردت حسن المعيشة ، فالق صديقك وعدوك بحسن الرضا من غير ذلة ولا هيبة منهم ، وتأخر من غير كبر ، وتواضع من غير مذلة ، وكن من جميع أمورك في وسطها ، فكلا طرفي كل الامور ذميم ، ولا تنظر في عطفيك ، ولا تكثر الالتفات ، ولا تفتخر في الجماعات ، واذا جلست فلا تستوفز ، وتحفظ من تشبيك أصابعك ، والعبث

بلحيتك وخاتمك ، وتخليل أسنانك ، وإدخال أصبعك في أنفك ، وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك ، وكثرة التمطي في وجوه الناس ، وفي الصلاة وغيرها ، وليكن مجلسك هذيا ، وحديثك منظما مرتبا ، وأصغ إلى الكلام الحسن ممن يحدثك به من غير اظهار تعجب مفرط ، ولا تسئله إعادته ، واسكت عن المضاحك والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بولدك وجاريتك ، ولا بشعرك وتصنيفك وسائر ما يخصك ، ولا تتصنع بصنع المرأة في التزين ، وتوق الكحل والاسراف في الدهن ، ولا تلح في الحاجات ، ولا تشجع أحداً على الظلم ، ولا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم بمقدار مالك ، فإنهم إن رأوه قليلا هنت عندهم ، وإن رأوه كثيراً لم تبلغ رضاهم ، واجفهم من غير عنف ، ولن لهم من غير ضعف ، ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك ، وإذا خاصمت فتوق وتحفظ من جهلك ، وتجنب عجلتك ، وتفكر في حجتك ، ولا تكثر الاشارة بيدك ، ولا تكثر الالتفات إلى من وراءك ، ولا تجث على ركبتك ، وإذا هدأ غضبك تكلم ، وإذا قربك السلطان فكن منه على أتقن بيان ، وإن استرسل إليك فلا تامن انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبي ، وكلمه بما يشتهي ، ولا يحملنك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده ، فإن سقطة الداخل بين الملك وأهله وولده ، سقطة لا تنعش ، وزلة لا تقال ، وإياك وصديق العافية ، فإنه أعدى الاعداء ، ولا تجعل مالك أكرم من عرضك ، وإذا جلست فالبداية بالتسليم هو الادب ، وترك التخطي لمن سبق في الجلوس حيث اتسع المكان ، يكون أقرب إلى التواضع ، وأن تخص بالسلام من قرب منك عند الجلوس ، ولا تجلس على الطريق ، وإذا جلست فأدبه غض البصر ، ونصرة المظلوم ، وإغاثة الملهوف ، وعون الضعيف ، وإرشاد الضال ، ورد السلام ، وإعطاء السائل ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . . .

ولا تجالس الملوك ، فإن فعلت فأدبه ترك الغيبة ، ومجانبة الكذب ، وصيانة السر ، وقلة الحوائج ، وتهذيب الالفاظ ، والاعراب في الخطاب ، والمذاكرة باخلاق الملوك ، وقلة المداعبة ، وكثرة الحذر منها وإن ظهرت المودة ، ولا تتخط بحضرته ، ولا تتكئ ولا تخلل عنده أسنانك بعد الاكل .

وعلى الملك أن يتحمل كل شيء إلا إفشاء السر ، والقدح في الملك والتعرض للحرام .

ولا تجالس العامة، فإن فعلت فأدبه ترك الخوض في حديثهم ، وترك الاصغاء إلى أراجيفهم ، والتغافل عما جرى من سوء ألفاظهم ، وقلة اللقاء بهم مع الحاجة إليهم .

وإياك أن تمازح لئيما أو كريما ، فان الكريم يحقد عليك ، واللئيم يجرئ عليك . . . . الخ .

من شعره

ثم لا ننسى أن نذكر أن صاحبنا قد حاول أن يقول الشعر ، واسمع إن شئت قوله :

زر من تحب ولا تخشى عواذله إن المحب لمن يهواه زوار
وقل وصل ثم سل عزاً وتكرمة فما خلو بمحبوب الحشا عار

وقوله :

إذا ما عجزت عن عدو فداره ومازحه إن المزح فيه وفاق
أرى النار بالماء الذي هو ضدها تفيد نضاجا والقياس وفاق

وقوله :

لما رأيت التقى قد عز في زمن قامت نصيحته طويت أعذاري
وجئت مستشهداً بقول من ظهرت أعلام نصح له من دون أستار
الناس في غفلة عما يراد بهم كأنهم غنم في دار جزار

وله في شاذن اسمه عبد الرحيم :

بعبد الرحيم شغفت وكم له من قتيل بنار الغرام
لقد ملأ القلب نور بهاه وصال عليه بدون حسام

كما أنه أثبت في ديوانه عدة منظومات له في عدة مناسبات .

منها أنه لما قرأ الابيات المشهورة للشيخ ابن غازي التي أولها قد فتح الغرب الخ. مع تذييلات مختلفة عليها ، نظم رجزاً فيه نحو أربعين بيتا في تاريخ وفيات بعض المشاهير وقد جاء فيه بعض المقدمة قوله :

هذا وذكر الصالحين خير لذاك جئتكم بما يسر

وقال في آخره :

عبد الالاه بن علي نظما شطير لقبه في الانتما

وكان نظمه لذلك عام 1213 .

وقبل أن يختم صاحبنا كتابه يودعنا باشعار كثيرة ومنظومات متعددة .
منها قول بعضهم :

ثمانية تجري على المرء دائما ولا بد للانسان يلقى الثمانية
سرور وحزن واجتماع وفرقة وعسر ويسر ثم سقم وعافية

وقول آخر :

وما هي إلا ليلة ثم يومها ويوم إلى يوم وشهر إلى شهر
مطايا يقربن الجديد إلى البلا ويدنين أشلاء الصحيح إلى القبر

وقول آخر :

تفردت بالآداب حتى ألفتها فما لي سوى أخبارهن أنيس

ثم يلتفت لديوانه المحتوي على عصارة ذهنه ، وخلاصة أدبه وعلمه ، فينشد فيه :

أنيس فؤادي منذ عشرين حجة وصيقل ذهني والمفرج عن همي
وعار على مثلي إعارة مثله فيا ليته أن لا يفارقه كمي

وقول آخر :

هذا كتاب لو يباع بوزنه ذهباً لكان البائع المغبونا
أو ما من الخسران أني آخذ ذهباً ومعطى لؤلؤاً مكنونا

وفي آخر الكتاب يقول :

هنا انتهى ديواننا النبيل ، المترجم بنضار الاصيل ، على بساط الخليل ، بحمد الله وحسن عونه . . .

ويابى اعتناؤه إلا أن يعرفنا بأن ديوانه أو كناشه ليس فريداً في بابه ، بل ذكر أن رفقاءه أيضا كانت لهم كنانيش مثله ، فهذا حبنا علي بن عبد السلام بن ريسون له كناشه ، وخلنا المامون أفيلال له كناشه أيضا ، وهناك كناش صاحبنا أحمد غيلان ، وكناش رفيقنا أحمد بن أحمد حجاج ، وكنانيش ابن ادريس وشهبون والعمارتي . . .

ولكن أين أعيان هذه الكنانيش وأين أخبارها .

ألا قاتل الله الجهل والاهمال ، والحروب والاهوال ، فكم أضاعت من فوائد ، وكم وأدت من فرائد ، والامر لله .

هذا وقد وقفت أيضا على مجموع آخر يحتوي على نحو ثلاثمائة صفحة وهو مكتوب بخط المترجم رحمه الله ، ومن جملة ما فيه ، طبقات شيخه ابن عجيبة ، وقد نسخها عام 1208 ، أي قبل وفاة مؤلفها بست عشرة سنة .

وفيه أيضا شرح السيوطي للنقاية ، وقد كتب الناسخ في آخره : على يد كاتبه لنفسه ثم لمن شاء الله من بعده ، عبد الله بن على بن طاهر . . . شطير الحسني . . . عام 1207 .

وفيه أيضا خطبة كتاب يظهر أن المترجم شرع في تأليفه ولعل المنية عاجلته قبل الفراغ منه ، وهذه فاتحة تلك الخطبة :

« الحمد لله رب الملائكة والجنة والناس ، والصلاة على من أضاء به الكون دون التباس ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبراس ، وعلى آله وأصحابه وتابعيه إلى أن توزن الاعمال بالقسطاس ، هذا ما مست اليه الحاجة لدفع الوسواس ، من فروع الادارسة المطهرين في المبنى والاساس ، على اختلاف أسباطهم باعتبار الاصول في الاقتباس ، لما في ذلك من أسباب المودة في القربى والملاذ بأشرف الاجناس ، مما دونه بعض العلماء الاذكياء النبلاء الاكياس . . . . . الخ الخطبة .

ثم أثبت المقدمة ثم شرع في المقصد ، وكتب من ذلك نحو خمس صفحات ، وفي آخر هذا الكناش ما يدل على أنه استمر في الكتابة به إلى سنة 1213 .

وقد كان هذا الكناش في ملك الفقيه الوزير السيد محمد بن عبد الله الصفار ، ثم صار في ملك الفقيه القاضي السيد محمد بن علي عزيمان ، وهو الآن في ملك بعض حفدته والدوام لله .

هذا وإنني لم أقف على تاريخ وفاة المترجم رحمه الله بالتدقيق ، ووجدت بعض الشهادات بخطه وعلامته العدلية مؤرخة بسنة 1214 .

كما وقفت له على كتابة أخرى بخطه وقد أرخها بثامن وعشري ذي القعدة الحرام عام 1214 .

ثم وقفت له على شهادة كتبها بتاريخ 29 محرم عام 1215 .

وأظن أن وفاته كانت بعد التاريخ المذكور بقليل، أي في وباء سنة 1215، فرحمة الله عليه من أديب لبيب .

الفقيه سيدي عبد الجليل البقال 1219

هذا السيد ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه النبيه العالم النزيه .

وذكر أنه كان مدرسا عدلا مفتيا ، وأنه قرأ عليه المرشد المعين لابن عاشر ، ورسالة ابن أبي زيد وغير ذلك ، ولم يذكر تاريخ وفاته .

وترجم له أيضا أستاذنا الرهوني ونقل كلام السكيرج وزاد أنه وقف على رسوم عدلية له من سنة 1186 فما بعد .

(قلت) والمترجم رحمه الله كان أحد الفقهاء الذين حملوا راية المعارضة للشيخ العالم الصوفي أبي العباس ابن عجيبة وللجماعة الصوفية الذين وردوا على تطوان من فاس وغيرها فسجنوا وعذبوا ، وهو أيضا الذي زار فقيههم السيد أحمد الكوهن بالسجن وأنكر عليه حاله ولباسه الصوفي ودعاه للرجوع عن تصوفه والاشهاد على نفسه بذلك لينجو من الضرب والامتحان والعذاب ويخرج من السجن ويستريح الخ .

وقد وجدت في بعض التقاييد أن المترجم رحمه دخل الجامع الكبير بتطوان وتوضأ وجلس بصحن الجامع قبل صلاة الجمعة من يوم 16 ربيع الثاني سنة 1219 ، فشعر بوجع فحمل إلى داره ثم توفي بعد ذلك رحمه الله .

الفقيه السيد محمد بن الهاشمي حرش 1220

هذا الفقيه الخير قد ترجم له معاصره أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه الصفي الخير الدين .

وذكر أنه نشأ نشأة صالحة ، وركب التقوى طريقا واضحة ، وجمع بين الحسب والنسب ، والعلم والدين ، وكان مدرسا وقورا وله اليد الطولى في الفقه والنحو وغيرهما الخ .

ووصفه تلميذه الفقيه العدل سيدي محمد بن الهاشمي أفيلال بانه العلامة المحقق المشارك الصوفي أبو عبد الله سيدي محمد بن الهاشمي حراش الغماوي ثم التطواني .

وذكر أن وفاته كانت ظهر يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان عام 1220 رحمه الله .

« قلت » وكان رحمه الله جميل الخط ، وفي خزانتي نسخة من كتاب الابريز بخطه .

وقد ذكر أنه فرغ من كتابته في سادس عشر جمدى الاولى عام 1204 ، وكتب اسمه هكذا ، محمد حرش الحسني . . .

الفقيه السيد محمد بن عبد الهادي مدينه

هو الفقيه المسند السيد محمد (بالفتح) ابن الحاج عبد الهادي ابن الحاج علي مدينة .

ولم أقف على ترجمة السيد محمد هذا ، وإنما وجدت اسمه كرجل من رجال الاسناد .

ففي فهرس الفهارس (1) للعلامة الحافظ الشيخ عبد الحي الكتاني في ترجمة الشيخ أبي العباس أحمد الصباغ الاسكندري ، أن علامة تونس الشيخ ابراهيم الرياحي يروي ثبت الشيخ الصباغ المذكور عن الشيخ محمد الطاهر بن المير السلوي عن أبي عبد الله محمد بن الهادي مدينه به عرف التطواني (المترجم) عن الشيخين عبد الوهاب عفيفي ومحمد بن عيسى الزهار عن مؤلفه ، ومثله في رياض الجنة للعلامة القاضي السيد عبد الحفيظ الفاسي (2) في الاجازة التي كتبها له الشيخ محمد بن يوسف المفتي الحنفي بتونس ، وفي ترجمة القاضي الشيخ الطيب النيفر التونسي (3) .

ثم ذكر أن مدينة المذكور يروي عاليا عن أبي الحسن علي السقاط الفاسي المتوفى بمصر سنة 1183 رحم الله الجميع ، ولم أقف على تاريخ وفاة المترجم ، وأقدر أنها كانت في العقد الاول أو الثاني من هذا القرن والله أعلم .

الفقيه المدرس السيد عبد العزيز التبين (4)

هذا السيد ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه العالم الخير السري .

وذكر أنه من سلالة الولي الكبير العالم الشهير الشيخ عبد القادر التبين ، صاحب الضريح المشهور خارج باب العقلة .

ثم ذكر أنه قرأ عليه ألفية ابن مالك والمقنع والقلصادي وغير ذلك . ولم يذكر تاريخ وفاته ، ولعلها كانت في العقد الثاني من هذا القرن والله أعلم .

---

1) فهرس الفهارس ج 2 ص 108 .
2) رياض الجنة ج 1 ص 98 .
3) رياض الجنة ج 2 ص 35 .
4) التبين ، بفتح التاء وكسر الباء مشددة .

سيدي بن كيران 1222

هذا السيد هو صاحب القبة المشهورة قرب خندق المرس خارج باب المقابر .

وقد ذكره معاصره أبو محمد السكيرج وحكى في تاريخه أنه زاره مرة صحبة قاضي تطوان الشريف سيدي الطيب بن رحمون ، وكان المترجم نازلا في قمة جبل درسة (المطل على تطوان) فلما وصل إليه القاضي المذكور ، قال له المترجم ، مرحبا بابن رسول الله ، را البرنوسي قادم من رؤوس الجبال ، را العبد السلاوي يتبعه ، السلاوي يقتل أشعاش وأشعاش يقتل السلاوي .

قال السكيرج ، فما لبثنا أن أعفي القاضي ابن رحمون وولي مكانه القاضي البرنوسي ، وعزل القائد أشعاش وخلفه القائد السلاوي ، ثم بعد مدة عاد القائد أشعاش لمنصبه بعد عزل السلاوي ، وكان ذلك من الغرابة بمكان .

وقد ترجم لهذا السيد أيضا أستاذنا الرهوني ، ووصفه بالولي الصالح ، المجذوب السائح ، سيدي محمد بن كيران .

وذكر أنه يقال إن أصله من فاس وأن المثري الشهير بتطوان الحاج محمد بجة كان يخدم السيد المذكور ، وأنه هو الذي بنى قبته ودفن معه فيها .

وقد وجدت في بعض التقاييد التي لم أعرف كاتبها ما نصه :

« توفي الولي الصالح سيدي محمد بن كيران الفاسي التطواني في 7 ربيع الثاني عام 1222 » والله أعلم .

العلامة الشيخ أبو العباس أحمد ابن عجيبة 1224

هو الفقيه الصالح العلامة المدرس المؤلف الشيخ المربي أبو العباس أحمد بن محمد ابن عجيبة ، كان رحمه الله مثال الجد والاجتهاد والنشاط في ميدان العلم والعمل والاخلاص .

وقد ترجم له معاصره وتلميذه أبو محمد السكيرج بقوله :

« ومنهم الفقيه العلامة الدراكة الفهامة ولي الله تعالى سيدي أحمد بن سيدي محمد ابن عجيبة الحسني ، هو صدر من صدور أئمة الدين ، وكبير من كبار الاولياء المهتدين ، وقدوة في أفراد العلماء الزاهدين ، حامل لواء المعارف ، حافظ للكتاب والسنة ، محافظ على متابعة الشريعة والملة ، قائم بأعباء صلاح الامة ، باسط للضعفاء وذوي الحاجات جناح الرأفة والرحمة ، كثير الصيام والقيام ، دائم الخلوات ، مجاب الدعوات ، وقور صموت هين معظم ، وله في التصوف الباع الطويل . . . الخ » .

وذكره العلامة الشيخ عبد القادر الكوهن الفاسي في فهرسته ووصفه بالفقيه الارشد ، العلامة الاسعد ، العارف بالله . . . الخ .

وترجم له شيخنا أبو العباس الرهوني ووصفه بقوله :

العارف بالله تعالى ، الولي الصالح ، العلامة الناصح ، المشارك في سائر الفنون ، المختص من مولاه بعطاء غير ممنون ، الشريف الاسعد ، الزاهد الاصعد ، مولانا أحمد بن محمد بن عجيبة التطواني صاحب التآليف العديدة ، والفضائل المديدة ، مربي السالكين ، ومنجي الهالكين ، الواصل الموصل ، الحاصل المحصل . . . الخ .

وترجم له الشيخ عبد الحي الكتاني (1) ووصفه بالعالم العارف ، وذكر بعض تآليفه وروايته وفهرسته .

---

1) فهرس الفهارس ج 2 ص 228 .

مولده عام 1160

ذكر رحمه عن نفسه أن ولادته كانت في زمن نزول المستضيء على تطوان سنة ستين أو إحدى وستين، ومن المعلوم أن حصار المستضيء لتطوان، كان أواسط سنة 1160 هـ، فولادته كانت سنة 1160 في مدشر «اعجيبش» من قبيلة الحوز (1) التي تقع مدينة تطوان في سفح أحد جبالها.

والمدشر المذكور، به ضريح الشيخ عبد الله ابن عجيبة، الولي الصالح الذي هاجر إليه من سبتة سنة 807 هـ وهو جد جميع أولاد ابن عجيبة.

حفظه للقرآن والمتون العلمية في صغره

ذكر رحمه الله أنه حفظ القرآن الكريم بعدة روايات، وأنه كان كثير التلاوة لكلام الله العزيز حتى إنه كان يختمه في الشهر الواحد أربع عشرة مرة، وقد ألقى الله في قلبه محبة العلم من صغره، فقرأ المنظومة القرطبية قبل ختم الختمة الاولى من القرآن، ثم حفظ متون الاجرومية والالفية والمرشد المعين ونظم الخراز، وجزءاً من حرز الاماني، ثم شرع في قراءة العلم الشريف وقضى في ذلك نحو العامين بمدينة القصر الكبير، بعد أن ابث مشتغلا بقراءة القرآن نحو ثمانية عشر عاما، وقد شرع في قراءة العلم عند ما كان عمره ثمان عشرة أو تسع عشرة سنة.

دراسته بتطوان وشيوخه بها

ذكر رحمه الله أن والده كان قد قدم به على تطوان بقصد زيارة علمائها وهو صغير السن، فلقي بها الشيخ أحمد الورزيزي العلامة الشهير، المتوفى بتطوان سنة 1179 هـ، وأن انتقاله إلى تطوان بقصد الاستقرار بها ودراسة العلم على شيوخها، كان عام 1180 - أو - 1181.

---

1) قبيلة الحوز، هي إحدى القبائل الجبلية الواقعة بين مدينتي تطوان وسبتة، والارض التي عليها مدينة تطوان وضواحيها، تعد قطعة من هذه القبيلة، وقبيلة الحوز قسمان، الحوز البحري، وهو المتصل بالبحر الابيض المتوسط، ومنه مداشر بني سالم، والسرور، والكوف، ووادي الزرجون الخ.

والحوز الصديني، وتفصله الجبال عن البحر، ومنه مداشر بني عمران، والعلوية، واعجيبش والريحانة الخ.

ومن المعروف أنه توجد في المغرب قبايل أخرى اسمها «الحوز» أيضا.

وأنه قرأ العلم بهذه المدينة على الفقيهين السيد أحمد الرشي والسيد عبد الكريم ابن قريش ، وقد حلاهما بالفقيهين العالمين المدرسين ، وذكر أنه لازمهما بضع سنوات.

وأنه قرأ على الرشي ألفية ابن مالك ومختصر الشيخ خليل والسلم ومختصر السنوسي في المنطق ، والصغرى والكبرى والمقنع والخزرجية .

كما قرأ على ابن قريش ، التفسير وصحيح البخاري مراراً ، وصحيح مسلم ومختصر خليل مراراً ، ورسالة ابن أبي زيد وتحفة ابن عاصم والزقاقية والالفية مراراً ، والموضح ولامية الافعال مراراً ، وجزءاً من المغني والصغرى والكبرى ومختصر السنوسي والسلم والتلخيص وجمع الجوامع ، والشفا والهمزية .

وقرأ بتطوان أيضا على العلامة محمد بن علي الورزازي تلخيص المفتاح وجمع الجوامع وبعض الالفية والمختصر .

كما قرأ بها على الفقيه النحوي السيد محمد العباس ألفية ابن مالك وتوضيح ابن هشام قراءة تحقيق .

وقرأ على القاضي عبد السلام بن قريش التفسير وشمائل الترمذي ، وحضر بعض دروس الرجل الصالح السيد محمد غيلان والعلامة الخير السيد علي شطير .

وقرأ على الفقيه العلامة السيد محمد بن الحسن الجنوي ، مختصر خليل والتلخيص وجمع الجوامع والورقات بشرح الحطاب وصحيح البخاري مرتين ، وجزءاً من صحيح مسلم والرسالة والحكم وبعض التفسير وقواعد الشيخ زروق وجزءاً من نصيحته .

قراءته للعلم بفاس

ذكر رحمه الله أنه لما توفي العلامة الشيخ محمد بن الحسن الجنوي (المتوفى عام 1200) ارتحل من تطوان إلى فاس وقرأ بها على الشيخ التاودي بن سودة ، والشيخ محمد بنيس ، والشيخ الطيب بن كيران وغيرهم .

ويلاحظ أن عمره في ذلك التاريخ كان قد بلغ نحو أربعين عاما ، وأنه كان قد تزوج وألف عدة كتب ، منها شرح الوظيفة الزروقية ، وشرح الهمزية ، والحزب الكبير للشاذلي وشرح تائية الجعيدي الخ .

أسانيده وإجازاته

يروي الحديث عن الشيخ التاودي ابن سودة عن الشيخ محمد جسوس عن عمه الشيخ عبد السلام جسوس عن الشيخ عبد القادر الفاسي بأسانيده.

ويروي الفقه المالكي عن الشيخ محمد بن الحسن الجنوي والشيخ عبد الكريم ابن قريش ، كلاهما عن الشيخ التاودي ابن سودة عن الشيخ محمد جسوس عن الشيخ محمد المسناوي عن الشيخ محمد ابن الحاج عن الشيخ عبد القادر الفاسي باسانيده إلى الامام مالك رحم الله الجميع .

وقد أجازه الشيخ التاودي والشيخ بنيس والشيخ محمد بن علي الورزازي .

وأرى من تمام الفائدة ، أن أثبت هنا نص ما وقفت عليه من ذلك :

فهذا نص إجازة الشيخ التاودي نقلا لها من خطه رحمه الله .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، وبه نستعين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النور الحق المبين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فيقول أفقر العبيد ، وأحوجهم إلى رحمة مولاه الغني الحميد ، عبد الله سبحانه التاودي بن الطالب بن سودة المري نسبا ، الفاسي منشئا ودارا ، إن الفقيه الناسك العالم السالك، أبا العباس سيدي أحمد بن عجيبة، المذكور في آخر هذا المجلد، (1) سألني أن أجيزه فيما سمعه مني أو أخذ عني ، وفي غيره ، ورغب إلي في أن أكتب له على هذا الكتاب رجاء لبركته فأجبت رغبته ، ولبيت دعوته إسعافا لا إنصافا ، فلست بأهل أن أجيز ، وإنما قضى الوقت برقي الدون مرقى الاكابر ، أجزت الفقيه المذكور في جميع ما يجوز لي وعني روايته من مؤلف وموضوع ، ومقرو ومسموع ، إجازة تامة مطلقة عامة ، بشرطها المعتبر ، وقيدها المقرر ، عند أهل الحديث والاثر ، حسبما حصل لي ذلك والحمد لله عن جمع كثير ، وجم غفير ، من العلماء الاعلام ، ومشايخ الاسلام ، ما بين قراءة وسماع ، ومناولة ، وإجازة ووجادة ومراسلة ، والله تعالى يكون لنا وله ويبلغ كلا منا من خير الدارين ما أمله ، انتهى .

---

1) هذه الاجازة كتبها الشيخ التاودي للشيخ ابن عجيبة في ورقة من أحد المجلدات العلمية .

وإجازة الشيخ محمد بنيس هذا نصها نقلا لها من خطه أيضا .

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد المصطفى الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

أحمد الله سبحانه وتعلى على متواتر إحسانه ، وأشكره جل وعلا على متواصل إنعامه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة صحيح الاعتقاد ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله عظيم الجاه يوم يقوم الاشهاد ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله أولي النهى والاعتماد ، ما شرفت هذه الامة المحمدية بعلو الاسناد .

هذا وإني قد أسعفت الفقيه النجيب ، العلامة الاريب ، الماجد النبيل ، ذا الفهم والذكاء والتحصيل ، والشيم المستحسنة الغريبة العجيبة ، سيدي أحمد بن سيدي محمد ابن عجيبة ، متع الله بحياته الاسلام والمسلمين ، وأدام النفع به بفضل الله أكرم الاكرمين ، فيما رغب فيه من الاجازة ، لا لكوني أهلا لذلك ، بل لكونه أهلا للمزيد من الكمالات ، بالتنزل للارتقاءات ، وقد قال صلى الله عليه وسلم ، رب مبلغ أوعى من سامع ، فلم يشترط استجماع الشروط ، بل التبليغ على وفق السماع ، فصارت الاجازة التى هي نوع من التبليغ من القاصر للأوعى ، أمراً ذا اتساع ، فلذا أجزت الفقيه المذكور ، إجازة عامة شاملة في جميع ما يجوز لي وعني روايته ، من مقرو ومسموع ومجاز ، حسبما أخذنا ذلك عن عدة من شيوخنا المشارقة والمغاربة يضيق تقصيهم هنا ، وقد سردنا أحاديث من كتب عديدة ، السنة وغيرها ، وقرأنا فرائض المختصر ونبذة من تسهيل ابن مالك ، جعل الله ذلك خالصا لوجهه الكريم ، وسببا في الفوز بالمقر الاسنى في دار النعيم ، بجاه مولانا محمد المصطفى الكريم ، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وكتب عبيد ربه محمد بن أحمد بن محمد بنيس الفاسي كان الله له وليا ونصيراً ولجميع المسلمين ، وبتاريخ 12 شوال عام 1203 هـ.

استقراره بتطوان وتدريسه لمختلف العلوم بها

ذكر رحمه الله أنه لبث مشتغلا بتدريس العلوم ستة عشر عاما ، وأن تدريسه بتطوان ، كان في عدد مساجدها وزواياها .

وقد ذكر أسماء سبعة منها وهي :

جامع القصبة ، وجامع الجعيدي (يعني به جامع العيون) ومسجد الساقية الفوقية، وزوايا ، سيدي السعيدي ، وسيدي بن ناصر ، وسيدي بن مرزوق ، وسيدي حنصال...

وذكر المؤرخ السكيرج ، أنه رافقه في القراءة على العالمين المدرسين ، عبد الكريم بن قريش ومحمد التلمساني .

وأنه قرأ عليه رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، ومرشد ابن عاشر ، وألفية ابن مالك ، وبردة البوصيري ، ونصيحة زروق ، الخ .

ومن الطبيعي أن تكون العلوم والكتب التي كان يدرسها مع طلبة العلم بتطوان قبل انغماسه في بحر التصوف ، هي نفس العلوم والكتب التي قرأها على شيوخه بتطوان وفاس وغيرهما .

وقد ذكرنا ذلك عند الكلام على أشياخه وما قرأه عليهم .

تآليفه

ذكر معاصره أبو محمد سكيرج ، أن له تآليف مفيدة وتقاييد حسنة ، الخ .

وذكر الشيخ عبد القادر الكوهن الفاسي أن له من التآليف ما ينيف على الثلاثين، وجلها في التصوف .

ويلاحظ أن بعض العلماء كانوا يتساهلون في اسم تاليف ، فيطلقونه على المؤلف الكبير ، وعلى التقييد الصغير او البحث المحتوي على بضع صفحات ، ومن هذا القبيل كتب الشيخ ابن عجيبة رحمه الله .

وقد ذكر المترجم نفسه في فهرسته ، تآليفه كلها ، ومن أهمها « البحر المديد » وأزهار البستان .

تفسير القرآن الكريم

هو أهم وأكبر تآليفه رحمه الله ، وقد قال عنه في فهرسته ما نصه :

ثم فسرت كتاب الله العزيز من أوله إلى آخره في أربع مجلدات كبيرة ، جمعت فيه بين عبارة أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن ، سميته « البحر المديد ، في تفسير القرآن المجيد » وقد وقفت عليه مخطوطا في أربعة مجلدات ضخام ، وقد استهله رحمه الله بقوله :

نحمدك يامن تجلى لعباده في كلامه ، بكمال بهائه وجماله ، وفتق ألسنة العلماء النحارير لاستخراج درره ولئاليه ، وفجر قلوبهم بينابيع الحكم المؤيدة بأصوله ومبانيه ... إلى أن قال :

وبعد فان علم تفسير القرءان ، من أجل العلوم ، وأفضل ما تنفق فيه نتائج الافكار وقرائح الفهوم ، ولكن لا يتقدم لهذا الخطر الكبير ، إلا العالم النحرير ، الذي رسخت أقدامه في العلوم الظاهرة ، وجالت أفكاره في معاني القرآن الباهرة ، بعد أن تضلع من العلم الظاهر عربية وتصريفا ، ولغة وبيانا وفقها وحديثا وتاريخا ، يكون أخذ ذلك من أفواه الرجال ، ثم غاص في علم التصوف ذوقا وحالا ومقاما بصحبة أهل الاذواق من أهل الكمال ، وإلا فسكوته عن هذا الامر العظيم أسلم ، واشتغاله بما يقدر عليه من علوم الشريعة الظاهرة أتم . وأعلم أن القرآن العظيم ، له ظاهر لاهل الظاهر ، وباطن لاهل الباطن ، وتفسير أهل الباطن لا يذوقه إلا أهل الباطن لا يفهمه غيرهم ، ولا يذوقه سواهم ، ولا يصح ذكره إلا بعد تقرير الظاهر . . . . إلى أن قال :

هذا وقد ندبني شيخي العارف الرباني سيدي محمد البزيدي الحسني ، وكذا شيخه القطب الجامع ، شيخ المشائخ ، مولاي العربي الدرقاوي الحسني ، أن أضع تفسيراً يكون جامعا بين تفسير أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن ، فأجبت سؤالهم ، وأسعفت طلبتهم ، رجاء أن يعم به الانتفاع ، ويكون ممتعا للقلوب والاسماع ، مقدما في كل ءاية ما يتعلق بمهم العربية واللغة ، ثم بمعاني الالفاظ الظاهرة ، ثم بالاشارات الباطنة ، متوسطا في ذلك بين الاطناب والاختصار ، منتظراً في ذلك كله ما يفتح علي من خزائن الكريم الغفار ، وسميته « البحر المديد ، في تفسير القرءان المجيد » نسئل الله تعلى أن يكسوه جلباب القبول ، وأن يبلغ فيه القصد والمامول .

والمترجم رحمه الله سلك في تفسيره هذا كما قال ، طريقة أهل الاشارة من الصوفية ، فهو بعد أن يفسر الآية تفسيراً عادياً يقول : الاشارة .

ثم ياتي بما يناسب الآية من إشارات الصوفية ، ودونك نموذجا من ذلك :

قال بعد تفسير قوله تعلى ، « يايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا » الخ.
ما نصه : الاشارة .

اعلم أن الحق تعلى جعل للبشرية قوتا ونعيما تتنعم به ، وجعل للروح قوتا ونعيما تتلذذ به ، فقوت البشرية الطعام والشراب ، ونعيمها الملابس والمناكح والمراكب ، وقوت الروح اليقين والعلوم والانوار ، ونعيمها الشهود والاستبصار ، والترقي في المعارف والاسرار ، فكما أن النفس تاكل مما في الارض حلالا طيبا ، كذلك الروح تاكل مما في الارض حلالا طيبا ، إلا أن أكل النفس حسي ، وأكل الروح معنوي ، وهو التفكر والاعتبار ، والشهود والاستنصار ، وفي ذلك يقول المجذوب رضي الله عنه :

الخـلـق نـوار وأنا رعيت فيهم
هم الحجب الاكبر والمدخل فيهـم

وكان شيخ شيوخنا سيدي علي (1) رضي الله عنه يقول :

من أراد أن يذوق ، فليذهب إلى السوق ، وذلك لانه مظنة الزحام ، وفيه عند الاقوياء الربح التام ، فيقال لهم أيها الناس الكاملون في الانسانية كلوا مما في الارض بأرواحكم وأسراركم شهوداً واعتباراً ، حلالا طيبا ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، فتقفوا مع ظواهر الاكوان ، فتحجبون عن الشهود والعيان فانه لكم في صورة العدو المبين ، لكنه في الحقيقة يحوشكم الى الرسوخ والتمكين ، لانه كلما حرككم بنزغه ، فزعتم إلى ربكم في دفعه ، حتى يمكنكم من حضرته ، فانه يامركم بما يسوء وجوهكم ، ويغم قلوبكم ، من مفارقة شهود الاحباب ، والوقوف من وراء الحجاب ، وأن تقولوا على الله ما ليس بحق ولا صواب ، كثبوت السوى ، أو الالتفات إلى الهوى ، والله تعلى أعلم .

وهذا المجلد (الاول) يقع في 478 صفحة كبيرة ، في كل صفحة 37 سطراً ، وقد وصل فيه إلى قوله تعلى « وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ، إن الله بكل شيء عليم » وذلك آخر السورة الثامنة (الانفال) أي إن فيه تفسير ثمانية عشر حزبا ونصف حزب على الاصطلاح المغربي ، وقد جاء في آخره ما نصه :

« هذا آخر السفر الاول من « البحر المديد ، في تفسير القرءان المجيد » ووافق الفراغ من تبييضه سادس عشر جمدى الاولى سنة ست عشرة ومائتين وألف .

---

1) يعني الشيخ عليا الجمل رحمه الله .

أما المجلد الثاني ، فيبتدىء من أول سورة (التوبة) « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » وينتهي في قوله تعلى وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الرحمين » وذلك آخر سورة (المومنون) وقد فرغ من تبييضه عشية يوم الثلاثاء سابع عشر صفر عام 1218 هـ .

والمجلد الثالث ، يبتدىء من أول سورة (النور) سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها ءايات بينات لعلكم تذكرون » وينتهي في قوله تعلى « ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ، ألا إنه بكل شيء محيط » وذلك هو آخر سورة (فصلت) وقد فرغ من تبييضه يوم الاربعاء تاسع رمضان عام 1219 .

والمجلد الرابع ، يبتدىء من أول سورة (الشورى) « حم عسق ، كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم » وينتهي في آخر سورة (الناس) وهي آخر كتاب الله العزيز .

وقد جاء في آخره أنه فرغ من تبييضه يوم الاحد سادس ربيع النبوي عام 1221 على يد جامعه العبد الضعيف الفقير إلى مولاه أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني لطف الله به في الدارين ءامين .

ومن تمام الفائدة التاريخ ، أن أذكر هنا أن النسخة التي وقفت عليها من هذا التفسير ، بخط الفقيه السيد عبد الغفور بن التهامي البناي التطواني ، وقد فرغ من كتابتها عام 1246 للفقيه العالم الشريف سيدي الطيب بن عبد السلام البقال التطواني رحم الله الجميع .

« أزهار البستان » في طبقات العلماء والصلحاء والاعيان ، وقد ذكره في فهرسته وقال عنه :

إنه في طبقات الفقهاء ، وذكر أرباب المذاهب والتعريف بهم والتعريف بمشاهير أصحاب مذهب مالك من زمانه إلى زمننا هذا على ترتيب وجودهم كل قرن وحده إلى وقتنا هذا ، ثم اتبعهم بذكر النحويين والمحدثين والصوفية ، غير أن الصوفية لم نستكمل ذكرهم هـ .

وقد وقفت على نسخة من هذا الكتاب كتبت في حياة المؤلف بخط الفقيه العدل سيدي عبد الله بن علي شطير ، وتقع هذه النسخة في 253 صفحة متوسطة الحجم ، وقد قال المؤلف في أولها :

يقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه ، الغني عما سواه ، أحمد بن محمد بن عجيبة الحجوجي وفقه الله وهداه ، نحمدك يا من لا يحيط بكنه حمده الحامدون ، ولا يصف كنه جلاله الواصفون ، الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ثم تولى حفظ دينه بعد ظهوره على مر الدهور والقرون ، فقال في كتابه المكنون « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون » وقال عليه السلام ، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى ياتي أمر الله وهم ظاهرون ، فلا تزال طائفة من ورثة هذا النبي الامين ، قائمين بشريعته المطهرة إلى يوم الدين ، كلما غاب نجم بدا نجم منهم إلى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ، ونصلي ونسلم على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيئين ، وإمام المرسلين ، ورضي الله تعلى عن سائر أصحابه الاكرمين ، وأهل بيته الطاهرين .

وبعد فان أولى ما أتحف به الطالب اللبيب ، ودون للاريب الاديب ، التعريف بحال الرجال ، وما خصهم به المولى سبحانه من سني الاحوال ، إلى أن يقول :

وهذا مختصر بديع في طبقات مشاهير الاعيان ، القائمين بالشريعة في كل أوان ، ذكرتهم في الغالب على ترتيب وجودهم ، ورتبتهم على حسب وفاتهم ، وفصلت كل مائة بترجمة مستقلة من زمان الامام مالك رضي الله عنه إلى زمننا هذا الخ .

ثم اتبعت مشاهير الفقهاء بمشاهير النحويين واللغويين والبيانيين .

ثم مشاهير القراء والمفسرين .

ثم مشاهير المحدثين .

ثم مشاهير الصوفية الربانيين . وسميته « أزهار البستان ، في طبقات الاعيان » الخ.

ثم ذكر أصحاب المذاهب في صفحتين .

ثم مناقب الائمة الاربعة في سبع صفحات .

ثم ترجم لمن ماتوا في القرن الثاني من أصحاب الامام مالك في أربع صفحات.

ثم لمن ماتوا منهم في القرن الثالث في ست عشرة صفحة .

ثم لمن ماتوا في القرن الرابع في سبع عشرة صفحة .

ثم لمن ماتوا في القرن الخامس في اثنتي عشرة صفحة .

ثم لمن ماتوا في القرن السادس في ست عشرة صفحة .

ثم لمن ماتوا في القرن السابع في خمس عشرة صفحة .

ثم لمن ماتوا في القرن الثامن في ثلاث وعشرين صفحة .

ثم لمن ماتوا في القرن التاسع في تسع عشرة صفحة .

ثم لمن ماتوا في القرن العاشر في خمس وعشرين صفحة .

ثم لمن ماتوا في القرن الحادي عشر في ثلاث وخمسين صفحة .

ثم ترجم لعدد من العلماء المتأخرين إلى عصره ، وكان بعضهم ما يزال في قيد الحياة زمن تأليف الكتاب ، وقد قال في آخر هذا السفر .

« انتهت طبقات الفقهاء ، وتليها طبقات النحويين ، والبيانيين ، واللغويين ، ومشاهير القراء والمفسرين والمحدثين بحول الله وقوته » .

والنسخة التي وقفت عليها من هذا الكتاب ونقلت منها في عدد من التراجم ، قد كتبت عام 1208 ، أي قبل وفاة مؤلفه بنحو ستة عشر عاما ، والمفهوم أن المؤلف كان ينقح كتابه هذا ويزيد فيه ما تناسب زيادته ويؤرخ لوفاة العلماء الذين ماتو قبله ، فلذلك لا يستغرب أن يوجد شيء من الاختلاف بين نسخ هذا الكتاب .

أما القسم الثاني منه ، وهو الذي ذكر أنه في غير الفقهاء من النحويين والمحدثين والصوفية وغيرهم ، فقد وقفت على اثنين وخمسين صفحة منه ، وهي محتوية على تراجم مشاهير النحويين في ثلاث وعشرين صفحة .

وعلى مشاهير القراء في ثمان صفحات .

ومشاهير المفسرين في خمس صفحات .

ومشاهير المحدثين في ست عشرة صفحة .

ويظهر أن ذلك هو كل ما كتب من هذا المؤلف ، فلذلك قال مؤلفه في فهرسته ـ كما تقدم ـ (غير أن الصوفية لم نستكمل عددهم) .

وقد بذلت ما استطعت من الجهد للوقوف على ما هو موجود من تآليف هذا الشيخ الصالح العالم العامل رحمه الله ، فتمكنت من الاطلاع على جلها ، ودونك التعريف بما وقفت عليه من ذلك ، زيادة على الكتابين السابقين ، وقد رتبتها في الذكر على حسب تواريخ تاليفها . وهي هذه :

تأليف في النيات 1196

ذكر في فهرسته أنه في علم النية ، وأنه في نحو خمسين بابا ، وقد وقفت عليه، وأوله :

الحمد لله الذي أنعم علينا بالعقل والبيان ، وأنقذنا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من عبادة الاصنام والاوثان ، وطهر قلوبنا من قذر الشرك ووهج الشكوك والخذلان ، وملأ قلوبنا بأنوار المعرفة والايمان . . . إلى أن قال :

وسميته « تسهيل المدخل لتنمية الاعمال ، بالنية الصالحة عند الاقبال » وعدد صفحاته 82 ، وقد فرغ من تأليفه في رجب عام 1196 ، وفيه بيان ما ينبغي أن ينويه من يريد القيام بأي عمل من الاعمال الصالحة ، كالوضوء ، والصلاة ، والحج ، والزواج ، والذهاب إلى السوق ، وطلب العلم ، والاكل ، والشرب ، وزيارة الصالحين الخ .

اللوائح القدسية في شرح الوظيفة الزروقية 1196

وأوله ، « الحمد لله الذي شرح صدور أوليائه لذكره ، وجعلهم من أهل ثنائه وشكره ، وكشف الحجاب عن قلوبهم حتى تنزهوا في رياض قدسه ، وكساهم من حلة كرامته ، حتى تنعموا بمشاهدة أنسه . . . . إلى أن قال :

وبعد فأهم ما يشغل به العبد لسانه في هذه اللحظة اليسيرة من العمر ، ذكر الله تعلى الخ .

وقد وقفت في الخزانة العامة بتطوان ، على نسخة من هذا الكتاب ، وعدد صفحاتها 255 من الحجم المتوسط ، وقد جاء في آخرها ، أن تأليف هذا الشرح كان عام 1196 هـ .

وقال المؤلف في آخره ما نصه :

كان تأليف هذا الكتاب قبل الفتح ، ولذلك تجد فيه حشوا وتخليطا ، كل ذلك لضيق الحال ، وعدم ضبط المقال ، وقد هممت بتمزيقه ، ثم قلت ، لعله يشتمل على حكمة أو أحاديث ينتفع بها العامة فتركته والسلام .

شرح تائية الشيخ علي بن مسعود الجعيدي 1198

وقد ذكر في فهرسته أنه في كراس صغير ، ويظهر أنه توسع فيه بعد ذلك ، إذ لدي منه نسخة في 35 صفحة متوسط الحجم ، وأوله :

الحمد لله المنفرد بالايجاد والتدبير ، المختص بإبداع الخلق والتصوير الخ .

وقد ألفه عام 1198 هـ .

تأليف في الغيبة ومدح العزلة والصمت 1198

وأوله ، « الحمد لله الذي جعل الموعظة تذكرة للقلوب ، وزجراً مانعا من ارتكاب القبائح والعيوب ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد أعظم نبي وأفضل محبوب ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، صلاة تذهب بها عنا الاحزان وتفرج بها الكروب .

وبعد فان جارحة اللسان من أصعب الجوارح ، وآفاته من أقبح الجوائح ، . . الخ .

وهذا الكتاب يحتوي على أربعة فصول .

الاول في حقيقة الغيبة وأقسامها .

الثاني في ذمها وتقبيح شأنها وما ورد من وعيد فيها .

الثالث في كيفية النجاة منها وما ورد في العزلة والصمت .

الرابع في التوبة منها وذكر الاستغفار الخ .

وقد فرغ من تأليفه في جمدى الاول عام 1198 .

وقد وقفت في الخزانة العامة بتطوان ، على نسخة من هذا الكتاب وهي في 44 صفحة كتبها علي بوصف الدرقاوي طريقة عام 1260 .

شرح همزية البوصيري 1199

وقد وقفت على نسخة منه في الخزانة العامة بتطوان ، وأوله :

الحمد لله الذي اختص سيدنا ومولانا محمدا بالمحبة التامة ورفع الدرجات ، وأتحفه بالخلة الصافية والمعارج السنيات ، وأيده بالحجة الدامغة والآيات البينات ، وفضله على جميع العوالم والمكونات ، وخصه بالاخلاق الطيبة ومحاسن الصفات ، وجعل مدحه والثناء عليه من أعظم القربات ، وأقرب الوسائل إلى خير البريات ، الخ .

وذكر أن اسم هذا الشرح هو « الانوار السنية (1) في شرح القصيدة الهمزية » وعدد صفحات النسخة المذكورة 230 ، في كل صفحة نحو ثلاثين سطرا ، وقد جاء في آخر الشرح أنه كمل يوم الاحد الاول من شعبان عام تسعة وتسعين ومائة وألف 1199.

1) في بعض النسخ ، الانوار القدسية .

تأليف في التوحيد والصلاة 1199

وهو كتاب مختصر في بيان عقيدة أهل السنة والصلاة المفروضة ، وقد قال في أوله ما نصه :

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه وحبه ، وعلى آله وأصحابه ، وجميع أهل ملته وحزبه .

وبعد فيجب على كل عبد مشفق على نفسه ، معتن بأمر دينه ، أن يصحح عقائده على منهاج أهل السنة ، ويبحث عن أمر صلاته ، لانها رأس دينه ، وهذا تأليف صغير جسمه ، عظيم علمه ، مشتمل على هاتين القاعدتين العظيمتين ، سالك في ذلك مسلك الايضاح والبيان ، مقتصر على ما يفتقر إليه الانسان ، أسعفت في ذلك من طلبني من الاخوان ، وعلى الله سبحانه المعول والتكلان .

ثم عقد فصلا بعنوان « الاعتقاد » وبين فيه ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حق الله تعلى وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام .

ثم تكلم على الطهارة والغسل والتيمم والصلاة . . . .

وقال في آخره « وهذا ما جمعه العبد المذنب احمد بن محمد بن عجيبة الخ .

وذكر أنه فرغ من تبييضه أواخر شعبان عام 1199 .

وهذا الكتاب يقع في عشر صفحات .

شرح الحزب الكبير للشاذلي 1200

وأوله « «نحمدك يا من شرح صدورنا لمحبة أصفيائه الابرار، وألهمنا تلقي ما أفاض عليهم من المعارف والاسرار » . . . وفي الخزانة العامة بتطوان نسخة منه في 145 صفحة .

وقد ذكر في آخره أنه فرغ من تأليفه في أواخر شهر ذي القعدة الحرام عام 1200.

شرح المنفرجة لابن النحوي 1201

وأوله ، نحمدك يا من يجيب المضطر إذا دعاه ، ولا يرجى لتفريج الكرب إلا هو ، ويقع هذا الشرح في نحو أربعين صفحة ، وقد جاء في آخره أنه فرغ منه ضحى يوم السبت آخر شوال عام 1201 في ثغر « ترغة » (1) عند حجرة الهيللة .

شرح نونية الششتري 1202

هذا الشرح قد وقفت عليه ، وأوله .

الحمد لله الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، . . . إلى أن قال :

وبعد فهذا شرح عجيب لنونية الامام المحقق . . . أبى الحسن علي بن عبد الله الششتري . . . الخ .

وهذه النونية أولها قوله :

أرى طالبا منا الزيادة لا الحسنى   بفكر رمى سهما فعدى به عدنا

وآخرها قوله :

فمن كان يبغي السر المجانب الذي   تقدس فليات لياخذه عنا

وهذا الشرح يقع في نحو سبعين صفحة ، وكان الفراغ من تبييضه ضحوة يوم الخميس فاتح رجب 1202 .

ومما جاء في أول هذا الشرح ، أن الشيخ زروق كان قد شرح هذه النونية ، إلا أن الشيخ زروق في نظر الشيخ ابن عجيبة ، ليس من أهل الاذواق .

وذكر عن شيخ الشيوخ مولاي العربي الدرقاوي أن الشيخ زروق عند أهل الظاهر شيء كبير ، وعند أهل الباطن شيء صغير الخ .

---

1) ثغر « ترغة » يقع في قبيلة « بني زيات » التي هي إحدى القبائل الغمارية، وهي التي يفصلها عن قبيلة بني سعيد (الجبلية) نهر « واد لو » .

وحجرة الهيللة ، هي حجرة يسميها العوام « حجرة لا يلاها يلا الله » أي حجرة لا إله إلا الله .

شرح البردة للبوصيري 1203

وقد وقفت عليه ، وأوله :

الحمد لله الذي من علينا بما لا نحصى تعداده من النعم ، وفضلنا بأكرم الخلق وسيد الرسل على سائر الامم ، سيدنا ومولانا محمد المبعوث للاحمر والاسود والعرب والعجم الخ .

وجاء في آخره ما نصه : وكان الفراغ من تبييضه زوال يوم السبت سادس شعبان سنة ثلاث ومائتين وألف 1203 ، بجوار ضريح الولي الشهير ، العارف الكبير ، أبي الحاجات والاوطار ، سيدي عبد الله الفخار ، بأسفل ثغر تطوان نفعنا الله ببركاته ، وتوجد نسخة منه في الخزانة العامة بتطوان في 238 صفحة ، في كل صفحة نحو ثلاثين سطراً ، وقد كتبت هذه النسخة عام 1263 .

تأليف في الاذكار النبوية 1205

وقد سماه « الانوار السنية في الاذكار النبوية » وأوله :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة السالكين ، ومنار الواصلين .

وبعد فقد سألني بعض الاخوان ، ممن له بطريق القوم اعتناء وشان ، أن أضع تأليفا مختصراً في الاذكار النبوية المشروعة عند الاحوال المختلفة ، فتأملت سؤاله ، فاذا هو أمر مهم ، إذ كثير ممن ينتسب إلى الطريق ، ويدعي الوصول إلى التحقيق ، غافل عن الآداب النبوية ، والاذكار المصطفوية ، ولا شك أنه يبعد من حيث يظن أنه يظن القرب ، إذ لا سبيل إلى الوصول إلا بملازمة اتباع الرسول ، الخ .

وقد ذكر فيه ما ينبغي أن يقرأ من الاذكار عند الوضوء ، وعند الصلاة ، وفي الصباح ، وفي المساء الخ .

وهذا الكتاب يقع في خمس وثلاثين صفحة متوسطة الحجم ، وقد فرغ من تأليفه في أواخر ذي القعدة عام 1205 .

شرح الصلاة المشيشية 1210

وقد ذكر في فهرسته أنه ألفه بعد ملاقاة الشيخ ، وأوله :

نحمدك يا من تجلى لقلوب أصفيائه ، (1) بكمال جماله وبهائه ، فتنزهت في رياض ملكوته الافكار . . . الخ .

وذكر فيه أن الذي ندبه إليه ، هو شيخه العارف بالله الشيخ محمد البوزيدي ، وقد أتى في مقدمة هذا الشرح بأخبار الشيخ ابن مشيش وتلميذه أبي الحسن الشاذلي .

وذكر أنه فرغ من تأليفه في سادس ذي الحجة عام 1210 . وعندي منه نسخة في 35 صفحة عادية .

شرح أبيات «توضأ بماء الغيب» 1210

وهي أبيات أولها :

توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر وإلا تيمم بالصعيد أو الصخر

وهو شرح صغير وقفت عليه في أربع صفحات ، وقد جاء في آخره أنه فرغ من تبييضه في تمام السنة العاشرة بعد المائتين وألف (1210) .

شرح الحكم العطائية 1211

وقد استهله بقوله : إن أولى ما عقد عليه الجنان ، ونطقت به ألسنة الفصاحة والبيان ، وخطت به أقلام البنان ، حمد الفتاح العليم الكريم المنان ، الحمد لله الذي ملأ قلوب أوليائه بمحبته ، واختص أرواحهم بشهود عظمته ، وهيأ أسرارهم لحمل أعباء معرفته... إلى أن قال :

أما بعد كل شيء وقبله ومعه ، فعلم التصوف من أجل العلوم قدراً ، وأعظمها محلا وفخراً ، وأسناها شمسا وبدراً ، وكيف لا وهو لباب الشريعة ومنهاج الطريقة ، ومنه تشرق أنوار الحقيقة ، وكان أعظم ما صنف فيه ، الحكم العطائية ، التي هي مواهب لدنية ، وأسرار ربانية ، نطقت بها أفكار قدوسية ، وأسرار جبروتية ، إلى أن قال :

1) في نسخة ، (أوليائه) بدل (أصفيائه) .

ولقد طلب مني شيخنا العارف الواصل ، المحقق الكامل ، سيدي محمد البوزيدي الحسني ، أن أضع عليها شرحا متوسطا يبين المعنى ، ويحقق المبنى ، معتمداً في ذلك على حول الله وقوته ، وما يفتح الله به من خزائن علمه وحكمته ، أو ما كان مناسبا لتلك الحكمة من كلام القوم ، فأجبت طلبته ، وأسعفت رغبته ، رجاء أن يقع به الامتاع، ويعم به الانتفاع ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب ، وسميته « إيقاظ الهمم ، في شرح الحكم » . . . الخ .

ومؤلف الحكم هو الشيخ تاج الدين احمد ابن عطاء الله الاسكندري المتوفى بمصر سنة تسع وسبعمائة رحمه الله 709 .

وهذا الكتاب يقع في جزءين عدد صفحاتهما نحو خمسمائة .

وقد ذكر في آخره أنه وقع الفراغ من تبييضه عشية يوم الاربعاء ثامن جمدى الاولى سنة احدى عشرة ومائتين وألف 1211 . وهذا الشرح قد طبع عدة مرات ، وهو متداول بين الناس .

شرح المباحث الاصلية 1211

ذكر في فهرسته أن هذا الكتاب ألفه بعد ملاقاة الشيخ يعني شيخه البوزيدي رحمه الله .

وهذا الكتاب قد طبع مع شرح الحكم ، وأوله :

الحمد لله بجميع المحامد ، الاصيلة القديمة والفرعية، فهو المحمود وهو الحامد ، لاختصاصه بنهاية الاحدية الخ .

ثم ذكر أن شيخه البوزيدي هو الذي أمره بتأليف هذا الشرح ، وأنه أجاب رغبته عسى أن ينتفع به الخاص والعام ، فيكون معراجا وسلما لارتقاء درجة المعرفة على التمام . . . وأن اسمه هو « الفتوحات الالهية ، في شرح المباحث الاصلية » .

وذكر في آخره أنه فرغ من تبييضه في أواسط رمضان عام 1211 .

ومنظومة « المباحث الاصلية » هي رجز في التربية الصوفية ، والآداب النبوية ، وأولها :

بسم الاله في الامور أبدأ إذ هو غاية لها ومبدأ

الحمد لله ولي الحمد هدى إلى الحق ونهج الرشد

إلى أن قال :

سميتها المباحث الاصلية عن جملة الطريقة الصوفية

أما ناظمها فهو أبو العباس أحمد بن محمد ابن البنا السرقسطي الاندلسي رحمه الله.

شرح قصيدة الشيخ الرفاعي 1213

وهذه القصيدة أولها :

يا من تعاظم حتى رق معناه ولا تردى رداء الكبر إلا هو

وناظمها هو الشيخ العارف بالله ، أبو العباس أحمد الرفاعي المتوفى بمصر عام 570هـ.

وأول هذا الشرح :

نحمدك يا من تعاظمت أنوار جماله وبهائه ، حتى خفيت من شدة ظهورها معاني صفاته وأسمائه الخ .

ويقع في نحو ثلاث كراسات أي نحو ثلاثين صفحة ، وقد تم تأليفه في 12 رجب عام 1213 .

شرح خمرية ابن الفارض 1213

وهذه القصيدة التي مطلعها :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا به من قبل أن يخلق الكرم

وقد افتتحه بقوله :

الحمد لله الذي سقى قلوب أحبائه من مدامة حبه ، فأصبحوا من سكر محبته متواهين ، غيبهم عن شهود غيره ، بدوام شهود سره ، فأضحوا في رياض ملكوته متنزهين ، إلى أن قال :

أما بعد كل شيء وقبله ، فعلم التوحيد من أجل العلوم ، وأحق ما تنفق فيه نتائج الفهوم ، وكيف لا وموضوعه الذات العلية ، وأوصافها السنية ، وأسماؤها الزكية .

وهذا الشرح يقع في نحو خمسين صفحة ، وقد فرغ منه مؤلفه في أواسط رمضان عام 1213 .

وهذا المؤلف ، هو الذي أطلق عليه بعضهم اسم « كتاب في علم التوحيد » .

شرح أبيات المششتري 1214

وهي أبيات مطلعها قوله :

صح عندي الخبر	وسرى في سري
أن عين النظر	عين عين الفكر

ومن أبياتها قوله :

أغمض طرفك ترى	وتلوح أسرارك
وافن عن الورى	تبدو لك أخبارك

وآخرها قوله :

سادتي وافهموا	المراد من قولي
هذا لاش تكتموا	عن أحد من أهلي
سري لا يفهموا	إلا من هو مثلي
سلك عندي انتثر	وبدا لي دري
نظموه لي جوار	إنني في سكري

وهذا الشرح أوله :

سبحان (1) من اختص بالحمد والثناء من العباد ، وتقدس ذاتا وصفات عن الشركاء والنظراء والحلول والاتحاد ، خص أقواما بكمال المحبة والوداد ، فهم بين سالك ومجذوب ومحب ومحبوب ، لا تطرق ساحة قلوبهم الاغيار والانكاد الخ .

وهو في نحو عشرين صفحة ، وقد قال في آخره ، إنه فرغ من تأليفه في سابع صفر عام 1214 بمنزه الشربي من بساتين تطوان ، عمره الله بالاسلام والايمان ، وبالصالحين أهل الشهود والعيان . . .

1) في نسخة أخرى ، (نحمد) بدل (سبحان) .

شرح منظومة للششتري 1214

هي منظومة أولها :

ألف بين لامين　　وهاء قرة العين

ألف أول الاسم　　ولامان بلا جسم الخ

وهذا الشرح قد وقفت على نسخة منه في ثمان صفحات ، وقد ذكر أنه فرغ منه في أواسط صفر عام 1214 في ثغر « واد الليان » عمره الله بأهل الاحسان .

شرح منظومة البوزيدي في السلوك 1214

وهي منظومة أولها :

عليك بتقوى الله حيث توجهت　　وكن كريم الاخلاق في السر والجهر

وآخرها قوله :

فقد كشفنا لك الغطاء إذا كنت　　سائلا عليه قبل وضعك في القبر

وعدد أبياتها ثمانية وعشرون .

وقد وقفت على هذا الشرح ، وأوله :

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين ، وإمام المرسلين ، وقائد الغر المحجلين ، ورضي الله عن أصحابه الكرام أجمعين .

أما بعد فهذا شرح لطيف على قصيدة شيخنا العارف الرباني ، مربي السالكين ، وقدوة الصالحين ، القطب الواصل ، المحقق الكامل ، سيدي محمد بن أحمد البزيدي الحسني ، أخذ رضي الله عنه ، عن شيخه المربي الواصل ، سيدي مولاي العربي الدرقاوي الحسني ، وبقي في حضانته حتى رشده وشهد له بالكمال وقدمه للتربية في حياته وقال في حقه ، إن شمسه تقدمت على شمسنا كما وقفت عليه في رسالة كتبها لبعض أصحابه . . . إلى أن قال :

وله كرامات كثيرة ، تركت ذكرها خوف التطويل ، ولان الكرامات الحسية غير مراعاة عند المحققين ، بل الكرامات العظمى هي كشف الحجاب، ودخول حضرة الاحباب، وكمال اليقين في الباطن ، والاستقامة في الظاهر الخ .

ويقع هذا الشرح في نحو ثلاثين صفحة متوسطة الحجم ، وكله نصائح وإرشادات ربانية ، وقد تم تأليفه في منتصف رمضان عام 1214 .

تأليف في القضاء والقدر 1214

ذكر في فهرسته أنه ألفه في زمن الوباء ، وأوله :

الحمد لله الملك القدير ، المنفرد بالايجاد والتدبير ، إلى أن قال :

وبعد فبحر القدر والقضاء بحر عميق ، لا يخوضه إلا أهل التحقيق . . .

وذكر أن الذي حمله على هذا التأليف ، أنه رأى كثيراً ممن يشار إليهم بالعلم والعمل ، قد ضلوا وأضلوا وجعلوا يدافعون المقادير بما يقدرون عليه من الاسباب والحيل ، فكانوا في زمن الوباء يغلقون أبواب المدينة ولا يعودون المرضى خوفا من الموت الخ .

وسمى هذا الكتاب « سلك الدرر ، في ذكر القضاء والقدر » وقسمه إلى خمسة أبواب ، ويقع في نحو ثلاثين صفحة ، وقد فرغ من كتابته في ثالث شوال عام 1214،

وعندي منه نسخة في « الخزانة الداودية » ووقفت على نسخة أخرى كتبت من أصله في نحو كراستين عام 1290 .

تفسير مختصر للفاتحة 1219

ذكر في فهرسته رحمه الله ، أنه ألف ثلاثة تفاسير للفاتحة، أولها كبير فيه نيف وعشرون كراسا ، والآخر في نحو كراستين ، وآخر صغير جداً في نحو ورقتين الخ .

وقد وقفت على هذا الاخير ، وأوله :

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد فهذا شرح لطيف على فاتحة الكتاب ، يبين من معانيها لب اللباب الخ .

وقد تم تأليفه في خامس ربيع الثاني عام 1219 .

تفسير متوسط للفاتحة

قد علمت أن هذا التفسير يقع في نحو كراستين ، وقد وقفت عليه ، وأوله :

الحمد لله الفتاح العليم ، الوهاب الكريم ، الذي اصطفانا لوراثة كتابه الحكيم ، وأطلع على مكنون أسراره كل قلب سليم ، ذي علم صحيح ، وذوق صريح ، وفهم مستقيم . . . إلى أن قال :

واعلم أن القرآن له ظاهر لاهل الظاهر ، وباطن لاهل الباطن ، وتفسير أهل الباطن خاص بأهل الباطن لا يفهمه غيرهم ، ولا يتذوقه سواهم ، ولا يصح ذكره إلا بعد تقرير الظاهر الخ . . .

وقد ذكر في آخر هذا الشرح ، أنه لما أكمل تأليفه ، أطلع عليه شيخ شيخه ، وهو الشيخ مولاي العربي الدرقاوي الحسني رضي الله عنه، فاستحسنه وطلب منه أن يؤلف شرحا آخر يكون أطول منه ، فألف شرحا آخر فيه عشرون كراسة .

تفسير مطول للفاتحة

هذا التفسير قد وقفت على نسخة منه لدى صديقنا الفقيه الصوفي المطلع على كتب القوم واصطلاحاتهم ، الشريف سيدي عبد السلام غيلان التطواني حفظه الله ، وأول هذا الشرح :

حمداً لمن أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، الذي أحسن كل شيء خلقه فقدره تقديراً . . . إلى أن يقول :

أما بعد فإن علم التفسير من أجل العلوم ، وأفضل ما تنفق فيه نتائج الافكار وقرائح الفهوم . . . إلى أن يقول :

وقد طلب مني شيخي العارف المحقق البزيدي الحسني عن إذن شيخه العارف الرباني ، مولاي العربي الدرقاوي الحسني ، أن أضع تفسيراً على فاتحة الكتاب ، يكون جامعا بين تفسير أهل الظاهر وتفسير أهل الاشارة من أهل الباطن ، فأجبت طلبتهما الخ .

وهذا الشرح يقع في ثلاثمائة وسبعين صفحة متوسطة الحجم .

شرح صلاة الحاتمي 1219

هي صلاة منسوبة للشيخ محيي الدين ابن العربي الحاتمي ، وأولها :

اللهم صل على الذات المطلسم . . . الخ .

وقد وضع عليها الشيخ ابن عجيبة شرحا استهله بقوله :

الحمد لله المتجلي بكماله ، الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله . . . إلى أن قال :

وبعد فقد سألني بعض الاخوان ، أن أضع تقييدا على صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم المنسوبة لابن العربي الحاتمي ، يبين ما أغلق من معانيها ، وما أشكل من مبانيها ، فأجبت سؤالهم بعد أن استأذنت شيخنا العارف الرباني ، البوزيدي الحسني ، لان سر الاذن أمر كبير ، الخ .

وهذا الشرح يقع في نحو كراسة واحدة .

وقد قال في آخره إنه فرغ منه في متم جمدى الاولى 1219 ، بزاوية شيخنا القطب الواصل ، والمربي الكامل ، سيدي ومولاي العربي الدرقاوي الحسني .

معراج التشوف إلى حقائق التصوف 1221

وقد ذكر مؤلفه عنه أنه في ثلاثة كراريس ، وأوله :

الحمد لله الذي حقق الحقائق ، وأوضح الطرائق ، والصلاة والسلام على مولانا محمد سيد الخلائق . . . إلى أن قال :

وبعد فعلم التصوف هو سيد العلوم ورئيسها ، ولباب الشريعة وأساسها ، وكيف لا وهو تفسير لمقام الاحسان ، الذي هو مقام الشهود والعيان ، كما أن علم الكلام ، تفسير لمقام الايمان ، وعلم الفقه تفسير لمقام الاسلام ، وقد اشتمل حديث جبريل عليه السلام، على تفسير الجميع ، فإذا تقرر أنه أفضل العلوم ، تبين أن الاشتغال به من أفضل ما يتقرب به إلى الله تعلى ، لكونه سببا للمعرفة الخاصة التي هي معرفة العيان ، وقد اشتمل على حقائق عريقة ، وعبارات دقيقة ، اصطلح القوم على استعمالها ، فينبغي الوقوف على معانيها ، لمن أراد الخوض فيه ، والوقوف على معانيه ، وقد أردت بحول الله وقوته ، أن أجمع نبذة صالحة من حقائق هذا الفن واصطلاحاته ، لعل الله ينفع به من يريد الوقوف على هذا العلم . . . الخ .

وعند ما عرف حقيقة التصوف قال : إنه علم يعرف به كيفية السلوك ، إلى حضرة ملك الملوك ، أو تصفية البواطن من الرذائل ، وتحليتها بأنواع الفضائل الخ .

وقد ذكر في آخره ان الفراغ من تبييضه كان ظهر يوم الاربعاء رابع جمدى الاخيرة عام 1221 .

وهذا الكتاب قد وقفت في تطوان على نسخة منه ، وهي في نحو أربعين صفحة.

وقد قام السيد محمد بن احمد ابن الهاشمي التلمساني بطبع هذا الكتاب مع تصحيحه والتعليق عليه في دمشق عام 1355 هـ 1937 م فخرج في نحو خمسين صفحة متوسطة الحجم .

شرح تائية البوزيدي في الخمرة الازلية 1221

وهي في الخمرة الازلية وما يوصل إليها ، وقد ذكر أنه يقع في ثمانية كراريس ، وقد وقفت عليه ، وأوله .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله خاتم النبيين وإمام المرسلين ، ورضي الله تعلى عن أصحابه أجمعين .

وبعد فهذا شرح لطيف . . . على قصيدة شيخنا العارف الرباني ، الفرد الصمداني ، سيدي محمد البزيدي الحسني مضمنها شرح الخمرة الازلية ، وما يوصل إليها من آداب العبودية ، وهي من بحر الطويل ، غير أنها مكسورة ملحونة ، لان صاحبها أمي في صناعة العربية والميزان ، لم يعرف مبتدا ولا خبراً ، ولا فاعلا ولا مفعولا ، فما عنده إلا علم لدني الخ .

ثم ذكر أن الشيخ المذكور ، اسمه محمد بن احمد البزيدي السلماني الشريف الحسني ، والسلماني نسبة إلى قبيلة بني سلمان التي هي احدى قبائل غمارة الواقعة شرق تطوان .

وذكر أنه تلميذ الشيخ مولاي العربي الدرقاوي الذي كان يقول فيه إنه خليفته حيا وميتا .

ومنظومة الشيخ البوزيدي أولها :

أيا من تجلى في بهاء جماله ... وسر كماله وعز ورفعة

تجليت بأسرار سرك ظاهراً ... وأخفيتها بعد الظهور لحكمة

وآخرها قوله :

ونسألك الرضى عن الاهل والصحب ... وتابعهم إلى انتشار القيامة

وعدد أبياتها نيف وخمسون وثلاثمائة .

وهذا الشرح يقع في نحو مائة وستين صفحة من الحجم المتوسط ، وقد فرغ مؤلفه من كتابته في سادس عشر رمضان عام 1221 .

وقد وقفت على نسخة أخرى منه في نحو ثمانين صفحة من الحجم الكبير .

الفتوحات القدوسية ، في شرح المقدمة الجرومية 1223

وهو شرح كتاب الاجرومية المشهور في القواعد النحوية ، وقد بدأ هذا الشرح بقوله :

الحمد لله الكريم المنان ، الذي خلق الانسان وعلمه البيان ، وفضله بالعقل والمعرفة على سائر الاكوان ، ثم خص العرب العاربة بالبلاغة وفصاحة اللسان . . . إلى أن قال :

وبعد فأهم ما يعتني به الانسان بعد اصلاح دينه بتحقيق الايمان والاسلام ، اصلاح لسانه من اللحن في الكلام ، وذلك بالتغلغل في علم العربية واللغة ، إذ بذلك يتقوى على فهم كتاب الله العزيز وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم التام ، ثم يجب عليه بعد اصلاح لسانه ، اصلاح جنانه ، بتصفيته من الرذائل ، وتحليته بأنواع الفضائل ، ليتأهل بذلك قلبه لاشراق أنوار حقائق التوحيد الخ .

ثم قال : وسميته بالفتوحات القدوسية ، في شرح المقدمة الجرومية .

والطريقة التي سلكها في هذا الشرح ، هي أنه يشرح كلام ابن آجروم شرحا عاديا ببيان القواعد النحوية والاتيان بأمثلتها مثل غيره من الشراح ، ثم يشرحها شرحا صوفيا بطريق الاشارة ، وذلك ببيان الفضائل والحض عليها ، وبيان الرذائل والتنفير منها .

وقد جاء في آخره ما يلي : ووافق الفراغ من تبييضه ضحوة يوم الخميس ثامن شعبان سنة 1223 بازاء جبل النجاة .

وهذا الشرح قد وقفت على نسخة منه في مائة وثمانين صفحة .

وبعض النسخ قد حذف منها بيان القواعد النحوية ، واقتصر فيها على الشرح بالاشارة الصوفية .

حاشية على الجامع الصغير 1224

هذه الحاشية ذكر مؤلفها في فهرسته أنها مختصرة ، وقد وقفت على نسخة منها وأولها :

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين الخ .

وجاء في آخرها قوله : ووافق الفراغ من تبييضها أواسط شهر شعبان سنة 1224 .
(أي في سنة وفاته) .

والنسخة التي وقفت عليها تحتوي على 283 صفحة كبيرة في كل صفحة 34 سطرا .

الفهـرس

وفهرس الشيخ ابن عجيبة ، من الكتب التي يتردد ذكرها في أواسط مدينة تطوان التي وصف جانبا من الحياة الاجتماعية فيها ، لانه يتكلم فيه على حياته التي قضى جلها في هذه المدينة تعلما وتعليما ، وإرشاداً وتوجيها ، وبحثا وتأليفا . . . . وقد استهله بقوله :

الحمد لله الفتاح العليم الغفار ، ذي الطول السابغ والفضل المدرار . . . إلى أن قال: أما بعد ، فان التحدث بالنعم واجب ، ونشرها لاهل الاعتقاد والتسليم أمر لازب ، وها أنا أذكر بعض ما من الله به علينا ، وما يتعلق بأسلافنا ، وما يصلح ذكره من أول نشأتنا إلى أوان زماننا ، وكيفية أخذنا للعلم الظاهر والباطن ، وذكر أشياخنا في العلمين، وإجازاتهم لنا ومن شهد لنا بالكمال في الامرين ، وما ألفناه من الكتب ، وما ارتكبناه في سيرنا من الاحوال ، وما لقيناه من الاهوال ، في طريق الوصال . . . الخ .

وقد وقفت على نسخة من هذا الفهرس ، وهي مخطوطة في نحو مائة صفحة كبيرة، وقد ذكر أنه فرغ منه ، أي من تنقيحه والزيادة فيه عام 1224 هـ اي عام وفاته ، أما أصله فقد كتبه قبل ذلك بكثير ، لانه أشار إليه في كتابه « أزهار البستان » لما كان عمره أربعة وخمسين عاما . أي قبل وفاته بنحو عشر سنين .

وهذا الفهرس قد نقلت منه كثيراً في هذا الكتاب .

هذه هي الكتب التي أطلعت عليها وعرفت تواريخ تأليفها ورتبتها في الذكر ـ كما قلت ـ على حسب تلك التواريخ وجلها موجود بتطوان والرباط ، وجلها أيضا لم يطبع حتى الآن ، وهناك كتب أخرى من مؤلفات الشيخ ابن عجيبة ، وقد وقفت عليها إلا أني لم أعرف تواريخ تأليفها وهي هذه :

كتاب في الادعية والاذكار

وأوله : الحمد لله الذي جعل ذكره وذكر حبيبه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مرتع أهل الخيرات ، وزاد أهل الفضل والسعادات الخ .

وقد سماه بمجموعة الادعية والاذكار ، والمحقة للذنوب والاوزار ، بالهيللة والاستغفار ، والصلاة على النبي المختار الخ .

وهذا الكتاب يقع في نحو ستين صفحة .

أربعون حديثا في الاصول والفروع والتصوف

وأوله : الحمد لله الذي بعث نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للانام ، واختصه بشريعة مشتملة على الحكم والاحكام . . . إلى أن قال :

وقد استخرت الله في جمع هذه الاربعين في علم الاصول والفروع وشيء من علم التصوف الخ .

تأليف في الطلاسم

أي الطلاسم التي حجبت عن التوحيد الخاص ، واسم هذا الكتاب « كشف النقاب عن سر لب اللباب » وقد قال في أوله :

وبعد فهذا تقييد عجيب ، يرفع حجاب الوهم عن الحاذق اللبيب ، يتضمن رفع الحجب عن السر المصون ، وزوال الطلاسم عن الكنز المدفون الخ .

وقد تكلم فيه بنفس صوفي عال على طلسم توحيد الافعال ، وطلسم توحيد الصفات . وطلسم توحيد الذات الخ .

وفي خزانتي نسخة من هذا الكتاب ، وهي في نحو كراسة واحدة ، ووقفت على نسخة أخرى منه كتبت عام 1290 هـ .

تأليف في الخمرة الازلية

وأوله : الحمد لله الواجب الوجود ، المتجلي بكل موجود . . . إلى أن قال :

وبعد فهذه نبذة من نعوت الخمرة الازلية قبل التجلي وبعده . . . وعدد صفحات هذا الكتاب ثمان .

وهناك أيضا كتب أخرى من تآليفه رحمه الله ، إلا أني لم أقف عليها وهي هذه :

تأليف في القراءات العشر

وقد وصفه بأنه مشتمل على آداب القراءة والتعريف بالشيوخ العشرة ورواتها وتوجيه قراءة كل واحدة منها .

وذكر أن فيه عشرين كراسا .

شرح أسماء الله الحسنى

وقد ذكر في فهرسته أنه أفرد فيه لكل اسم بابا كما فعل القشيري في التحبير .

شرح آخر لتائية شيخه البوزيدي في الخمرة الازلية

بعد أن تكلم على شرحه الذي سبق ذكره ، قال :

ثم أعددت شرحا آخر عليها فيه اثنا عشر كراسا .

هذه هي الكتب التي أتم تأليفها ، أما الكتب التي لم تكمل ، فقد ذكر فيها في فهرسه اثنين هما :

حاشية على مختصر الشيخ خليل .

شرح الحصن الحصين .

ووقفت له أيضا على أوراق من كتاب آخر سماه « الكشف والبيان ، في متشابه القرآن » وأوله :

« الحمد لله الذي أزاح عن قلوب أوليائه سحائب الاغيار ، وأفاض عليها ما تكل عنه العقول من المواهب والاسرار ، فخاضوا تيار بحار جبروته ، وغاصوا بأفكارهم في أنوار ملكوته، فانحل عنهم كل مشكل ومتشابه، وأطلعهم على عجائب أسرار كتابه . . . إلى أن قال :

وقد أردت بعون الله أن أقيد تأليفا على حسب ما أطلعني الله عليه من تاويل بعض الآيات التي قيل فيها إنها من المتشابه ، وسميته « الكشف والبيان ، في متشابه القرءان » .

ويظهر أن هذا الكتاب لم يتم تأليفه أيضا .

وقد ذكر ناسخه أنه هو ءاخر ما ألف رحمه الله .

ديوان قصائد وتوشيحات

ذكره بعضهم من جملة تآليفه ، ولا أدري هل هذا الديوان كتاب مستقل ، أو هو الذي ضمنه فهرسه .

وله رحمه الله مع ذلك حكم ورسائل كتبها للفقراء في أنحاء مختلفة .

وله أيضا أحزاب منها :

حزب الحفظ والتحصين .

وحزب العز والنصر .

وحزب الفتح

وقد أثبت ذلك في فهرسه .

ووقفت له على طرر على أسئلة الشعراني لشيخه ، الخواص وطرر أخرى على جواب الشيخ الخروبي الطرابلسي عن أسئلة سيدي عمر بن عبد الوهاب الذي ضريحه بازاء ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش .

وذكر ابن عجيبة أن سيدي عمر هذا كانت بينه وبين الشيخ سيدي يوسف التليدي مخاصمة ، فأنكر بعض أحواله وألف فيه كتابا ، ثم كتب سؤالا فيه وفي أصحابه ووجهه الى الشيخ الخروبي الطرابلسي تلميذ الشيخ زروق .

قال ابن عجيبة (وكلاهما لم يدخلا بلاد المعاني والاذواق) . وقد رد ابن عجيبة على الخروبي منتصرا للشيخ التليدي وتصوفه وأحواله رحم الله الجميع .

علومه ونظره فيها

بعد أن أتى المترجم رحمه الله بفذلكة عن مختلف العلوم ، قال : والذي حصلناه من هذه العلوم : علوم الاذهان ، المنطق ، والكلام على مذهب أهل السنة ، والمهم من علم الهيئة .

ومن علم الاديان ، علوم القرآن ، والفقه ، والاصول ، ثم صحبت الرجال فترقيت إلى مقام الشهود والعيان .

وأما التصوف فهو علمي ومحط رحلي ، فلي فيه اليد الطولى والقدم الفالج ، حزت فيه قصب السبق على طريق أهل الاذواق ، فلله الحمد وله الشكر، وقد صنفت فيه كتبا.

وحصلت أيضا علم الحديث ، والسير ، والمغازي ، والشمائل والتاريخ .

ومن علم اللسان ، اللغة ، والتصريف ، والنحو ، والبيان بأنواعه ، ولم أحرز علم الشعر والعروض والحساب لبرودة القريحة عن ذلك .

فجملة ما حصلناه من العلوم ستة عشر علما .

ولما أطلعنا على علم الحقيقة ، شرطت ذلك كله أي وقع الغنى عنها ، لانها بالنسبة إليه كالفلوس مع الذهب الخ .

عبادته وتصوفه

ذكر رحمه الله عن نفسه أنه ما ترك الصلاة في وقتها منذ عقل بوضوء تام ، وأنه كان يقوم نصف الليل إلى المسجد وهو لا يزال صبيا ، وأنه أثناء اشتغاله بالتدريس ، كان يعمر أوقاته بالذكر والنوافل ، وأنه طالع شرح الحكم العطائية ، فزهدت نفسه في علم الظاهر ، ومالت لعلم التصوف ، فأكب على العبادة بأنواعها مع الخلوة ، فلامه والده على ذلك ، فقال : إن العلم الذي يعبد الله به قد حصله ، وهولا يريد أن يكون قاضيا أو مفتيا .

ثم ذكر أنه كان يختلي بتطوان في قبة سيدي طلحة (خارج باب النوادر) أو قبة سيدي عبد الله الفخار (أبي عبد الله الفخار خارج باب الرموز) .

قال : وكنت أسكن هناك في الغرفة التي بنيت هناك للرجل الصالح العالم الناصح سيدي علي بركة .

ثم ذكر أن الشيخ البوزيدي كتب إليه « إن أردت مفاتيح العلوم ، ومخازن الفهوم، فعليك بالقدوم » .

ثم قال : « ثم صحبت شيخنا العارف الرباني ، سيدي محمد البوزيدي الحسني (1) سنة ثمان من القرن الثاني عشر (يعني سنة 1208) فتجردت واشتغلت بالمجاهدة ، حتى لاحت علينا أنوار المشاهدة ، الخ .

وقال عند شرح قول الحكم: لولا ميادين النفوس ، ما تحقق سير السائرين ما نصه .

« وهذا الكلام إنما هو مع من أسعده الله بوصوله إلى شيخ التربية . وأما من لم يصل إليه فلا يطمع في السير أبداً ولو جمع العلوم كلها وصحب الطوائف كلها ، وهذا أمر ذوقي لا أقلد فيه أحداً ، فقد صلينا كثيراً ، وصمنا كثيراً ، واعتزلنا كثيراً ، والله ما عرفنا قلوبنا ، ولا ذقنا حلاوة المعاني ، حتى صحبنا الرجال أهل المعاني ، فأخرجونا من التعب إلى الراحة ، ومن التخليط إلى الصفا ، ومن الانكار إلى المعرفة » .

وذكر في فهرسته أنه خدم شيخه البوزيدي بنفسه وماله ، وكان يتردد عليه أولا بقبيلة بني زروال لما كان ملازما لشيخه مولاي العربي الدرقاوي ، ثم لما انتقل لقبيلته غمارة صار يزوره بها الخ .

---

1) توفي الشيخ سيدي محمد بن أحمد البوزيدي في قبيلة بني سلمان التي هي إحدى قبائل غمارة ليلة الاحد تاسع محرم عام 1229هـ.

وقال في فهرسته أيضا ما نصه :

وقد كنت قبل أن أدخل في طريق القوم متلبسا بشيء من الدنيا ، كان عندي بستان وعرصتان من اللشين من قبل الحبس ، وبقرة تحلب ، وملاح ، وخزانة من كتب العلم ، فلما دخلت في الطريق ، ذهب ذلك كله ، وبقيت كما قال تعالى : « ولقد جئتمونا فرادى » الاية ، وبعت كتب العلم الظاهر وأنفقت جل ذلك على الشيخ يعني شيخه البوزيدي في بنيان داره بغمارة وفي تزويجه وبعض مآربه الخ .

رسائل من البوزيدي إلى ابن عجيبة وفقراء تطوان

عرفنا مما سبق ، أن الشيخ ابن عجيبة قد تلمذ لشيخه البوزيدي وألقى إليه قياده وباع جل ما كان يملكه وأنفقه عليه وعلى مصالحه .

ومن المعروف أن إقامة الشيخ البوزيدي كانت في احدى قبائل غمارة الجبلية ، وإقامة ابن عجيبة كانت بمدينة تطوان ، وتبادل الرسائل بين الشيوخ والتلاميذ ، من الامور العادية .

وقد وقفت على عدة رسائل كتبها الشيخ البوزيدي إلى تلميذه ابن عجيبة وإلى غيره من الفقراء الدرقاويين بتطوان ، وأرى من الفائدة أن أثبتها هنا .

أولا ـ لمعرفة نفس الشيخ البوزيدي واتجاهه الذي أثر في الفقيه ابن عجيبة كل التأثير حتى انقلبت احواله وانقاد له وصار من أكبر أتباعه وخدامه .

وثانيا ـ لبيان طريقة الشيخ المذكور في التربية الصوفية ، وأسلوبه في ميدان النصح والارشاد ، وخصوصا للمنغمسين في الماديات ، والمكبين بكليتهم على الدنيا وشهواتها .

فهذه رسالة مختصرة من البوزيدي إلى ابن عجيبة خاصة ، وقد وصفه فيها بالعالم العلامة ، ونصها :

محبنا في الله العالم العلامة سيدي أحمد بن عجيبة الشريف الحسني ، السلام عليك والرحمة والبركة .

وبعد سيدي فلا شيء أحب إلى الله مثل الاسماء التي يذكر بها ، ولا شيء أحب إلى الاسماء مثل من يذكرها ، فان الاسماء أذيال المسمى ، وإن شئت قلت عين المسمى، فمن اشتغل بتكرير أسماء شيء على الدوام ، فني في ذلك الشيء حتى يصير يشاهده في اليقظة والمنام ، وفي القرب والبعد ، وفي الظلمة والنور ، وغير ذلك حتى يغيب عن وجوده في وجوده ، لان العقل الذي يشهد به وجوده ، هو مع غيره بسببه تكرير

أسماء محبوبه ، فهكذا ينبغي للعاشق المحب الصادق ، أن يشتغل بذكر الله على الدوام، ليلا ونهاراً ، حتى يمتزج الذكر مع لحمه ودمه وعروقه وأعظمه وكليته ، فلا يرى لنفسه حركة ولا سكونا ولا غير ذلك من كثرة القرب إلى الله عز وجل ، وهنا يشهد الانوار ، التي هي ثمرة الافكار ، والافكار ثمرة الاذكار ، والاذكار على قسمين ، أذكار بالجوارح الظاهرة ، وأذكار بالقلوب ، فاذكار الجوارح الظاهرة ، هي الفناء في الاسم ، وأذكار القلوب، هي لاهل الفناء في الذات، قل من يعرفها، ولها علامات يستدل بها على صاحبها.

أولها ترك الدنيا بالكلية ، ظاهرا وباطنا .

وثانيها السكون في الذل اختياراً .

وثالثها احتمال إذاية المخلوقات كلها عن طيب نفس ، فان هذا الحمل ثقيل على من هو بنفسه ، ولا يحمله إلا من غاب عنها غيبة أبدية، ولا يغيب عنها غيبة أبدية إلا بصحبة من غاب عنها غيبة أبدية ، وإلا فلا سبيل له إلى ذلك .

وكتب محمد بن أحمد كان الله له آمين .

وهذه رسالة متوسطة من البوزيدي الى ابن عجيبة خاصة ، وقد وصفه فيها بالولي الصالح ، ونصها :

محبنا في الله الولي الصالح سيدي أحمد بن عجيبة الحسني ، السلام عليك والرحمة والبركة .

وبعد فتهلوا (1) في ذكر الله آناء الليل وأطراف النهار ، وسراً وجهراً ، أفراداً وجماعة ، ولا ترضوا دونه بدلا ، ولا تلتفتوا إلى سواه بقلوبكم ولا بجوارحكم ، ولا تشتهوا غيره ، ولا تطلبوا سواه ، إذ هو السر والعناية والولاية الكبرى والفتح الاعظم وخير الدارين ، ويكفيكم في شرفه قوله سبحانه : « اذكروني أذكركم » وقوله أنا جليس من ذكرني الحديث ، ومن أراد أن لا يقع له الملل من الذكر ولا من الفكر ولا من الحضور، فليذكر الله تعلى بقلبه وجوارحه ، إذ الذكر بالقلب هو المطلوب ، والجوارح وسيلة إليه ، وذكر الله بالقلب لا يحصل إلا بعد تطهيره من حب الدنيا والجاه وغير ذلك ، فاذا طهر الفقير من أوصاف النفس ، تطهر من رؤية الحس ، وإلا فلا ، والعلة التي منعت القلب من شروق الانوار وكشف الاسرار ، هي الاوصاف الخبيثة ، كالكبر والحسد وحب الجاه والمدحة والثناء والتعظيم والتبجيل وغيره مما يناسب ذلك ، سيما إن كانت النفس حية

---

1) تهلوا ، بفتح التاء (أو سكونها) وفتح الهاء التي تليها لام مفتوحة مشددة ثم واو ساكنة ، كلمة تخاطب بها الجماعة لحضها على البرور أو الاعتناء ، وعند ما يكون الخطاب للفرد ـ ذكرا أو أنثى ـ يقال تهلا .

قريبة العهد من الاوكار التي خرجت منها ، ومن أراد يا سيدي أحمد أن تطوى عنه الطريق ، وينزل مقام أهل التحقيق ، فليؤيس نفسه من الرجوع إلى الدنيا ، ولا يرجع إلى شهوة ولا إلى عادة تركها قبل ، وإن صدر فليبت وليرجع سريعا إلى مولاه ، فان حصل للنفس اليأس مما ذكرنا ، ارتحلت إلى عالم الملكوت ، ورجعت إليه بما فيه من النعوت ، كالعلوم اللدنية ، والمعارف الرحمانية ، والسلام .

وتهلا يا سيدي في الاخوان المتجردين والمتسببين ، والمتجردين أكثر ، إذ هم نزلوا في أرض غريبة لا يعرفونها ، فحل لهم ذلك البلاد حتى يعرفوا قدرها ، ويشهدوا نورها وما فيها من الاسرار ، فحينئذ اتركهم ، وحضهم على السنة المحمدية ، إذ هي الطريق ، والرفيق إلى حضرة التحقيق ، وهي كمال التحقيق لمن عرف قدرها ، وليس هي غير التحقيق ، لكن لا يعرفها إلا العارفون بالله ، الغائبون في شهود عظمته سبحانه، ثم حضهم بعد ذلك ، ولكن على أعمال الطريقة كالصمت والجوع والذل والفقر ، والقناعة والصبر ، والرضى والتسليم ، والتواضع والسخاء والحلم والعزلة وما أشبه هذا ، إذ بالطريقة يظهر سر الشريعة .

وانههم عن فضول الكلام إن أرادوا الربح والنجح ، وعن فضول الاكل ، وعن فضول التأنس بالمخلوق ، فان المتأنس بالمخلوق ، لا يطمع في التأنس بالخالق ، سيما شهوده ، وإياكم والبسط ، فانه فساد لطريق الفقر والسلام .

وطالع إخواننا كلهم على بطاقتنا هذه وغيرها إن شاء الله ، ولا نحبك أن تجمع عليك كثرة الفقراء في مدينة تطوان ، إذ هي ضيقة غاية ، فمن بات ليلة فذكره الله ، وأمره بالخروج الى بلاده ، ليتذكر به إخوانه .

وأما الخروج ، فتأن شيئا إلى خروج الحسوم إن شاء الله .

وأما الآية التي ذكرت ، إن نوي عزمك فافعل والسلام .

وكتب عبد ربه محمد بن أحمد البوزيدي الحسني كان الله له آمين

ثم هذه رسالة مطولة من البوزيدي إلى ابن عجيبة وكافة الاخوان الدرقاويين في الحاضرة والبادية ، وقد وصف ابن عجيبة فيها بالولي الصالح ، العالم الناصح .

محبنا في الله الولي الصالح ، العالم الناصح ، سيدي أحمد بن عجيبة الشريف الحسني وكافة إخواننا أهل الحاضرة والبادية ، السلام عليكم والرحمة والبركة .

وبعد نحبكم أحبكم الله وأرشدكم ، أن تقصروا على المسكنة وحضوا عليها كل من قرب منكم ولا بد ، إذ بها عرفوا أهل الله جملة وكل من كان من أهل الخير ، وبضدها عرف أهل الشر جملة إلا من قهرته القدرة رغما على أنفه ، فشدوا أيديكم

على المسكنة ، إذ كل من أطلقها يفتش عليها ولا يجدها ، إذ هي من أعظم المراتب ، وأشرف المنازل ، وقد أجاز عمره المبارك فيها صلى الله عليه وسلم ، وكان أعز الناس عنده ، الفقراء والمساكين ، فسيروا على سيره ، وتخلقوا بأخلاقه الكريمة من المسكنة ، والحلم والتواضع والسخاء ، والصدق والمحبة والتعظيم ، وغير ذلك مما يناسب حالكم رضي الله عنكم ، فاجعلوا علمكم مقرونا بعملكم ، ولا تجعلوا العلم في جهة ، والعمل في جهة أخرى كالحلوى يغني عليها ولا يأكلها ، غنوا عليها وكلوها ، ووكلوها لغيركم فهذا هو الكمال .

وأوصيكم أن تحذروا صحبة أهل الفضول وإن كانوا منتسبين ، إذا لم يرجعوا عن فضولهم ، فان رجعوا عن فضولهم واشتغلوا بما يعنيهم فارجعوا إليهم ، وإلا فلا ، لان صحبة أهل الفضول ، فساد للقلوب والجوارح ، ومن أراد أن يكون مسكينا على الدوام ، فليترك نفسه عنه تركا كليا ، حساً ومعنى ، كما تركوها أهل الله جملة رضي الله عنهم.

وأما من لم يتركها ويظنها صاحبها أنها تتمسكن ، هذا لا يتصور في العقل وجوده، وان أردتم مسكنتها فاسلخوها من أوصافها الذميمة ، وألبسوها الاوصاف الحميدة، سيما عند ظهور وصفها ظاهراً ، فذلك الوقت أسرع لقتلها من لمحة البصر ، وأسرع لحياتها كذلك ، فكونوا على بصيرة في ذلك الوقت لتنالوا من الله القرب التام ، الله يتولى أمرنا وأمركم وأمر المسلمين أجمعين عند إرادة توليها علينا ، فانقطعوا إلى الله عند انقطاعها لكم ، واشتغلوا بالله عند اشتغالها بكم ، واذكروا الله عند ذكرها لكم ، لان ذكر الله في وقت الضيق ، ليس كذكر الله في وقت التاسيع ، فرق كبير عند التاسيع ، يظهر لكثير أنهم ذاكرين، وعند الضيق لا يبقى ذاكر إلا الصديق ، فعليكم بالحكم في وقت غضبها، وبالتأني في وقت تقلقها ، وبالتواضع في وقت ارتفاعها ، وبالكرم في وقت بخلها ، وبالذل وقت عزها ، وبالفقر وقت غناها ، وبالوجد وقت فقدها ، وبالصمت وقت كلامها ، وبالعزلة وقت تاسيعها ، وبالقبض وقت بسطها ، وبالمدح وقت ذمها ، وبالعطاء وقت منعها ، وبالاقرار وقت انكارها ، فمن ملكها هذه الملكية ، كان من عباد الله المخلصين .

وأوصيكم أن لا تشتغلوا بمحاربتها ، فان ذلك هو الغفلة الكبيرة ، ولكن اشتغلوا بالله يكفيكم شرها ويمنعكم بأسها ، فان ذكرتم الله ونسيتموها ذهبت نفوسكم ، وبذهاب نفوسكم يذهب وجودكم ، وبذهاب وجودكم تستولي أنوار بصيرتكم على كليتكم حتى لا يبقى الا البصيرة في العين والاذن واليد والرجل ، لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت له سمعا وبصراً ويداً ومؤيداً ، الحديث .

وهذه النوافل التي يحصل بها هذا الامر العظيم ، هي خروجكم عن أوصاف بشريتكم وتخلقكم بأوصاف روحانيتكم ، وجربوا تروا .

وأوصيكم أيضا أن لا تاخذوا أيضا من حوائجكم إلا ما سهل ، وما صعب دعوه عنكم ، فانه لا خير لكم فيه ، إذ كل من رأيتموه يريد قضاء حوائجه كلها ، فاعلموا أنه غافل عن ربه ، ذاكر لنفسه ، ولو كان ذاكراً لربه ، لكان ناسيا لنفسه ، ولو كان ناسيا لنفسه ، لكان ناسيا لحوائجها ، لكن كل حاجة غير الاهم فهي من حوائج النفس ، فخذوا الاهم واتركوا ما زاد ، فانه من فضول النفس ، وقد قال لي بعض الاخوان في هذه الساعة ، أين ما خصتني حاجة من جوائجي نمشي إليها أم لا ، قلت له ، اسمع نفيدك ، لا تاخذ من حوائجك إلا ما هو أهم ، ولا تمش لذلك الاهم إلا عند الاضطرار ، وإن أتيت إليه بعد الاضطرار ، حرك أحبال القدرة ، إن سهل شيء خذه ، وإن صعب قليلا دعه ، وسر هكذا مع حوائجك ، تقضى لك جميع الحوائج ، ولا تفقد قلبك أبداً ، لان سبب فقدان القلوب ، اتباع الحوائج بالظواهر والبواطن ، ولو نسيناها لما شغلنا عن الله شاغل .

فاشتغلوا بربكم ، تشتغل بكم جميع الحوائج ، ولا بعدهم عنا إلا بعدنا عن ربنا .

واعلموا رحمكم الله ، أن النفس إذا كانت أرضية سفلية ظلمانية بشرية ، تنزل على حوائجها غايتها ولا تنتقل عنها ، سواء قضيت أم لا ، وإذا رجعت سماوية علوية نورانية روحانية ، تنزل على حوائجها عبودية لربها ، لا لشهواتها ولا لحظ من حظوظها ، سواء قضيت أم لا ، كلاهما عندها سواء ، لغناها بالله ، عن كل ما سواه ، فهذه علامة صحيحة على موت النفس .

وأوصيكم أيضا أن لا تتكلفوا لبعضكم بعضا ، سيما لنفوسكم أحرى وأحرى ، فالكلفة غفلة ، ومراد الله منا ، اليقظة لا الغفلة ، والكلفة التي أشرنا لكم إليها ، هي أن يتكلف الفقير بما ليس عنده ، وهذا لا نحبه ولا يحبه الله ورسوله ، قال صلى الله عليه وسلم ، أنا وأتقياء أمتي براء من التكلف ، الحديث .

فالصوفي الحقيقي ، إذا وجد أنفق ، وإذا فقد اتقى ، أعني الكلفة ، فلا تتكلفوا لنفوسكم ولا لغيركم ، لتكونوا من الاتقياء ، والسلام . انتهت .

ولتمام الفائدة ، نثبت هنا أيضا رسالة كتبها الشيخ البوزيدي إلى بعض فقراء تطوان ، ومن جملة ما فيها ، حضهم على البرور والاعتناء بسيدي أحمد بن عجيبة ، وربما كانت كتابة هذه الرسالة عقب زهد الفقيه ابن عجيبة في الدنيا وانضمامه إلى طريق القوم .

ونفهم من هذه الرسالة ، أن أهل تطوان في ذلك العهد ، كانت من بينهم جماعة من الفقراء الدرقاويين المتصلين بالشيخ البوزيدي ، والرسالة المذكورة هذا نصها :

الحمد لله وحده   وصلى الله على من لا نبي بعده .

أخونا في الله ومحبنا من أجله ، الولي الصالح ، الخير الدين ، المبارك الطيب ، سيدي الحاج أحمد البشري ، (1) السلام عليكم والرحمة والبركة .

وبعد نحبكم بارك الله فيكم ، أن لا تلتفتوا إلى شيء دون الله ، ولا تعمروا قلوبكم إلا به ، ولا تسكنوا إلا إليه ، ولا تذكروا إلا إياه ، ولا تحبوا سواه ، وانه سبحانه أجل ما يذكر ويعظم ، وأجل ما يفني العبد فيه عمره ، إذ لذلك خلقنا ، وبه أمرنا ، والذي يضيع عمره في الاشتغال بسواه ، يندم ولا تنفعه الندامة ، ونحب أخانا وحبيبنا أن لا يفك قدمه عن الزاوية كما هو شأنه، وأن تواصل إخواننا الذين لا يصلون إليها كسيدي الطاهر شعبان ، والشريف سيدي أحمد المصمودي ، وسيدي عبد القادر أحديد تهلا فيه ، إذ هو والاحباب وسيدي عبد الرحمن . . . وجملة من كان ينسب علينا ، وقل لهم قال عبد ربه محمد ، نحبكم أن لا تفارقوا سيدي أحمد بن عجيبة ، إذ هو والله من يقرب منه العباد ، وقل لهم يتحلون في القناعة من الدنيا غاية ، ليستقيم حالهم مع ربهم ، إذ لا يستقيم للراغب فيها حال من الاحوال ، ولا يتلذذ بصلاة ولا صوم ولا بغير ذلك من عمال أعمال البر كله ، وإن حصلت القناعة منها ، يقع الالتذاذ بأقل عمل ، ويرى السر لاقل عمل ، والبركة والخير ، والله لولا الرغبة في الدنيا وأهلها قطع كبد أهل الاعمال ، تروا من السر ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر في قليل الاعمال ، قل لاخواننا ، يا سيدي الحاج أحمد ، اقنعوا من الدنيا ، وازهدوا فيها وأعرضوا عنها بالكلية إن أردتموها ولا بد ولا بد والسلام . .

ونحبك بارك الله فيك وفي أهلك وإخوانك ، أن تترك الدراز المذكور ، وأن تنظر سببا يليق بك في القيسرية أو في العطارين أو غيرها ، الله يبارك لك في كل ما تصنع من أمور الدنيا والاخرى ، ونسئله بمنه أن تكون دنياك أخرى بجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، والسلام .

عبد ربه محمد البزيدي الحسني كان الله له آمين .

استدراك اللهم ولا أحسن ، المومن يعيش فقيراً من الدنيا ويموت فقيراً وما أقبح العكس . انتهت .

وأخيراً ، هذه رسالة أخرى كتبها الشيخ البوزيدي إلى البشري المذكور وإلى كافة الاخوان ، بمدينة تطوان ، ونصها .

---

1) البشري - بفتح الشين وكسر الراء المشددة ، اسم عائلة أندلسية غرناطية تطوانية ما تزال حتى الآن بمدينة تطوان .

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده .

محبنا في الله الولي الصالح سيد الحاج أحمد الهشري وكافة إخواننا أهل المدينة التطوانية ، السلام عليكم والرحمة والبركة .

وبعد فطريق الصوفية مبنية على ثلاثة أصول لا غير .

فالاول هو الصدق .

والثاني الخروج عن النفس .

والثالث الخروج عن المال .

فالصدق أساس ، والخروج عن النفس سور ، والخروج عن المال سقف . فالصدق هو امتثال كل ما يشير به عليه ، والخروج عن النفس هو خروجها عن جميع العوائد ، ومنها من جميع اللذائذ لشهوتها الفانية ، ومن العوائد المبالاة بالمخلوقات ، ومن العوائد حب الجاه ، وحب الرفعة ، وحب العز ، وحب الغنى ، وحب المدح .

وسبب العوائد كلها ، حب الدنيا الساكن في القلب لا غيره ، ولو خرج حبها لامتلأ القلب بنور الله ، ولكان العبد عبداً لله ، ولشهد سر الله ، ولاحجبنا عن الحق سبحانه إلا عدم عبوديتنا له لا غير ، ومن لم يتعبد لله تعبد لنفسه ، ومن تعبد لنفسه ، تعبد لجميع الاشياء ، فكان أقل شيء في هذا العالم يتصرف فيه لبعده عن ربه وقربه من نفسه ، فغيبوا عن مراقبة نفوسكم ، لتغيبوا عن مراقبة الاشياء وراقبوا فيها مولانا أو شاهدوه لتكون مراقبتكم لله لا للاشياء ، فحينئذ إن تواضعتم معها تواضعتم مع الله ، بخلاف التواضع من الاشياء عن جهل ، فانه لها لا لله ، فافهموا وتواضعوا مع الاشياء كلها بعد أن تراقبوه كما قلنا أو تشاهدوه ، وتواضع العبد على قدر معرفة ربه ، فمنهم من انتهى به التواضع إلى أن حمله على التواضع مع الحجر والمدر ، والاخيار والاشرار لشهوده صنعة الجبار ، ولا يزال التواضع بأهل العرفان ، حتى ينزلون أنفسهم منازل الكلاب ولا يبالون ، وأما من رفع نفسه عن الكلب في المنزلة الحسية ، فهو متكبر حقا ، وهل الكلب فيه تصير صنعة الله وحكمته وقدرته وإرادته وعلمه ، واعجبا لمن لم يفهم حقيقة الاشياء ، فحققوا نفوسكم بوصفها ليذهب عنكم ظلمة جهلها ، ويتجلى لها بنور العلم فتستريحوا من همومها وجميع كدراتها ، واعلموا رحمكم الله ، أنه ليس للعبد إلا منزل واحد إن نزل فيه نجا ، وإن خرج منه هلك ، وهو منزل العبودية ، والسلام .

وكتب عبد ربه وأحوج الورى الي عفوه وغفرانه محمد بن احمد البزيدي الحسني كان الله له ولسائر المسلمين آمين .

وأما الزاوية فهي اللائقة بكم ، فجزاكم الله عنا خيراً ، وعن كافة إخواننا يا سيدي الحاج احمد ، لكن نحبكم أن تعمروها بالذكر والمذاكرة وبكل ما يناسب والسلام .

وعلى ذكر الشيخ محمد البوزيدي ، أذكر هنا أن لهذا الشيخ تآليفا اسمه « الآداب المرضية ، لسالك الطريقة الصوفية » وهو كتاب وقفت عليه مخطوطا بتطوان في نحو ثلاثمائة صفحة ، وأوله :

« الحمد لله المتفضل المنان ، الفاتح لمن شاء من خواص أصفيائه ما شاء من العرفان ، إلى أن قال :

وبعد لما كانت الطرق إلى الله تعلى وخصوصا طريقتنا هذه لا تسلك إلا بالادب ، رأيت أن أثبت نبذة من الآداب ، من بها علينا الكريم الوهاب الخ ،

سياحته

ذكر رحمه الله أنه لما فتح الله عليه ، أذن له شيخه البوزيدي في الخروج إلى تذكير عباد الله ، فخرج في العام الاول من تطوان إلى قبيلتي الفحص وأنجرة ومعه أصحابه إلى أن وصلوا إلى سبتة وهي يومئذ عامرة بالنصارى ، فعقدوا بناحيتها حلقة للذكر والنصارى ينظرون إليهم .

ثم ساح في العامين الثاني والثالث وزار قبائل كثيرة حتى وصل مع أصحابه إلى مدينتي رباط الفتح وسلا وهم يذكرون ويذكرون والناس ما بين مقبل عليهم ومعرض عنهم ، وقد هدى الله بهم أقواما وتاب على يدهم كثير من الناس .

خرقه للعوائد وامتحانه بتطوان عام 1209

قال أستاذنا الرهوني رحمه الله ما نصه :

« وقد كان صاحب الترجمة قبل الدخول في الطريق متلبسا بشيء من المال ، وكان له عز وجاه بين قومه في تطوان وغيرها ، فباع كل ما كان يملكه وأنفقه على شيخه البوزيدي ، ثم لبس جلابة بونداف « جلابة صوف غليظة يلبسها الفلاحون وأشباههم » وصار يذكر الله هو وأصحابه والسبحة الغليظة في عنقه وأعناقهم جميعا ، وصار يشطب الاسواق ويسئل بأبواب الحوانيت والاسواق ، ويسقي الناس الماء بالقربة ، فحزن أهله وجل أهل البلد عليه حزنا عظيما وتأسفوا على خسارته ، حيث كان معدوداً من العلماء المرجوع إليهم بتطاون ، حتى أدى الحال إلى سجنه باذن السلطان مولانا سليمان على يد عامله بتطوان القائد الصريدي .

ثم جمع العلماء لمناظرتهم (يعني لمناظرة الشيخ ابن عجيبة وأصحابه) فناظروهم وغلبوهم ولم ينصفوهم وأمروهم بالرجوع عن الطريق والذكر فلم يرجعوا حتى هددوا وأشهدوا عليهم أنهم تائبون وسرحوا سبيلهم والامر لله . يفعل في ملكه ما يشاء » .

وقد سبق لنا في الباب السادس من هذا الكتاب ، تفصيل أمر هذا الامتحان فليرجع إليه من يهمه ذلك .

قصائده ومنظوماته

وصف الشيخ ابن عجيبة رحمه الله نفسه بأنه لا يتقن علم العروض ، وفي ذلك الوصف كفاية ، ولكنه مع ذلك نظم مقطعات وقصائد حتى اجتمع له من ذلك عدد كثير ، ولعل ذلك إنما كان بعد انغماسه في بحر التصوف وانقطاعه عما عداه ، فمن ذلك ، منظومة في الخمرة الازلية ، ومطلعها :

أحن إلى خان الحميا لنشوة ... تطيش لها الالباب في حال سكرة

ومنها قوله :

فان تسألوني عن نعوت كمالها ... فإني خبير عن شهود وخبرة
تقدم كل الكون نور بهائها ... لطيف خبير فى صفاء وقدرة
وقامت بها الاشياء حين تنوعت ... وعن كل ذي جهل خفيت لحكمة

وأبياتها أربعة وثلاثون .

ومن ذلك منظومة في آداب الصوفية ، ومطلعها :

سقاني حبي من مدامة حبه ... فأصبحت في خمرة الهوى أتضلع

ومن أبياتها قوله :

تمسك بمنهاج الشريعة إنها ... أمان من كل هول للمظهر قاطع
وشد لها يد الضنين فمنتهى ... كمال الكمال منك هو الشرائع
فخير ولي الله من كان سره ... شهودا وظاهر من الشرع كارع
فهذا الذي حاز الوراثة كلها ... وأضحى غنيا للحبيب بتابع

وأبياتها سبعة وثلاثون .

ومن ذلك منظومة في تفسير الملك والملكوت ، والجبروت والرحموت ، والناسوت واللاهوت ، ومطلعها :

إذا حبست نفس في سجن الهوى الذي تقيد به العقل في قهر قبضة

وعدد أبياتها ثلاثون ،

ومنظومة أخرى في تفسير الروح وأطوارها ، وأولها قوله :

فيا باحثا عن سر روحه فاستمع وكن تاليا . . . . في محكم الذكر

ومنها قوله :

ولا بد من اصلاح ما كان ظاهرا فإصلاحه منه لباطنه يسري

فتطهير نفس من مساو تكثرت كغل وبخل واعتلاء ذوي الكبر

إلى غير ذا هي استقامتها التي بها نقلت للعقل ذي النهي والزجر

وأبياتها ثلاثة وعشرون .

ومنظومة دالية في الحضرة النبوية ، وقد ذكر أنه حادى بها التصلية المشيشية ، وأولها قوله :

وصل إله العرش في كل لحة على عنصر الوجود سر محمد

وأبياتها سبعة وخمسون .

ومن ذلك أبيات عامية في الحضرة النبوية تذكر في حضرة الرقص ، ومطلع احداها قوله :

أنا فنيت في ذا الحبيب سيدي رسول الله

وأبياتها نحو الستين .

وأخرى مثلها في الحضرة الازلية وأولها :

أنا فاني في ذا الجلال سبحانه سبحان

وأبياتها نحو ثمانين .

وأخرى مطلعها :

أمن لا جال سر في بحر المعاني

وأبياتها نحو أربعين .

وأخرى مطلعها :

أرفل بي جوار الحبيب وته في أواني القريب

وأخرى في سلب الارادة مع الحق ، وأولها :

يا عبدي كن مستصغيا لقولي ... وألق سمعك بلا بعاد

وأبياتها خمسة وخمسون .

وأخرى عامية تنشد أثناء ذكر الهيللة وأولها :

خمرتنا صافي زلال ... تحمي من يسقاها

اللي اشرب منها وزاد ... عمرو ما ينساها

وأبياتها نيف وعشرون .

ومن ذلك أبيات أولها :

تحقق بوصف الفقر في كل لحظة ... فما أسرع الغنى إذا صحح الفقر

وأبيات أولها :

يا مدعي الغنى برب الخلق ... خذ ميزانا تعرف عين الحق

وأبيات أولها :

إذا صحبت عبداً عنايـة ربه ... تخلص من رق الحظوظ مدى الدهر

وفاته ومدفنه

ألف الشيخ الصالح البركة السيد محمد بوزيان الغريسي المعسكري المتوفى بفاس عام 1271 . كتابا (1) في شيخه مولاي العربي الدرقاوي الذي قضى في صحبته ما يزيد على عشرين سنة ، وقد ترجم فيه للشيخ احمد ابن عجيبة ترجمة واسعة جاء في آخرها ما نصه :

« توفي (يعني الشيخ أحمد بن عجيبة) رحمه الله بدار شيخه سيدي محمد بوزيد بغمارة زائراً وبقي بعد ما أدرج في أكفانه وتابوته بلا دفن ثمانية أيام ينتظرون قدوم أخيه سيدي الهاشمي ، فلما وصل إليه في اليوم الثامن ، مرض في ذلك اليوم ، وبعد ثمانية أيام توفي هو أيضا ودفنا معا عند شيخهما ، لكن بعد أيام عديدة طلب أصحاب سيدي أحمد من شيخه سيدي محمد بوزيد أن ينقلوه إلى زاويته بانجرة فزعموا أنه أذن لهم ، فنقلوه وذهبوا به ليلا وكانوا يكمنون به في النهار خوفا من غمارة »

1) هذا التاليف وقفت عليه مخطوطا بالخزانة الاحمدية السودية بفاس ، ومنه نقلت ما هنا عام 1368 .

إلى أن وصلوا تطوان حرسها الله . فتلقته ابنته وأهله وأحباؤه خارج السور ، فتبركوا به وزاروه ثم حملوه إلي زاويته بانجرة المسماة بالزميج ودفن بها ، وبعد سنين وقف مناما على بعض أهله وقال ، إن الماء قد وصل إليه ، فحفروا فوجدوا الامر كذلك ، أي وصل الماء إلى تابوته ، فأصلحوا ذلك وهو رضي الله عنه كان قليل اللحم يابس الجلد على العظم من كثرة المجاهدة والزهد والورع ، وكان يلبس جلابية وسلهاما مرقعتين كما هي عادة درقاوة ، وكانت له منطقة عريضة من الدوم يجمع بها جسده عند الكتابة وحلقة الذكر ، وكنا لا نعدر في حلقة الذكر ، إذ كان يتبدل حاله ويشخص بصره فيذكر بجد وجذب وقوة خارقة للعادة رحمه الله تعلى ورضي عنه ونفعنا ببركاته آمين » . انتهى كلامه .

وذكر العلامة الشيخ عبد القادر الكوهن في فهرسته أن وفاة المترجم رحمه الله كانت عند إسفار يوم الاربعاء سابع شوال عام أربعة وعشرين ومائتين وألف (1224) ومثل ذلك عند استاذنا الرهوني وفي فهرس الفهارس للعلامة الشيخ عبد الحي الكتاني، فعمر الشيخ ابن عجيبة نحو أربعة وستين عاما ، رحمه الله ، أما قبره فهو مشهور بمدشر الزميج من قبيلة أنجرة بين طنجة وتطوان .

وقد قال رحمه الله آخر تعريفه بنفسه ما نصه :

وهذا آخر العمر ، وقد انصرف والحمد لله كله في طاعة الله بلا حول مني ولا قوة، وأنا أرجو من الله أن يدخلني من باب الكرم لا من باب العمل حتى نلقى الله بالله ، إنه سميع قريب مجيب » .

أخطاء ينبغي اصلاحها عن الشيخ ابن عجيبة

لاحظت أن بعض المؤرخين قد وقعوا في عدة أخطاء عند ما تكلموا في كتبهم عن الشيخ ابن عجيبة ، وإني من باب التعاون وتدارك الاخطاء وإصلاحها ، أثبت هنا ما وقفت عليه من تلك الاخطاء ، وأبين ما هو الصواب فيها ، خصوصا وأن تلك الكتب مراجع يعتمد كثير من الناس عليها في معرفة الحقيقة والواقع ، ولعل الذين لديهم تلك الكتب ، يصلحون ما فيه من أخطاء حتى لا تضيع الحقائق ، والكمال لله .

فمن ذلك ما جاء في كتاب « الاعلام » أصديقنا الاديب الكبير الاستاذ خير الدين الزركلي في ص 234 من المجلد الاول (من عشرة مجلدات) ونصه :

ابن عجيبة . . . نحو 1266 ه .

. . . » 1850 م .

احمد بن محمد بن عجيبة . فاضل من أهل فاس ، له « أزهار البستان ، في طبقات الاعيان » و « تفسير للقرآن العظيم » في ثماني مجلدات ، وفهرسة أشياخه .

وفي الطرة ، أن ذلك منقول عن كتاب اليواقيت الثمينة ، ص 70 وشجرة الدر ص 400 وفيه أن اسم كتابه الاول أزهار رياض الزمان . . .

وهذه الفقرات ، يلاحظ عليها ما يلي :

1 - فعلى اقتصاره في وصف الشيخ ابن عجيبة على قوله « فاضل من أهل فاس » أن الواقع أنه عالم من أكبر علماء الاسلام ، وشيخ صوفي من أكبر شيوخ التصوف في عصره .

2 - وعلى نسبته إلى فاس ، أن الواقع ، أن علاقته بفاس لا تكاد تذكر ، وأنه لم ينتسب إليها قط في حياته ، إذ أن ولادته كانت بقبيلة الحوز - حوز تطوان - ودراسته تعلما وتعليما ، كانت بمدينة تطوان ، وضريحه بقبيلة « أنجرة » الجبلية الواقعة بين مدن سبتة وطنجة وتطوان ، أما فاس فانما قام بزيارتها زيارة خفيفة للتبرك والاخذ عن كبار علمائها ثم عاد منها لمقره بتطوان .

3 - وعلى اقتصاره على ذكر ثلاثة من تآليفه ، أن الواقع أن له من التآليف - ما بين كبير منها وصغير - ما يزيد على ثلاثين كتابا .

4 - وعلى ذكر كتابه أزهار البستان ، أن اسمه هو ، أزهار البستان ، في طبقات العلماء والصلحاء والاعيان .

5 - وعلى عدد مجلدات تفسيره للقرآن الكريم ، المعروف لدينا ، أنها أربعة لا ثمانية .

6 - وعلى فهرست أشياخه ، أن أشياخه ليس لهم في ذلك الفهرس إلا حظ يسير، وإنما هو في أطوار حياته الشخصية والاجتماعية ومؤلفاته وأشعاره ومنظوماته الخ .

7 - وعن تاريخ وفاته أنها كانت عام 1224 هـ 1809 م لا عام 1266 هـ 1850 م .

على أن الاستاذ الزركلي قد تدارك بعض هذه الاخطاء في المجلد العاشر من كتابه المذكور ، وهو المستدرك ص 32 ، إلا أن ذلك الاستدراك يلاحظ على البعض منه ما سبق لنا بيانه ، وعلى البعض الآخر ، أن « أنجرة » هي قبيلة بدوية وليست ببلدة ، وأن تبصرة الطائفة الزرقاوية . خطأ صوابه ، شرح الوظيفة الزروقية .

وأما صاحب كتاب « معجم المطبوعات العربية والمعربة » وهو يوسف إلياس سركيس » فقد تكلم على الشيخ ابن عجيبة في المجلد الاول من كتابه المذكور ، ص 169 وقال عنه ما يلي :

ابن عجيبة الفاسي مات في حدود سنة 1266 ﻫ (نقلا عن كتاب اليواقيت الثمينة ، ص 70) .

العارف بالله الصوفي احمد بن محمد بن عجيبة الحسني الفاسي ، وقفت على بعض مصنفات له غير مطبوعة فرغ من تبييضها سنة 1200 ـ 1210 ، منها :

تبصرة الطائفة الزرقاوية ، على الفئة العثمانية .

وشرح على القصيدة المنفرجة .

وشرح على صلوات ابن مشيش .

وذكر له صاحب اليواقيت الثمينة ، كتاب أزهار البستان في طبقات الاعيان ، وفهرست أشياخه ، ورسالة جمع فيها أسئلة مولاي العربى الدرقاوي ، قال : ومن أشياخه سيدي احمد بن العربي الزعدي لقبا . . . . الخ .

وهذا الكلام يلاحظ عليه ما يلي :

1 ـ فعلى قوله تبصرة الطائفة الزرقاوية الخ ان ذلك خطأ ، صوابه هو شرح الوظيفة الزروقية .

2 ـ وعلى قوله ، وشرح على صلوات ابن مشيش ، أن الواقع أن الذي شرحه ابن عجيبة من كلام الشيخ ابن مشيش ، إنما هو صلاة واحدة هي المعروفة بالمشيشية وهي التي أولها ، اللهم صل على من منه انشقت الاسرار ، وانفلقت الانوار .

3 ـ وعلى كتابي أزهار البستان ، وفهرست أشياخه ، أن الصواب هو ما بيناه .

4 ـ وعلى قوله ، ورسالة جمع فيها أسئلة مولاي العربي الدرقاوي ، أن تلك الرسالة لم نسمع بها قط ، وما نظن أنه كان لها وجود .

5 ـ وعلى قوله ، ومن أشياخه سيدي احمد بن العربي الزعدي لقبا ، أن الصواب في هذا الاسم ، هو سيدي محمد بن احمد البوزيدي . . . .

وقال الشيخ محمد بن محمد مخلوف في كتابه « شجرة النور الزكية ، في طبقات المالكية » (1) ما نصه :

أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الفاسي العلامة المؤلف المحقق الفهامة البارع المدقق الصوفي الجامع بين الشريعة والحقيقة ، من أشياخه الشيخ احمد بن العربي الزعربي ، له تئاليف منها « شرح الحكم » و « تفسير القرءان العظيم » في ثماني مجلدات و « شرح الاجرومية » و « شرح المباحث الاصلية » و « أزهار رياض الزمان في طبقات الاعيان » و « فهرسة أشياخه » و « رسالة جمع فيها أسئلة الشيخ الدرقاوي » توفي في حدود 1266 .

---

1) طبع المطبعة السلفية بالقاهرة ، سنة 1350 ﻫ في ص 400 رقم 1599 .

وفي هذا الكلام عدة أخطاء يعرف ما هو الصواب فيها مما بيناه .

وفي « معجم المؤلفين » لعمر رضا كحالة (1) ما يلي :

احمد بن عجيبة 1160 ـ 1224 .

احمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الادريسي الشاذلي الفاسي .

أبو العباس ، صوفي مفسر مشارك في أنواع من العلوم ، توفي في 7 شوال .

من تصانيفه :

ـ إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عطاء الله في التصوف .

ـ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد .

ـ شرح على الاجرومية في النحو .

ـ أزهار البستان في طبقات الاعيان .

والفتوحات الالهية في شرح المباحث الاصلية .

ولا يلاحظ على هذا ، إلا وصفه بالفاسي ، ورحمة الله على الجميع .

---

1) ج 2 ص 163 .

الفقيه القاضي السيد عبد الرحمن بن سعيد بن طريقة 1227

هذا السيد قد ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه القاضي العالم العلامة الجامع بين المعقول والمنقول ، والفروع والاصول .

وذكر أنه قرأ عليه التفسير ومختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد ومرشد ابن عاشر وألفية ابن مالك ، وأن له تئاليف مفيدة منها :

1 ـ شرح ألفية ابن مالك « شرحا حفيلا » .

2 ـ شرح شواهد الالفية .

3 ـ شرح الحزب الكبير لابي الحسن الشاذلي .

4 ـ شرح البردة للامام البوصيري .

وزاد أن له تقاييد وفوائد الخ .

(قلت) وقد وقفت على شرحه لبردة الامام البوصيري (1) وهو شرح كبير يقع في أكثر من ثلاثمائة صفحة كبيرة ، في كل صفحة أربعة وثلاثون سطراً ، وأوله :

الحمد لله الذي أنزل على سيدنا ومولانا محمد الكتاب ، تبصرة وذكرى لاولي الالباب، وأودعه من فنون العلوم والحكم العجب العجاب ، ونص فيه سبحانه على تأكيد محبة سيدنا الرسول ، الذي بعثه عليه الصلاة والسلام لنصر دينه بالسيف المسلول . . . الخ .

وقد شرح فيه هذه المنظومة شرح رجل عالم كثير الاطلاع ، مشارك في العلوم العقلية والنقلية ، شديد التعظيم والاحترام للجانب النبوي الشريف ، وقد كتبه بفكر معتدل ونفس عال ، وينقل فيه عن كبار العلماء مثل جلال الدين المحلي وسعد الدين التفتازاني وعن سيبويه وابن مالك ، وعن ابن العربي والقاضي عياض وأضرابهم ، وفي بعض الاحيان ينقل عن شيخه محمد بن الحسن بناني وعن شيخ تطوان أبي العباس أحمد الورزيزي .

وقد ضمن شرحه هذا ملخص السيرة النبوية ، وحلل فيه قصيدة البردة تحليلا دقيقا ، فهو يتكلم على كل بيت بيت منها فيشرح ألفاظه من ناحية اللغة والتصريف ، ثم يبين معناه بتوسع ، ثم يعرب كلماته إعراباً ، ثم يقرر ما فيه من بديع أو بيان تقرير مطلع خبير .

---

1) هذا الشرح أطلعني عليه صديقنا الاستاذ السيد أحمد بن محمد بن محمد ابن تاويت عام (1368) وهو في مجلد كبير بخط السيد علي بن الحسن بن علي بن احمد ابن الحسن بن محمد بن تاويت الودراسي ، وقد نقله من خط المؤلف وأتم كتابته في ثالث صفر عام 1241 .

ولدى قول البوصيري ، محمد سيد الكونين والثقلين الخ . استطرد ذكر أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وشرحها شرحا موجزاً .

ثم أثبت منظومة لابي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي في أسماء الله الحسنى، وشرح ذلك كله شرحا استغرق من الصفحات الكبيرة سبعا وثلاثين .

وقد عرفنا المترجم رحمه الله في هذا الشرح بأنه تلمساني الاصل ، تطواني المنشأ والدار .

وذكر أنه فرغ من تأليف هذا الشرح ضحوة يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر شوال المبارك عام اثني عشر ومائتين وألف .

ووقفت أيضا على شرحه لالفية لابن مالك ، وهو شرح كبير مطول استهله بقوله :

الحمد لله الذي هدانا للايمان والاسلام ، وجعلنا من أمة سيدنا ومولانا محمد خير الانام . . . إلى أن قال :

وبعد فيقول العبد الفقير إلى مولاه الغني الحميد . عبد الرحمن بن سعيد ، المدعو ابن طريقة . التلمساني أصلا ، التطواني داراً ومنشئا ، غفر الله له ولوالديه ولاخوانه ولاشياخه ولجميع المسلمين .

هذا شرح مختصر على ألفية ابن مالك ، حملني عليه ما رأيت فيما يرى النائم ، أني شرعت في شرحه على الاسلوب الذي أشرحه عليه ، إن شاء الله تعلى بحول الله وقوته ، فاستخرت الله تعلى في ذلك ، فنطلب الله تعلى أن يعيننا على إتمامه ويجعله خالصا لوجهه الكريم ، ويجعل ثوابه جنات النعيم .

وقال في آخره : « وكان الفراغ من جمعه بحول الله وقوته ، يوم الثلاثاء الرابع من رجب الفرد الحرام عام تسعة عشر ـ بتقديم التاء المثناة ـ ومائتين وألف » .

وهذا الشرح يقع في نحو خمسمائة صفحة كبيرة ، في كل صفحة اثنان وثلاثون سطراً ، وخطها عادي ، وأبيات المتن مكتوبة بالمداد الاحمر ، وهذه النسخة كاملة ، والغالب على الظن أنها بخط المؤلف ، لان فيها من الزيادة والتشطيب والتغيير ما لا يمكن أن يكون من غير المؤلف ، وهي محفوظة في الخزانة الملكية بعاصمة الرباط .

ووجدت في أحد التقاييد أن المترجم رحمه الله توفي سنة 1227 .

الشيخ الصالح سيدي علي بن ريسون 1229

هو الشيخ العارف بالله تعلى ، الشريف البركة أبو الحسن سيدي علي بن محمد بن علي ابن ريسون .

وقد ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج ووصفه بالولاية والمعرفة والهمة العالية والاحوال المرضية مع مشاركته في علوم مختلفة ومعرفته لعلم الموسيقي واستعمال آلات الطرب وغير ذلك .

وذكر أنه صحبه سنوات كثيرة وسمع منه علوما غزيرة الخ .

وترجم له أيضا شيخنا أبو العباس الرهوني وحلاه بالقطب الواضح ، والسر اللائح ، ذي الكرامات العديدة ، والمناقب المديدة ، الوارث سر آبائه الكرام ، والكاشف عن باطن الحقائق اللثام ، أحد الاوتاد الذين يرحم الله بوجودهم العباد ، وتسقى ببركتهم البلاد ، الشريف الاصيل ، وسلالة الفخر الذي ليس له مثيل ، سيدي ومولاي أبي الحسن علي المدفون عن يسار محراب الزاوية الريسونية بتطوان الخ .

ثم ذكر أنه كان ممن يشار له بالعرفان ، وممن اشتهر بالولاية العظمى ، وأنه كان أولا ساكنا بتازروت مقر أسلافه الكرام ، ولما شعر الولي الصالح المجذوب سيدي عبد الله الحاج البقال بقرب أجله (1) استدعى المترجم إليه بتطوان فقدم إليها ونفذ له السلطان مولاي سليمان الدار الكبرى المشهورة بالباب السفلي مع روضها فاستقر بها بقية عمره رحمه الله .

وقد أثبتنا فيما سبق (2) نص رسالة كتبها إليه السلطان المذكور في شعبان عام 1207 ، وختمها بقوله :

« والمؤمل منك الدعاء الصالح في كل وقت من الاوقات » .

كما أثبتنا للسلطان المذكور رسالة نفذ له فيها فندق لوقش بالصياغين ليبني به الزاوية الريسونية الخ .

وقد كتبت تلك الرسالة في شهر ذي القعدة الحرام عام 1208 .

ثم تعلق مولاي مسلمة بالمترجم وبرفيقه وقريبه العلامة الوجيه سيدي محمد بن الصادق ليتوسطا له مع أخيه السلطان مولاي سليمان ، وقد فعلا وكتب السلطان إليهما رسالة حلى فيها المترجم بأخينا في ذات الله سبحانه السيد البركة الشريف الحسني الخ.

---

1) كانت وفاة سيدي عبد الله الحاج البقال سنة 1207 ، وهو صاحب الزاوية المشهورة بساحة الفدان رحمه الله .

2) في الباب السادس .

وقد استوطن المترجم رحمه الله تطوان وأظهر الله عليه فيها نعمته ، فبعد صيته وعظم جاهه ، وكثر تلاميذه وأتباعه ، وبقي محوطا بعناية الله ، متمتعا بنعمه الشاملة إلى أن أتاه اليقين .

وكانت ولادته رحمه الله عام 1158 حسبما نقله أستاذنا الرهوني عن العلامة سيدي محمد بن الصادق بن ريسون .

أما وفاته فكانت يوم الثلاثاء رابع جمدى الاخيرة عام 1229 . ودفن بزاويته الشهيرة في حومة الصباغين من تطوان وبنيت عليه قبة كبرى واتخذ له ضريح كبير ، وصارت زاويته مسجداً جامعا عاما تقام به الصلوات الخمس والجمعة ، ويقرأ فيه القرآن والاحزاب والاوراد وقصائد المديح النبوي ودلائل الخيرات، وتقام به الاحتفالات الدينية في الليالي الفاضلة زاده الله عمارة ونوراً .

وقد نظم معاصره الشريف العالم الاديب أبو الربيع سيدي سليمان الحوات « نقيب الاشراف بفاس » بيتين ضمنهما تاريخ وفاته وهما :

قف بقبرنا ساعـة   وادع نقبل زيارتك

فلسان حال تاريخنا   قال (زر تقض حاجتك)

والتاريخ المذكور هو مجموع حروف « زر تقض حاجتك » أي 1229 .

وذكر أبو الربيع المذكور في كتابه « الروضة المقصودة » أثناء ترجمته للشيخ سيدي محمد بن علي بن ريسون ، أن ولده أبا الحسن « يعني المترجم » هو اليوم وارث سره والقائم بعده بما عهد إليه من أمره ، وهو محط رحال الزائرين بتطوان ، ويسكن بها معه جملة من أقاربه الاعيان ، وقد قال فيه :

إذا الخطوب توالت ليس يدفعها   سوى أبي الحسن الغوث ابن ريسون

هـو الولي الذي ترجى إغاثتـه   بمن له الامر بين الكاف والنون

سلبت حسن إرادتي لديه فـلا   أعد في صفقة السلب بمغبون

يا وارث السر عطفا إنني رجل   ممكن في المعاصي أي تمكين

وقال فيه أيضا :

إذا كنت في هم وضيق وشدة   فزر قبر مولانا علي بن ريسون

زيارتـه يوم الخميس عشيـة   بها يتسلى عاجلا كل محزون

وقال الفقيه الاديب أبو الحسن علي بن محمد بن الطالب ابن سودة الفاسي في رسالة بعث بها لتطوان :

من بعد تقبيل أعتاب الكرام ومن ... اهم بقلبي وداد غير ممنون
أهدي تحيـة أشواق تؤرج في ... أرجاء تطوان ذات الخرد العين
وتجتني ثمـرات العطف يانعـة ... وتجتلي بارقـات العطف في الحين
مستنشقا لفحات من أبي حسن ... مستبـرقا لمحات لابن ريسون
يا غارقا في تيار الحب منغمرا ... يا غارفا من بحار الفضل والدين
هل لابن سودة من علياك بارقة ... للحجب خارقة بالقـرب تحييني

الفقيه القاضي سيدي الطيب بن رحمون 1229

ترجم له أبو محمد السكيرج وعده من جملة شيوخه ووصفه بالفقيه العالم العلامة الناسك ولي الله تعلى سيدي الطيب بن رحمون الحسني العلمي .

وذكر أنه كان يحفظ مختصر الشيخ خليل عن ظهر قلب ، وأنه كان حسن العبارة ، كثير الرواية ، حسن الخلق والاخلاق ، معينا للضعفاء وذوي العيال .

وذكر أنه قرأ عليه تحفة ابن عاصم ولم يذكر تاريخ وفاته .

وترجم له أستاذنا الرهوني ونقل كلام السكيرج وزاد عليه أنه ولي قضاء تطوان مدة وأنه توفي عام 1220 .

(قلت) وقد وقفت على عدة رسوم يفهم منها أنه كان متوليا لخطة العدالة بتطوان في العقد الثاني من هذا القرن كما أنه تولى خطة القضاء بها في العقد المذكور .

ووجدت في بعض التقاييد أن الفقيه السيد الطيب بن رحمون توفي في رمضان سنة 1229 ، وفي تقييد آخر أنه توفي سنة 1231 ، وذلك كما ترى مخالف لما عند شيخنا الرهوني .

فهل كان هناك أشخاص متعاصرون يشتركون في الاسم واللقب والوصف ؟ الله أعلم .

الفقيه الاديب السيد التهامي البناي

ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه الاديب الشاعر المؤدب الناصح الامين الخ .

ثم ذكر أنه كان ذا همة عالية وسمت حسن ، وأنه كان عالما بالتوثيق ، ملازما الشهادة في سماط العدول.

ثم ذكر أن السلطان مولاي محمد بن عبد الله بعثه لبلاد الروم افداء الاسارى صحبة الفقيه السيد عبد الكريم بن قريش

وذكر أنه قرأ عليه المرشد المعين لابن عاشر الخ .

« قلت » قد سبق لنا في الفصل الاول من الباب الخامس ، أن المترجم كان عضوا في البعثة التي أرسلها السلطان المذكور إلى جزيرة مالطة تحت رئاسة السفير السيد محمد بن عثمان المكناسي افداء الاسرى المسلمين ، وكان سفر تلك البعثة عام 1196 ، ورجوعها عام 1197 الخ .

ولم يذكر السكيرج تاريخ وفاته ، ويظن أنها كانت في العقد الاول أو الثاني من هذا القرن والله أعلم .

الفقيه الموثق السيد محمد بن طاهر زنيبر

ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه العلامة .

وذكر أنه كان فقيها عالما بالتوثيق والنوازل وغير ذلك ، وأنه قرأ عليه المرشد المعين مرارا ، وأخذ عنه صناعة التوثيق ، ولم يذكر تاريخ وفاته ، ويظن أنها كانت في العقد الاول أو الثاني من هذا القرن والله أعلم .

وقد وقفت على وثائق عديدة كتبها المترجم بخطه الحسن رحمه الله .

وعائلة زنيبر قد انقرضت من تطوان في أواسط هذا القرن ، وهي الآن موجودة بسلا ، وتعد من عائلات العلم والنبل والفضل بها .

الفقيه السيد أحمد بن محمد بن حسين

ترجم له تلميذه أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه العالم العلامة، وذكر أنه قرأ عليه فرائض مختصر الشيخ خليل، وأنه كان موصوفا بالنزاهة والعدالة، والكرم والديانة.

ووجدت في بعض الرسوم وصفه بالفقيه العلامة السيد أحمد ابن محمد بن حسين البزيدي التطاوني..

ولم يذكر السكيرج تاريخ وفاته، ونحن نقدر أنها كانت في العقد الثاني أو الثالث من هذا القرن والله أعلم.

وقد ذكر لي قريبه السيد أحمد بن أحمد بن حسين أنه تولى قضاء مدينة طنجة مدة، وأنه خلف ولده الفقيه السيد عبد الكريم بن حسين الذي كان عدلا بتطوان رحم الله الجميع.

الفقيه المدرس السيد محمد بن عبد السلام بن قريش

ترجم له معاصره أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه النحرير العالم الكبير.

وذكر أنه كان ذا معرفة بعلوم الحديث والفقه والنوازل والتاريخ، وكان مشتغلا بالتدريس إلى أن توفي، ولم يبين تاريخ وفاته، ولعلها كانت في العقد الثاني أو الثالث من هذا القرن، والله أعلم.

الفقيه السيد عبد الرحمن الصردو

هو الفقيه الاستاذ المقرئ السيد عبد الرحمن ابن الفقيه المدرس السيد الحاج محمد الصردو.

وقد ترجم له معاصره أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه الاستاذ.

وذكر أنه كان يقرأ القرآن بالروايات العشر، وكانت له معرفة بالقراءات وتوجيهها وبعلم أحكام القرآن والتفسير، وقد تولى الامامة بالزاوية الناصرية بعد وفاة والده وبقي كذلك إلى أن توفي رحمه الله.

وترجم له أيضا أستاذنا الرهوني بمضمن ما ترجم به له السكيرج، ولم يذكرا تاريخ وفاته، ولعلها كانت في العقد الثالث من هذا القرن والله أعلم.

الشريف العلامة سيدي محمد بن الصادق بن ريسون 1234

أوصافه

وصفه الشيخ محمد جسوس الفاسي ، بالفقيه النبيه ، العالم النزيه ، سلالة الاخيار ، وتحفة الابرار ، الخ .

ووصفه الشيخ محمد بن الحسن الجنوي بالشريف الاصيل ، العالم النبيل ، ذي الشمائل الطيبة ، والاخلاق الحسنة .

ووصفه تلميذه السلطان مولاي سليمان بقوله (1) شيخنا العلامة المشارك الحسن الحديث ، الجميل المباشرة ، البديع المحاضرة ، أبو عبد الله محمد بن الصادق بن ريسون الحسني العلمي عامله الله بالاحسان ، وجامله بجام العرفان . . . الخ .

ووصفه الشيخ الطالب ابن الحاج الفاسي بقوله : الفخر العلامة الصدر الفهامة ، كريم الاخلاق ، باقعة الدنيا وعميد الاشراف ، الحسن المحاضرة ، الفائق في المناظرة ، الرحلة الراوية ، الحجة في السلوك على طريق الصوفية ، أبو عبد الله سيدي محمد ابن العلامة المحدث سيدي أبي عبد الله محمد الصادق بن أحمد بن الحسين الاصغر الخ .

وبمثل ذلك وصفه أيضا العلامة سيدي جعفر الكتاني في كتابه « الشرب المحتضر» .

ووصفه الشريف سيدي التهامي بن المكي بن رحمون (2) بالفقيه الظريف ، العلامة اللطيف ، الشهير عن التنويه والتعريف ، الذي هو في حلبة العلماء سابق ، الشريف الحسن البركة ، سيدي محمد بن الصادق ، الريسوني العلمي الحسني اليونسي الخ.

وترجم له أستاذنا الرهوني بقوله : « هو العالم العلامة ، الدراكة الفهامة أبو عبد الله سيدي محمد ابن العلامة سيدي الصادق الخ . (النسب الريسوني الشهير) ولد رحمه الله بقرية تازروت العروسية وقرأ بها القرآن الكريم ومبادئ العلم الشريف ثم ارتحل إلى فاس وطاف بين أرجائها ، وارتوى من معين علمائها ، ورجع منها بعلم كثير ، وأدب غزير ، واشتغل بالتدريس والفتوى والتاليف إلى أن اتصل بالامراء العلويين فاستكتبوه ، ثم أستوزره السلطان مولانا سليمان قدس الله روحه ، وكانت له عنده مكانة عالية كما كانت له عند والده سيدي محمد بن عبد الله ، فازدادت وجاهته السياسية على الرياسة الحاصلة له بالعلم والشرف ، وقصده الناس في المهمات ، فقضى حوائجهم

---

1) عناية أولي المجد ، ص 65 .

1) في اختصاره لجمهرة التيجان في أشياخ السلطان مولاي سليمان ، لابي القاسم الزياني .

بالمواساة ، وبالشفاعة عند الولاة ، حتى صار ملجأ اللهفان ، وموئل الولهان . وكان رحمه الله لين الجانب ، متواضعا حسن الاعتقاد في أهل الله ، معظما لحرمات الله ، شغوفا بمحبة أهل البيت وأهل الفضل، شديد الشكيمة على ظلمة الولاة ، قابضا على أيديهم بيد من حديد، مسموع الكلمة عند السلطان فمن دونه، نصوحا لله ولرسوله ولخاصة المسلمين وعامتهم ، مفوضا له من قبل السلطان في تولية من فيه المصلحة، وعزل من فيه المضرة ، ولا تاخذه في الحق لومة لائم ، وبالجملة فقد كان رحمه الله ءاية الله في الارض » .

وترجم له معاصره وتلميذه أبو محمد السكيرج ، ووصفه بالفقيه الاديب السميدع الحسيب .

وذكر أنه كان إماماً في الفقه وأصوله ، وعلم الكلام وفصوله ، إلى ما خصه الله به من جلالة القدر ، وسعة الصدر ، وحسن الخلق ، واعتدال الخلق وسهولة العبارة الخ.

ثم ذكر أنه سرد بين يديه كتباً كثيرة ، وأنه أجازه إجازة تامة .

ووصفه الشيخ عبد الحي الكتاني بقوله (1) هو باقعة صقعه : عميد الاشراف ، العلامة المسند المحدث الضابط النسابة الرحلة الراوية الصالح ، أبو عبد الله محمد ابن العلامة المحدث أبي عبد الله محمد الصادق بن ريسون الحسني العلمي اليونسي التطواني ، رحل إلى فاس 1177 وروى بها الخ .

وعند ما ترجم له أستاذنا أبو عبد الله المرير في فهرسته « النعيم المقيم » قال فيه إنه ممن تمتعت بطلعته هذه الآفاق ، واستحق أن يتسق في علمائها أي اتساق ، لانه وان لم يكن استقراره بتطوان متصلا ، فإنه أوى في أكنافها برهة غير يسيرة ، اقتنى فيها عقاراً ، وابتنى بها مسكنا وقراراً ، وداره التي بحومة الوطية لشهيرة الخ .

وقد مدحه العلامة الاديب نقيب الاشراف بفاس الشيخ سلميان الحوات بقوله :

ما للمعلا كفءٌ سوى ابن الصادق	لا زال فخراً للزمان اللاحق
تزهو بغرته السيادة مثلما	تزهو المليحة بالجمال الفائق
نمت أدلة الوراثة عنده	نسباً وصهراً من قياس الخارق
وإليه وجه الملك يعنو عند ما	تدعو الضرورة للنصيح الصادق
والعلم تخترق الفهوم طباقه	وتسير في أقصاه سير السابق
الله أولاه الجميل تكرماً	فالحمد لله الكريم الرازق

1) فهرس الفهارس ، ج 1 ص 333 .

ومن مجموع هذه الاوصاف وغيرها ، نرى أن المترجم رحمه الله كان شريفا جليلا عالما اجتماعيا نشيطا مقداما ، يبحث عن أهل العلم والصلاح ، ويتصل برجال السياسة والادب وكل من له شهرة بعلم أو عمل ، فاتسعت بذلك دائرة معارفه ، وكثر عدد شيوخه وتلاميذه وأصدقائه ، وكان يحب الخير ويعمل في سبيله لنفسه ولاهله وأقاربه ولكل من ينحاش اليه وللناس أجمعين ، وكان مشاركا في كثير من العلوم ، حسن الحديث ، جميل المحاضرة ، وكان يبحث عن الشيوخ ويكثر الاخذ عنهم ويجيز تلاميذه لربط سلسلة الاسناد وضمان بقاء سره محفوظا مسلسلا إلى ما شاء الله ، وقد جال في الشرق والغرب ، وكان كثير الشغل ، دائم الحركة والانتقال ، فكانت له لاجل ذلك ثلاث ديار وثلاث نسوة ، في ثلاث مدن ، هي تطوان ووزان وتازروت .

شيوخه ومقروءاته

وقد وقفت على إجازته للشيخ مولاي علي ابن مولاي أحمد ابن مولاي الطيب الوزاني .

وقد ذكر فيها أن من أشياخه ، العلامة سيدي محمد بن الحسن الجنوي ، وأنه قرأ عليه الحديث والفقه والنحو والتصريف والمنطق والبيان والاصول ، ولازمه مدة ، واستفاد منه فوائد جمة ، وأجازه إجازة عامة .

ومنهم العلامة الشيخ التاودي بن سودة ، وقد قرأ عليه التفسير والحديث والفقه وغير ذلك ، وأجازه إجازة عامة .

ومنهم العلامة الشيخ محمد بن الحسن بناني ، وقد قرأ عليه التفسير والحديث والفقه وغير ذلك وأجازه أيضا إجازة عامة .

ومنهم العلامة الشيخ عمر الفاسي ، وقد قرأ عليه الحديث والفقه وكبرى السنوسي وغير ذلك ، وأجازه أيضا .

ومنهم العلامة قاضي فاس عبد القادر بو خريص ، وقد قرأ عليه وأجازه .

ومنهم العلامة محمد بن أبي القاسم الفلالي الرباطي شارح العمل .

ومنهم العلامة الشيخ محمد جسوس ، وقد قرأ عليه شمائل الترمذي بسرد شرحه عليها .

ومنهم الشيخ عبد الرحمن بن ادريس الحسني .
والشيخ عبد الله السوسي .
والشيخ عبد الله الدكالي .
والشيخ المجذوب الفاسي .
ووالده الشيخ الصادق بن ريسون .
والشيخ أحمد الشريشي ،
والشيخ أبي العباس بن ناجي .
والشيخ محمد بن علي الورزازي التطواني ، وقد أخذ عنه وأجازه إجازة عامة .
والشيخ شعيب بن عمر المطيري رحم الله الجميع .

من تلاميذه

من تلاميذ المترجم رحمه الله ، السلطان مولاي سليمان كما رأيت في تحليته له بشيخنا الخ .

ومنهم الشيخ مولاي علي بن أحمد الوزاني كما رأيت أيضا في إجازته له .

وذكر الشيخ عبد الحي الكتاني (1) أن من تلاميذه ، الشيخ التهامي بن المكي ابن رحمون ، والشهاب أحمد بن عبد الرحمن الطرابلسي الطبولي .

المترجم والاسناد

كان المترجم رحمه الله من أفذاذ الرجال الذين التفتوا لعلم الرواية والاسناد ، (وقلما اعتنى بذلك علماء المغرب ، فضلا عن فقهاء تطوان ونواحيها) .

وقد رأيت فيما سبق لنا من لائحة شيوخه ، أن جل علماء فاس قد أجازوه إجازات عامة .

وقد وقفت على فهرسته المحتوية على اثنتين وعشرين صفحة متوسطة الحجم ، وأولها: الحمد لله الذي جعل الاسناد من خصائص هذه الامة ، كما نص عليه غير واحد من الائمة ، الخ .

ثم ذكر أن الذي طلب منه كتابة فهرسته ، هو أبو القاسم الزياني .
وذكر من أشياخه ، والده سيدي محمداً الصادق .

---

1) فهرس الفهارس ج 1 ص 334 .

والفقيه سيدي عليا شطير (التطواني) .

ومولاي الطيب الوزاني .

وسيدي محمد بن علي بن ريسون .

ومولاي أحمد الصقلي .

وسيدي عبد الوهاب التازي الخ .

والشيوخ الذين سبق ذكرهم في لائحة شيوخة ومقروآته ، وقد أثبت في هذه الفهرسة نص إجازات الشيوخ الذين أجازوه .

وقد وصفه أبو حفص الفاسي في إجازاته اه بالفقيه النبيه ، العالم النزيه ، سلالة الاخيار ، وتحفة الابرار ، ذي المجد الشامخ ، والشرف الباذخ الخ .

ووصفه الشيخ التاودي ابن سودة في إجازته بأنه : وفقه الله تعلى المحق وهداه ، وأيده بنور الصدق والتوفيق من حال صباه ، فنشأ في طلب العلم وخدمته ، وربي في العلوم على تعليمه وتحصيله وحفظ حرمته ، مشمراً على ساعد الجد والاجتهاد ، دائم الرحلة كامل الرغبة من كل حاضر وباد ، حتى لاحت بحمد الله نجابته ، واشتهرت نباهته ، وجاد فهمه ، وغزر علمه ، وتأهل أن يوخذ عنه ويستفاد منه ، الفقيه النجيب ، العالم الاريب ، الحيي الحسيب ، تحفة الاشراف ، وبيت مجدها ، ويتيمة الاصداف ، وواسطة عقدها ، أبو عبد الله سيدي محمد ابن الفقيه العالم سيدي محمد الصادق بن ريسون . . . إلى أن قال . . .

فلقد كرع من بحور الدراية وارتوى ، واجتنى من درجات الرواية كل قطب أينع واستوى . . .

ووصفه الشيخ محمد بن الحسن بناني بالفقيه العلامة النجيب ، الذكي الزكي النزيه الاريب، البارع المشارك المطالع الخ .

وأثبت إجازة شيخه العلامة محمد بن علي الورزازي (دفين تطوان) ونصها :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم

أجزت سيدنا الشريف الغطريف ، اللوذعي الفقيه العلامة الدراكة سيدي محمد بن الصادق بن ريسون بجميع مروياتي عن مشائخنا رضوان الله عنهم، وجميع مسموعاتي المتعلقات بالاحاديث وغيرها وسائر العلوم إجازة مطلقة عامة ، وأحلته في ذلك على فهرستي التي ذكرت فيها مشائخي ، جعلني الله وإياه من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، وكتبه عبد الله محمد بن علي الورزازي كان الله له .

وأثبت أيضا إجازات شيخه عبد القادر بن العربي بو خريص الفيلالي الاصل الفاسي الدار ، وشيخه محمد بن الحسن الجنوي .

وذكر أنه قرأ عليه بوزان عام 1181 ، وشيخه محمد بن عبد السلام الناصري الخ .

وقد حج المترجم عام 1216 ، وأجازه بالمدينة المنورة ، الشيخ عثمان الشامي المدني ، والسيد زين العابدين جمال الليل المدني .

وبمصر، الشيوخ، عبد الله الشرقاوي ، والامير الكبير ، وعبد المنعم العموي المالكي ، وأحمد العريشي الحنفي ، والشمس محمد الدسوقي ، وسالم بن مسعود الطرابلسي الازهري ، وعبد العليم الفيومي الضرير .

وبتونس ، الشيخ محمد بيرم الاول .

وبطرابلس ، البرهان ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد النور اليزنيتني الطرابلسي وغيرهم .

وروى الحديث المسلسل بالفاتحة عن الاستاذ أبي زيد عبد الرحمن المنجرة الخ .

وأخذ بمراكش ، عن المقرىء المحدث النحوي أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن التدلاوي ، وأخذ بها أيضا عن الشيخ المشارك الاديب المؤرخ أبي عبد الله محمد بن العباس الشرادي .

وأخذ الطريقة الشاذلية عن أبي محمد ، الطيب بن محمد الوزاني .

وطريقة سلفه (الريسونية) عن الشيخ محمد بن علي بن ريسون ، وعن أبيه محمد الصادق بن ريسون .

والطريقة الخلوتية عن الشيخ أبي العباس أحمد الصقلي دفين زاويته بفاس (1) .

تآليفه وكتاباته

كان المترجم رحمه الله متأنقا في عباراته ، مطنبا في أوصافه وكتاباته ، وأشهر ما كتبه فيما علمت ، هو تاليفه الذي سماه « فتح العليم الخبير ، في تهذيب النسب العلمي باسم الامير » وهو كتاب في أنساب الشرفاء العلميين ، وقد مهد لذلك بفصل في الغيرة على النسب ، وفصل آخر في فضائل أهل البيت .

ثم تكلم على مولاي عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي ، ثم على أبنائه ، ثم على مولانا إدريس وبنيه ، وذلك كله كمقدمات استغرقت ما يقرب من نصف الكتاب .

ثم تفرغ للمقصود بالذات من الكتاب ، وهم الشرفاء العلميون أبناء أبي بكر بن علي دفين مدشر عين الحديد من قبيلة بني عروس .

---

1) وإن شئت فانظر فهرس الفهارس ج 1 ص 339 .

وقد ذكر في آخر هذا الكتاب ، أنه جمع ما لم يجمعه غيره من الدواوين ، وأنه ذكر فيه كل فرع على ما هو عليه ، وبين كل من نبذت دعوته ، واضمحلت حجته ، بيانا شافيا لم يعتمد فيه إلا على الفضلاء المحققين ، والنبهاء الممارسين .

ثم ذكر أن الذي أمره بتاليفه ، هو السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، وأن فراغه من تأليفه كان سنة 1191 ، وهذا الكتاب إلى الآن لم يطبع ، وعندي منه نسخة خطية تقع في سبعين صفحة في كل صفحة ثلاثون سطراً .

وللمترجم رحمه الله تقاييد وكتابات ، وتقاريظ وإجازات ، وقد وقفت على عدد من ذلك ، وكلها تمتاز بطابعها الخاص من الاطناب في الالقاب والاوصاف ، وشدة التواضع وكثرة الدعوات ، وتكرار المعاني بالالفاظ المترادفة ، وانتهاز الفرص لادماج مختلف الفوائد والمعلومات لادنى مناسبة .

حياته العامة ومواقفه السياسية

إنني كمصور للحياة الاجتماعية ، لا كتلميذ يذكر المناقب ، أو مريد يعدد الكرامات ، قد درست حياة هذا الرجل النابغة ، وتتبعت مواقفه المختلفة ، فوجدت فيه الرجل العالم العامل النشيط الذي قد يتواضع لاهل العلم والصلاح وذوي المكانة والجاه ، ولكنه لا يسمح بمس كرامته أو رد كلمته ، وكانت له شخصية ومكانة ، فلا يرضى أن يكون صفراً أو يبقى على الهامش ، بل كانت له مواقف اجتماعية وسياسية انغمس فيها انغماسا وسعى لها سعيا وأثر فيها تأثيراً ، وكان في كل مواقفه أمينا مخلصا لا يخون ، ولكنه سياسي يقرص آذان معارضيه قرصا ويعرف من أين توكل الكتف ، اتصل بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله ، فأخلص له ولم يؤيد ولده العاق المولى اليزيد بالرغم من التفاف جل الاشراف حوله وتأييدهم له ، فلما توفي سيدي محمد وابنه المولى اليزيد وقام المولى مسلمة يدعو لنصرته ، كان المترجم في مقدمة الذين نصروه وأيدوه ودعوا الناس للانضمام تحت لوائه ، وقد أثبتنا فيما سبق نص رسالة تفويض من المولى المذكور للمترجم ، ثم لما انتهى أمر مسلمة ، انحاش المترجم لجانب السلطان الشرعي المولى سليمان وصار من جملة حاشيته ، ثم رغب منه صديقه القديم المولى مسلمة في التوسط له مع أخيه السلطان المولى سليمان ، فسعى بينهما في الخير وكان نعم الواسطة ، وعرضت حلول عادلة لم يرض بها المولى مسلمة ، فنفض المترجم يده منه وتشبث بالسلطان صاحب الحق الشرعي والمطالب المعقولة والسلطة القائمة ، وتلك مواقف كلها مقبولة .

نعم قد يلاحظ الناقد (وفي الدنيا مغرضون وناقدون) أن المترجم رحمه الله كان ينتقم من بعض الناس فيسعى في عزاهم وتولية غيرهم ، وقد تكرر منه ذلك ، ونحن نرى أن ذلك كان ينشأ عن كون المترجم كان من أعيان الشرفاء والعلماء والوجهاء ، وكان له اتصال وثيق بالسلطان وحاشيته ، فكان الناس يتعلقون به لجلب المصالح أو دفع المضار ، وكان هو يتوسط لهم مع ولاتهم ، فكان من أولئك الولاة من يقبل شفاعته ، وينفذ رغبته ، ومنهم من يتصلب إما للحق وإما للغرض ، وهنا تاتي المشكلة ، فالشريف يرى أن من يتعلق به ينبغي أن تقضى حاجته ، ما لم تتناف مع الشرع أو تعارض مصلحة المخزن ، وذلك حفظا لمقام الشفيع ، ومراعاة لمكانته الاجتماعية والسياسية ، وبعض الولاة يرون أن من أولئك المتوسطين من يكون متعديا يتعصب ضد الحاكم ويريد إرغامه على ما يريد بواسطة شفيعه الشريف الطيب القلب الساعي في الخير عن حسن نية ، وهنا يقع الاصطدام ، فيعقبه الانتقام .

وما أظن أن المترجم رحمه الله كان يجهل أنه كان وما زال هناك أناس لا يهمهم إلا الوصول إلى أغراضهم والانتصار على خصومهم بأية وسيلة كانت ، لا فرق عندهم في ذلك بين القوة والجبروت ، والخضوع والخنوع .

ولعله رحمه الله كان يرى أن الالتجاء إليه أو التعلق به ، كاف في الدلالة على أن ذلك اللاجيء قد ندم على فعله وشعر بضعفه واحتياجه لمن يحميه أو ياخذ بيده ، وأن ذلك معناه التوبة والانابة من ذلك المذنب اللاجيء الذي يبحث عن المخلص، فاذ ذاك يتقدم الشريف كوسيط وشفيع ، وفي هذا الموقف ينبغي للولاة أن يراعوا حرمته ويساعدوه على مرغوبه ، ومن لم يفعل ذلك منهم يعتبر رافضا للشفاعة ، منتهكا للحرمة ، مستحقا للمؤاخذة ، ولعله لسعة صدره ، كان يرى أنه ما من مشكل إلا ويمكن أن يوجد له حل ، ومن من غضب إلا ولا بد أن يكون له حد ، والكمال لله .

دياره وزوجاته

كان المترجم رحمه الله صديقا للسلاطين والامراء ، والاشراف والصلحاء ، زيادة على كونه هو نفسه سليل بيت من أعرق بيوتات المغرب في الشرف والنبل والصلاح ، وقد دعته مصالحه وخدماته وصداقاته ، لكثرة التجول والتنقل ، فاضطره ذلك لاتخاذ ثلاث ديار في ثلاث مدن ، وفي كل دار منها زوجة وخدم ، وأهل وحشم .

ففي مسقط رأسه ومركز أسلافه « تازروت » داره الاولى ، وبها زوجته الشريفة السيدة فاطمة ابنة الشريف سيدي الطيب بن حليمة ، وهي والدة ابنيه ، سيدي علي الذي لم يعقب وسيدي محمد جد أولاد ابن الصادق الموجودين الآن .

ومدينة تطوان مقره ومقر أهله وأقاربه الاشراف ، وخصوصا صهره الشيخ الصالح سيدي علي بن ريسون ، كانت له بها أيضا زوجة أخرى هي الشريفة السيدة الزهراء ابنة الشيخ الصالح سيدي محمد بن علي بن ريسون .

وذكر أستاذنا الرهوني أنها كانت تسكن في داره بالعيون .

وفي وزان زوجته الثالثة ، وهي الشريفة السيدة الباتول ابنة الشريف الجليل مولاي علي الوزاني الشهير .

مولـده ووفاته

كانت ولادة المترجم رحمه الله في مدشر « تازروت » من قبيلة بني عروس ، ولم أقف على تاريخ ولادته بالتدقيق ، إلا أن المفهوم من كلامه أنها كانت سنة 1155 1156 . لانه ذكر في فهرسته أن دخوله المكتب القرآني كان عام 1161 ، وسنه إذا ذاك خمسة أعوام وخمسة أشهر وخمسة أيام كما وجد ذلك بخط والده .

أما وفاته فكانت بمدينة وزان وبها دفن في قبة مولاي علي بن أحمد الوزاني قرب الشيخ الرهوني رحم الله الجميع . إلا أنه وقع اضطراب في تاريخ وفاته بالتدقيق، مع الاتفاق على أنها كانت في العقد الرابع من القرن الثالث عشر ، أعني عام نيف وثلاثين ومائتين وألف .

فمعاصره السكيرج الذي عاش بعده لم يذكر تاريخ وفاته .

وأستاذنا الرهوني ذكر أنه توفي أواخر عام 1236 . أو أوائل عام 1237 .

ومعاصرنا الشيخ عبد الحي الكتاني (1) نقل من خط تلميذه ابن رحمون أنه توفي عام 1234 .

(ومثل ذلك وجدته في تقييد قديم لا أعرف كاتبه) .

ونقل الشيخ المذكور أيضا من خط القاضي ابن سودة أن وفاته كانت سنة 1236.

ومثله في كتاب الشرب المحتضر للشيخ جعفر الكتاني .

وعلى كل حال فالمترجم رحمه الله قد توفي في نحو الثمانين من عمره عليه رحمة الله ورضوانه .

---

1) فهرس الفهارس ج 1 ص 334 .

العلامة القاضي عبد الرحمن الحايك 1837

هو الفقيه العلامة المشارك المدرس المفتي القاضي عبد الرحمن الحايك ، وفي تقريظ له على بعض كتابات العلامة الرهوني محشي الزرقاني ، ذكر اسمه هكذا ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الحايك ، المصمودي التطاوني (1) .

وقد ترجم له أستاذنا العلامة أبو عبد الله المرير بقوله :

« هو الامام شهاب الدين ، وسراج المهتدين ، شيخ الجماعة في أوانه ، وإمام عصره وابن عرفة زمانه .

كما وصفه بذلك أمير المومنين مولانا سليمان رحمه الله ، وهو عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الرحمن بن محمد الحايك التطاويني منشأ وقرارا ، المصمودي المنازلي الحسني الزواكي أصلا ونجارا ، وهو ممن اشترك مع الرهوني في شيوخه كالجنوي والتاودي وبناني وغيرهم . . . .

وذكر عنه أنه كان علامة مشاركا مبرزا في علم النوازل والاحكام ، فقيها ثقة معتنيا بنقل النصوص على ما هي عليه ، سالكا في ذلك نهج المحققين ، من الفقهاء المتقدمين ، كثير الكتابة والتقييد ، ملازما للجمع والتصنيف الخ » .

وذكر أستاذنا الرهوني أن ابن عجيبة ترجم له في كتابه أزهار البستان بقوله :

« ومنهم الفقيه العالم المدرس المتفنن سيدي عبد الرحمن الحايك السعيدي الاصل ، التطواني الدار ، له مشاركة حسنة في فنون من العلم ، وله حاشية على المكودي ، وله تآليف أخر ، وله اعتناء بتدريس العلم والفتوى ، وهو في قيد الحياة » .

وترجم له أيضا تلميذه أبو محمد سكيرج ترجمة حافلة بالنعوت والاوصاف ، وذكر له عدة تآليف سياتي بيانها .

ووصفه تلميذه الفقيه الاديب أبو حامد ، العربي الدمنتي الفاسي ، بشيخنا الامام ، الفقيه الحجة الهمام ، قاضي حضرة الجبل تطوان أبي زيد سيدي عبد الرحمن الخ .

ووصفه بالادريسي الحسني . . .

1) حاشية الرهوني على شرح المختصر في الجزء السابع ، ص 463 .

تآليفه ومكانته العلمية

كان الفقيه الحايك رحمه الله كثير الكتابة والتاليف كما تقدم، وقد ذكر له مترجموه من التآليف ما يلي :

1 - حاشية على تفسير الجلالين، ذكره تلموذه أبو محمد السكيرج.

2 - حاشية على شرح المواق لمختصر الشيخ خليل، ذكره السكيرج.

3 - اعراب مختصر الشيخ خليل، ذكر السكيرج أنه يقع في أربعة أسفار كبار، وذكر أبو عبد الله المرير أنه قصد به الاقتصار على الاعراب اللفظي، ولكنه جاء في شرح مختصر جمع فيه من تحقيقات الشروح والحواشي جملة مفيدة كشرح الحطاب والمواق والتتائي والزرقاني وميارة وأبي علي وبناني والتاودي وغيرهم، وقد نقل نموذجا منه في الجزء الاول من فهرسته المسمى بالنعيم المقيم، وذكر عنه أنه يقع في أربعة مجلدات، وأن نحو النصف منه موجود لديه بخط المؤلف نفسه، وكأنه هو المبيضة . . . .

4 - شرح فرائض مختصر خليل، ذكره السكيرج.

5 - حاشيتان على شرح المكودي لالفية ابن مالك، ذكر ابن عجيبة، أن له حاشية على الشرح المذكور، وذكر السكيرج أن له حاشيتين عليه، ولعل إحداهما مطولة، وأخرى مختصرة.

6 - شرح شواهد المكودي على ألفية ابن مالك، ذكره السكيرج.

7 - شرح المرشد المعين لابن عاشر، ذكره شيخنا المرير والسكيرج.

8 - إعراب لامية الزقاق، ذكره السكيرج، وذكره أستاذنا المرير بصفة شرح، وأنه وقف على بعضه بخط مؤلفه.

9 - النوازل، وقد قال عنها أستاذنا الرهوني ما نصه :

« ومن تآليفه، نوازله الرفيعة التي اشتملت على الفتاوي التي صدرت منه، وقد نقلها شيخنا سيدي المهدي الوزاني في نوازله المسماة بالمعيار الجديد ».

وذكر أستاذنا المرير أنها في جزء واحد، وأن نسخة منها كانت بخزانة شيخ الجماعة بتطوان العلامة سيدي محمد البقالي التطواني، وأنه كثيراً ما كان يعتمد عليها في فتاويه، وأن الشيخ المهدي الوزاني قد استعارها منه وضمن كثيراً منها في معياره الجديد، ونقل منها في حاشيته على شرح الشيخ التاودي للتحفة.

وذكر معاصرنا الشيخ أحمد ابن الصديق (دفين مصر) أن تلميذه المامون أفيلال ، هو الذي جمع فتاويه المذكورة ، وأنها مشهورة يقول المقلدة عنها ، إنها في غاية التحرير . . . .

10 ـ حاشية على وثائق ابن سلمون ، ذكرها السكيرج وقال عنها إنها لم تكمل ،

وذكر أستاذنا المرير، أنه ألفها باشارة من العلامة الشريف سيدي محمد بن الصادق ابن ريسون، وأن فيها تتمات وتنبيهات مفيدة، وأنه سلك في ذلك طريق أهل التحقيق من الامانة في النقل والاجادة في التنسيق مع بيان المشهور أو الراجح أو ما به العمل ، وقد نقل نموذجا منها في فهرسته ، وذكر أن هذه الحاشية كانت من ابتكارات شيخه الجنوي ، وأنه كان قد ابتدأ الكتابة فيها ، وأنه كان يرى أن كتاب ابن سلمون قد كان في حاجة إلى مثل هذه الحاشية .

11 شرح بعض لامية الافعال ، ذكره أستاذنا المرير .

وذكر أستاذنا المرير أيضا ، أن له تقاييد وتعليقات كثيرة على كتب مختلفة كطرره على ابن غازي والمواق وخليل الخ .

(قلت) إلا أن هذه التآليف غير منتشرة ولا معروفة لدى الطبقات العلمية بتطوان فضلا عن غيرها ، وقد بحثت عنها فلم أقف إلا على بعض إعرابه لمختصر الشيخ خليل عند أستاذنا المرير ، حفظه الله .

أما عن مكانته العلمية وانقطاعه للكتابة والتحرير والتحقيق ، فقد قال عن ذلك شيخنا المرير ما نصه :

« وبالجملة فان هذا الرجل كان مستغرقا أوقاته في الكتابة والتقييد ، مقبلا على تحرير المسائل العلمية ، بحيث لا ينصرف عن ملازمة فصولها وأبوابها ولا يحيد ، مكثراً لتحصيل الفوائد ، مقيداً لها بحبل الكتابة كي لا تفر من يد الرائد » . . .

وقال فيه أيضا بعد أن نقل نماذج من كلامه :

« فهذه فصول من كلام الامام الحايك ، تدل لك على مكانته الفقهية ، واتساع دائرة معارفه النقلية ، وتريك مقام اطلاعه على كتب النوازل والاحكام ، وتصرفه فيها تصرف من ملك منها المقاد والزمام ، وتعرفك بتبرزه في القيام على مختصر الشيخ خليل ، وتحرير مقاصده وإحراز خصل التحقيق في ذلك الميدان العريض الطويل ، وتعلم أن ما حلاه به أمير المسلمين في عصره ، وإمامهم الممتاز بصلاحه وعلمه ، المولى سليمان العلوي رحمه الله من أنه ابن عرفة زمانه ، هي حلية صادقة ، ودلالة لمعناه

مطابقة ، وفيه دليل واضح على أنه كان بهذه المدينة التطوانية أعلام أجلة ، وجهابذة أفراد تفتخر بهم الملة ، ولكن داء الاهمال ، وعدم الاعتناء بمن مضى من ذوي الاقدار والاجلال ، الذي هو أدوأ الادواء ، في هذه الانحاء ، أبقى الشيخ وأمثاله ، منكرين في غيابات جب الجهالة ، بحيث لو كان مثله عند غيرنا لتداولت عليه أدوات التعريف . ولتواردت لذكراه في كل مناسبة وفود التكريم والتشريف » . . .

الكتب التي كان يدرسها

كان الفقيه الحايك رحمه الله كثير التدريس لمختلف العلوم [ب]مختلف الكتب ، وقد رأيت في كلام معاصره الشيخ ابن عجيبة ، أنه كان معتنيا بتدريس العلم الخ ،

وذكر تلميذه أبو محمد السكيرج أنه قرأ عليه الكتب الآتية :

1 ـ بعض تفسير كلام الله العزيز .

2 ـ صحيح الامام البخاري .

3 ـ صحيح الامام مسلم .

4 ـ مختصر الشيخ خليل مراراً ، بعضها بسرد شرح الزرقاني مع إحضار حاشية بناني عليه ، وبعضها بسرد الخرشي ، وفي المرة الاخيرة كان الشيخ المترجم يحضر إعرابه المتن ، ويقع في أربع مجلدات .

5 ـ لامية الزقاق .

6 ـ مختصر السعد .

7 ـ ألفية ابن مالك مراراً .

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الضعيف المؤرخ الرباطي في حوادث سنة 1198 من تاريخه ما نصه :

« وفي يوم الاثنين الخامس والعشرين من صفر عامه ، ختمنا الالفية على الفقيه القاضي سيدي عبد الرحمن الحايك بتطوان » .

8 ـ صغرى الامام السنوسي ، بشرح المؤلف وحاشية أبي علي اليوسي .

9 ـ سلم الاخضري (في المنطق) .

10 ـ الخزرجية (في العروض) .

ولايته للقضاء

ذكرنا في فصل قضاة تطوان في القرن الثالث عشر ، أن المترجم رحمه الله ولي قضاء هذه المدينة وعمالتها عام 1207 ، وفي حدود عام 1227 ، وعام 1230 ، وفي الفصل المذكور زيادة بيان .

وذكر أستاذنا المرير أنه تولى أيضا قضاء زاوية سيدي محمد ابن أبي زيان ، والله أعلم .

أصله ونسبه

ذكر أستاذنا الرهوني أنه وقف للمترجم على تقييد تضمن تحرير نسبه وإثبات شرفه ، وأن اسمه عبد الرحمن بن محمد (بالفتح) ابن عبد الرحمن بن محمد ، وأن نسبه يتصل بسيدي يملح ابن مشيش جد الشرفاء الوزانيين ، وأن أصل عائلته من خندق البور من قبيلة مصمودة ، وأن جد أبيه دنية انتقل إلى قبيلة بني سعيد الجبلية ، ثم انتقل جده مع والده منها إلى تطوان بعد سنة 1120 هـ .

ووجدت في آخر نسخة مخطوطة من شرح قصيدة « بانت سعاد » ما نصه :

« ووافق الفراغ منه عصر يوم الاثنين العاشر من ربيع الاول من تاسع العشرة التاسعة بعد المائة والالف (1189) على يد كاتبه لنفسه ، ثم لمن شاء الله من أبناء جنسه ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عثمان الحايك التطاويني المنشإ والدار ، المصمودي الحسني النجار كان الله له ولآبائه وأحبائه وأقربائه » .

وفي آخر نسخة من تقييد في أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحمد بن فارس بن زكرياء أنه نسخ هذه النسخة وما كتب عليها عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الحايك التطاوني المصمودي الحسني من نسخة بخط الفقيه البارع شيخ شيوخ شيوخنا من بلدنا سيدي الحاج علي بن محمد بركة ، وذكر أنه نسخها من خط الشيخ عبد السلام بن الطيب القادري من نسخة بخط الشيخ عبد القادر الفاسي قوبلت على نسخة بخط الولي الصالح سيدي رضوان بن عبد الله الخ .

من شيوخه وتلاميذه

رأيت في كلام أستاذنا المرير، أن من شيوخ المترجم، العلامة محمد بن الحسن الجنوي، والعلامة الشيخ التاودي ابن سودة، والعلامة الشيخ محمد بن الحسن بناني . . .

وذكر المترجم نفسه في بعض مقيداته، أن من شيوخه، الفقيه الورزازي دفين تطوان .

ورأيت بخط الفقيه المسند الشريف سيدي التهامي بن المكي ابن رحمون (1) أنه يروي فهرست الشيخ محمد بن قاسم القصار، عن المترجم عن الشيخ جسوس عن الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي عن والده عن عم والده عبد الرحمن العارف عن مؤلفها الشيخ القصار .

وذكر ابن رحمون في كتابه « الطي والنشر في كشف أسرار مخدرات المسبعات العشر » أنه رواها عن المترجم عن الشيخ جسوس .

ومن تلاميذه الفقيه الكاتب السيد العربي الدمنتي، وقد ترجم له في فهرسته .

ومنهم الفقيه محمد بن عبد السلام الضعيف المؤرخ المغربي .

وذكر أبو العباس ابن الصديق في كتابه « مجمع فضلاء البشر » أن من تلاميذ المترجم، الفقيهين، الرهوني محشي الزرقاني، وبناني، والمامون أفيلال قاضي تطوان .

إجازته لابن كيران الفاسي عام 1229

وقد وقفت في مجموع خطي محفوظ بالخزانة الكتانية بفاس، على اختصار إجازة كتبها المترجم للفقيه السيد محمد بن العباس ابن كيران عام 1229 . ونص ما بالمجموع المذكور على ما فيه :

« الحمد لله بجميع محامده كلها، ما علمت منها وما لم أعلم، على جميع نعمه كلها، ما علمت منها وما لم أعلم، حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيده، والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على من طاب أصلا وفرعا، ومن الصلاة عليه مقبولة عند العلماء قطعا، وعلى آله الكرماء، وصحابته العظماء، وعلى من تلا نهجهم المبين، إلى يوم الجزاء والدين .

1) الكتابة المذكورة، في طرة على نسخة من فهرس القصار المذكور، وهي موجودة في الخزانة السودية بفاس .

هذا وإن عوض النفس ووالد وما ولد ، الفقيه النبيه ، والخير النزيه ، خديم العلم الشريف ، وصاحب الفهم اللطيف ، أبا عبد الله ، السيد محمد بن العباس بن كيران الفاسي ، لما حل ثغرنا ، واستجلى قدرنا ، استدعى منا بعد أن كتبنا له على موضوعه في مآثر شيخه وفي بسملة ابن اجروم ، وتطلبه الاجازة فيها وفي غيرها ، ظنا منه أني من أهل ذلك الشأن ، وفرسان ذلك الميدان ، ولست كما ظن ، غير أن (نية المرء تفوق عمله) وبها يبلغ المنى من أمله ، فأجبته لما استدعى . . . . . والمرعى ، منشداً ما ينشد في الاجازة ، ولست بأهل أن أجاز ، فكيف بأن أجيز ، ولكن . . . . .

وأجزته إجازة مطلقة في جميع ما أرويه وأمليه ، من حديث وغيره ، على شرط ما شرطوه فيه من التثبت في ذلك وسؤال ما أشكل عليه ، المقتدى به من أهل العلم ممن له قدم فيه وبصيرة ، طالبا منكم أن تتحفونا بدعاء لانفسنا .

وقد أجازني شيخنا الامام العلامة الهمام شيخ المشايخ والقضاة وخاتمة المحققين وصاحب التآليف العديدة المفيدة أبو عبد الله سيدى محمد التاودي ابن الطالب بن سودة المري إجازة مطلقة في جميع مروياته ومسموعاته ومحفوظاته ومقروءاته مشافهة مرارا ، ومما أنشد هو عن المحقق القصار وأنشد في غيره عن الاشياخ إجازة .

أجزت لكم مروينا مطلقـا وما لنـا سائلا أن تتحفـوا بدعـاء

وكتب في الثاني من رجب عام تسع وعشرين ومائتين وألف ، عبد ربه تعلى وأحوجهم إليه عبد الرحمن بن محمد الحايك الحسني الزواكي التطاوني منشئاً وقراراً ، المصمودي المنالي أصلا ونجاراً . ه بخ كثير » انتهى .

هذا ما أثبته هذا المختصر في هذا المجموع ، وليته ما اختصر .

وفاتـه وضريحه

ذكر أبو محمد السكيرج أن المترجم عاش نحو سبعة وثمانين عاما ، وتوفي بتطوان في عاشر جمدى الاخيرة عام سبعة وثلاثين ومائتين وألف (1237) .

ومثله في فهرست تلميذه العلامة الاديب أبي حامد العربي الدمنتي الفاسي (المتوفى سنة 1253) . . .

وذكر أستاذنا الرهوني أن قبره داخل قبة الشيخ سيدي علي بن ريسون بتطوان عن يسار الداخل لها من جهة الصحن .

وقد وقفت في بعض التقاييد على أبيات للاديب الفقيه السيد عبد الكريم الحضري رثى بها المترجم ، وضمنها تاريخ وفاته وهي :

يا عذولي سال دمعي وانهمر — وفؤادي لانقضا العلم انفطر

ذخر فضل وعلوم وتقى — عابد الرحمن في الخلد استقر

وسقـاه الله من رضوانه — وحباه جل في (زي شكر) (1)

وإذا ما العلم غاض بحره — أو بناء ربعه منه اندثر

فضياء بدره اليـوم كفا — وبهـا جوهره مثـه عمر

1) « زي شكر » هو تاريخ وفاته : 7 ـ 10 ـ 1000 ـ 20 ـ 200 = 1237.

الفقيه القاضي سيدي المامون أفيلال 1245

هو الفقيه العلامة الشريف القاضي سيدي المامون بن النادي بن محمد بن محمد أفيلال ، وقد ترجم له معاصره أبو محمد السكيرج ووصفه بأنه من العلماء الراسخين ، والشيوخ المعتبرين ، وأنه كان عادلا صالحا متمسكا بالحق ، آخذاً بالجد والصدق ، مشتغلا بالعلم والعمل ، وقد ولاه السلطان (المولى سليمان) قضاء مدينة تطوان ، فأعطى لكل ذي حق حقه ، وبقي كذلك إلى أن قام حفيد السلطان المذكور ، وهو المولى ابراهيم بن اليزيد وكثر اللغط والهجا ، وارتكب العامة الطريقة العوجا ، فدخل المترجم داره ، وعزل نفسه الخ .

وترجم له أيضا أستاذنا الرهوني ووصفه بالفقيه العلامة وذكر ما مضمنه : أنه كان على جانب عظيم من العلم ومتانة الدين وأبهة العلماء .

ثم ذكر أنه ولي قضاء تطوان في رمضان عام 1231 ، فسار فيه سيرة حميدة ، وكان شديد الشكيمة على الولاة والظلام ومن ينتسب إليهم الخ .

ويظهر أن قائد تطوان في ذلك العهد (وهو الحاج عبد الرحمن أشعاش) تضايق من مواقف القاضي أفيلال ، فأوعز إلى جماعة من أهل تطوان (وفي كل عصر يجد الولاة صنائع يستخدمونهم آلات ويتوصلون بهم لاغراضهم الخاصة) بتأليف وفد ، فألفوه وقصدوا السلطان وطلبوا منه إعفاء القاضي أفيلال وتولية غيره ، فلما سألهم السلطان عن السبب ، هل هو جوره في الاحكام أو أعمال أخرى ينكرونها عليه ، قالوا له ، لا شيء فيه من ذلك ، وبرأوه من كل ما يشينه ، وتقدم من بينهم السيد محمد السكيرج أخ الفقيه السيد عبد السلام مؤرخ تطوان وقال له ، نحن لا ننقم على القاضي سيدي المامون شيئا سوى أنه شريف وعالم وقاض وله روض وبغلة بالسريجة ، واجتماع هذا كله لفرد واحد شيء كثير عليه الخ .

وأشار بذلك إلى أن القاضي المذكور لا عيب فيه ، وأن الوفد إنما هو مدفوع من القائد الذي تضايق من مواقف القاضي وعدم مساعدته على ما يريد .

ويظهر أن السلطان كان راضيا عن القائد أشعاش ولا يريد معاكسته ، فعزل القاضي أفيلال ترضية له ، وأسند وظيف القضاء بتطوان للفقيه محمد كرازو .

هذا ما ذكره أستاذنا الرهوني في ترجمة الفقيه كرازو المذكور ، وذكر أيضا أن ولايته هذه كانت عام 1235 ، وذلك يقتضي أن إعفاء القاضي أفيلال كان في ذلك العام (1235) . ولنا هنا وقفة في كيفية عزل المترجم وتاريخ عزله ، لاننا وجدنا في ذلك اضطرابا . فكلام السكيرج السابق صريح أو كالصريح في أنه لبث قاضيا إلى أن قامت حركة المولى ابراهيم بن اليزيد ونصر بتطوان فلزم المترجم داره وعزل نفسه ، (وهذه الحادثة كانت في أواسط ربيع الثاني أو أواخره من سنة 1236.

وهذه الرواية يؤيدها ما وقفت عليه بنفسي من تسجيل رسم صحيح على القاضي المذكور بتاريخ 12 ربيع الثاني 1236 . وعلى ذلك يكون القاضي أفيلال هو الذي عزل نفسه في ربيع الثاني عام 1236 .

أما حكاية الوفد التي ذكرها أستاذنا الرهوني ، فتقتضي أن الذي عزله هو السلطان المولى سليمان ، وأن ذلك كان عام 1235 . والله أعلم بالصواب .

(قلت) وقد كان المترجم رحمه الله جميل الخط كثير الاعتناء بنسخ الكتب وتقييد الفوائد ، وفي خزانتي مجموع كبير كله بخطه ، وفيه مجموعة مؤلفات وأجوبة فقهية واجتماعية وفوائد لاكابر علماء فاس وتطوان والكثير من ذلك منقول من خط عالم تطوان وصالحها سيدي الحاج علي بركة رحم الله الجميع .

والمترجم يذكر في آخر تقاييده تاريخ كتابتها ، ويذكر اسمه هكذا محمد المامون ابن النادي بن محمد بن محمد أفيلال الحسني العلمي ، وتاريخ نسخه لذلك من سنة 1207 إلى سنة 1221 .

وقد وقفت في تقييد قديم (لا أعرف كاتبه) على أن وفاته كانت يوم الاثنين 13 ربيع سنة 1245 . والله أعلم .

الفقيه السيد عبد الله المصمودي 1248

ترجم له معاصره أبو محمد السكيرج ووصفه بالفقيه العالم العلامة ، وذكر أنه كانت له معرفة بالفقه والنحو والتصريف وغير ذلك من العلوم ، وكانت له عارضة في الفقه أكثر من غيره ، وأنه قرأ على أشياخ ، منهم الفقيهان عبد الكريم بن قريش ، والقاضي عبد السلام بن قريش الخ .

وترجم له أيضا أستاذنا الرهوني ونقل كلام السكيرج وزاد عليه أنه كان من علماء تطوان وأوتادها في عصره ، وأنه كان يتعاطى الشهادة والفتوى ، ويؤم ويخطب بجامع السوق الفوقي .

ونقل عن السكيرج أنه توفي عام 1228 ، ثم استبعد ذلك مستدلا بأن شيخ الجماعة الفقيه سيدي أحمد السلاوي المولود سنة 1240 ، قد أدركه وقد كبر سنه وضعف بصره والغير يقوده ، واستظهر أن وفاته تأخرت الى نحو سنة 1248 .

(قلت) ما استظهره أستاذنا الرهوني هو الواقع ، وقد وجدت في بعض التقاييد القديمة ما نصه :

« توفي العلامة عبد الله بن الحاج أحمد المصمودي التطاوني ليلة الاربعاء 10 شوال 1248 » رحمه الله .

وقد ذكرنا في فصل القضاة ، أن المترجم تولى قضاء تطوان ، وأنه كان قاضيا بها عام 1220 ، ثم عزل واستمر عدلا إلى أن توفي رحمه الله .

الفقيه المؤرخ السيد عبد السلام السكيرج 1250

هو الفقيه العدل أبو محمد عبد السلام بن أحمد السكيرج مؤلف كتاب « نزهة الاخوان » وقد ترجم له أستاذنا الرهوني بما نصه :

« هو الفقيه البركة المشارك مؤرخ تطوان وصاحب الشهرة بها ، أبو محمد سيدي عبد السلام بن أحمد السكيرج الانصاري التطواني ، ولد رحمه الله في تطوان عام 1145 تقريبا ، وقرأ القرآن الكريم على عدة من مقرئي تطوان ، وكتب التفسير والفقه والحديث والنحو والبيان وغيرها على شيوخها أيضا مثل الحايك وابن قريش والجنوي وجماعة كما في تاريخه ، ثم رحل إلى فاس وقرأ على شيوخها مثل سيدي التاودي بن سودة والشيخ بناني وأهل عصرهم حتى حصلت له ملكة حسنة فيما قرأه ، ثم رجع لتطوان وتزوج وولد له ولده السيد عبد الخالق المشري الشهير ، ثم اشتغل بحرفة العدالة والتدريس والتوقيت في بعض الاوقات ، وألف تاريخه المشهور في تطوان سماه « نزهة الاخوان ، وسلوة الاحزان ، في الاخبار الواردة في بناء تطوان ، ومن حكم فيها وتقرر من الاعيان » وقد أجاد فيه وأفاد ، بل انفرد باخبار هذه المدينة دون من تقدمه أو تأخر عنه من النقاد ، رحمه الله ، وكان في آخر عمره إماماً في زاوية الفاسيين قبالة القنا الكبير (بحومة العيون) وعدلا في الحانوت التي تحت صومعة جامع العيون إلى أن توفي رحمه الله عام 1250 عن سن تناهز المائة ، وكان مربوعا للطول ، ذا شيبة ، واحدودب في آخر عمره ، وكان في يده انقباض وقصر في الذراعين ، وكان فيه انبساط كبير ودعابة من صغره إلى كبره ، وإلف الناس لخفة روحه وكثرة بسطه ، وله في ذلك حكايات لطيفة » .

ثم ساق أستاذنا الرهوني بعض تلك الحكايات والوقائع والاعمال التي صدرت من المترجم ، وهي تدل على دعابات ومجون وشيطنة ، وبعضها وقع له مع أساتذته الجنوي والشيخ التاودي والشيخ بناني والشيخ ابن عجيبة رحم الله الجميع .

وكنموذج لدعابات المترجم أو شيطنته الفكاهية ، نذكر هنا أنه كان له في المدرسة بتطوان ، بيت مجاور لبيت لمعاصره وشيخه أبي العباس ابن عجيبة ، وكان هذا الشيخ الصالح يقوم في النصف الاخير من الليل يعبد الله ويتقرب إليه بالذكر والصلاة ، فكان المترجم ينتهز سكون الليل ورهبته ويطلع لسطح المدرسة ويدلي رأسه ويسامت به بيت الشيخ ابن عجيبة ويناديه بصوت متهدج موهما له أنه هاتف الهي

ويخاطبه بقوله ، يا أحمد ابن عجيبة ، قد حللنا لك المحرمات ، فافعل ما شئت فقد غفرنا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويظن الشيخ ابن عجيبة أن هناك هاتفا شيطانيا يريد أن يغره ، فيستغفر الله ويعوذ به من الشيطان الرجيم ، والواقع أنه لا شيطان هنالك ولا رجيم ، وإنما هو عبث الفقيه سكيرج غفر الله له .

ثم ذكر أستاذنا الرهوني أن المترجم وضع منظومة في لعب الكارطة وقدمها مع شرحها لرفقاء له كانوا مولعين بلعبها .

(قلت) ويظهر أن المترجم رحمه الله كان مشهوراً باتقان صناعة التوثيق مع جمال الخط وقد وقفت على رسوم كثيرة بخطه وهو خط جميل واضح وعباراته في وثائقه أحسن منها بكثير في تاريخه ، أما تاريخه المشهور فيظهر أنه لم يقم بمراجعته وتنقيحه ، ولا أدري هل أتمه بالتأليف أم لا ، لاني لم أقف عليه كاملا بالرغم من شدة البحث ومواصلته ، ولا أعرفه كاملا عند أحد إلى الآن ، وإنما وقفت على بعض ملازم منه لدى أستاذنا الرهوني (وعدد صفحاتها ثلاث وثمانون) كما وقفت على بضعة أوراق من أوله فقط لدى صديقنا الطالب الخير السيد محمد بن محمد العطار ، مع بعض أوراق لدى حفدة الفقيه العدل سيدي عبد القادر بن عبد الواحد الفاسي الفهري .

وتقييد السكيرج في أخبار تطوان يعد المرجع الاول في موضوعه ، وقد استفاد منه أستاذنا الرهوني وضمنه في تاريخه « عمدة الراوين » كما استفدت منه أيضا كذلك، إلا أن الامانة التاريخية تقضي بوصف ذلك التقييد بأنه غير منظم ولا منقح ، وفيه من الحشو والعبث الشيء الكثير ، ولكنه بالرغم من كل ذلك ، أفادنا تاريخيا بما لم نقف عليه عند غيره رحم الله صاحبه وجزاه خيراً ، وقد تكلمت على المترجم وتاليفه هذا في مقدمة هذا الكتاب فليرجع اليها من يهمه ذلك .

الفقيه القاضي السيد محمد كرازو 1253

ترجم له معاصره أبو محمد السكيرج ووصفه بأنه صاحب العلوم الكثيرة ، وله اليد الطولى في علوم الفقه والنحو والنوازل والقضاء الخ .

وترجم له أستاذنا الرهوني وذكر في ترجمته أن أصله من قبيلة بني سعيد الجبلية ، وأنه قرأ بتطوان ورافق في القراءة السلطان مولاي سليمان (ولم يذكر أين كانت تلك المرافقة ولا تاريخها) فكانت له به معرفة ، وشهد له بالفقه وولاه قضاء تطوان عام 1235 .

(قلت) لعل ولايته للقضاء تأخرت إلى سنة 1236 . والله أعلم .

ثم ذكر أستاذنا الرهوني أنه استمر قاضيا بتطوان إلى أن توفي بها سنة 1250 ، إلا أنه ذكر في لائحة القضاة أنه استمر في القضاء إلى سنة 1249 ، والذي وجدته بخط الفقيه العلامة الشيخ المهدي بن الطالب بن سودة الفاسي ، أن وفاة القاضي المذكور كانت عام 1253 ، والله أعلم بالصواب .

الفقيه سيدي الطيب بن عبد السلام البقالي 1253

ترجم له أستاذنا الرهوني ووصفه بالعالم العلامة ، الدراكة الفهامة ، المفتي المدرس الحساني الاصل ، التطواني الدار ، وذكر أنه ولد في قبيلة بني حسان (الجبلية) عام 1174 ، ثم انتقل إلى تطوان فقرأ على علمائها وخصوصا سيدي محمد بن المهدي البقالي الذي كان عمدته في جميع العلوم .

وقد وقفت على رسم كتبه شيخ الجماعة بتطوان العلامة الحاج أحمد السلاوي - وهو من هو في التحقيق والتدقيق - وقد وصف فيه المترجم بالفقيه العلامة سيدي الطيب البقالي التطاوني . . . .

وكان المترجم اتصال كبير بقائد تطوان الحاج عبد الرحمن أشعاش ، فلما كانت حركة المولى إبراهيم بن اليزيد وقدومه إلى تطوان ووفاته بها ثم قيام أخيه المولى سعيد مقامه وطلبه من أهل تطوان مبايعته ، قام المترجم وقال له ، لا نبايعك ، فقال له لماذا ، فقال ، لان بيعة عمك مولانا سليمان في أعناقنا ، ولا يحل لنا عزله بدون موجب شرعي ، فقبض عليه وسجن من جملة من سجن من أهل تطوان ، ثم لما انتهت حركة المولى سعيد وانتصر المولى سليمان ، أطلق سراحه وعرض عليه قضاء تطوان فلم يقبله ورجع لبلده (تطوان) وبقي فيها مشتغلا بالعلم إلى أن توفي سنة 1253 . ودفن بالزاوية البقالية الواقعة بالطرافين ، ولم يخلف ولدا ذكرا رحمه الله .

وحكي أن أشياع المولى السعيد لما كانوا خارجين من تطوان مروا بدار المترجم وهي الدار الواقعة عن يسار الخارج من باب جامع الساقية الفوقية ، (وهي دار زوزيو الآن) فالتفت رئيس الطبجية المعلم أحمد عنيقد نحو تلك الدار وقال ، دابا ناكلو هذه الدار ، فسمعته ابنة المترجم فقالت له ، دابا ياكله الذياب إن شاء الله ، فكان من قدر الله أن عنيقد المذكور قتل في تلك الحركة ، وقيل إنه بقى مهملا في المكان الذي قتل به حتى أكلته الحيوانات والعياذ بالله .

الشيخ محمد الحراق عام 1261

العلامة الاديب الشيخ الجليل ، المربي الكبير ، سيدي محمد الحراق ، أحد الرجال الذين لا تفتخر بهم مدن شفشاون وفاس وتطوان فحسب ، بل يحق المغرب كله أن يفخر به ، لانه رحمه الله كان بحراً زاخراً في العلم ، وجبلا راسخا في المعرفة ، وكان إماماً في ثلاثة علوم ، قلما اجتمعت في رجل واحد في الشرق والغرب ، علوم الشريعة، وعلم الادب ، وعلم التصوف ، كان في مقدمة العلماء الفقهاء ، فقد درس مختلف العلوم العقلية والنقلية ، وشهد وأفتى ، وخطب ودرس ، وعمل جميع ما يعمله كبار العلماء والفقهاء ، وكان نابغة من نوابغ الادب ، وأشعاره الكثيرة مطبوعة يتغنى بها كثير من الناس في مختلف الطبقات ، ويعجز عن الاتيان بمثلها كثير من الادباء ، ويعتز بها صوفية المغرب ، ويفخرون بها على المتأخرين من صوفية المشرق (1) .

وكان من أكابر شيوخ التصوف ورجال التربية ، وهذه رسائله العامرة بالحقائق والرقائق متداولة بين الناس ، يسترشد بها المهتدون ، ويهتدى بها الغافلون (2) .

لقد جمع الله له بين الحقيقة والشريعة ، فغاص في بحار المعارف ، وكان الشيخ العارف ، وتلمذ له كبار العلماء ، وتكلم في الحقائق الربانية فتطأطأت له الرؤوس ، وأنصتت إليه الاذان واطمأنت معه القلوب .

---

1) قرأنا كثيراً لأدباء الشرق والغرب ، وبعد الاستقصاء وجدنا أن للحراق مدرسة مستقلة تخوله بحق أن يرتفع إلى مصاف كبار رجال الفكر البشري ، ولو أنه كان على اتصال بالتيارات الفكرية الاوربية ، لأتى المغرب بنابغة يستحق المقام العالمي الدولي ، والعناصر الثلاثة التي ذكرها المؤلف ، كانت منسجمة في فلسفة الحراق ، لا تنافر بينها ، حتى إن بعضها متمم للبعض الآخر ، رغم تخالف الموضوعات .

ت . و .

2) كان رحمه الله قليل الكتابة ، واولا هذه الرسائل ، التي كان يوجهها لتلاميذه في آفاق المغرب ، لضاعت شخصيته كما ضاعت شخصيات كثير من نوابغ المغرب ، فمن رغب في دراسة الحراق ، فمن هذه الرسائل فليدرسه ، ولم يخلف بعده من يدانيه في ثرواته الثلاث . ت . و .

عائلته وسلسلة نسبه الشريف

تكلم مولاي إدريس الفضيلي في كتابه « الدرر البهية » على الجد الجامع للشرفاء العلميين (1) سيدي أبي بكر بن علي بن حرمة (2) من ذرية الامام ادريس ابن ادريس ، وذكر أن سيدي أبا بكر خلف سبعة أولاد منهم سيدي مشيش (3) والد الشيخ الاشهر مولانا عبد السلام بن مشيش ، وأن سيدي مشيشا هذا أثمر من ثلاثة غصون مباركة ، مولاي عبد السلام ، وسيدي يملح ، وسيدي موسى ، وذكر أن من ذرية سيدي موسى هذا ، الشرفاء الحراقيين ، وبعد أن ذكر أن الشرفاء الحراقيين موجودون بعدة قبائل ومداشر ، وبتطوان وفاس ، قال ما نصه (4) :

« فمن أهل تطوان ، الولي الاكبر ، والبدر المضيء الازهر ، الشيخ المربي ، أبو عبد الله سيدي محمد دفين تطوان ، بن محمد بن عبد الواحد بن يحيى بن عمر بن الحسين بن الحسين (مرتين) بن علي بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن احمد بن الحسين بن مالك بن عبد الكريم بن حمدون بن موسى بن مشيش بن أبي بكر ابن علي بن حرمة » .

وهذه السلسلة نفسها هي التي ذكرها الشيخ محمد بن العربي الدلائي الرباطي تلميذ الشيخ المترجم، إلا أنه ذكر أن والد سيدي عمر، اسمه الحسن بفتح الحاء والسين، ونحوه في كتاب « بغية المشتاق » للورديغي ، وهو الصواب ، والذي رأيته في رسم صداق والد الشيخ المترجم ، أنه هو : سيدي محمد ، بن عبد الواحد ، بن يحيى ، بن

---

1) كل من كان من ذرية سيدي أبي بكر دفين عين الحديد من قبيلة بني عروس ، يسمى علميا ، نسبة إلى جبل العلم .

والاشراف العلميون أصرح الشرفاء نسبا ، حتى قال قائلهم ، « النسب العلمي بين بقية الانساب ، مثل الشريعة المحمدية بين الشرائع نسخت ما قبلها » . ت . و .

2) بن عيسى بن سلام بن مزوار بن علي الملقب بحيدرة سلطان المغرب ، ابن محمد السلطان ، ابن ادريس الاصغر ، ابن ادريس الاكبر ، ابن عبد الله الكامل ، ابن الحسن المثنى ، ابن الحسن السبط ، ابن أمير المومنين رابع الخلفاء علي بن أبي طالب . ت . و .

3) وسيدي مشيش إلى سيدي مزوار يعبر عنهم بسبعة رجال . ت . و .

4) الدرر البهية ج 2 ص 96 .

عمر ، بن الحسن ، بن علي ، بن عبد الله الحراق الشريف ، ابن محمد ، بن عيسى ، ابن موسى ، بن الحسن ، ابن الولي الصالح سيدي مالك ، بن عبد الكريم ، بن حمدون ، ابن الولي الصالح سيدي موسى ، بن مشيش الخ .

وهذه السلسلة كما ترى فيها بعض مخالفة للتي قبلها ، إذ فيها أن والد عمر هو الحسن بن علي ، لان الحسن بن الحسين بن علي .

وفيها أن عليا هذا ، هو ابن عبد الله بن محمد ، لا محمد بن عبد الله ، وفيها ان والد محمد هذا هو عيسى بن موسى بن الحسين ، لا عبد الله بن يوسف بن احمد بن الحسين .

وفيما عدا ذلك تتفق السلسلتان المذكورتان.

« قلت » الصواب والله أعلم هو ما في السلسلة المثبتة في رسم الصداق المذكور ، إذ ذلك هو الثابت في رسوم قديمة أخرى قد رأيتها بنفسي والله أعلم .

وقد سكن تطوان من رجال هذه السلسلة ، الجد الرابع للشيخ المترجم ، وهو سيدي الحسن ، وقد أقام بها طول عمره وبها توفي وخلف فيها أولاداً ثلاثة ، أحدهم هو سيدي عمر الفقيه الاديب كاتب السلطان المولى اسماعيل ، وهو الجد الثالث للشيخ سيدي محمد رحمه الله .

ولادته ونشأته بشفشاون وقراءته بفاس

لم أقف على من تكلم عن المحل الذي ولد فيه الشيخ سيدي محمد الحراق على سبيل التحقيق ، والمعروف أن والديه كانا بمدينة شفشاون ، وبها تزوجا وأقاما جل حياتهما ، والغالب على الظن أن ولادة سيدي محمد كانت بالمدينة المذكورة ، بل ذكر لي أحد علماء مدينة شفشاون - في إحدى زياراتي لها - أن المتواتر لديهم أن ولادته كانت في دارهم المعروفة حتى الآن - وقد وقفت عليها - بحومة السويقة ، والدرب الذي به تلك الدار ، ما زال معروفا إلى يومنا هذا ، بدرب الحراق ، إلا أني رأيت بعض أهل فاس يصف سيدي محمداً بالفاسي أصلا وولادة ومنشئاً ، وذلك خطأ ، بدليل قوله أصلا ، إذ لم يقل أحد إن أصل سيدي محمد من فاس ، وإنما هو كباقي الاشراف العلميين الذين أصلهم من الجبال الشمالية بالمغرب .

أما تاريخ ولادته فهو عام 1188 - او - 1186 .

وكان والده سيدي محمد بن عبد الواحد الحراق، مشتغلا بالتجارة، وقد استقر بفاس في آخر عمره وبقي بها (ومعه ولده المترجم) إلى أن توفي بها، ولا ندري من الذي

انتقل مع الآخر ، هل الوالد هو الذي انتقل إليها للتجارة، ونقل معه ولده الذي اشتغل بما اشتغل به أولا ثم انتقل للقراءة ، أم إن الولد هو الذي رحل إلى فاس لقراءة العلم، فانتقل معه والداه لمؤانسته والانفاق عليه ، ولعل هذا الاخير هو الواقع والله أعلم (1) .

وذكر الشيخ المهدي بن سودة في كتابه « تحفة الاحباب » أن المترجم رحمه الله كان في صغره محترفا ببعض الحرف ، ثم بعد أن تجاوز العشرين من عمره ، انقطع لقراءة العلوم ، فاشتغل بعلوم الشريعة من فقه وحديث وتفسير ، فطلع بأفقها نجمه المنير ، بعد ما حصل علم الآلات ، من نحو وبيان ولغة وغير ذلك .

وذكر أنه قرأ علم التعديل ، فكان عليه فيه التعويل ، ونفذ له التوقيت بجامع الرصيف ، في زمن السلطان المولى أبي الربيع رحمه الله .

ثم ذكر أن المترجم رحمه الله لما كان في هذا العهد بفاس ، كان له من الهمة العالية في طيب الطعام ومفاخر اللباس ، ما زاد به على الاتراب والناس ، لا يبالي بأحد من أهل الدولة ، ولا يصيخ لتلك الصولة ، فيستحقر أصحاب تلك المراتب ، وإن لقيهم كان لوجههم المعاتب ، وهو في غاية الوجاهة والظهور ، والعامة يرضون فعله المشكور ، فكان ذلك سببا لامر السلطان أبي الربيع إياه بسكنى تطوان ، إذ هي أقرب حاضرة إلى سلفه الذين بجبل العلم ، فينفع بعلمه المسلمين والاخوان .

وذكر لي حفيده سيدي محمد بن ادريس بن الحسين ، أن جده المترجم رحمه الله كان قد عرف ترجمة جد جده سيدي عمر بن الحسن الحراق الذي أدرك مع السلطان المولى إسماعيل منزلة رفيعة ورتبة عالية ، فتاقت نفسه لادراك مثل ذلك ، وأن حساده عز عليهم بقاؤه بفاس على تلك الحالة الممتازة ، ورأى منافسوه أن في سكناه بالقرب منهم ، خطراً عليهم ، لما امتاز به من العلم والادب ، وعلو الهمة ، وحسن المظهر، فسعوا للتخلص منه بمختلف الوسائل فكان لهم ما أرادوا وأرسله السلطان إلى تطوان .

---

1) ما ذكره المؤلف حفظه الله هو المنقول عن أحفاد الشيخ الحراق ، فانهم يذكرون أنه كان واحد أبويه ، وأكب على العلم وهو بشفشاون ، فلما استوفى ما هو موجود بتلك المدينة ، رغب في الرحلة إلى فاس على عادة الطلبة المغاربة ، فلم يطق أبواه صبراً على فراقه ، فسافرا معه بقصد الاستيطان إلى فاس ، وأخذ هو في طلب العلم، إلى أن بلغ مبلغ الاكابر ، فرغب منافسوه في التخلص منه ، وأشاروا على مولاي سليمان بان يكون الحراق هو الذي يتولى عمارة المسجد الاعظم بتطاون ، ويظهر أن أبويه ماتا بفاس . ت . و .

انتقاله إلى تطوان واستقراره فيها وحياته الاولى بها

رأيت فيما سبق ، كيف أن بعض أرباب الجاه والمنافسين للشيخ الحراق من أرباب الدولة وغيرهم بفاس ، هم الذين سعوا للتخلص منه رحمه الله ، فوقع نقله من فاس إلى تطوان .

والشائع في تطوان أنه لما تم تجديد بناء المسجد الاعظم بتطوان (وهذا التجديد كما هو منقوش فوق بابه الكبير ، كان عام 1223 ه الموافق لسنة 1808 م) طلب أهل تطوان من السلطان المولى سليمان ، أن يرسل إليهم من فاس أحد العلماء الممتازين ليعمر المسجد المذكور بالدروس العلمية ، فبعث إليهم المترجم رحمه الله ، وهذا لا ينافي ما سبق ، إذ من الممكن أن السلطان لما بلغه طلب أهل تطوان ، استشار حاشيته فأشار عليه أولئك المتضايقون من المترجم ، بأن يرسل إلى تطوان ذلك الرجل المزاحم لهم ، فصدر الامر بذلك وكان ذلك الانتقال .

وذلك أيضا لا ينافي ما يقال من أن بعض كبار العلماء أشار على السلطان بارسال المترجم ، لانه كان من أنجب تلاميذه وأكثرهم تحصيلا للعلوم ، إذ لا مانع من أن تكون تلك الحاشية الناقمة هي التي أشارت على الشيخ المذكور بذلك، وبعض الشيوخ كثيراً ما يخضعون لذوي السلطة والجاه ، بل كثيراً ما يستحسنون آراء ذوي الوجاهة والمال .

ولم أقف على تاريخ انتقال الشيخ سيدي محمد الحراق من فاس إلى تطوان ، وإذا صح أنه كان عقب تجديد بناء الجامع الكبير ، فانه يكون عام 1223 . وكان المترجم إذ ذاك في أواسط العقد الرابع من عمره ، وإني أرجح أن يكون ذلك الانتقال في السنة المذكورة، لانهم يذكرون أن الشيخ الصوفي سيدي أحمد ابن عجيبة، اجتمع بالفقيه الحراق قبل تصوفه (وكان ابن عجيبة أكبر سنا من الحراق ، إذ كان يزيد عليه بما يقرب من ثلاثين سنة) ودفع ابن عجيبة للحراق تفسيره « البحر المديد » ليطالعه ويقرظه ، فأخذ الفقيه الحراق ذلك التفسير على سبيل المجاملة ، وقد علم أنه سلك فيه طريق الاشارة الصوفية ، فتركه عنده مدة دون أن يفتحه أو ينظر ما فيه ، وبعد مدة أرجعه إلى صاحبه دون أن يقرظه ، واكتفى بأن يقول ، إنه عمل جيد ، وقد ذكر فيما بعد أنه أراد بذلك أن تجليده تجليد جيد .

وهذه الحكاية تدل على أن الفقيه الحراق لم يكن في ذلك العهد من أنصار التصوف ، ولا أقول إنه كان من خصومه في الظاهر ، إذ لو كان كذلك لما دفع إليه الشيخ ابن عجيبة تفسيره ليقرظه (1) ، ومعلوم أن الشيخ ابن عجيبة توفي عام 1224 ، ومن الغريب أن يكون اجتماعه بالفقيه الحراق قد وقع عام 1223 والله أعلم .

واستقر الفقيه الحراق بتطوان « وكان في ذلك العهد فقيهاً عالما لا ينتسب لا للتصوف ولا للمشيخة كما قلنا » .

وأخذ في تدريس العلوم بالجامع الاعظم والخطبة بجامع حومة العيون ، مع اشتغاله بالعدالة والفتوى .

1) ابن عجيبة غريب في مبدئه ، والحراق غريب في بلد غير بلده ، وإذا كان الحراق معتزاً بشخصيته ، فانه ما كان ليساير خصوم ابن عجيبة لمجرد الملق ومسايرة الجمهور ، بل إنه يتوقف توقف الحاكم الذي يرى أن جمهور التطوانيين خصوم لابن عجيبة ، فواجب أن ينظر الحاكم إلى حجج الطرفين ، ولعل الحراق بلغته القصة فكره بعض ما فيها من جفاء وتحامل ، وإهانة لاهل العلم والوقار ، ولعل ابن عجيبة طمع في أن يكون الحراق في صفه ، ولا سيما إذا طالع الحجج التي يستند عليها ، وهي موجودة كلها في تفسيره « البحر المديد » فقدم ابن عجيبة حججه كاملة ، وهو واثق من أن الحراق إذا طالع التفسير ، فانه على الاقل ، سوف يرى أن لابن عجيبة وجهة نظر في الجملة ، فيعذره ويناضل عنه ، لكن الحراق عرف كيف يتخلص هذه المرة من الفخ ، فلم يطالع التفسير ، ولم ينظر في الحجة ، لانه إذا عرف بطلانها ، لم يتوقف في أن يكون خصما لابن عجيبة ، وإن عرف صحتها لم يتوقف في أن يكون ضد الجمهور التطاوني ، وليس له من حاجة في ذا ولا ذاك ، ولزم الحياد المطلق فكان موقفه حكيما ، وإذا رجعنا إلى الملابسات ، عرفنا ما كان يتورط فيه الحراق ، لو أنه قرأ تفسير ابن عجيبة ، فانه قطعا كان ينصره ويجلب على نفسه سخط أهل بلد ليس له به من نصير ، ما عدا تلاميذه الذين لم يستكمل عددهم بعد .

ت . و .

نوازل فقهية للشيخ الحراق

لقد كان من الشيء العادي لدى المحققين من الفقهاء المتخرجين من جامعة القرويين بفاس وبالخصوص من يشتغلون منهم بالتدريس والعدالة والفتوى ، أن يكون لهم اعتناء بتحرير المسائل الفقهية ، وخصوصا ما يقع فيه الخلاف ويكثر فيه الاخذ والرد بين أصحاب الشروح والحواشي والمشتغلين بالفتوى والقضاء .

كما أن من العادي لديهم أيضا ، أن ترفع إليهم الاسئلة حول النوازل التي تعرض للمتخاصمين والمتداعين لدى المحاكم الشرعية ، ليبدوا فيها رأيهم ، ويفتوا فيما يحتاج من القضايا للفتاوي التي كثيراً ما تنير السبيل أمام القضاة فيستندون في أبحاثهم إليها ، ويبنون الكثير من أحكامهم عليها .

والفقيه الحراق - قبل أن يصير شيخا صوفيا وعالما ربانيا - كان من هذا القبيل ، أي من علماء الظاهر المعتنين بتقييد الفوائد العلمية ، وتحقيق المسائل الفقهية ، وتحرير النوازل الشرعية .

وقد وقفت له على كثير من التحقيقات في مسائل علمية ، وأجوبة فقهية ، وفتاوي شرعية ، مما يتكون منه تاليف طريف على النسق المعروف لدى الفقهاء في كتب النوازل .

وقد اعتنى تلميذه الفقيه السيد المهدي ابن القاضي بهذا الجانب من إنتاجه العلمي والفقهي قبل تصوفه ، فجمع الكثير من ذلك في كتاب جاء في مقدمته ما نصه :

« الحمد لله جامع الفروع والاصول ، وملفق شتات العلوم بمعلوم ذاته المنزهة عن الادراك بالعقول ، . . . إلى أن قال بعد سبعة سطور :

« وبعد فهذا مجموع مسائل فقهية ، وفتاوي شرعية ، وعلوم نقلية ، اقتطفتها للشيخ الكامل ، العارف الواصل ، العالم الجليل ، الجيد الاصيل ، الشريف الحسني ثم العلمي ، سيدي محمد بن محمد الحراق رضي الله عنه ونفعنا به «امين» نقلها في حال قراءته علم الظاهر قبل تبحره في علم الباطن ، إذ له في علم الباطن علوم ذوقية ، ومواهب لدنية ، منها ما هو منظوم ومنثور . . .

فهي لاهلها ، وهذه العلوم النقلية لاهلها ، جمعها عبد ربه الفقير إليه ، الغني به محمد المهدي بن محمد بن محمد التودي ابن القاضي العباسي ، بإجازة من الشيخ وإذن منه ودعاء منه ، خرجتها من مبيضته وخط يده ، فنسئل الله تعلى المعونة والتوفيق ، إنه هو القوي المقوي والموفق . . . فمن المسائل . . . . الخ .

ويستمر ابن القاضي في ذكر المسائل الفقهية وتحرير ما فيه الخلاف منها ، وجل ذلك مما يعرض من المسائل والمشاكل للمدرسين والعدول والمفتين ، والكلام في ذلك مع شراح مختصر خليل وتحفة ابن عاصم ، ومع أصحاب الحواشي والمؤلفات الفقهية من متقدمين ومتأخرين ، والنفس في جميع ذلك ، نفس عالم مشارك ، محقق مدقق ، أديب اديب .

وبعد أن يثبت ابن القاضي في ذلك الموضوع ما يقرب من سبعين صفحة ، في كل صفحة نحو ثلاثين سطراً ، يقول :

« انتهى مجموع الفقهيات الدينية ، وهذا مجموع الفتاوي الشرعية » ثم ياتي بعدد من ذلك ، وهنا يقع في الكناش الذي جمع فيه ذلك ، شيء من الابهام ، إذ نجد فيه نحو أربعين صفحة كبيرة في الاجوبة الفقهية المنقولة من خط الفقيه الحراق ، ولكنا لا ندري هل هي من تتمة تاليف ابن القاضي أو هي من نقل صاحب الكناش الذي ياتي بعد كل جواب منها بقوله (من خطه) .

وعلى كل حال ، سواء كان ذلك كله من جمع ابن القاضي أو من جمعه هو مع غيره ، فالكل من الانتاج العلمي والفقهي الشيخ الحراق رحمه الله .

وإني أقدر أن مجموع تلك التحقيقات والنوازل والاجوبة ، لو جمع ، لخرج في نحو مائتي صفحة عادية ، تضاف إلى مثيلاتها من النوازل التطوانية .

وإني أذكر هذا هنا كتاريخ لطور من أطوار حياة الشيخ الحراق بتطوان ، وإن كنت أرى أن المزية الكبرى التي ينفرد بها هذا الشيخ الجليل من بين أقرانه ، إنما هي في منهجه الصوفي وتربيته السامية وإنتاجه الادبي الخالد ، أما التحقيقات الفقهية ، والنوازل الشرعية ، فهي عادية لدى أمثاله من كبار العلماء المتخرجين من جامعة القرويين بمختلف أنحاء المغرب .

هذا جانب من جوانب الحياة الاولى للشيخ الحراق بتطوان ، ومن الطبيعي أن يجد الفقيه الجديد بهذه المدينة ، أنصاراً منصفين يعجبون بعلمه ، ويفتنون بأدبه ، وأن يجد أيضا أشخاصا يغارون من مكانته ، ويتضايقون من مزاحمته ، خصوصا وقد علمنا مما سبق أن حالته حتى بفاس ، كانت مما يثير حسد القاصرين وذوي النفوس المريضة ، فكيف بمدينة تطوان الصغيرة التي لا نسبة بينها وبين فاس .

وقد حكى أخونا ورفيقنا العلامة مولاي التهامي الوزاني في كتابه «الزاوية» (1) عن أهل حومة العيون التي كان الفقيه الحراق هو خطيب الجمعة بمسجدها الجامع ،

---

1) كتاب الزاوية ص 156 .

أنهم كانوا يرغبون في أن يكون خطيب جامعهم من أهل حومتهم، ولا يستغرب أن يكون بعض المنتسبين للعلم من القائمين بالوظائف العلمية والدينية بذلك الحي، هم الذين كانوا أكثر الناس خصومة للفقيه الجديد الذي أصبح يزاحمهم في موارد عيشهم، وميدان عملهم.

ومما كان يتندر به لدى أهل حومة البلد من تطوان، أن أهل حومة العيون، بالرغم من أنهم كانوا معروفين بالجد والمروءة والصلابة والتضامن القريب من التعصب لشؤونهم الخاصة ورأيهم فيها، كان سكان بقية أحياء تطوان يصفونهم بما يصف به بعض أهل الرباط، سكان جارتهم سلا . . .

ويظهر أن الفقيه الحراق رحمه الله كان في هذا العهد - كما كان شأنه دائما - محافظا على شرفه وكرامته، معتزا بعلمه وأدبه ونزاهته، لا يتملق ولا يخادع، ولا ينافق ولا يداهن، فكثر خصومه وتآمروا عليه وكانت بذلك نكبته وحسرته، ثم تلا ذلك خلاصه من محنته وكبوته، وإعلاء الله لرتبته، واصطفاؤه لحضرته، وانقطاعه لذكره وعبادته، ودعوة الخلق إلى ما يقربهم من رضا رب العالمين. ودونك البيان :

فألب الخصوم على الفقيه الجديد وأرادوا الايقاع به ، ولكن ما هو السبيل إلى ذلك والرجل مشتغل بما يعنيه ، تدريس ، وعدالة ، وفتوى وخطابة ، وإمامة ، وهمة عالية، وهو مطلوب من الاعيان ، وموفد من السلطان ؟ . . . لم يكن هناك طريق إلا الدس والخديعة والتدليس ، وقد شرح لنا ذلك صديقنا مولاي التهامي الوزاني حفظه الله بقوله (1) :

« فعمدوا إلى حيلة ليجعلوها حجة في إسقاط الحراق من وظيف خطبة الجمعة ، فلما كان يوم الجمعة والوقت وقت خطبة ، دخل الامام إلى المقصورة ، (يعني مقصورة المسجد الجامع من حومة العيون) (2) ليدخل منها إلى المسجد على العادة ، ولم يغلقها من خلفه ، وقد أرصد له خصومه متتبعين لحركته ، بعضهم خارج المسجد ، وبعضهم داخله ، فلما رأى المراقبون من الداخل أن الامام قد أخذ مستقره من المنبر أشاروا إلى مساعديهم ، فأمروا إمرأة من الفاجرات « كانوا قد زينوها واختاروها من الجميلات » بأن تدخل إلى المقصورة من الباب الذي بقي مفتوحا ، ففعلت ما أمروها به ، ثم وقفوا على أبواب المسجد يجمعون الناس والكل دهش ساكت إلى أن اجتمع بباب المقصورة خلق كثير ، فإذ ذاك خرجت المرأة كأنها تتسلل لا علم لها بما وراء الباب ، فتهامس الناس في الآذان ، ثم شاعت القضية ، وأقام الناس بينة البينات ، شهد فيها أربعة وأربعون ومائة رجل ، وكان الفقيه سيدي عبد الرحمن الحايك هو قاضي المدينة ، وكان يغار من الحراق الذي نازعه في المسجد الاعظم ، فلما جاء الشهود كتبوا رسمهم بذلك ودفعوه إلى عامل المدينة ، وهذا وجهه إلى حضرة السلطان ، فعرف مولاي سليمان

1) كتاب الزاوية ص 156 .

2) رب قائل يقول : إن الحراق وجهه السلطان مولاي سليمان في الدرجة الاولى، ليعمر المسجد الاعظم الذي بناه السلطان ، وبه كان الحراق يلقي أهم دروسه وهو التفسير ، فلماذا لم يكن يتولى الخطبة بها ، وتولاها بمسجد العيون ؟ والجواب عن ذلك، أن الخطبة بالجامع الاعظم كانت من خصائص القاضي ، فمن جملة ما يحلى به اسمه ، قاضي تطوان ، وخطيب جامعها الاعظم . وكانت المرتبة التي تلي هذا المسجد هي مرتبة الخطبة في جامع العيون ، فان تطاون من الوجهة العملية ، كانت مدينتين متلاصقتين ، لكل واحدة منهما خصائصها ، فالعيون كانت مدينة مستقلة ، حتى إن أهلها في بعض فترات التاريخ ولوا عليها عاملا مستقلا ، ولا يزال اسم القائد الذيب مصاحبا لهذه الفكرة . ت . و .

أن هذه مناورة مفضوحة ، لانه لا يتصور أن لا يختار الرجل لفجوره الا مقصورة الجامع، وفي وقت خطبة الجمعة ، ولكنه تنازل إلى عقلية الدهماء ، فأمر بأن يعزل الحراق من الامامة والعدالة ، وبقي على خطته في التدريس »ه.

وصديقنا ورفيقنا الاستاذ الحاج محمد بنونة رحمه الله كانت له صلة وثيقة بآل الحراق، وته كتب حكاية هذه المؤامرة بأسلوبه الادبي كما يلي :

« أتى المتآمرون إلى عاهر مشهورة بتعاطي الفاحشة ، ومعروفة الاسم والعين بين السكان ، وأوعزوا إليها أن تمثل دوراً في الخديعة تكون فيه فضيحة الفقيه الحراق والقضاء عليه .

ونودي للصلاة من يوم الجمعة ، فسعى المومنون في سكينة ووقار ، وجاء المتآمرون من كل حدب ينسلون ، وتفرقوا في الحواري وفق نظام مرسوم ، ودخل بعضهم المسجد ليثيره متى أشار مراقب ، ووقفت المومس قرب باب مقصورة الفقيه في انتظار مريب ، ودلال يلفت الفضول ويثير السؤال .

وجاء الخطيب المسكين بكسائه الرائع وبرنسه الجميل ، يتبختر في ظرفه ولطفه ، تنتشر منه روائح ماء الزهر ونسائم العود الماوردي والناس يفسحون الطريق للفقيه الشريف ، وهو يومئذ في سن ولدان الخلد بين الثلاثين والاربعين ، يغري بجماله ووقاره ، ويثير الاعجاب بملابسه وروائحه ، حتى إذا وقف يفتح باب المقصورة ، انبعثت معه تلك المرأة الجميلة في صورة سائلة تستفتيه في قضية دينية تتعلق بها ، ولما كان الحراق بعيداً كل البعد عن أوساط الزهو والخلاعة ، فهو لا يعرف تلك المرأة المشهورة في المدينة بالفجور ، فوقف لها وأنصت إليها .

حدثني سيدي البشير الحراق (حفيد المترجم) قال : « ان الفقيه جده كان يبغض أن تكلمه امرأة في المحجة أمام المارة حفظا لكرامته ، وبعداً عن مواقف التهم وعن أقوال الناس ، فأدخلها بنفسه إلى باب المقصورة لينصت إليها ، فصاح المتآمرون عندئذ ، اللهم إن هذا منكر ، وسمعهم شركاؤهم بالمسجد فأضجوه إضجاجا ، وجاء الذين تفرقوا في الحواري يحشرون المارة ويثيرون نخوتهم الدينية إثارة ، فوجدوا الذين سبقوهم قد حاصروا المرأة والفقيه في المقصورة حتى تمكن الجم الغفير من الناس من رؤيتهما ، وبذلك استطاعوا أن يقيموا بينة البينات « أربعة وأربعين ومائة شاهد » كلهم يشهدون على الفقيه المسكين بأنه أدخل العاهر إلى مقصورة المسجد في وقت الصلاة والناس ينتظرونه ليخطب عليهم يوم الجمعة » ه .

وأدى هذه البينات، الفقيه القاضي عبد الرحمن الحايك ، وهو ألد خصوم الحراق ، ثم قدمت إلى القائد الحكيم ليرفعها إلى السلطان مولاي سليمان ليرى رأيه في مبعوثه.

أما أستاذنا أبو عبد الله المرير حفظه الله ، فانه كتب في فهرسته المسماة « النعيم المقيم » عن هذه القطية ما نصه :

هناك صار القوم يكيدون له كيداً ، وحاولوا أن يجعلوا بينه وبين إقبال الخلق عليه سداً ، فدبروا له حيلة ذميمة ، كانت قضيتها عند الله عقيمة ، وذلك أنهم انتدبوا امرأة وأوحوا إليها بشيطنتهم أن تنتظر الشيخ رضي الله عنه بباب المقصورة وقت خطبة الجمعة ، وتدلي إليه برسم مبدية أن قضية تستفتيه فيها ، فجاء الشيخ والوقت قد ضاق ولم يتسع لاستقصائها عن قضيتها ، فأمرها بانتظاره في المقصورة ريثما تتم الصلاة والشيخ لا يدري ما يفعل به ، ولم يدر بخلده أن تلك حبالة نصبت له ، ولكن القوم كانوا قد أعدوا لذلك عدة ، وأحضروا للمحضر شهودا عدة ، فكتبوا في ذلك من إفكهم ما أرادوا ، وأعلنوا الناس في الجامع ما افتروا له واجترموا ، حتى التبس الامر على المصلين ، وفتنوا ببهتانهم المومنين ، فانتهج المجتمعون أبواب المسجد انتهاجا ، وتراءى الناس يخرجون من أداء الفريضة أفواجا ، حتى لم يبق مع الشيخ في دائرة المسجد ديار ، إلا الله الواحد القهار ، فعند ذلك ظن القوم أنهم حصلوا على المراد ، وغفلوا أن ربهم لهم بالمرصاد ، فنمقوا وثيقة بما شاهدوا من الحال ، وزوروها بلغو الاباطل والقول المحال ، ورفعوا ذلك لعامل المدينة وهو إذ ذاك ابن يسف المسلماني فقبل منهم ذلك وارتضاه ، ووافق على ما قرره الجمع وأمضاه ، ووجه بذلك إلى السلطان وهو إذ ذك المولى سليمان ، فانخدع بذلك ، ولم يخطر بباله أنه إفك وبهتان ، يحجم عن اختلاقه كل شيطان ، فصدرت أوامره بمقتضى الشكوى ، وأن يعزل الشيخ الحراق عن الخطابة والامامة والفتوى ، فاعترى الشيخ رضي الله عنه اعتلال من هذه البلوى ، ولزم بيته راداً الامر إلى ربه في العلن والنجوى ، صابراً على مكر العدو وكيده ، حتى أتاه الله بالفتح من عنده . . . الخ .

—

« قلت » والذي حدثني به الفقيه الوزير سيدي احمد الغنمية رحمه الله ، أن قائد تطوان في ذلك العهد ، جمع تلك الشهادات ووجهها إلى السلطان ، وأمر الفقيه الحراق بملازمة داره وترك التدريس والعدالة والفتوى وكل ما له علاقة بالعلم والدين من الخطط والاعمال العامة إلى أن ياتي الجواب السلطاني ، فامتثل الفقيه الامر المخزني ولزم داره ، وكان وقع تلك الصدمة العنيفة عظيما على الفقيه النزيه ، فتأسف وتألم ، وحق له أن يتأسف ويتألم ، فما أعظم ألم الرجل الشريف النبيل يحتفظ بكرامته ، ويعتز بشرفه ومروءته ، فيتألب عليه ذوو النفوس الوضيعة ، والاغراض الدنيئة ، فيدسون له ويختلقون ، ويجدون من ذوي النفوذ والشهوات ، آلات يسخرونها تسخيراً ، فيذهب الاشراف النبلاء ، ضحايا لاصحاب الحسد والفجور وأحلاس الطغاة الظالمين .

تألم الفقيه الشريف ، فمرض مرضا شديداً تضاعف أثره حينما جاء الامر السلطاني بتأييد ما فعله قائد البلد من توقيفه عن أعماله ، ولبث الفقيه مريضا مدة أشرف فيها على الهلاك ، ولعل هذه الفترة هي التي نظم فيها قصيدته المشهورة التي تصور حالته في تلك الظروف أصدق تصوير ، ومطلعها :

أحمد إني بجاهك عائذ ... مما عرى جسمي من الضراء

والتي منها قوله :

ما لي لدفع الضر عني حيلة ... يا مصطفى إلا إليك ندائي
ولئن رددت وأنت أول شافع ... ترجى شفاعته فمن لشفائي
كلا وحاشا أن تخيب سائلا ... قد حل عندك في أعز فناء
والجود شيمتك الكريمة والحيا ... وجلائل الرحمات للضعفاء
صلى عليك الله يا خير الورى ... كل الصلاة وآلك النبلاء
ما أضحك الرحمن سنك عند ما ... تولى الجزيل بكفك المعطاء

ثم يقول فيها مخاطبا من بيده الداء والدواء وهو سبحانه أكرم الكرماء :

ربي به وبآله وبصحبه ... والانبياء وسائر الصلحاء
وبحق ذاتك سيدي وكمالها ... وصفاتها العليا وبالاسماء
كف الاذى عني بفضلك عاجلا ... واغفر رذائل أسفه السفهاء
أنت الغني عن العباد جميعهم ... وأنا لفضلك أفقر الفقراء
ولقد وقفت بباب عفوك راجيا ... منك الرضا يا أرحم الرحماء
فارحم ولا تردد فإني لم أجد ... ربا سواك معافيا من دائي
والحال ضاقت بي ولم أر نافعا ... إلا الرجوع لاكرم الكرماء
رب كريم لو يواخذ خلقه ... لم يبق دياراً من الاحياء
لكنه غمر الجميع بجوده ... والحلم يرغم أنفس اللؤماء

وذكر تلميذه الشيخ محمد بن العربي الدلائي الرباطي أنه لما اشتد به مرضه هذا، قال : سبحان الله فما فائدة هذا العلم والجاه الذي لا يوصل صاحبه إلى الله ، ولا يعرفه بمولاه ، والله لئن عافاني الله ، لادخلن في طريقة القوم ، والألجأن إلى باب الكريم آناء الليل وأطراف اليوم ، عسى أن يمنحني بالعلم النافع ، والفتح الواسع ، فلما عافاه الله

سبحانه وتعلى ، أتى إليه طلبة العلم بتطوان على عادتهم ليقرأ معهم علم الظاهر ، فقال لا، إلا أن نقدم شيئا من علم القوم ، فطلبوا منه الحكم العطائية ، فقال نعماهيه، وشرع في تدريسها بالزاوية الدرقاوية ».

والذي ذكره لي صديقنا الشريف سيدي عبد السلام غيلان حفظه الله، أن أصحاب الشيخ مولاي العربي الدرقاوي كانوا يجتمعون في زاوية سيدي محمد بن الفقيه بحومة الجنوي ، وكانت دار الفقيه الحراق قريبة منها (1) فاجتمع بعض الفقراء الدرقاويين وطلبوا من الفقيه أن يجتمع معهم ويدرس بزاويتهم، فذكر لهم أنه ممنوع من التدريس، فقالوا له ، هذه زاويتنا الخاصة ولا سبيل لاحد على ما يقع بداخلها من أنواع العبادات ، وصادف ذلك رغبة الفقيه في علم التصوف والاتصال برجال الطريق ، فصار يجتمع مع أولائك الفقراء بالزاوية المذكورة ، وأخذ يدرس معهم الحكم العطائية ، (2) وبقي كذلك إلى أن اتصل بالشيخ مولاي العربي الدرقاوي رحمه الله .

1) ذكر لي حفيد الشيخ الحراق وهو سيدي البشير بن الحسين ، أن تلك الدار هي دار بايص الكائنة في نقيبة الجامع الكبير ، وهي الواقعة في آخر الزنقة جنب القوس الذي يخرج منه لناحية باب العقلة، وبابها مواجهة تماما لباب دار الفقيه السلاوي.

2) كانت عقلية الحراق مرنة ، فاستطاع قبل النظر في كتب التصوف أن يكون محايداً ، لا هو مع ابن عجيبة ، ولا هو مع جمور التطاونيين ، واعتبر الدرقاويون أن حياد مثل الحراق ، هو انتصار سلبي لهم ، فقد وجد بتطاون فقيه من الدرجة الاولى لا يتحمس لما تحمس له فقهاء تطاون ، ومن كان في ضيق مثل الذي عاناه الدرقاويون، يعتبر أن الحياد أحد الانتصارين ، فلهذا رأينا علاقات الحراق حسنة مع الدرقاويين من أول يوم ، فابن عجيبة يقدم له تفسيره للتقريظ ، والدرقاويون من بعد ابن عجيبة يعرضون عليه زاويتهم للاقراء فيها وهو محظور عليه التدريس ، والفريقان وإن باعدت بينهما المظاهر ، فان الحراق محافظ شديد المحافظة ، والدرقاويون ثائرون شديد الثورة، فان الاعتزاز بالشخصية قد جمع بينهما ، وكان الحراق واثقا من أن كتب القوم والنظر فيها ، لا بد أن يؤدي إلى النفرة من الماديات ، وهذا ابن عجيبة الصادق في أحواله ، دليل حي على أن للتصوف خاصية عجيبة في تحطيم صنم المادة ، وكان الحراق يتخوف من التصوف رغبة في مجاراة الناس ، حتى إذا لمس فيهم أنهم لا يتركون أحداً ، قرر أن ينظر في كتب القوم ، ولم يقرر الانضمام للقوم ، لانه يستطيع أن يميز الزائف من الجيد ، وهكذا أخذ يدرس « حكم ابن عطاء الله » ولا بد أنه ناظر في غيرها من الكتب بقصد التوسع ، فلا يجمل بمثله أن يقتصر في مجلسه على سرد خصوص ما هو بالشرح الذي بين يدي الطلبة ، وما كاد يخوض هذا البحر حتى وجده بحره وبحر سلفه ، ووجد فيه اطمئنان قلبه ، فأدرك ما أدركه الاكابر بمجرد المطالعة ، حتى إن مولاي العربي لم يزد على أن أوقد فتيلته النظيفة المشبعة بالزيت المبارك النقي. ت.و.

ومن الثابت في التاريخ ، أنه كان بتطوان فقراء درقاويون قبل ظهور الشيخ الحراق ، بل حتى قبل ظهور الشيخ ابن عجيبة ، وكان للشيخ سيدي محمد البوزيدي الغماري اتصال باولئك الفقراء ، وفي رسائله التي أثبتها في ترجمة الشيخ ابن عجيبة ، تعرض لاولئك الفقراء وذكر لبعض أسمائهم ، وهي من الاسماء المعروفة بتطوان .

اجتماعه بالشيخ مولاي العربي الدرقاوي

وكيفية اجتماع الفقيه الحراق بالشيخ مولاي العربي الدرقاوي معروفة متواترة بتطوان .

ذكروا أن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي شد الرحلة إلى قبائل غمارة للتعزية عقب وفاة تلميذه الشيخ سيدي محمد البوزيدي ، وفي أحد الايام ، أمر بعض أصحابه باسراج دابته والذهاب بها إلى تطوان ، وامتثل الفقراء أمر الشيخ ووصلوا إلى تطوان ومعهم الدابة مسرجة ، وذهب الجميع إلى الزاوية ، ولكن الفقراء بقوا في حيرة من أمر الدابة المسرجة ، فقال لهم الفقيه الحراق ، إنما أرسل مولاي العربي هذه الدابة إلي أنا لاركبها وأذهب لزيارته ، ورأى أن الفرصة قد سنحت له للاتصال بشيخ الطريق وتحقيق أمنيته في الدخول في طريقة أهل الله ، فركب الدابة وقصد الشيخ مولاي العربي بغمارة .

وذكر شيخنا أبو عبد الله المرير أن الشيخ مولاي العربي هيأ دابة ووجه بها مع أصحابه من قبيلة غمارة إلى تطوان من غير بيان المرمى الذي أراده بها ، ولا كشف للهمة التي صرفهم إليها ، إلا أنهم لما وصلوا المدينة ، أطلقوا للدابة عنانها ، وانتظروا أين يكون مرساها ، وفي أي مكان تقف خطاها ، فلم تزل الدابة جادة في سيرها ، موفقة في قصدها ، إلى أن ألقت عصاها ، واستقر بها نواها ، إزاء دار الشيخ الحراق ، التي كانت إذ ذاك بنقيبة الجامع الكبير ، فوقف الاصحاب بالباب ، وعلموا أنها مامورة بلا شك ولا ارتياب ، وكان الشيخ الحراق لا زال متأثراً من مكر أعدائه ، ملازما لمنزل إيوائه ، غير مستعد لسفره والتقائه ، فقال أصحاب مولاي العربي ، اغتنم فرصة هذه الحركة ، واركب الدابة فإنها إن شاء الله كلها خير وبركة ، فركب الشيخ الحراق ، وقصد مولاي العربي حتى اتسق حاله به أي اتساق . . . الخ .

ثم إن الشيخ الحراق رحمه الله لما قرب من المكان الذي كان به الشيخ مولاي العربي ، نزل على عين ماء وتوضأ كما توضأ قبله الشيخ أبو الحسن الشاذلي حين أراد

الاجتماع بشيخه مولاي عبد السلام بن مشيش ، متبرئا من كل علم وعمل إلا ما ياتيه على يد هذا الشيخ .

وقد ذكر الشيخ محمد بن العربي الرباطي أن الشيخ الحراق أخبره بعد ذلك بأنه لم يكن عارفا بقضية الشاذلي مع ابن مشيش ، وإنما هو محض إلهام من الله سبحانه ، ثم وقف على أن ذلك الوضوء هو شرط في الطريقة الشاذلية (1) .

وتقدم الفقيه الحراق إلى الشيخ مولاي العربي فرحب به ترحيبا ، وتعانق الرجلان وارتفعت أصوات الفقراء بذكر الله، ثم دخلوا المكان المعد لجلوسهم ، وابتدأت المذاكرة فقال الشيخ للفقيه ، اذكر الله وذكر في الله .

وذكر ابن العربي الدلائي عن بعض الذين كانوا حاضرين في ذلك المجلس ، أنه لما جلس الفقيه الحراق بين يدي مولاي العربي ، أتت امرأة بآنية من الصامت الحلو ودفعتها لمولاي العربي ، فشرب منها وأعطى فضلتها للفقيه الحراق فشربها ، ثم أخذا في المذاكرة ، فقال مولاي العربي : إن الشيخ الكامل هو الذي يكون في غاية السكر وفي غاية الصحو ، وفي غاية الجذب وفي غاية السلوك ، وفي غاية الفناء وفي غاية البقاء .

فقال له الفقيه الحراق ، ياسيدي ظهر لي بسبب عقلي الفاتر ، وفهمي القاصر، أن هذا جمع بين متناقضين وهو محال ، فقال له مولاي العربي ، ورد في الحديث ، أن لله ملكا نصفه ثلج ونصفه نار، وتسبيحه، اللهم يا من ألفت بين الثلج والنار، فلا الثلج يطفىء النار ولا النار تذيب الثلج ، ألف بين قلوب عبادك المومنين ، فشرح الله صدر الفقيه الحراق المفهم وقال ، الآن ظهر لي أن السكر يكون باطنا والصحو ظاهرا ، والجذب والسلوك كذلك ، كما يقال في الايمان والاسلام ، فسر مولاي العربي بذلك وقال له ، والله يا سيدي إلا كذلك ، وصار يكررها ، ثم لقنه الاوراد وأذن له في التربية والتلقين ، ولم يامره بخرق عادة ولا بكشف رأس ولا سؤال ولا لبس مرقعة ولا ذكر في الاسواق، وإنما حضه على كثرة ذكر الله وجمع القلوب على الله وإخلاص العبودية لله .

---

1) هذه الثقة مثل الثقة التي لنا في الامام مالك ، فاننا ناخذ بما قال وإن لم نعلم حجته فيه ، لا لانا نراه مشرعا ، بل لاننا واثقون من عدالته فلا ياخذ إلا بما هو سنة ، وكذلك التلميذ مع شيخ التربية ، فانه يحسن فيه الظن ، ويراه لا يامر إلا بسنة .

ت . و .

وذكر رفيقنا العلامة مولاي التهامي الوزاني (1) أنه بعد أن انصرف سيدي محمد الحراق من عند مولاي العربي قال له بعض كبار أصحابه ، غفر الله لك يا سيدي ، كم لنا في صحبتك من زمان ، ومع ذلك لم نصل منك إلى درجة الكرامة التي أكرمت بها الفقيه الحراق ، فقد دفعت له الامانة مرة واحدة دون أن يتكلف لذلك أقل كلفة ، فقال مولاي العربي ، إننا لم نزد سيدي محمد الحراق شيئا على كوننا أوقدنا فتيلته ، فقد جاء ومصباحه صاف نظيف ، وقد وضع في أسفله ماء نقيا وصب عليه زيتا يكاد يضيء من صفائه ، ووضع فيه فتيلة نقية لا تحتاج إلى تقويم ولا تهذيب ، ثم طلب منا أن نوقده له ففعلنا » .

وقد قدر مولاي التهامي أن هذا الاجتماع كان حوالي عام 1233 (2) .

والذي ذكره تلميذه الشيخ محمد بن العربي الرباطي (وتبعه على ذلك الشيخ محمد ابن جعفر الكتاني في كتابه سلوة الانفاس) أن ذلك كان عام 1228 وأن عمر المترجم كان إذ ذاك نحو أربعين سنة .

وإذا ثبت أن مولاي العربي الدرقاوي قام بتلك الزيارة لغمارة عقب وفاة تلميذه البوزيدي ، فان تلك الزيارة كانت عام 1229 ، لانه هو العام الذي توفي فيه البوزيدي المذكور والله أعلم .

---

1) كتاب الزاوية ص 166 .

2) ما هو مذكور في كتاب الزاوية، لا يعتمد في شيء على المراجع المكتوبة، وكله من المسموع عن الناس ، فلا يعتمد كثيرا بما فيه من التاريخ .

ت . و .

(التهامي الوزاني)

تصوفه ومشيخته بتطوان

وشيخنا أبو عبد الله المرير ، كان وما زال من أكبر العلماء التطوانيين المؤيدين للطريقة الدرقاوية المناضلين عنها ، الموفقين بينها وبين غيرها من طرق أهل الله ، وأبوه الشيخ الفاضل سيدي محمد المرير ، كان هو مقدم الزاوية الدرقاوية بتطوان إلى أن لقي الله ، ولقد صور لنا شيخنا المذكور حالة الشيخ الحراق عند اتصاله بالشيخ مولاي العربي تصوير المحبين المعجبين ، فقال حفظه الله في فهرسته المسمى « النعيم المقيم » ما نصه :

ثم إن الشيخ الحراق رضي الله عنه بعد اتصاله بشيخه الدرقاوي ، أقبل عليه بقلبه وقالبه ، وصاحبه بظاهره وباطنه ، وتخلى عن سائر أقواله وأفعاله ، وتجرد عن كل أشغاله في عامة أحواله ، فوجد الشيخ منه عالما مطهر السريرة ، قابلا لكل ما يلقى إليه في لحظات يسيرة ، إذ كانت نفسه مهذبة لانطباع الانوار ، وصدره متسعا مستشرفا لتلقي تلك الاسرار ، فألقى إليه بمكنون ودائعه ، ونظر إليه نظرة ملأت بحقائقها جميع عوالمه ، وحصل الشيخ الحراق على مراده ، وملأ حقيبته من حينه بما لقنه الشيخ من أوراده ، وامتلأت منه الارجاء ، وتلألأت منه بما أوقده الشيخ له من الاضواء ، ثم استاذن في الرجوع ، فأذنه الشيخ فانصرف ومسك الفتح على طلعته يضوع ، ولما غار منه بعض أصحاب الشيخ الدرقاوي وعرضوا له باللوم في هذا الفتح السريع الذي منحه الله للشيخ الحراق ، أجابهم الشيخ بما هو ذائع على ألسنة الفقراء ، إن الشيخ الحراق وجدت فتيلته مزيتة ، فلم نزد على إيقادها ، أي إن الشيخ الدرقاوي لم يحتج مع الشيخ الحراق إلى تأديب وتهذيب وتربية الخ .

هكذا خرج الحراق من تطوان إلى غمارة وهو فقيه مدرس من علماء الظاهر ، وبعد فترة قصيرة عاد إليها وهو شيخ صوفي من أكابر علماء الباطن .

وهكذا استقر هذا الشيخ الجليل بمدينة تطوان ثانيا وقد أسبغ الله عليه من جديد نعمة العافية في الظاهر والباطن ، وعاد إليه نشاطه الجسمي والروحي بما امتلأ به قلبه من حب لله ، وإعراض عن زخارف الحياة الدنيا ووظائفها الصورية ، ومظاهرها الفارغة ، فالتف حوله أنصاره الذين كان لهم من الثقة فيه والاعجاب بعلمه وأدبه ونزاهته ، ما جعلهم يحبونه ويلقون بقيادهم إليه ، فأخذ يعلمهم ويرشدهم ويربيهم التربية الصوفية الصحيحة الحقيقية ، التي تطهر القلوب ، وتصفيها من العيوب ، وتجعل صاحبها عبداً مخلصا لله ، محبا صادقا لرسول الله ، واقفا مع الكتاب والسنة ، مستحضراً في جميع أوقاته

أن هذه الدنيا الفانية ، إنما هي قنطرة للآخرة الباقية ، وأن أفضل ما يعمله المرء في هذه الحياة الموقتة ، إنما هو تخصيص الله سبحانه بالعبادة ، واعتقاد ان النافع والضار ، والمحيي والمميت ، إنما هو الله وحده لا شريك له ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، وأن المومنين جميعا إنما هم إخوة ، وأن الخلق كلهم عيال الله ، وأن أحب الخلق إلى الله ، أنفعهم لعياله ، وذلك كله هو لب الشريعة الاسلامية ، وبهذه الحياة الجديدة للحراق في تطوان ، أصبح شيخنا من شيوخ التربية ، وإماما من أئمة الصوفية.

ثم صارت طريقته الدرقاوية الحراقية تنتشر في مختلف مدن المغرب وقبائله ، وفي مقدمة المدن ، مدينة فاس ، العاطرة الانفاس ، إذ كان الشيخ الحراق يتردد عليها بكثرة ، فيتصل بالمنصفين من علمائها ، ويلقي في زاويته بها من دروس التفسير لكلام الله العزيز، ما جعل كثيراً من العلماء الاخيار يتلمذون له ويستفيدون من علومه، وبذلك هدى الله به أقواما كانوا ضالين ، وتنبه أناس كانوا غافلين ، وذلك فضل الله يوتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

سنده في الطريقة الصوفية الشاذلية

قلنا ، إن الشيخ الحراق رحمه الله ، أخذ الطريقة الدرقاوية عن شيخه مولاي العربي الدرقاوي ، وطريقة مولاي العربي هي الطريقة الشاذلية ، وسند مولاي العربي في هذه الطريقة كما يلي :

مولاي العربي الدرقاوي
عن الشيخ علي الجمل
عن الشيخ العربي بن عبد الله
عن أبيه الشيخ أحمد بن عبد الله
عن الشيخ قاسم الخصاصي
عن الشيخ محمد بن عبد الله
عن الشيخ عبد الرحمن الفاسي
عن أخيه الشيخ يوسف الفاسي
عن الشيخ عبد الرحمن المجذوب
عن الشيخ علي الصنهاجي ، الملقب بالهوار

عن الشيخ ابراهيم أفحام (1)
عن الشيخ احمد زروق
عن الشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي
عن الشيخ يحيى القادري (2)
عن الشيخ علي بن وفا
عن أبيه الشيخ محمد بحر الصفا
عن الشيخ داود الباخلي
عن الشيخ احمد بن عطاء الله
عن الشيخ أبي العباس المرسي
عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي

ورجال هذه السلسلة ، أعني من الشيخ مولاي العربي الدرقاوي إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي الذي إليه تنسب هذه الطريقة ، قد نظم أسماءهم شيخنا أبو عبد الله المرير في قوله :

والسند الدرقاوي إن رمت السنن	فخذ رجاله إلى أبي الحسن
فابن عجيبة عن البوزيدي	عن سيدي العربي الامام المهدي
والعارف الحراق أخذه اتصل	بالدرقاوي وعلى الفتح حصل
عن سيدي علي المكنى بالجمل	عن ابن احمد مبلغ الامل
عن احمد عن الخصاصي الآسي	عن عابد الرحمن طود فاس
عن سيدي يوسف قطب المغرب	عن شيخه المجذوب حلو المشرب
عن شيخه المشهور بالدوار	عن سيدي الفحام ذي الانوار
عن زروق عن الامام الحضرمي	وهو ليحيى القادري ينتمي
عن قطبهم وهو علي بن وفا	عن سيدي محمد بحر الصفا
عن شيخه الباخلي من ذوي الهمم	عن الامام ابن عطاء ذي الحكم
عن شيخه المرسي عن أبي الحسن	حامي الحقيقة وحافظ السنن

---

1) ذكره بعضهم باسم ابراهيم الحاج والصواب أفحام ، وهو دفين جبل زرهون .

2) ذكره بعضهم باسم محمد القادري والصواب كما في مرآة المحاسن وابتهاج القلوب أنه أبو زكرياء يحيى بن أحمد الشريف القادري .

ومن المعروف أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي أخذ عن الشيخ عبد السلام بن مشيش ،
وهذا أخذ عن الشيخ عبد الرحمن المدني
عن الشيخ تقي الدين الفقير
عن الشيخ فخر الدين
عن الشيخ نور الدين أبي الحسن
عن الشيخ تاج الدين
عن الشيخ شمس الدين
عن الشيخ زين الدين القزويني
عن الشيخ ابراهيم البصري
عن الشيخ احمد المرواني
عن الشيخ أبي محمد سعيد
عن الشيخ فتح السعود (1)
عن الشيخ سعيد الغزواني
عن الشيخ أبي محمد جابر
عن سيدنا الحسن بن سيدنا علي
عن سيدنا علي بن أبي طالب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

هكذا يذكرون هذه السلسلة ، ومن أراد زيادة البيان عن رجالها فليرجع إلى « مرآة المحاسن » للشيخ أبي حامد العربي بن يوسف الفاسي ، وابتهاج القلوب لابي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي رحم الله الجميع .

1) ذكر بعضهم أن هنا واسطة بين الشيخ أبي محمد سعيد والشيخ فتح السعود ، وهذا الواسطة هو الشيخ سعد ، والله أعلم بالصواب .

موقف مولاي العربي من تلميذه الحراق بعد تصوفه ومشيخته

يحكي الفقراء الدرقاويون - بتطوان وغيرها - أن مؤسس الطريقة الدرقاوية الشيخ مولاي العربي الدرقاوي ، اجتمع ذات يوم مع تلميذه الشيخ سيدي محمد البوزيدي الغماري في جامع القرويين بفاس ، فقال مولاي العربي للبوزيدي ، أريد أن يكون معنا في هذه الطريقة عالمان من علماء الظاهر ليدافعا عنها ويناضلا من يعارضها ، فقال له البوزيدي ، أما أنا فقد وجدت صاحبي ، وهو بذلك يشير إلى تلميذه الشيخ أحمد ابن عجيبة الذي كان دخوله في الطريقة الدرقاوية على يده بعد أن كان من كبار علماء الظاهر بتطوان ، فلما سمع مولاي العربي ذلك ، ثنى سبابته وغمسها في الماء ، وصار يقلبها هنا وهناك كما يفعل صائد السمك في النهر ، ولعلهما كانا جالسين في صحن المسجد حيث يوجد الماء ، يشير بذلك إلى أنه ما زال يبحث عن صاحبه .

ومضت الايام ومات الشيخ البوزيدي بعد أن مات صيده ابن عجيبة ، وذلك بعد أن أنقذ الله بهما الجم الغفير من العصاة والغافلين ، وهيأ الله الاسباب ، فاجتمع الشيخ مولاي العربي بالشريف الحراق وهو يومئذ فقيه مفتي مدرس ، من جملة علماء الظاهر بتطوان أيضا ، فلم يفارقه إلا وهو شيخ من شيوخ الصوفية ، وإمام من أئمة التربية .

وهنا يقول شيخنا أبو عبد الله المرير ما نصه :

« لما حقق الله للشيخ الدرقاوي ما كان يؤمله من دخول عالم من علماء الظاهر في طريقه ، ليكون حرسا شديداً على من ينتقد على فريقه ، اتخذ الحراق من عمده التي يعتمد عليها ، وحججه الدامغة التي يستند إليها ، فكان يجله ويرنع من قدره ، وينوه بذكره ، ويخاطبه في رسائله خطاب الاكفاء ، ويقيمه في ذلك مقام النواب عنه والوكلاء » .

رسالة من الشيخ الدرقاوي إلى الشيخ الحراق

وكدليل على ما ذكره شيخنا المرير (حفظه الله) أثبت هنا رسالة كتبها الشيخ مولاي العربي إلى تلميذه الشيخ الحراق ونصها كما وقفت عليها بخطه رحمه الله :

الحمد لله وحده صلى الله وسلم على من لا نبي بعده

إلى من نحن وإياه ذات واحدة ، نحب له ما نحب لانفسنا ، ونكره له ما نكره لانفسنا ، والله تعلى مطلع علينا ، السيد الجليل الشريف الاصيل ، الفقيه الوجيه المعظم المحترم البركة العالم العلامة ولي الله تعلى أبي عبد الله سيدي محمد الحراق الحسني العلمي وكافة أهل محبتنا حيث ما كانوا بالمدينة التطوانية دفع الله عنها كل بلية ، وبنواحيها ، سلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته .

أما بعد إني أنصحكم لله وفي الله وابتغاء مرضاة الله ، ونصحي إياكم أن تكونوا دائما على السنة المحمدية ، التي هي الحصن المانع من كل بلية ، أو التي هي سفينة النجاة ، ومعدن الاسرار والخيرات ، وإذا تحيرتم في أمر من أموركم ، وضاقت منه صدوركم واشتد منه أمركم فلا تخوضوا فيه ، أي فلا تدبروه ولا تختاروه كما هو شأن جل الناس ، أو كما هو شأن أهل الغفلة لطف الله بنا وبهم ، بل اشتغلوا بما أمركم به ربكم ، إما صلوا ما شاء الله أو اتلوا ما شاء الله ، أو اذكروا لا إله إلا الله ، ما شاء الله ، وهكذا فان الله تعلى يجعل لكم فرجا ومخرجا كما جعل لاوليائه رضي الله عنهم ونفعنا وإياكم ببركاتهم والسلام .

وكتبه العربي بن أحمد الشريف الدرقاوي لطف الله به آمين .

نزيل قبيلة بني زروال حرسها الله

ومن تمامه مؤكد عليك يا سيدي محمد الحراق ، أن تضيف المذاكرة هذه إلى إخواتها ، وقد قيدناها وحدها منفصلة عما قبلها وبعدها ، وقد أخبرتني فيما مضى بشرح على الحكم العطائية وجدته هنالك ولم تذكر لي مؤلفه فأحبك أن تذكره لي لعلي أعرفه لاني سمعت كثيراً ممن شرح الحكم ولا أعرف حقا الا سيدي ابن عباد وسيدي الشطيبي وسيدي التادلي لا نكره أن يفتح الله علينا في شرح أكبر مما نعرف وفوق كل ذي علم عليم . ومنتهى العلم إلى الله العظيم وما تأخرنا في المجيء إلى تجساس إلى الآن إلا لاجل المرض الذي بالدنيا والموت والفتن ، وإذا سلم الله عباده وتكرم عليهم وعلينا بالعافية ، فلا يفيدنا إلا المجيء إلى ملاقاتكم بتجساس ، (1) وأما خبر الدنيا فالله تعلى يلطف بنا وبسيدنا نصره الله ورعيته والمسلمين جميعا ، اه من خطه .

1) تجيسات ، مدشر من مداشر قبيلة بني زيات الغمارية .

وله من رسالة أخرى : « ونؤكد على سيدي محمد الحراق الشريف العالم أن يسرد مذاكرتنا هذه وغيرها على سائر أهل محبتنا أهل ناحيتك بارك الله في جميعهم اه .

هكذا كان الشيخ الصالح مولاي العربي رحمه الله يحترم تلميذه الشيخ الحراق ويعظمه ويصفه بالاوصاف الجليلة ، وكذلك ينبغي لكبار العقول وأصحاب النظر البعيد من الشيوخ والاساتذة والوالدين وسائر المصلحين .

أما الشيخ الحراق وحاله مع شيخه مولاي العربي ، فكان - كما قال تلميذه الدلائي - لا يذكره إلا بالتعظيم الكبير ، والثناء الكثير ، ويقول ، مولاي العربي هو العارف بالله ، العالم بالله ، ويشهد له بالمشيخة العظمى ، والحال الاسمى ، ويقول ، هو أستاذنا وسندنا ووسيلتنا إلى الله سبحانه ، وإذا ذهب لزيارته يقول لاصحابه ، إنما أنا واحد منكم ، فلا تفعلوا معي أدبا بحضرة الشيخ أبداً ، ويجلس بين يديه متأدبا خاضعا ، منصتا خاشعا مستفيداً ما يسمع منه أو يرد عليه من قبله كعادة أهل الصدق مع مشائخهم . . . الخ .

وبهذه المناسبة ، يجمل بنا أن نشير إلى أن العلاقات بين الشيوخ والتلاميذ ، وبين الوالدين والابناء ، أو بين الكبار والصغار على العموم ، كثيراً ما تتعرض لاخطار تزل فيها الاقدام ، لا فرق في ذلك بين أقدام الكبار وأقدام الصغار ، إذ أن بعض الشيوخ يستمرون في معاملتهم لتلاميذهم حتى بعد تحصيلهم وتفوقهم ، كما كانوا يعاملونهم عند ما كانوا طلبة صغاراً مبتدئين مستفيدين ، وذلك خطأ ، وهنا موطن الخطر .

وكذلك بعض الآباء والامهات مع أبنائهم ، لا يكبر في عيونهم أولئك الابناء ولو كبر سنهم وصاروا بالغين ، مفكرين منتجين ، أو آباء لبنات وبنين ، وذلك خطأ أيضاً ومثل ذلك يقال في بعض شيوخ التربية .

أما من ناحية التلاميذ والصغار ، فإنا نجد بعضهم يكبر عقله ، ويغزر علمه ، ويتسع صدره ، وتحسن أخلاقه ، فيتحمل كل ما يأتيه ممن لهم عليه فضل ولو كان صعبا قاسيا ، ويستمر في تعظيمه وبروره إلى أن يقع الافتراق على أحسن حال ، وذلك شأن الابرار من عقلاء الرجال .

أما البعض الآخر فإنه - والامر لله - يعجب بعلمه أو بثروته أو جاهه ، ويتنكر لغيره تنكراً فتتغير القلوب ويقع الجفاء الذي قد تعقبه القطيعة أو العداوة ، وذلك شأن ذوي العقوق من مرضى القلوب وخبثاء النفوس ، وهو شيء لا موجب له ما عدا الغرور وضيق الصدر وظلام الافق والاعجاب بالنفس أو بالرأي ، وذلك ما يتضرر منه الجميع ، وقد يكون ضرره على المجتمع ، أكبر من ضرره على الافراد .

والحق أن كل جانب من مختلف الجوانب ، له حق وعليه واجب ، فلكل واحد أن يحافظ على كرامته ، وأن يحترم الناس له تلك الكرامة ، لا فرق في ذلك بين كبير وصغير ، وعليه أن يحافظ على كرامة غيره ، وبالخصوص إذا كان ذلك الغير من الآباء أو الشيوخ ، شيوخ العلم أو شيوخ التربية والارشاد ، بل حتى شيوخ الحرف والصنائع ، وهنا نستحضر الحكمة القائلة ، الخير بالخير والبادي أكرم ، وينبغي بل يجب أن لا يكون بين الآباء والابناء ، والشيوخ والتلاميذ ، أي نوع من أنواع الشر حتى يقابل بمثله ، ونعوذ بالله من الشر وأهله ، وما أحق أهل العلم والفضل بمراعاة حقوق الوالدين والشيوخ ولو كانت معاملتهم شاذة أو قاسية ، لان أيام الاجتماع محدودة ، وحوادث الدهر متجددة ممدودة .

وما أجدر الكبار المنتجين ، بأن يتعهدوا غرس أيديهم ، ويجنوا ثمرة إنتاجهم ، ويستفيدوا من نتيجة جدهم واجتهادهم ، على أن ميدان العمل الصالح فسيح يسع الجميع ، وحسن الاخلاق والتعاون والتواضع لاهل الفضل ، والاحسان للمستحقين ، كل ذلك يسعد صاحبه ويجعله محبوبا أينما كان ، وفي ذلك صلاح المجتمع ، وذلك ما يعمل له الصالحون المصلحون .

ونحن عندما نبحث في العلاقات بين الشيخين ، الدرقاوي والحراق ، نجد الشيخ الدرقاوي كما رأيت ، ونجد أن الشيخ الحراق بالرغم من تفوقه في العلم والادب وقوة العارضة ، ظل وفيا لشيخه ، محافظا على تعظيمه واحترامه والبرور به ، وذلك شأن الرجال الذين من الله عليهم بسعة الصدر وحسن الاخلاق وبعد النظر ونعمة البرور ، ومن يصلح نفسه أولا ، يحق له أن يسعى في إصلاح غيره ، والهداية من الله .

حالة الشيخ الحراق بعد تصوفه وموقف علماء تطوان منه

وهكذا عاد الفقيه الحراق إلى تطوان بعد أن دخل في طريق القوم وأصبح شيخا صوفيا ولكنه عالم ديني كبير ، وذكر تلميذه السيد محمد بن العربي : « أنه لما رجع إلى منزله ، دخل بيته واعتكف على ذكر الله ، معرضا عما سواه ، إلى أن فتح عليه رضي الله عنه بالكشف الرباني ، والشهود العرفاني ، والعلم اللدني النوراني ، فاشتغل رضي الله عنه بتقييد الواردات ، مواجها بخلع نقاب المخدرات ، فظهر سر الاذن عن قريب ، وعومل بالمواهب من حضرة الحبيب » .

وبذلك صار الفقيه الحراق في هذه المدينة ، هو الشيخ الصوفي المتصدى لتلقين الاوراد وتربية المريدين وهداية المسترشدين ، معتمداً على العلم الصحيح الذي هو العدل بالكتاب والسنه ، مع تدريس التفسير ، بعلمه الغزير .

وعند ما تصدى تلميذه الدلائي للكلام عن الذين أخذوا عنه الطريق الصوفية قال:

« وقد أخذ عنه رضي الله عنه خلق كثير لا يعد كثرة من طلبة العلم وأعيان الناس ، وأهل الاعتناء بدينهم من أهل فاس ونواحيها كصفرو والبهاليل وجبل كندر وقبائل الغرب وأهل الجبال والمداشر من نواحي تطوان وجم غفير من أهل تطوان ، وأما شفشاون كاد أهلها كلهم أن يدخلوا في طريقته» .

وكان الناس معه بتطوان ما بين معتقد متلمذ ، (1) ومنكر معاند ، شأن الناس مع أمثاله في كل زمان ومكان .

والمعتقدون في مثل هذه المواقف ، يندفعون قلبا وقالبا للتأييد والبذل والخدمة والبناء ، أما المعاندون فحظهم في الغالب هو التنكيت والتشبيط والاستهزاء .

ويذكر أن من كبار الاشخاص الذين كانوا يقاومون الشيخ الحراق ، قاضي تطوان في ذلك العهد وهو الفقيه الحايك ، (2) ولعل تطوان كانت في ذلك العهد ما تزال

---

1) هذا في شأن الخصوصية ، أما علم الشرع فما نازع منازع في أن له فيه القدح المعلى . ت . و .

2) بعد المعركة الهائلة بين الصوفية والفقهاء بتطاون ، ظهر أن النصر كان حليف الصوفية ، لانهم لم يتقهقروا ، بخلاف الفقهاء ، فانهم أرخوا الستار على الماضي وتركوا الصوفية وشأنهم ، إلى درجة أن منع الحراق من التدريس ، كان حكما لا يعم أمكنة اجتماع الصوفية ، وبقيت طائفتا الخراب والسلوك قائمتين إلى آخر لحظة ، ولم يضر أهل التجريد أن الحراق كان من السالكين . ت . و .

بها بقية من خصوم الشيخ ابن عجيبة « الشيخ السابق للدرقاوية بتطوان » ولعل قضية سجنه وانتقاله من السكنى بتطوان إلى البوادي ، لم تكن منسية عند القوم ، ولا يخفى ما كان هناك من الشبه بين ابن عجيبة والحراق ، إذ كل منهما كان أولا من كبار الفقهاء البعيدين عن التصوف والمشيخة ، ثم زهد في مظاهر الفقهاء وحياتهم ، وانخرط في سلك الصوفية وصار لسان التصوف وداعيته .

ونبحث في تلاميذ الشيخ الحراق بتطوان في هذا العهد فلا نجد من بينهم رجالا من أهل العلم ، مما يدل على أن علماء تطوان وفقهاءها في ذلك العهد لم يكونوا من أنصار التصوف والزهدو الانقطاع عن الحياة الدنيا وزينتها، بل كانوا إلى السلفية والاتزان والاعتدال ، أقرب منهم إلى الانقطاع للعبادة والاعراض عن التمتع بالخيرات والطيبات والزهرات .

حدثني الفقيه العدل الشريف سيدي أحمد بن مفضل أفيلال عام 1360 وكان قد تجاوز الثمانين من عمره ، أن جده الفقيه العدل سيدي محمد بن الهاشمي أفيلال مر بباب الجامع الكبير فسمع ضجيجا فسأل فقيل له إن الفقيه الحراق يدرس التفسير ؛ فضرب الارض بعصاه وقال : المدينة بلا محتسب ، يعني أنه لو كان في المدينة محتسب قائم بواجب تغيير المناكر لمنعه من تدريس التفسير ، (1) هكذا كانت عقلية القوم .

وفي الوقت نفسه حدثني سيدي أحمد المذكور ، أن والده سيدي المفضل أفيلال كان من التلاميذ الذين يحضرون درس الشيخ الحراق (2) ويعجبون بعلمه ومعرفته وأنه أثناء بعض دروسه التفسيرية بالجامع الكبير ، استطرد الكلام على علم التصوف ، فأطنب في ذلك وأبدأ وأعاد ، فاتفق سيدي مفضل مع السيد بناني الرباطي الذي كان جالسا حذاءه في الدرس ، على أنه بمجرد انتهاء الشيخ من درسه يتقدمان إليه ويطلبان منه تلقينهما الورد الدرقاوي ، إلا أن الشيخ قبل أن ينتهي من درسه ، قال :

1) كان رأي الناس أن القادرين على درس التفسير قد انقطعوا . ت . و .

2) بعد ورود الحراق على تطاون تقدمت بها الحركة العلمية تقدما محسوسا ، وأصبح الطلبة يفدون على تطاون بقصد تعاطي العلم ، فضلا عن إقبال التطاونيين على العالم الفاسي الجديد ، ومن بين الطلبة الذين وردوا على تطاون ، ليدرسوا في الدرجة الاولى على الشيخ الحراق ، سيدي محمد الخلنجي اليدري ، فهذا صحب الشيخ لاخذ العلم لا لاخذ الطريق ، ولكنه تصوف فيما بعد ، وما كان الحراق صاحب تخليط ، فكان فقيها مع الفقهاء ، صوفيا مع الصوفية ، أديبا مع الادباء . ت . و .

ينبغي لطالب العلم أن لا يسرع إلى الدخول في طريق التصوف ، بل يتربص إلى أن يتم دراسته ويتبحر في علم الظاهر الخ . فكان ذلك الكلام سببا في عدول سيدي مفضل عن التقدم إليه والاخذ عنه.

والذي يظهر أن ذلك كان قبيل وفاة الشيخ الحراق بقليل ، وكان سيدي مفضل في ذلك العهد ما يزال عمره دون العشرين .

أما السيد بناني فبقي على فكرته وتقدم إلى الشيخ وأخذ عنه ، ثم لا نجد تفاصيل وافية عن حياة الشيخ الحراق في هذه الفترة، ولعلها كانت حياة هدنة وانتظار ، قد اشتغلت فيها كل طائفة بما يعنيها ، وما بعد الزوايع إلا الهدوء والاطمئنان .

أما المدة التي عاشها الشيخ الحراق بعد تلك الفترة ، فان أوقاته فيها كانت عامرة بالجد والعمل المفيد ، وبذلك قضى رحمه الله جل النصف الاخير من عمره بعيداً عن السفاسف ، منقطعا للعلم والعمل ، ما بين إلقاء دروس في التفسير ومختلف العلوم الاسلامية، وعبادة وذكر وتوجيه وتربية وإرشاد.

وتصدى الشيخ سيدي محمد الحراق رحمه الله للمشيخة ، والتربية ـ كما رأيت ـ فأقبل الناس عليه نظراً لعلمه وصلاحه ، وكان في أول أمره يجتمع في تطوان بالمسجد الاعظم الذي يظهر أنه عاد لالقاء دروسه التفسيرية فيه بعد أن تبدلت الاحوال .

قال صديقنا ورفيقنا مولاي التهامي الوزاني حفظه الله (1) :

« وقبل أن يبني الزاوية كان يكتفي بأن يحضر هو وأصحابه ويجتمعوا في المسجد الاعظم ، وهناك كان يذكرهم ويرشدهم وكان يحضر مجلسه كثير من أهل الدين والورع، سواء كانوا آخذين عنه أم لا ، وقد طاب المجلس ذات يوم وانتشى الحاضرون من أثر ما يسمعونه من الشيخ من الاسرار الجديدة التي كان يفتح الله عليه بها ، فقام بعض الحاضرين يتواجدون ، وكان القاضي الحايك بالمقصورة من الجامع الكبير ، فلما سمع حس الذكر والرقص ، قبض في يده عصا الخطيب ، وخرج مرتاعا قاصداً الحلقة فطفق يضرب الفقراء وهم يرقصون ، فغضب الشيخ الحراق وأمر أصحابه بالانصراف إلى الدار ، فلما اجتمعوا قال لهم : « من كان منكم ملصقا بالعجين فليسقط » ثم ترك الشيخ الموضوع الذي كان يدرسه من التفسير ، وطفق من الغد يفسر قول الله تعلى : « ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها » فذكر في ذلك أسراراً عظيمة وحمل على القاضي ضمنا حملة شعواء ، واستمر في تفسير هذه الآية بضعة أسابيع والناس يتواردون من كل جهة ليسمعوا قول الشيخ ويروا ما ذا يفعله القاضي ، فتزعزع القاضي عن موقفه وتحمل التهجم عليه حيث أبى من الانتصار » .

والقاضي المذكور هو الفقيه السيد عبد الرحمن الحايك المشهور ، وكان من أكبر علماء عصره ، ويظهر أن هذه الحادثة وقعت أثناء ولايته الثانية لقضاء تطوان ، وكانت تلك الولاية بين سنتي 1229 ـ و ـ 1231 .

ثم قال مولاي التهامي :

« ثم إن الشيخ الحراق فهم عن الله ، فلو كان مراده تعلى أن لا يتخذ الحراق زاوية ، لما سلط عليه القاضي يجعل الفقراء ينفرون من بيت الله خشية الاذى ، فتعلقت همة الحراق باتخاذ زاوية يجتمع فيها الفقراء للذكر و لمذاكرة دون أن يكدر عليهم وقتهم أحد ، فأخذ يتخير الامكنة الصالحة لاقامة الزاوية ، وكان أولا يهتم بأن

1) كتاب الزاوية ص 172 .

يقيمها في روض قرب الدار ، وهو الذي بنى فيه الحاج العربي بن المهدي بنونة دار سكناه ، ثم انتقلت من بعد وفاته إلى سيدي أحمد ابن عبود ، فقد كانت هنالك عرصة يتسع فيها الشيخ الحراق ، وبها كان يذبح الذبائح وينزل الواردون ، فارتأى الشيخ أن يبني هنالك زاوية ، ثم استخار الله في ذلك وطلب منه سبحانه أن يهديه إلى المكان المناسب ، فكشف الله له عن عمود من النور قائم من الارض ، ثم ارتفع إلى السماء فأخذ يتبع العمود إما بالهمة والفكر والارادة ، وإما بالقدم والسعي ، فاذا بالعمود يصعد من أسس الزاوية الحالية تجاه باب المقابر من تطوان ، وكانت هناك خربات فأخبر أصحابه بما كشف له من شأن الزاوية فتصدى رجل من أصحابه يقال له توكورت وهو مدفون إلى جنب الشيخ سيدي محمد الحراق والقبة الخشبية فوق قبريهما معا . وذكر للشيخ أن له أموالا من الحلال الخالص يريد إنفاقها في وجوه الخير التي على رأسها بناء بيت لتقام فيه الصلوات ويذكر فيه اسم الله كثيراً ، فقبل منه الشيخ ذلك فبنيت الزاوية الحراقية بناها توكورت رحمه الله » .

ثم لا ندري أين كان الشيخ الحراق يجتمع مع تلاميذه بعد حادثة الجامع الكبير لان بين تلك الحادثة وتاريخ بناء الزاوية زمنا ليس بالقصير .

ومن الممكن أن تكون الزاوية التي أنشئت أولا عقب تلك الرؤيا ، بنيت صغيرة في بقعة كانت خربة ، ثم بعد ذلك زاد، فيها الفقيه توكورت ما زاد، فصارت من أكبر زوايا تطوان ، والله أعلم .

أما توكرت المذكور فهو رجل أصله من قبيلة بني سعيد ، وكان مقيما بمدينة طنجة ، ثم انتقل منها إلى تطوان وأقام بها وكانت زوجته بها من أولاد سلامة التطوانيين ، وتلمذ للشيخ الحراق واشترى إحدى دور تطوان وبنى بها الزاوية الحراقية وحبسها على شيخه المذكور ، ثم حبس عليها من ماله ما تقوم به شؤونها ، وكان ذلك البناء بين عامي 1244 ـ و ـ 1245 .

وقد وقفت لدى صديقنا الشريف النبيل سيدي أحمد بن البشير الحراق « حفيد الشيخ المترجم رحمه الله » على أصل الرسم الذي حبس به تكرت الزاوية المذكورة ، وسياتي لنا نصه بعد هذا عند الكلام على تاريخ هذه الزاوية وذكر بعض الزوايا الحراقية الاخرى بفاس وغيرها بحول الله .

تردد الشيخ الحراق بين فاس وتطوان

واستقر الشيخ الحراق رحمه الله بمدينة تطوان نهائيا ، ولم يكن كثير التجول في مختلف مدن المغرب وقبائله كما كان قبله الشيخ ابن عجيبة ، لان حالته الصحية كانت تدعوه للاستقرار إما في فاس وإما في تطوان ، وكانت إقامته بهذه المدينة أكثر من غيرها ، إذ كان يجد فيها من الهدوء والسكينة والاطمئنان ، ما لا يجد مثله في غيرها ، وبذلك قضى جل حياته الصوفية في مدينة تطوان حتى مات ودفن بها وخلف ذريته فيها ، وهي ما تزال بها حتى الآن .

أما المدينة الاخرى التي كان يزورها وقد تطول مدة استقراره بها ، فهي مدينة فاس التي سبق له أن تلقى دروسه العلمية بها ، فكان يحن إليها ويتردد من لآخر عليها ، ومن ذا الذي يدرس بفاس ولا يحن إليها ؟ ومن ذا الذي لا يود لو يكثر تردده عليها ؟ وهي مدينة العلم ، والعمل ، والصلاح ، والنبوغ ، حياها الله وحيا أهلها الكرام .

ولقد كان الشيخ الحراق رحمه الله يجد من المتعة العلمية ، واللذة الروحية في مذاكرة علماء فاس ، ما لا يجد مثله في غيرها ، وعند ما كان يغيب عنها جسمه ، كانت العلاقات بينه وبين علمائها وأصحابه بها ، تبقى موصولة ، إما بزيارتهم اه في تطوان ، وإما بتبادل الرسائل بين الطرفين ، فكانت لغيبته عن مدينة فاس ، فائدة وأية فائدة ، إذ كانت تلك الغيبة تدعوه لكتابة رسائله العديدة إلى فقراء تلك المدينة العالمة النشيطة ، تلك الرسائل التي يمكن أن تعد من أثمن ما بقي من آثار الشيخ الحراق ، لانها هي التي خلدت أفكاره وطريقة تربيته وتهذيبه وإرشاده ، فكان أصحابه - وما زالوا - يسترشدون بها ، ويهتدون بنورها .

وستاتي لنا نصوص عدد من تلك الرسائل ، وجلها مما نقلته بنفسي من خطه رحمه الله .

من كبار تلاميذ الشيخ الحراق

تصدى الشيخ سيدي محمد الحراق كما قلنا للمشيخة والتربية وتلقين الاوراد مع إلقاء دروس التفسير بتطوان وفاس وغيرهما .

قال تلميذه الشيخ محمد بن العربي الرباطي ما نصه :

« وقد أخذ عنه رضي الله عنه خلق كثير لا يعد كثرة من طلبة العلم وأعيان الناس ، وأهل الاعتناء بدينهم بحاضرة فاس ونواحيها كصفرو والبهاليل وجبل كندر وقبائل الغرب وأهل الجبال والمداشر من نواحي تطوان وجم غفير من أهل تطوان ،

وأما شفشاون (1) كاد أهلها كلهم أن يدخلوا في طريقته ، وانتشر مدده إلى أن بلغ إلى الرباط، مع أنه لم يصل إليها بنفسه ، وكان مهتما بالوصول إليها غاية الاهتمام، لان اهتمامه كان في الدلالة على الله ، وكان رضي الله عنه يقول : لو كنت أعلم أن أحدا بقنة جبل يريد الوصول إلى الله، لاتيت إليه حبوا وأخذت بيده ابتغاء مرضاة الله، وترغيبا في الاقبال على الله » .

وهكذا قام الشيخ الحراق بما تصدى له خير قيام ، فاستفاد منه خواص وعوام ، وتلمذ له ولاسيما بفاس أئمة أعلام .

قال الفضيلي في الدرر البهية (2) بعد أن ذكر ترجمته ما نصه :

« وله أتباع ، في سائر الجهات والبقاع ، وانتفع به خلق كثير ، وجمع كبير ، تلمذ له فحول العلماء ، وأهل النباهة والشان العظماء ، كالفقيه العلامة خاتمة المحققين

---

1) رغم أن أهل شفشاون كادوا أن يكونوا كلهم على طريقته ، فانه لم يتخذ بها زاوية ، اكتفاء بزاوية أشراف القوس العلميين ، فهؤلاء كانوا ولا يزالون حراقيين ، ولكن حراقيتهم حراقية ذات صبغة خاصة ، فان الشيخ أخذهم على أنهم أبناء العم ومؤازرون ، لا أنهم أتباع وتلاميذ .

وأشراف القوس لا يزالون محافظين على الذكر الحراقي رغم انفصالهم عن زاوية تطاون ، زاوية الاتباع والتلاميذ ، وهذه خطة غريبة في التصوف . ت . و .

2) الدرر البهية ج 2 ص 97 .

وعمدة المتأخرين أبي عيسى السيد المهدي بن الطالب ابن سودة (1) المري ثم الغرناطي النجار الفاسي الدار، والمنشإ والقرار، وأخيه الفقيه العلامة الخير الصالح أبي حفص السيد عمر (2) بن الطالب المذكور، وأخيهما الفقيه المحدث المتقن سيدي

1) العلامة المهدي ابن سودة ترجم له الفضيلي في الدرر البهية (ج 2 ص 308) ووصفه بفقيه الفقهاء وقاضي القضاة وسري السراة، ثم قال فيه ما نصه :

فهو في العلوم البحر الزاخر، الذي لا يدرى له أول ولا آخر، وكان الآية الباهرة، والحجة القاهرة، له مشاركة في فنون العلوم، حسبما هو شهير معلوم، طارت الانباء بمئاثره، وتواردت الآثار بمفاخره، فهو العالم العلم الذي لا يجهل، وعليه العمل الذي يعمل ولا يهمل، إمام في الفقه والحديث والسير والاصول والفروع في المعقولات والمنقولات، مع ضبط وإتقان في النقل والرواية، عارف بطريق التبليغ، ذرب اللسان، ثابت الجنان، عامل على عواقب الزمان، درس العلوم بأقطار المغرب مراكش ومكناسة وفاس، ثم رحل إلى المشرق فدرس بمكة المشرفة، وبالجملة فهو البحر الذي لا يدرك، والباز الاشهب الذي لا يطار تحت جناحه، تولى خطة قضاء الحضرة المولوية مكناسة الزيتون مدة طويلة، وكان بصيراً بالعواقب، خبيراً بسياسة الخلق، عارفا بطرق الاحكام رحمه الله، واجتمع له من الدنيا شيء كثير، أخذ عن الفقيه الازمي الحسني، والفقيه سيدي بدر الدين الحومي الحسني، والفقيه السيد عبد القادر بن شقرون، والفقيه السيد التهامي الحادي، وغيرهم من أمثالهم، وأخذ عنه جمع عظيم، وله تئاليف منها حاشيته على الخرشي، وحواشيه على جمع الجوامع، وحواشيه على الشيخ بناني في المنطق، وعلى رسالة الوضع، وتقاييد على متن الامام البخاري، وتقاييد وتحريرات في التفسير، وغير ذلك، يقف عليه من طالع كتبه، وكانت ولادته سنة عشرين ومائتين وألف، وتوفي سنة أربع وتسعين بتقديم المثناة ومائتين. ودفن بمحله المعد لدفنه قرب داره من حومة العقبة الزرقاء.

2) العلامة عمر ابن سودة، ترجم له الفضيلي في الدرر البهية (ج 2 ص 308) ووصفه بالفقيه العلامة المدرس النفاعة، ثم قال ما نصه :

« كان فقيها أصوليا نحويا منطقيا لغويا خيراً صالحا كثير الاوراد والاذكار، حاجا باراً سيداً فاضلا، ولد في حجة عام ثمانية عشر ومائتين وألف، وتوفي في ربيع الاول سنة خمس وثمانين ومائتين ».

وجاء في ترجمته من كتاب « الانباء المنشودة في مئاثر بني سودة » للشيخ العابد بن احمد بن سودة بعد أن ذكر اجتماعه بالشيخ الحراق ما نصه :

« فألقى إليه نفسه، ومكنه من زمام قيادتها بعد التجرد من العلم والعمل إلا ما

محمد (1) بن الطالب المذكور ، وكالشيخ العربي الخير السيد الخضر

يأتيه على يده ، ثم تقدم بين يدي الشيخ بما ألهمه الله إليه وما صمم عليه ، فتبسم الشيخ واستنار وجهه ، وقال له مرحبا وأهلا ، لقد ضربتني فاس بأفلاذ كبدها ، وشرفتني بفضلاء أشرف بيوتاتها ، فلله الحمد وله المنة ، فمد يدك إلي واقرب مني ، فمد يده إليه ، وأمسكها بين يديه ، وصار يذكر له شروط الصحبة وفوائدها وهو يجيبه بالقبول والالتزام ، إلى أن ذكر له ألفاظ الذكر وعدده بالليل والمثابرة عليه ، ثم صار يوصيه بمتابعة السنة ومنهاجها ونصيحة الاخلاء وملازمة الاجتماع بهم ، لما لهم في الاجتماع من النفع العام ، ثم أطلق يده وقال له جعلك الله فوق ما ظننته وتمنيته » .

وترجم له أيضا صاحب سلوة الانفاس (ج 2 ص 109) ترجمة حافلة .

1) السيد محمد بن الطالب بن سودة ، ترجم له الفضيلي في الدرر البهية (ج 2 ص 307) ووصفه بالفقيه المحدث ، ثم قال ما نصه :

« كان خيراً دينا ذاكراً ، تاليا فقيها محدثا ذا وقار وصمت ، وحسن هدي وسمت ، وكان من المنتخبين لقراءة الحديث بالحضرة السلطانية ، أخذ العلم عن أشياخ وقته ، ثم أخذ طريق القوم عن الولي الصالح الفقيه العلامة سيدي محمد الحراق ، وكان من خيار أصحابه ، وكان يتكلم بعد عصر يوم الجمعة بزاويته على الفقراء ، فانتفع به خلق كثير ، وكان يتعاطى خطة الشهادة إلى أن توفي . ولد في حجة عام ستة عشر ومائتين وألف ، وتوفي عام أربعة وتسعين بمثناة ومائتين وألف » .

وترجم له أخوه سيدي المهدي بن سودة في « تحفة الاحباب » بقوله :

« ومنهم الفقيه العالم العلامة الولي الصالح شقيقنا سيدي محمد بن الطالب بن سودة الذي جمع رحمه الله بين الشريعة والحقيقة ، وكان الحق والشرع ملازمه ورفيقه ، لا يجري أفعاله إلا عليه ، وميزانه نصب عينه ، ولد سنة ستة عشر ومائتين وألف وقرأ رحمه الله على أشياخنا كلهم وأخذ التصوف عن أشياخ منهم الفقيه الولي سيدي المهدي ابن عبد المجيد العراقي الحسني ساكن المخفية ودفين القباب المتوفى سنة ثمان وخمسين ومائتين وألف .

ومنهم الشيخ الولي الصالح شاذلي الوقت وهو عمدتنا شيخنا سيدي محمد بن محمد الحراق الحسني المتوفى بتطوان ودفينها المتوفى سنة احد وستين ومائتين وألف وغيرهم وظهر عليه حال التصوف ، وشاهد الاحوال والتعرف ، وغلب عليه علم الباطن أكثر من علم الظاهر ، وشهد له حاله بفيضان المواهب عليه وحسن السرائر . . . إلى أن قال:

وكان هو الذي قدمه على أصحابه البركة العظمى ، سيدي محمد الحراق فأطلعهم في صحيفة يمينه بدراً ونجما ، وفتح قلوبا غلفا وآذانا صما ، ووضع له القبول ، عند الخاصة وأهل الخير والفحول . . . الخ .

....

توفى بالقصر الكبير وبه دفن قرب سيدي علي أبي غالب في أوائل رجب عام 1294 .

وترجم له أيضا الشيخ العابد بن سودة في كتابه « الانباء المنشودة في مئاثر بني سودة » وبعد أن ذكر أنه ولد في مهل حجة سنة 1216 . وأنه حفظ القرءان ودرس العلوم بالقرويين على الشيوخ علي قصارة ، وعبد الواحد بن أحمد بن التاودي ابن سودة ، وعلي التسولي ، وعبد القادر الكوهن ، وبدر الدين الحمومي ، ومحمد بن عبد الرحمن الحجرتي السجلماسي ، والقاضي العباس بن كيران ، وأنه اجتمع عام 1242 بالشيخ المربي سيدي المهدي العراقي تلميذ مولاي أحمد الصقلي فأخذ عنه الخ .

قال ما نصه : « ثم لم يفجأ أن قدم مربي ذوي التجريد ومرشد الحائرين بالمشاهدة والعيان ، برزخ البحرين بحر الشريعة والحقيقة على الاطلاق ، أبو عبد الله سيدي محمد الشهير بالحراق الشريف الحسني .... أحد الآخذين عن الشريف مولاي العربي الدرقاوي في قضية عجيبة ، بقصد زيارة جده أبي العلاء مولانا ادريس ، فاهتز لقدومه كل أهل فاس على اختلاف طبقاتهم من علماء وأمراء وأشراف وأعيان ، وكل على نيته وقصده ، والشيخ يقابل كل واحد على قدر سيمة وجهه ، وما على ظاهره من حال باطنه ، ثم لما دخل عليه صاحب الترجمة نهض إليه قائما وعانقه وقال له بعد السلام وما يترتب عليه من السؤال عن الاحوال بمسمع من الحاضرين الذين حضروا ساعتئذ، منهم الفقيه الاديب الوزير سيدي محمد بن ادريس العمروي ، والعلامة الشريف نقيب الشرفاء العلويين مولاي العربي بن احمد البلغيثي وغيرهم من الاشراف والعلماء والاعيان ، مرحبا أهلا وسهلا ، على مثلك تعقد الخناصر ، وإليك تشد الرواحل ، وتقطع الفيافي والقفار ، فعند ذلك زاد شوق صاحب الترجمة ، وانبعث في قلبه أنه يتجرد عن كل علم وعمل صدر منه إلا ما ياتيه على يد هذا الفاضل ، ثم لم يكن بأسرع من لمحة البصر ، أن أحمر وجه الشيخ وأشرقت على وجهه نورانية ، وقال للمترجم هات يدك ، فبسطها . فقبض عليها الشيخ وصار يملي عليه شروط الصحبة وتحمل الامانة، وما يحفظها ، ثم لقنه ورد الطريقة الشاذلية وما يذكر صباحا ومساء ، وختم ما أملاه عليه بالوصاية والتمسك بتقوى الله في السر والاعلان ، إذ تقوى الله هي روح الاعمال ، ثم أخذ يذكر الحاضرين ويقرر لهم أسرار مجاهدة النفس ودقائق غضونها ، وانجر به الكلام إلى عظمة الله والنظر إلى خلقه بالتعظيم ، إلى أن خشعت منهم القلوب ، وفاضت منهم العيون بالعبرات ، فعند ذلك زاد صاحب الترجمة غبطة وعشقا إلى أن تحرق في

الشجعي (1) وغيرهم ، وظهرت عليهم بركته وسره » .

ومن تلاميذ الشيخ الحراق بفاس أيضا ، الفقيه الخطيب سيدي عبد الحفيظ ابن المجذوب الفاسي (2) مؤلف كتاب « تذكرة المحسنين » . وقد ترجم له في كتابه المذكور ووصفه فيه بشيخنا الامام الخ . وسياتي لنا كلامه، وقد مدحه بأبيات ستأتي لنا أيضا.

بحر الحقيقة حسبما أخبر به أخوه العلامة سيدي المهدي . . . ، ثم صار الشيخ يعالجه مما كانت نتيجته أن فتح الله به عليه ، وتعلم منه الحاجز ما بين الشريعة والحقيقة الذي هو أساس الطريقة . . . إلى أن قال . . .

ثم إن الشيخ خرج على جمع من أصحابه ذات يوم ومن بينهم الفقيه الجليل الوزير سيدي محمد بن ادريس العمروي والشريف العالم نقيب الاشراف وقتئذ مولاي العربي البلغيثي وغيرهما، وبمجرد جلوسه قال لهم ، أيها الاخوان ، إني قد اخترت لكم مقدما ، ووالله ما اخترته إلا باذن من الله ورسوله ، ولا قدمته حتى قدمه الله ورسوله ، وهو سيدي محمد ابن الطالب بن سودة ، فمن أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني، فتلقى الحاضرون كلام الشيخ بمزيد القبول والتوقير ، واتسعت في قلوبهم محبته وتعظيمه الخ .

1) الشيخ الخضر الشجعي ترجم له سيدي محمد بن جعفر الكتاني في سلوة الانفاس (ج 1 ص 340) ووصفه بأنه الفقيه الوجيه النزيه البركة الصالح ، المهتدى بهديه القويم ونهجه الواضح ، أبو محمد الخضر بن قدور بن حدو الشجعي الخليفي المزواري ، وذكر أنه قرأ بفاس ثم اتصل بالشيخ الحراق في زاويته التي بالمخفية من فاس ، فأخذ عنه ولازم خدمته وطريقته ومحبته ، ثم ذكر أنه كان مفتوحا عليه في الذكر والمذاكرة ، وآثار الولاية والصلاح ظاهرة عليه ، وذكر أنه خلف الشيخ الحراق في زاويته الفاسية إلى أن توفى في رجب سنة 1295 ، ودفن بالمخفية .

2) الشيخ عبد الحفيظ المدعو « الكبير » الفاسي ، ترجم له الفضيلي في الدرر البهية (ج 2 ص 273) بما نصه :

« كان فقيها محدثا خيراً عابداً قانتا من أهل الفضل والدين متمسكا بسنة سيد المرسلين ، خطيبا بليغا كريما جواداً عزيز المثيل عدلا مرضيا ذا سمت حسن ، وهدي مستحسن ، توفى رحمه الله سنة ست وتسعين بمثناة ومائتين وألف ، وقد ناف على السبعين ، تولى خطابة مسجد القرويين بعد أبيه إلى أن توفي رحمه الله ودفن برباط الفتح لوفاته هناك » .

وهذا السيد قد وصفه الشيخ الحراق في إحدى رسائله بقوله :

« مقام العلامة الوارث عن أسلافه الكرام علاج القلب القاسي ، أخينا في الله وعوض الولد البار أبي محمد سيدي الكبير الفاسي . . . الخ » .

ومن تلاميذه بفاس أيضا ، الفقيه العدل الشريف الخير سيدي ادريس بن الطائع الكتاني ، قال حفيده سيدي محمد بن جعفر الكتاني في ترجمته من كتابه سلوة الانفاس (1) ما نصه :

« وأخذ الطريقة عن الشيخ سيدي محمد الحراق ، وكان يحضر مجالسه في التفسير بزاويته من حومة المخفية ، حين افتتح الخمسة الاخيرة من القرءان بعد قدومه لهذه الحضرة الادريسية » .

ومن تلاميذه بفاس أيضا الفقيه الشريف سيدي الغالي العمراني المعروف باللجاءي وقد قال في كتابه « دوحة المجد والتمكين (2) » ما نصه :

« قلت تعاطي علم التفسير ، من الامر الخطير ، إذ لا بد فيه من معرفة العلوم المذكورة ، والاخذ عن شيوخ قلوبهم بالنور معمورة ، وقد من الله على مؤلفه العبد الفقير ، المعروف بالبطالة والتقصير ، بسماع مجالس من التفسير ، على شيخه العارف بجلال الله وجماله ، الداعي إلى حضرة الربوبية بأقواله وأفعاله ، الشريف العلامة الصالح الافلح ، المشارك القدوة الانصح ، بحر المعارف والحقيقة الدفاق ، شيخ الطريقة سيدي محمد الحراق ، بزاويته السعيدة بالمخفية من عدوة الاندلس بين العشاءين ، وذلك من سورة الجمعة إلى الختم ، وكان له مجلس غاص يستحسنه كل من حضره ، ويعترف لصاحبه بالفضل كل من سمعه وأبصره ، وتوفي برد الله ضريحه ، وأسكنه من أعلى الجنان فسيحه ببلدة تطوان ، ورمس بزاويته هناك » .

ومن كبار تلاميذه برباط الفتح ، الفقيه الصوفي أبو عبد الله محمد بن العربي

---

1) ج 2 ص 195 .

2) هذا الكتاب توجد منه نسخة بالخزانة الاحمدية بفاس لصاحبها صديقنا الفقيه المؤرخ الاستاذ عبد السلام بن سودة ومنها نقلت ما هنا سنة 1368 .

الدلائي الرباطي (1) وهذا السيد قد وصفه الشيخ الحراق في إحدى رسائله ، بالولي

---

1) هذا السيد ترجم له الفقيه السيد محمد بن علي دنية الرباطي في كتابه « النفحات الندية » المطبوع برباط الفتح سنة 1355 . وقد وصفه فيه بالشيخ الجليل الفقيه الحفهل الصوفي الصالح الارشد الفالح المنتسب الناسك المتواضع السالك ، زبدة أهل الفضل والعرفان ، المتحلى بالاخلاق الحسان ، الذاكر المحترم ، المستغرق الاوقات في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم . . . . أخذ الطريقة الحراقية عن الشيخ العارف بالله أبي عبد الله سيدي محمد الحراق التطواني وأخذها عنه جماعة مثل الشيخ البركة الافضل سيدي بنعاشر الخمليشي المعروف بالحداد ، والعالم الاجل السيد عبد القادر ابن عبد الكريم الشفشاوني صاحب بغية المشتاق ، وغيرهما ، وأنشأ المترجم بالرباط اجتماع المادحين لاستعمال المدح كل ليلة جمعة بضريح الولي الصالح سيدي لحسن ابن سعيد رضي الله عنه . . . . وللمترجم في المديح النبوي وغيره قصائد وأشعار ، كلها تدل على رفعة شأنه وسمو المقدار . . . .

رحل رحمه الله للمشرق فحج وزار ، ولاحت عليه أنوار وأسرار ، واستوطن أخيراً الدار البيضاء وبنى بها زاويته وصار يعمر بها حلق الذكر إلى أن توفى عام 1285 ودفن بها « رحمه الله » .

وفي الاستقصا ص 231 من ج 4 من طبعة مصر ما نصه :

« وفي يوم الجمعة السادس عشر من شوال (1285) توفي البركة الخير المنتسب سيدي الحاج محمد بن العربي الدلائي الرباطي بالدار البيضاء ، ودفن يوم الجمعة بالزاوية المنسوبة إليه بها رحمه الله ونفعنا به » .

وتكلم عليه أيضا تلميذه الشيخ عبد القادر الورديغي الشفشاوني المتوفى بمصر سنة 1313 في كتابه « بغية المشتاق المطبوع بمصر سنة 1298 . وذكر كيفية ملاقاته لشيخه سيدي محمد الحراق بفاس سنة 1257 ، وأنه لقنه الاوراد وأذن له في تلقينها ، ثم زيارته له بتطوان ومدحه له بقصيدته المشهورة التي مطلعها :

قد أصبح الكون في حسن وإشراق   واخضل روض القلوب من سنا الساقي

والتي منها في وصف شيخه المذكور .

طود السعادة والحسنى التي سبقت   نجل الرسول سمي القدر حراق

شيخ الطريقـة نور الله منهجـه   سر الحقيقـة في علـم وأذواق

وللسيد المذكور في مدح شيخه هذا أشعار كثيرة منها الموزون والملحون ، وانظر إن شئت كتاب بغية المشتاق .

الصالح البركة ، العالم العلامة الحجة ، أخينا في الله وحبنا في جانبه ، سيدي الحاج محمد بن العربي الخ . وهو الذي ألف كتابا (1) جمع فيه ديوان شيخه المذكور ورسائله وكتاباته المختلفة . وهذا الكتاب هو المرجع الاول فيما يتعلق بالشيخ المترجم وآثاره رحمه الله .

ومن كبار تلاميذه أيضا بحوز تطوان الشيخ الجليل العارف بالله سيدي محمد بن محمد الخلنجي البدري أصلا الحوزي داراً ومدفنا ، كان رحمه الله من التلاميذ الذين يحضرون الدروس العلمية بتطوان على الشيخ الحراق رحمه الله ، ثم أخذ عنه الطريق الصوفية ، وصار من كبار أصحابه وأسس زاوية بمدشر بني سالم وأذن له شيخه في تلقين الاوراد فكان يلقنها بمحضره، وقد أخذ عنه كثير من أهل تطوان والقبائل القريبة منها ، ثم بنى زاوية أخرى في تطوان بحومة السويقة ، وهي المعروفة بزاوية الخلنجي ، وقد توفي رحمه الله ودفن بزاويته في قرية بني سالم قرب تطوان صبيحة يوم الاحد سابع وعشري ربيع النبوي عام 1283 رحمه الله .

أما في تطوان ، فبالرغم من كون تلاميذ الشيخ الحراق ومريديه كانوا كثيرين ، لم يكن فيهم علماء كعلماء فاس ، مع أن المنصفين من علماء تطوان « وفي كل بلد منصفون ومتعنتون » كانوا يحبون الشيخ الجليل وكانوا يجلونه ويقدرون قدره في العلم والارشاد والنسبة الشريفة ، ولكنهم لم يتلمذوا له .

وعند ما تعرض شيخنا أبو عبد الله المرير في فهرسته « النعيم المقيم » لتلاميذ المترجم رحمه الله ، قال :

« أما تطوان ، فاننا لم نعثر على عالم بالخصوص أسند روايته إليه ، وأخذ العلم الظاهر عليه » .

ولعل من مظاهر رجال العلم والفكر بتطوان ، أنهم « في الغالب » لا ينفعلون بسرعة ، ولا يذعنون بسهولة ، فلا يتسرعون ولا يندفعون لا إلى الخير ولا إلى الشر ، والذي ينظر بعين الرضى ، يسمى هذه الخصلة تأنيا ورزانة ، وتعقلا وثباتا ، والذي ينظر بالعين الاخرى يسميها إهمالا وبروداً ، وتعصبا وجموداً . . .

سئل الشيخ المترجم رحمه الله عن سبب تفضيله للسكنى بتطوان فقال « لان أهلها لا يحتاجون إلي » ولعل هذا السؤال كان في ظروف خاصة فكان الجواب على حسب ما اقتضاه المقام ، ولعل الشيخ رحمه الله أراد بذلك أنه لا يجد في تطوان مثل

1) هذا الكتاب سيأتي الكلام عليه .

ما يجده بفاس مثلا من المبالغة في التواضع والارتماء على الاقدام ، والتمرغ على الاعتاب ، والتماس الدعوات ، وطلب العطفات ، وحتى التفاف أصحاب المصالح والمرتجين لمختلف الاغراض والشهوات ، ولعل شيئا آخر أيضا هو الذي حبب تطوان إلى الشيخ رحمه الله ، ذلك أنه وجد في أهلها من القناعة والاعتدال في التواضع ما جعله يشعر في تطوان براحة كبرى قلما يجدها في غيرها (1) .

نعم لقد كان من بين تلاميذ الشيخ رحمه الله رجال من كبار أعيان تطوان ووجهائها مثل الحاج الطيب بوهلال والسيد محمد الحصار والسكيرج وأجزول وأضرابهم ، إلا أن أحب أصحابه إليه وأقربهم لديه هو سيدي محمد بن لحسن أحسن الله إليه .

---

1) هؤلاء العظماء ، لا تظهر عظمتهم إلا في المجتمعات الكبرى ، والمدن العظمى ، وفاس قلب المغرب النابض ، ودماغه المفكر ، وعقله المدبر ، ومجمع فواضله وفضائله ، ومحشر مدنه وقبائله ، أحق البقاع المغربية بمعرفة الفضل لاهله ، أما تطاون فإن دائرتها محدودة ، لكن الحراق كان يقول : تعجبه تطاون ، لانه يكون فيها مستريحا من عناء مقارعة الفحول .

ت . و .

موقف الشيخ الحراق من الولاة ومصالح الامة

ولنلق هنا نظرة ولو خفيفة على جانب من جوانب الحياة الدنيا ، وهو موقف هذا الشيخ الدال على الله، من ولاة الوقت ومعاملتهم لمن جعلهم الله تحت تصرفهم من العباد، وقد كنا عرفنا من ترجمة الشيخ الحراق انه كان في شبابه من المحافظين على المظاهر الحسنة من اتخاذ الملابس الرفيعة وتناول المآكل الشهية وما يناسب ذلك ، وجدير بمن كان شأنه كذلك ، أن تشرئب نفسه التمتع بزهرات الحياة الدنيا ويتطلع لعلي مراتبها وينغمس في لجج حوادثها ، وقد كان ذلك قبل تصوفه ومشيخته كما قلنا .

وإذا كانت الحياة الصوفية الحقيقية تستدعي من المومن الصوفي ان يفرغ قلبه من حب زخارف الدنيا ولعبها واهوها، ويتوجه الى الله، ويملأ قلبه بحبه ، ويشغل لسانه بذكره ، وجوارحه بطاعته وبما ينفع المجتمع الاسلامي ، فان هذا لا يمنع ذلك المومن من أن يهتم بشؤون المسلمين ويعمل لصالح وطنه وأمته ، وهذا هو الذي كان شأن الشيخ الحراق ، فانه وان كان قد ترفع عن السفاسف، فانه لم ينقطع عن الوسط الذي كان يعيش فيه ، ولم يتأخر عن الاهتمام بامور المسلمين ومصالح الامة ونصر أصحاب الحق وخذلان أصحاب الباطل. وذلك هو الذي دعاه لان يكون موقفه من ولاة الامر، موقف المسالم المتعاون ليستعين بهم على المصالح العامة والخاصة والدفاع عن الضعفاء والمساكين ومن لا نصير لهم الا الله سبحانه . ونعرف ذلك من موقفه من السلطان الشرعي للبلاد ومن قائد تطوان الذي هو صاحب السلطة العليا في هذه المدينة التي كانت سكناه بها مع أهله وكثير من أصحابه وأنصاره. وقد ترتب على ذلك، أن سلطان ذلك الوقت صار يحترمه ويقدره ويطلب منه صالح الدعاء ، ثم أنعم عليه بدار يسكنها وبحانوت يستعين بمدخولها على متطلبات الحياة .

وكذلك قائد تطوان الذي كان ينوب عن السلطان ، فانه صار يعظمه ويستدعيه لمائدته ويستشيره في ملماته ، ويعمل برأيه في مهماته ، وكان في ذلك صلاح المجتمع وخير الجميع .

وإذا كان بعض الشيوخ لا يرى هذا الرأي ولا يسلك هذا السبيل، فان لكل وجهة. وكل يعمل على شاكلته ، وإنما الاعمال بالنيات .

موقفه من الفتنة السلطانية وابتعاده عن تطوان

وحدثت بالمغرب - وفي تطوان بالخصوص - فتنة دعت الشيخ الحراق للابتعاد عن هذه المدينة برهة من الزمن ، محافظة منه على مبدإه الذي هو الاخلاص السلطان الشرعي البلاد، لانه في نظره خليفة الله في أرضه، وكان ذلك عند ما قام بعض أهل فاس على السلطان مولاي سليمان فخلعوه ونصبوا ابن أخيه المولى ابراهيم بن اليزيد وأتوا به الى تطوان فتوفي بها ، ثم نصبوا أخاه المولى سعيداً فكان أهل تطوان إزاء تلك الحركة الثورية على فرقتين، إحداهما متحزبة للمولى سعيد وأنصاره، والاخرى بقيت على ولائها للمولى سليمان ، وكان على رأس السعيديين القائد العربي بن يوسف والقاضي عبد الرحمن الحايك ، وكان المولى سليمان قد عزلهما من قبل فوجدا الفرصة للانتقام ، وكان من أنصار المولى سليمان قائد تطوان الحاج عبد الرحمن أشعاش والشيخ الحراق وغيرهما من المحافظين . وعزل الثوار القائد أشعاش وولوا العربي بن يوسف ، فقبض على الموالين للمولى سليمان ، وكان ذلك عام 1236 وصديقنا العلامة الكاتب مولاي التهامي الوزاني يحكي لنا كيف كان موقف الشيخ الحراق من تلك الحركة وكيف تخلص منها فيقول : (1) « واجتمع بمسجد الباشا سائر الزعماء والاشراف والقواد والاعيان بقصد أخذ يمين البيعة، وكان في جملة من دعي لحضور هذا الاجتماع، الشيخ سيدي محمد الحراق . فقد حضره على أمل أن يحمل الناس على الانتظار الى ان يظهر من أمر مولاي سليمان ما غم عليهم ، فان كل ما في الامر إنما هو إشاعات تقول بان مولاي سليمان قد تخلى عن الملك ، مع أن التخلي فسخ لعقد بين السلطان والرعية يلزم ثبوته بالطرق الشرعية المفيدة لليقين ، ولكن حماس الجمهور ووجود الاشراف الكبار وسائر أهل الحل والعقد ، منع القوم من ان يسمعوا للشيخ الحراق ما عسى ان يقوله لهم ، لا سيما وهو معروف بالميل إلى جهة السلطان مولاي سليمان الذي كان يجل العلماء وينفر من المدعين للتصوف ، فلما خاض الملأ في حديثهم عن هذا الموضوع وطال المجلس كثيرا ، فان هذه الاجتماعات تستمر الساعات المتطاولة ، وقر رأي الناس على خلع القائد الحاج عبد الرحمن بن علي أشعاش وتولية القائد محمد بن العربي بن يوسف المسلماني ، تظاهر سيدي محمد الحراق بانه يسبغ الوضوء ، فألقى الكساء عن منكبيه وقام متجردا وخرج كأنما يقصد بيت الماء ، خرج الى الشارع دون كساء ولا جلابة ، فقابله بعض أصحابه فطلب منه السترة، فلبس جلابة

---

1) كتاب الزاوية ص 201 .

وركب بغله وحركه مسرعا جاعلا وجهته باب المقابر، فلم ينتبه أحد اظنهم أنه يقصد الزاوية ، غير أنه خرج من باب المقابر ، ومن ثم الى قبيلة الحوز ، في فرق من بني سالم ، فمكث بها عند أنصاره وكلهم له أنصار ، إلى أن زالت غيوم الفتنة، فرجع إلى تطوان وقد رجع أهلها إلى طاعة السلطان (سنة 1237) فعرف له ذلك مولاي سليمان واستبان للناس أنهم لم يكونوا على صواب فيما فعلوه ، فكان ذلك من الاسباب التي زادت في حب الناس الشيخ سيدي محمد الحراق حتى بعد وفاة مولاي سليمان (1238 ه) فانه جرى على خطته تلك مع مولاي عبد الرحمن بن هشام (1238 - 1273 ه)وعليها بقي إلى أن لقي الله عز وجل » ه .

هذه هي رواية أخينا مولاي التهامي، وهي رواية مقبولة، وذكر لي بعضهم - ولا أدري مبلغ كلامه من الصحة - أن الشيخ الحراق كان من جملة السليمانيين الذين ألقي عليهم القبض بتطوان ، وأنه سجن أولا في السجن العام ثم أطلق سراحه فانتقل الى شفشاون وبقي بها مدة ثم عاد الى تطوان ، والله أعلم بالصواب .

رسالة من الشيخ الحراق إلى السلطان

ودارت الايام فقصت أجنحة خصوم السلطان المولى سليمان وطلع نجم أنصاره ومنهم الشيخ المترجم ، ثم توفي السلطان المذكور وتولى مكانه ابن أخيه المولى عبد الرحمن بن هشام، وعاد الشيخ الحراق إلى تطوان فأقام بها وكانت علاقته مع السلطان الجديد على غاية ما يرام . وهذه رسالة كتبها الشيخ الحراق إلى السلطان المولى عبد الرحمن ونصها : (1) .

« الحمد لله وحده - وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

من العبد الحقير إلى سيدنا المنصور بالله ، المظفر إن شاء الله بعونه ، ولي الله تعلى مولانا عبد الرحمن الحسني أكرمنا الله وإياك بكرامة أوليائه ، وأمدنا وجميع المسلمين بمدد أصفيائه وأحبائه، وسلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته .

وبعد فاعلم سيدنا وحبيبنا أنه ورد على ثغر تطوان الاخ في الله الشريف مولاي مولاي الجلاني وكان من قضاء الله في سابق علمه ، أن نزل قريبا من منزلنا ولقينا وأخبرنا من أحوالكم بأخبار حسنة ، وسيرة مستحسنة ، تدل على مقام الولاية من الله

1) هذه الرسالة أهدى إلي نسخة منها أحد حفدة الشيخ المترجم ، وهو صديقنا الشريف الكاتب الاديب سيدي احمد بن البشير الحراق حفظه الله ه المؤلف .

سبحانه إليكم ، لا منكم إليه ، لانه لا يثبت على الحضور مع الله في مقام الامارة إلا الفرادى من الناس الذين تولاهم بسابق العناية ، ولا والله ما حدثنا بأحسن مما كنا نعتقده فيكم قبل إخباره ، وذلك بالقاء الله سبحانه في قلوبنا، أحببنا أم كرهنا ، وإنا لنوقن أن تلقيات القلوب، يصدقها شاهد الحكمة، لان القلب اذا كان على بينة من ربه حين الالقاء فيه ، تلاه بالتحقيق شاهد منه ، وعنه صلى الله عليه وسلم ، ان المومن مرآة أخيه ، نفهم منه أن قلب المومن من تنطبع فيه صورة من يكون أخاه في الله وأحواله وأكوانه وعوالمه جميعا حتى كأنه حاضر بين يديه ، وهي فراسة المومنين ، ولما وقع تصديق كلمات الباطنة بلطائفها ، عن مظاهر الالسنة بظهور ذلك في عالم الاكوان ، حملتنا شدة البسط بذلك على مد يد الاخوة في الله إليكم، وبسط اللسان بمذاكرتكم حرصا على حب زيادة الخير لكم، لان مقام الامارة عظيم الفتنة، إلا من عصمه الله ، ولان المسلمين محتاجون إلى أمثالكم ، فسدادكم سداد الجميع ، فنحبكم أحبكم الله، أن تثبتوا على ما أنتم عليه من القيام بوظائف العبودية، لتستمدوا من أوصاف الربوبية، لان شكر النعمة بالحال، لا بخصوص المقال، ولان الله تعلى جعل الاضداد كامنة فى الاضداد ، فجعل العلو كامنا فى الحنو، والعز كامنا في الذل ، إلى غير ذلك من الاوصاف العلوية، مع الاوصاف السفلية ، فمن عظمت فيه الاوصاف السفلية، عظمت فيه الاوصاف العلوية، واغطيت بها حتى ترى الانسان لا يعتقد أذل منه وهو يرى لا أعز منه ، والحقيقة يا سيدي كما تكون معها تكون معك، فان استعليت استعلت، وان تواضعت تواضعت ، وهو معكم أين ما كنتم (1) وهي البارزة في مظاهر الكون جميعا إذ لا وجود إلا بها ، فاذا كنت معها على وصف ، رأيت الكون جميعا فاعلا مثله معك ، وإذا قمت بحقوقها على قدر المستطاع من جهة العجز وضعف البشرية ، قامت بحقوقك على قدر المستطاع من جهة كمال القدرة وعزة الربوبية، فتكون وفق ما ضيعت، والحاصل يا سيدي (2) كن معه كما يحب، يكن معك كما تحب ، إن تنصروا الله ينصركم ، وإذا تركت من أجله المحاب، ترك من أجلك المكاره ، وإذا أخذت بيد شريعته ، أخذ

---

1) الصوفية في كثير من آرائهم يرون أن حكم أحد الطرفين يسري الى الآخر، ففي الآية «وهو معكم أين ما كنتم» وعلى رأيهم يكون في الكلام حذف وهو «كيف ما» وهذا المحذوف هو محل الاستشهاد . ت. و.

2) في هذه الرسالة وأسلوبها ترى حسن تلطف الشيخ الحراق ، فانه فيها يوجه إرشاده لمولاي عبد الرحمن، ولكنه لم ينس - وهو في رتبة الشيخ المرشد - أن الذي يوجه إليه الارشاد سلطان مفروضة طاعته .

بيد حقيقتك، فيورثك علما لم تكن تعلمه ، وفهما لم تكن تفهمه ، وحكمة لم تكن تنطق بها، وعزاً لم يكن لك على بال ، ونصراً بدون مال ولا رجال ، ولكل مقام مقال ، وعمل وحال، فكلما ازدادت النعمة ، نحبك تزيد في رعاية الحرمة ، وعظم جانب الله ما أمكنك، يعظمك الله ما أمكنه ، والجميع داخل في خير إمكانه، كما هو خارج عن خير إمكاننا إلا بفضله وكرمه . وإن كان ولا بد من مداراة من تترقب النصر به ، فدار الملك الجليل الذي يبرز البعوضة بزينة الفيل ، يغنيك بنصره عن جميع الانصار بانحياز الكون جميعا إليك والقيام بطاعتك ، كما قمت بطاعته والانحياز اليه ، ولذلك سبحانه حصر النصر فيه فقال: وما النصر إلا من عند الله، فكلما سكن القلب إليه، وانجمع بكليته عليه ، رأى من عجائب القدرة ما يقطعه عن الاسباب شهوداً ، وإن كان يقول بها ستراً للقدرة ، ومن عجز حتى رأى أن العبودية قامت بربها، أراه الحق سبحانه أن الربوبية قامت بنفسها ، ولم تحتج في أمورها الى شيء سواها لاستغنائها بذاتها .

ونؤكد عليك يا سيدي غاية أن لا تنتصف لله من الناس حتى تنتصف لله من نفسك، وأظنك (1) إذا انتصفت لله من نفسك، رحم الله بك الخلق جميعا، وصرت عينا من عيون الله ينظر الله بك في خلقه ، وهذا ما أوجب الله علينا لائمة المسلمين من بذل النصيحة وحب الخير زادك الله خيراً إلى خيرك، وبراً إلى برك، وادع لنا يا سيدي بخير بالفضل منك وعلى الله مكافأتك والسلام .

محبكم أفقر الورى لرحمة مولاه محمد بن محمد لطف الله به .

وهذه الرسالة ليس فيها ما يقال، إلا أنها صادرة من قلب عامر بالايمان والمعرفة والشجاعة والاخلاص .

---

1) يقول الشيخ هنا للسلطان « أصلح أحوالك قبل أن تنظر إلى أن تصلح الرعية بالضرب والتأديب . ت. و.

السلطان ينفذ المحراق احدى حوانيت تطوان عام 1239

ويظهر ان السلطان المولى عبد الرحمن كان راضيا عن الشيخ الحراق، وأنه كان يساعده حتى من الناحية المادية ، زيادة على المساعدة الادبية ، وهذا ظهير ينفذ فيه السلطان المذكور للشيخ الحراق حانوتا بتطوان ونصه :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

ثم الطابع الشريف ونقشه عبد الرحمن بن هشام بن محمد وفقه الله

نفذنا بحول الله وقوته للفقيه الشريف المرابط الارضى سيدي محمد الحراق الحسني جميع الحانوت أصلا وجلسة التي بثغر تطوان لجانب المخزن المعروضة المهيع وأنعمنا عليه بها وأقطعناه إياها إقطاعا تاما وأذنا له في التصرف فيها بأنواع التصرفات كلها ، ببيعها وغيره من غير منازع ولا معارض ، فنامر خديمنا القائد العربي ابن يوسف أن يسلمها له إذا عينها إعانة له على ما هو بصدده، ولا بد ولا بد ولا بد، وحظنا منه الدعاء الصالح والسلام .

صدر به أمرنا المعتز بالله في مهل جمدى الثانية 1239.»

إنعام السلطان على الشيخ الحراق بدار في تطوان 1240

والرجلان كما ترى كل منهما يطلب من الآخر الدعاء الصالح وما أحسن الاتفاق والتعاون مع الانصاف .

وهذا ظهير آخر بالانعام عليه بدار في تطوان ونصه بعد الحمدلة والصلاة والختم الامامي (1) .

. . . . أننا أنعمنا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته ، على محبنا الفقيه المرابط البركة الناسك الشريف سيدي محمد ابن محمد الحراق بجميع الدار الكائنة بثغر تطوان المحروس بالله المعروفة لجانب بيب المال التي هي من متروك السيد احمد الطرابلسي وملكناها له تمليكا تاما وبسطنا له اليد على حوزها والتصرف فيها بانواع التصرفات من غير منازع ولا معارض ولا مدافع ولا مناقض مراعاة لعلمه وشرف نسبه ونسكه» صح من أصله وهو بتاريخ تاسع عشر رمضان عام اربعين ومائتين والف» .

1) من كتاب النهضة العلمية ، للشريف النقيب مولاي عبد الرحمن بن زيدان.

بين الشيخ الحراق والقائد أشعاش

ثم بعد مدة عزل القائد العربي بن يوسف وولى السلطان مكانه القائد محمداشعاش وأوصاه بالبرور بالشيخ الحراق والاحسان إليه، فكانت بين الباشا والشيخ صداقة ومودة واتحاد في الولاء للسلطان وتعاون على مصلحة الجميع . ويحكون أن الشيخ كان يلبى دعوة الباشا ويأكل من طعامه ويتشفع إليه في بعض الناس فيشفعه فيهم ، كما يحكون أن الباشا كان يستشير الشيخ في الامور ويركن الى رأيه فيها .

ولننصت الى صديقنا مولاى التهامي الوزاني ليحكي لنا حوادث جرت بين الشيخ والباشا ، ففي حديثه تصوير لعدة نواحي طريفة ومفيدة في دراسة نفسيات القوم واخلاقهم . قال مولاى التهامي حفظه الله مانصه (1) « وكان » - يعنى الشيخ سيدي محمد الحراق» ذا نفوذ في الدوائر الحكومية حتى كان باشا تطوان الحاج محمد أشعاش الكبير لايكاد يقطع أمرا دون مشاورته، ولم يكن الشيخ سيدى محمد الحراق ليسير مع الباشا سيرة من يجمله يجفل من النصيحة بل كان يعامله معاملة اللين والاخذ بالحسنى ، إذا خاف عليه أن يتنصل من الشريعة ويعمل مايمليه عليه طابع الاستبداد الذى كان منتشرا في ذلك العهد، بحيث كان باشا المدينة يفعل في المقاطعات ما شاء وأراد ومن جملة هذه الملاطفة أن أشعاش أمر بضرب رجل بالسياط فضرب حتى مات . فأرسل الباشا من وراء الشيخ الحراق وسأله ماذا عليه في قتل هذا الرجل فسأله الشيخ عن العمل الذى استوجب به الرجل العقاب فذكر الباشا فظائع منها قتل النفس وسائر الموبقات ، ثم قال الباشا إنني لم أكن راغبا في قتله ، ولكن عمره قد حان ، وأخشى أن يكون علي حرج فيما فعلته ، فقال الشيخ إنك قد اجتهدت ورفعت الاذى عن المسلمين ، أما الهالك فانما يبعثه الله مع الفيران والقطط ، فابتسم الباشا وسري عنه ، وبعد أن فصل الشيخ الحراق عن المجلس ، سأله صاحبه وخليله سيدى محمد بن الاحسن فقال ياسيدى لقد سمعت منك عجبا ، فقد سمعت أن الرجل سيبعث مع الحيوانات ، فقال له الشيخ لو قلنا للباشا إنك من الظالمين لما ردعه قولنا عن ظلمه ، بل كان يزداد ظلما الى ظلمه وشرأ الى شره ، ولكننا فتحنا له باب الامل لئلا ييأس من رحمة الله فيكون شره أعظم على المسلمين ، أما الرجل الهالك فعلمه عند الله فهو أدرى في زمرة يبعثه ، وأما قولى إنه يبعث مع الفيران والقطط فان الله يبعث النفوس جميعا مع بعضها .

---

1) كتاب الزاوية ص 169 .

وقد كان الشيخ فى أحد مجالسه يذكر اكل الحرام وما ورد فيه وينهى عن أن يذوق الانسان طعام الظالمين الذين ياكلون أموال الناس بغير حق، وكان ابن الاحسن لا يفارق الشيخ الا قليلا فسمعه يقول ما قاله ثم بعد أيام استدعى باشا المدينة أشماش الشيخ الحراق لاكرام عنده فحضره وكان فى صحبته سيدى محمد ابن الاحسن فلما حضر وقت شرب الشاي امتنع ابن الاحسن عن شربه وعن اكل الحلواء التى قدمت معه، فلما حضر الطعام كذلك امتنع من الاكل، أما سيدى محمد الحراق فإنه شرب الشاي وأكل حتى رضى الباشا ، فلما خرج التفت الشيخ إلى إبن الاحسن وقال له لقد لاحظت أنك لم تشرب ولم تاكل ، ونعم ما فعلت ، أما أنا فكان لابد لى من أن أفعل ، لان ذلك سبب فى ترضية العامل ، وان ترضيته تترك لنا جاها عنده فنستطيع بهذه الاكلة أن نرفع الظلم عن نفوس لاتحصى من الضعفاء ، على أننى اعتقد أن لدى العامل (1) قسطا من بيت مال المسلمين ، ولنا فيه «ال البيت نصيب مفروض أباحه الله لنا ، فأكلت من نصيبى ، ثم اننى سأتصدق بثمن ما شربت وما أكلت وأتوب الى الله . وبهذه الاساليب الحكيمة كان العامل لا يقطع أمرا الا بمشورة الشيخ ، وقد حدث مرة أن أحد الفقراء من أصحاب مولاى العربى سمع بعض اخوانه يتذاكرون فى قضية وحدة الوجود على طريقة الصوفية فى ذلك ، فاستولت عليه الفكرة وخرج فوضع الريش في عمامته واجتمع حوله الناس فصعد أحد الدرج وقال «أنا ربكم الا على» فأخذ الناس يرشقونه بالحجارة وذاع الخبر فأرسل العامل وراء هذا الفقير وأودعه السجن ، ثم اجتمع من بالمدينة من العلماء وقصدوا دار الباشا وأخذوا يتكلمون فى العقاب الذى يستحقه قائل هذه الكلمة ، فاتفقوا على أنها كفر وردة وحكمها القتل ، ثم قال الباشا ما ينبغى لنا أن نقطع أمرا دون حضور سيدى محمد الحراق ، فبعث من ورائه وكان قد وصل الخبر الى الشيخ بما قاله الرجل ، وعرف الشيخ أن الرجل حمله الجهل بتاويل كلام القوم على أن قال ما قال ، فأوقعه الطيش والجهالة في موقف حرج ، فركب الشيخ دابته وكان قلما يسير على قدميه ، ثم قصد المشور وجعل طريقه على السجن وهنالك هبط عن ظهر دابته وقصد الرجل السجين فأطل عليه من الشباك الحديدي وسأله عن حالته هذه فتذبذب الرجل وأصابه خوف ورعب ولا سيما مع الانباء التي تصله من الائتمار بقتله، فقال له الشيخ ، إن الباشا أرسل من ورائي ولا داعي لذلك إلا قصتك ، وإنني سأجده عنده الفقهاء فلا يسعني إلا أن أحكم بحكمهم في قتلك ، لان ظاهر الشرع يوجب ذلك، ولكن الخلاص ممكن، فانني ساحمل القوم على أن تحضر في المجلس بقصد

---

1) يعني بالعامل الباشا حاكم المدينة.

التحقيق معك، فاذا دخلت علينا فارفع صوتك بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، إني تائب إلى الله، ثم ودعه وانصرف، فوجد مجلس عامل المدينة غاصا بأهله فقاموا مرحبين بالشيخ ، ثم دار الحديث حول مسألة الفقير، فقال الشيخ علينا أن نسمع كلامه أولا فان دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم ليس البت فيها بالامر الهين ، فلما حضر الرجل صاح بكلمتي الشهادة وأعلن التوبة، فلم سئل لم يزد على أنه لم يدر كيف صدر ما صدر عنه إلا أن يكون مساً من الجن، وانتهت القصة على هذه الصورة ، وهكذا كان تصرفه دائما بحكمة واتزان، وبهذه الخطة المتينة كان يدافع عن الفقراء المنتمين إلى التصوف» اه.

ومن الحوادث التي وقعت في هذا العهد، يظهر لنا أن جانب الشيخ الحراق وحزبه قد انتصر أخيرا ، وأن كبار خصومه - وخصوم الشيخ ابن عجيبة قبله - قد انقرضوا ، الواحد منهم بعد الآخر ، وقد نال هو رضا السلطان ونوابه وتوطد بذلك مركزه فانقطع للعلم والعبادة والمشيخة، وأسس الزوايا في مختلف المدن والقبائل، واتخذ له دارا وزاوية بتطوان، وزاوية وداراً بفاس، فكان يتردد بين المدينتين، وإن كان أهله وعياله كلهم بتطوان ، وجل إقامته بها ، وكان يدرس بالمدينتين المذكورتين ويلقن بهما الاوراد ، ويهدي العباد لطريق الرشاد .

الشيخ الحراق من الخالدين بآثاره

ونعود للحديث عن الناحية الاخرى من حياة الشيخ الحراق رحمه الله، وهي حياته الفكرية، وآثاره الادبية، وإنتاجه الخالد الذي لا يبلى ولا يموت ما دام في الدنيا فكر سام وذوق سليم. والواقع المشاهد، أن كثيرا من الناس تستولي عليهم الغفلة، فيغترون بمباهج الحياة الدنيا ومظاهرها الخلابة ولعبها ولهوها وزينتها، وفى الغالب لا يفيق الشخص من سنة تلك الغفلة، ولا يفكر تفكيراً جديا إلا عند ما يموت رفيق له أو حبيب أو قريب، فاذا وصل أجله، اصطدم بالحقيقة وأصبح فى حالة تتبخر فيها أحلامه، وتذوب آماله، وتنتهي أعماله، فلا يجد أمامه إلا ما قدم من خير أو شر، ولا يخلف بعده إلا ما ترك من عمل أو أثر، فالناس عند ما يموتون - وكل نفس ذائقة الموت - منهم من تكون حياته كالعبث فيموت كما تموت الحيوانات، ولا يخلف أثراً ولا يبقى له ذكر ومنهم من يعمل في حياته ما يغضب عليه الله والناس، فتبقى اللعنات تنصب عليه وأوحاله تحت التراب رميم، ومنهم من يملأ حياته بالصالحات، فتبقى الرحمات تنهال عليه "آناء" الليل وأطراف النهار، وهؤلاء هم الاخيار الابرار، الذين يخلفون بعدهم ما تبقى به أسماؤهم خالدة في سجل الصالحين، كما يبقى النفع بهم وبآثارهم متواصلا أبد الآبدين.

والشيخ الحراق رحمه الله، قد عاش كما عاش قبله ويعيش بعده كثير من الشيوخ، ولكننا عند ما نبحث فيما خلفه من الآثار العلمية والادبية، والارشادات الربانية، نجده قد ترك من ذلك ما استحق به أن يعد من الخالدين. فأشعاره الرائعة تطرب وترقص، ويتغنى بها الناس من مختلف الطبقات، في مختلف الجهات، لانها تعبر تعبيراً صادقا عما يحس به ذوو الشعور الحي والذوق السليم في مختلف العصور، على مر الدهور، من حب للجمال، وسمو في الخيال.

ورسائله التوجيهية، يسترشد بها المهتدون، ويهتدي بها الضالون، ويتنبه بها الغافلون.

وحكمه وكلماته، تنير السبيل أمام من يريد سعادة الدنيا والآخرة، وهل بعد سعادة الدنيا والآخرة من مطلب عند ذوي الالباب؟

وسنقتطف هنا من الروضات الثلاث، روضات الشعر الحي، والرسائل الخالدة، والحكم النافعة، زهورا نقدمها هدية للذين سمت نفوسهم، فطابت قلوبهم، وخلصت نياتهم، وأكرمهم الله بحسن الظن وسلامة الاعتقاد، ولديهم من لطف الذوق ما يشعرون معه باطمئنان الضمير، والسعادة في هذه الحياة الدنيا، والله المستعان.

من ديوان شعره

وشعر الشيخ الحراق، قد سارت بذكره الركبان شرقا وغربا ، ما بين عربي فصيح منه ودارج ملحون، وقد جمع في ديوان يعد من مفاخر الشعر الصوفي الراقي في بلاد المغرب ، ودونك ما يسمح به الحال، في هذا المجال ، فمن ذلك القصيدة التائية الشهيرة المشتملة على نيف وخمسين ومائة بيت ومطلعها :

أتطلب ليلى وهي فيك تجلت ... وتحسبها غيراً وغيرك ليست

ومن أبياتها قوله :

بديعة حسن لو بدا نور وجهها ... إلى أكمه أضحى يرى كل ذرة
فدع عاذلي فيها الملام فإنما ... عذابي بها عذب وناري جنتي
أباح لي الخمار منه تفضلا ... خباها فصار الشرب ديني وملتي
فان شئتها صرفا شربت وان أشأ ... مزجت لان الكل فى طي قبضتي
شربت صفاء في صفاء فمن يرد ... من القوم شربا لم يجد غير فضلتي
تقدم لي عند المهيمن سابق ... من الفضل واستدعاه حكم المشيئة
فلي عزة الملك القديم لأنني ... بعزة ربي في العوالم عزتي
وخمري أضاءت في الجميع ضياءها ... وحقاً بأنواع الوجود استبدت
مدام تزيل الهم وهي بدنها ... وينشط كل الكون ملها بنفحة

إلى أن يقول :

إذا شئت أن تلقى السعادة والمنى ... وتبلغ ما عنه الرجال تولت
فطهر بماء الذكر قلبك جاهدا ... بصدق اللجا واغسله من كل علة
وكن بكف الشرع أمرك كله ... فدونك إن لم تفعل الباب سدت
ودع ما مضى إن تبت لا تكترث به ... ولا تلتفت في طاعة لمثوبة
وسر في أمان الله للحق مسرعا ... وكن معرضا عن ذي الامور الشنيعة
كحرص على مال وحب ولاية ... وكثرة أصحاب ونيل مزية

إلى أن يقول :

فمن حفه نور الرسول يخوض من بحار شهود الذات في كل لجة
وتنهى إليه في الانام رياسة قد استسفلت في عزها كل رتبة
ومن قد أتى من غير نور محمد فأقدامه في هوة الغي زلت
يروم دخول الدار من غير بابها ويطلب هديا بالامور المضلة

ويقول الحراق في الخمرة الازلية :

تراها بحشو الكاس وهي زجاجة ولو لم تكن فيها لذاب بسرعة
بها هو ممسوك وقد مسكت به تلون كأسي من تلون خمرتي
تلطف منها إذ سرى فيه نورها فتحسبها شمسا على البدر درت
ومن عجب كأس هو الخمر عينها ولكنه يبدو على شكل درة
فيحسبه الراءون غير مدامة لشدة ءافات بعين البصيرة

وفي قصيدة أخرى نجد الشيخ الحراق يصف الخمر وآنية الخمر ، وشارب الخمرة ، خمرة الصوفية، بأوصاف بديعة حقا، أقول، بديعة وأعني من الناحية الفنية، أما الناحية الاخرى فلا أفقه فيها شيئا لانني لست من فرسان الميدان ، ويشهد الله - وهو خير الشاهدين - أنني ما شربت في حياتي أي صنف من أصناف الخمور، حتى في البلاد الافرنجية التي زرت الكثير منها، ولست ولله الحمد بآسف على ذلك، لان الله سبحانه قد أغنانا بخمر العلم والمعرفة التي تنير العقل ، عن غيرها من الخمور التي تذهب بالعقول، وتلحق شاربيها بالحيوانات والوحوش . . . . .

قال الشيخ الحراق الصوفي الاديب عليه رحمة الله

تلوم بالنوك في الصهباء من نسخت منه الحقيقة فهو الآن صهباء
أنا السفيه إذا تركتها أبداً لانها الروح والكيزان أعضاء
بها انبسطنا مع الاحباب إذ نشرت منها على عالم الاكدار سراء
ما ضيع الحزم من أضحى بها ثملا قد أمطرته بماء البسط أنواء
يهز بالرقص من أعطافه فرحا أيامه أبداً بالراح خضراء

إذا تذهب منها الكأس نضده ... در الحباب فلون الكأس لألاء
شمس متى سطعت فى عقل شاربها ... يصير ذاتاً لها الاكوان أسماء
بالعرف قد عرف الحذاق حدتها ... من داخل الدن ذوقا وهي عذراء

وقال في التغزل في « الحضرة » وهي أبيات يتغنى بها الصوفية كثيرا وخصوصا في حالة العمارة :

اماطت عن محاسنها الخمارا ... فغادرت العقول بها حيارى
وبثت في صميم القلب شوقا ... توقد منه كل الجسم نارا
وألقت فيه سراً ثم قالت ... أرى الافشاء منك اليوم عارا
وهل يسطيع كتم السر صب ... إذا ذكر الحبيب لديه طارا
به لعب الهوى شيئا فشيئا ... فلم يشعر وقد خلع العذارا
إذا يبدو امرؤ من حي ليلى ... يذل له وينكسر انكسارا
ولولاها لما أضحى ذليلا ... يقبل ذا الجدار وذا الجدارا
أباحت وصلها لكن إذا ما ... غدونا من مدامتها سكارى
شربناها فلما ان تجلت ... نسينا من ملاحتها العقارا
وكسرنا الكؤوس بها افتتانا ... وهمنا في المدير فلا مدارا
وصار السكر عند الوصل صحوا ... وأين السكر من حسن العذارى

وقال أيضا من أبيات :

فلم أبرح مقيما في ذراها ... أعلل من رضاها بالتمني
ويكفيني ارتياحا في هواها ... وفخراً ان تقول إليك عني
لان خطابها سؤلي ومالي ... ولو بتوعد إياي تعني

وقال ايضا (في أدب الخدمة) :

لازم هواك ولا تجزع من التيه ... فالوصل والهجر كل من معانيه
واصبر إذا أظهر المحبوب عزته ... فالحب للمحب حقا من يواتيه
فسيمة الصدق منك أن ترى فرحا ... بكل حال لك المحبوب يبديه

وقال أيضا :

إن طار عقل الذي قد شم رياك   فكيف حال الذي قد نال رؤياك
لا عتب إن ذاب من نار الغرام ومن   يبقي من الكون إذ يبدو محياك
سبقت فى الحسن حتى صار كل جمـــال فى الخليقة [1] من إشراق معناك

وقال أيضا :

عقدي باخلاص الغرام ضمائري   لم يبق لي بين الورى من ساتر
إن لم يبح يا عاذلي نطقي به   شهدت علي به شهود ظواهري
داءي العضال وحالتي أودى بها   جلدي فلست عن الحبيب بصابر
قطعت من وله الغرام مقاودي   وجعلت فيه مواردي ومصادري
فدع الملام فما على صب إذا   خلع العذار لاجل وصل الهاجر
لو أبصرت عيناك ما أبصرت لم   تعتب علي وكنت حقا عاذري

وقال أيضا :

بح بالغرام وبثه نرتاح   واشرح هواك فما عليك جناح
واصبر على لوم العذول فان إلـــقاء السلاح من الملوم سلاح

وقال :

يا راحة الروح ما أجلك   أنت الذي حزت كل زين
ولم تزل في الوجود وحدك   فرداً نزيها عن كل أين
طوبى لقلب غدا محلك   ولم يعذب بنار بين

وقال :

سلوا الحب عني هل أنا فيه مدعي   فإنه يدري في الصبابة موضعي
وإن رام جحدي في هواي فان لي   شهوداً لحالي فى رسوم الهوى نعي

---

١) في نسخة « في الحقيقة »

سهادي وذلي واكتئابي ولوعتي ووجدي وسقمي واضطرابي وأدمعي
وهجران أوطاني وفرط تولهي وشدة إحراق الحشا وتفجعي

وقال :

جمعت في حسنك المطالب فما علمنا سوى النظر
وكل شيء نراه غائب لما بدا وجهك الاغر

يا سيدا كلما تجلى إلى محب له خضع
أنت بعز الكمال أعلى من كل من فى العلا أرتفع
وكل حسن بك تجلى طوبي لمرء بك اجتمع

مشارق الكون والمغارب كل إلى نورك افتقر
وأنت فوق الجميع غالب لانك العين والأثر

يا نور عين العيون طرا يا غاية القصد والمراد
سقيتني من بهاك خمرا أحالت النوم للسهاد
فلم أجد في هواك صبرا يا ساكن الجسم والفؤاد

هجرت من أجلك الحبائب إذ ليس لي دونكم وطر
وصار عندي من العجائب وجود من عنكم صبر

وقال رحمه الله

ما للعذول غدا باللوم يوذيني أليس يعلم فى نهج الهوى ديني
إني على مذهب في الحب لو عذلت فيه البرية ما كانت لتلويني
صبغت فيه بألوان بلغن إلى عقلي فما يرتجى كشف لتلويني
لقد رضيت بذلي في محبته وإن دعيت به من المجانين

وقال في الوقوف بين يدي المولى الكريم :

وأحسن أحوالي وثوقي بفضلكم ... وأني على أبوابكم أتملق
فلله ما أحلى السؤال افاضل ... عظيم الندى منه العطاء محقق
فلا عفوه عن زلة متقاصر ... ولا فضله عن فسحة القصد ضيق
له خلق أن لا يخيب سائلا ... وجود به كل العوالم يغرق
فلذ بالذي يبغي الماج بفضله ... ويغضب إن عنه العفاة تفرقوا
وعذ بالذي يستحقر الكون كله ... عطاء إذا القصاد بالباب حلقوا
وكن ساكنا يا صاح إن كنت كيسا ... إليه ودع من بالسدى يتعلق
فذو فاقة والله ليس بنافع ... لذي فاقة إذ فقره به محدق
وداوم على ذكر الغني حقيقة ... تكن ذا غني فالطبع المطبع يسرق
ولا تعد عنه في أمورك كلها ... فمن يعد عنه فهو والله أحمق

وقال أيضا :

يا مالكا قد عز في سلطانه ... وتقاصر الكرماء عن إحسانه
عفواً على عاص غدا متفرداً ... عن أهله طراً وعن إخوانه
كل يسلمه ولم يبق الرجا ... للعبد إلا فيك لا أعوانه

وقال في ذكر الله والذاكرين :

ذكر الاله به ينال رضاه ... ويزول عن بصر الفؤاد عماه
كم قد سما بدوامه من مخلص ... فيه فأشرق في الوجود سناه
علقت به الاكوان لما ان غدا ... هو ناظرا منها الى مولاه
أضحى غنيا بالاله عن الورى ... يا سعد من أغناه ما أغناه

هذا قليل من كثير من الشعر الموزون البديع

وله من التوشيحات والازجال ما يعجب ويطرب أهل الفن، فمن ذلك قوله.

قبل خمر الدنان   والكروم والعصر
أشرقت في الجنان   شمس هذا الخمر

كم لتلك الشموس   في القلوب من أسرار
لونها في الكؤوس   يحكي ضوء النهار
لو رأتها المجوس   ما اصطلت قط نار

وردة كالدهان   للعليل تبري
شربها لي أمان   من شهود غيري

وقوله :

زال عن قلبي ثواه الفنا   وصفا أمري
إذ غدا لي كل ربع وطنا   وانتفى نكري

كل ماء قد حوته شربتي   فأنا ريان
لست يوما أحتسي من خمرتي   وأنا نشوان
من رآني ثابتا في حيرتي   ظنني وسنان

لم أزل بين هناك وهنا   دائما أسري
وأزج الفقر في عين الغنى   إذ هما سري

من جيوبي كل طيب عبقا   عند إيقاني
عجبا كيف ينافيني البقا   فأرى فاني
ووجودي كل شيء سبقا   ليس لي ثاني

ظاهر مني ما قد بطنا   فاعرفوا قدري
من رآني يجتني زهر المنى   مدة العمر

وقوله في الشهود، وفى ربط الحس بالمعنى، واندراج الكون في الكائن.

بخرت بالطيب عند ذكري إياه   من شدة الحب تعظيما لعلياه
فهب منه نسيم قد عرفت به   أن الذي فاح منه الطيب معناه
فصرت إذ ذاك فى عين اليقين أرى   أن ليس في الكون بالتحقيق إلا هو

وقوله :

أنت في الدجا كي لا يراها رقيبها   ويخلص من شر الوشاة حبيبها
فنم بها إشراق نور جمالها   وأخبر عنها إذ تضوع طيبها

وقوله فى الفناء، وفي وحدة الوجود في الشهود.

زعموا بأنك في الفؤاد وهل لمن   أضحى يراك من الانام فؤاد
ذهب الفؤاد فما سواك بكائن   أنت المريد حقيقة ومراد

وقوله فى لذة المعرفة :

من شدة الاشواق   لبهجة الاوطان
أمر في الاسواق   وإنني نشوان

بخمرة المآس   تقرب الافراح
حتى يعود الآس   من روضها بالراح
وهل يداوى الآس   كما تداوي الراح

تهذب الاخلاق   وتصلح الابدان
ولونها براق   فى سائر الاكوان   الخ

والشيخ الحراق فاوس أيضا من فرسان الشعر المغربي الملحون واسمع إن شئت قوله (في الحضرة الالهية) أو في الامتنان والرجاء والتفويض .

جاد الزمان واستبشر قلب الهائم ونحلى بالسعد حين طاب مناه
انكى الحسود وظفر بالعز الدائم واصبح يتبختر في ثياب هناه

طاب السرور، بين البدور، بيض النحور
فاغنم كأس الراح ها حبيبك زار
اسق ودور، وانف الشرور، طول الدهور
ساعات السلوان فايدة لعمار

وات المليح واعص في اللوم اللائم واعمل في ايامك كل ما تهواه
وانشد من شعارك في الحسن نغائم نجمك صاح صار في الصعود اسماه

صل الشراب، فالنكد غاب، والخير طاب
واسرج الفرجات شعشعت لنوار
رشف الكواب، مع الحباب، عين الصواب
فازهى في زمانك لو تعيش نهار

نظرا في الحبيب تمحي كل جرائم الرحمان الرحيم باللي يرجاه
إذا ما رضى ما تنفع عزائم لو بعمال الخير كلها تلقاه

وقوله :

زار حبيبي بعد ما جفا وتبدد كربي
وتيقنت بخاطرو صفا حين بغى قربي
وجذبني بالصدق والوفا واقلع عن حجبي
وظهر لي سر ما خفى عني في جذبي
نار غرامي ما تنطفا عمري من قلبي

ما مني ليلو مخالفا يقتل أو يسبي
ونا حالي ما ينتفا راسخ في شربي

وقوله :

دار حبك في القلب اكْدات يا اللي ذاتي فيه فنات
ما يلي تحت احكام القهر في اهواني
انكويت بجمر الفضا يعذرني اللي يشوفني موله في احوالي

صون سري في الحب سكات الهوى صولاتو صولات
كم ساع بلبال امحاينو رماني
ونا زاهي بما قضى نتقلب من امتي على نار اهوالي

زال عقلي ومشيت شتات لا حبيب نعرفو هيهات
حين ريت جمالك عن كل شي دهاني
سكران خرجت للفضا نور بهاك على الدوام بارز لتجالي

ما يلي في غرامك جهات كل شي هو عين الذات
غير سرك يظهر في قوالب المعاني
معروف بعلايم الرضا للي قلبو ما يرى عن وهم خالي

يااللي والع بالفرجات كب خمرك واشرب طاسات
ها حبيبك تراه إذا أنت تراني
في ثياب الصون والخفا خافي عن عين الرقيب ساكن في أوصالي

قم وارقص واغنم لذات فيدة عمرك ذا الساعات
طال هجر حبيبك واليوم راه داني
وتلاق كل ما مضى وانت في الهجر طريح بهبالك سالي

وقوله : صاحيا في الانبساط

جن الليل عليا حتى ظهروا لي كواكبو
ولطف ربي بيا ووفى لي المرغوب

بان حبيبي ليا مدا لي ونا نراقبو
واللي فيه النيا يظفر بالمحبوب

روحي ليه هديا عمري فيها ما نطالبو
ويدا يرضى بيا أنا لو المكسوب

وقوله : (في الحضرة والوحدة) وفي الجمع بعد الفرق

جاد علي برضاه
الحبيب اللي حبيتو زارني ونعم ليا بالوصال
حين اشرق نور بهاه
كل شي بالقهر نسيتو يا هلي عقلي إذا شفتوه زال
ما بيا غير هواه
بان فيا بعد ما خفيتو والغرام إذا هو تقوى وصال
ما يقدر من يلقاه
شوف حالي حين لقيتو حاط بي وقهرني بالنصال
كلي فالحق مناه
قال لي غيرك ما ريتو يا اواله زول شك الخيال
ما ثما غير الله

خمس رسائل من خط الشيخ الحراق رحمه الله

وللشيخ الحراق رحمه الله، رسائل عديدة كان من حين لآخر يبعثها الى بعض أصحابه جماعات وأفرادا في مختلف بلاد المغرب، وخصوصا مدينة فاس المجيدة التي كان (كما قلنا) يتردد عليها كثيرا، وكان له بها أصحاب من خيرة الاصحاب، أهل العلم والفضل، وتلك الرسائل تعد من أهم آثار الشيخ الحراق، لانها تبين حقيقة نفسيته وطريقة تربيته وإرشاده، وهي كلها علم ومعرفة وهداية الى الصراط المستقيم، وجلها موجود في كتاب «النور اللامع البراق» للشيخ محمد بن العربي الدلائي الرباطي، وبعضها مطبوع في كتاب بغية المشتاق للفقيه السيد عبد القادر الورديغي الشفشاوني.

وفي إحدى زياراتي لمدينة فاس عام 1371 هـ اجتمعت بصديقي الفقيه النبيه سيدي محمد ابن الفقيه العلامة الصوفي سيدي محمد بن سودة، فأحضر لي أربع رسائل كتبها الشيخ سيدي محمد الحراق رحمه الله إلى أصحابه بفاس، والثلاث الاولى منها كلها بخطه، والرابعة جلها بخط غيره، وأواخرها بخطه.

ومما يلفت النظر، ان في بعض هذه الرسائل، فقرات غير مثبتة فيما نشر منها بكتاب السيد محمد بن العربي الرباطي رحمه الله.

ودونك النصوص الكاملة لهذه الرسائل منقولة من أصولها المحفوظة إلى الآن لدى آل بني سودة الكرام حفظم الله.

الرسالة الاولى إلى الفقيه الوزير الاديب السيد محمد ابن ادريس بفاس ونصها:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

نحمدك اللهم حمد من طاول بالانحياز إليك السماك فخرا، ونشكرك شكر من أنعمت عليه بجعل سماك له على الدوام ذكرا، ونشهد أنك الله الذي بهرت الالباب، وأبديت من الابتداع العجب العجاب، إذ أضمرت نورك في ضمائر الاغيار، وأظهرت المجبور في قالب الاختيار، ومكنته بسطوة الحقيقة من رسوم الانفعال، فتوهمها بحكمة الشريعة رسوم الافعال، فصار يدعي بنفسه الاقبال والادبار، ويزعم بغبش النسبة إليه المعبر عنه بالاكتساب أنه معك موجود، إذ قلت إنك معه في الاعلان والاسرار، وما درى أن معيتك تفيد تلاشيه في عين وجودك، وأن المقصود من ذلك دلالته على تحقق الانفراد لك بمحض كرمك وجودك، وإلا فأنى يجتمع الليل والنهار، ومتى يوجد الظلام مع طلوع الشموس والاقمار، يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم، أم كيف يثبت

الحدوث مع من له القدم . ونومن بأنك إلاله الاعلى ، والدال على أن الوصول إليك لا بد فيه من الخدمة، إذ قلت في حق رسولك عليه السلام، ثم دنى فتدلى، ونصلي ونسلم على من أوضح لامته أفضل طريق في الارادة، وترقى في العبودية حتى تلقى من ربه، للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، وعلى ءاله وزرائه وأصحابه أمنائه .

وبعد سلام تام ، ورحمة من الله تعلى وبركات كل ذلك شامل عام، على الاخ في الله العالم العلامة الاديب البليغ الدراكة الفهامة الذاكر المجد الافضل ، والجامع بين الحقيقة والشريعة الامثل، ناظم الدر النفيس أبي عبد الله سيدي محمد بن إدريس، فقد بلغنا كتابكم وفهمنا ما فيه وحمدنا الله على عافيتكم وسلامتكم وما أنتم عليه من محبة الله ورسوله والجنوح للاخوان فاني سئال عنك كثيرا لانظر هل نفع الله بلقينا لكم ، وإني لارجو من الله خيرا إن شاء الله . هذا وأعلمك يا أخي أن الدخول في هذه الطريقة وتعاطيها، كالدخول في الاسلام وتعاطيه عند المحققين ، فكما أنه لا يكمل إيمان المرء حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، حتى روحه التي بين جنبيه ، ووجبت محبة الرسول لانه يبلغ المرسل إليه ما يؤديه للايمان بالله عموما ، فكذلك لا يتأتى وصول المريد حتى يكون الوصول إلى الله ومن يؤديه إلى الوصول إليه أحب إليه مما سواهما ، حتى روحه التي بين جنبيه ، وكما أنه يهاجر في طوع الاسلام بسربه ، كذلك يهاجر في طوع الوصول بقلبه ، وكما أنه يجاهد العدو الكافر ليلا يفسد عليه حاله الظاهر، بان يرده عن إسلامه، كذلك يتعين عليه أن يجاهد نفسه ليلا تفسد حاله الباطن فتصده عن وصوله ، وقس على ذلك بقية الاحوال ، واعلم يا أخي أن التقرب بالفرائض خاصة لا يفيد الوصول ، لان الوصول ينشأ لا محالة عن شدة المحبة المؤدية للفناء في المحبوب، وذلك إنما يفيده التقرب بالزيادات، وأما الفرض الذي يؤديه الانسان بقهر الايجاب، فلا يفيد إلا السلامة من عقاب المخالفة . ودخول الجنة كسائر العوام، ولا يغتر الانسان بخطاب الله ورسوله لبعض الافراد في نوازلهم الخاصة بهم ، . . . . بترغيبهم في الفرائض حيث يرى منهم التقصير في الفرائض أو القصور عن التعلق بالزيادات . وافهم هذا إن شئت من قوله تعلى في الحديث القدسي ، لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الخ الحديث، وقد كان الناس فيما سلف يترقون في نوافل الخيرات، والمشائخ أهل التربية ينظرون في أحوالهم على حسب ما يرون نفوسهم مائلة إليه ، إذ لا يحجب الانسان إلا ما تميل نفسه إليه ، فيامرون بعض أصحابهم بالذكر ، وبعضهم بالصلاة ، وبعضهم بالصدقة ، وبعضهم بالصيام ، وبعضهم بترك الاسباب، وبعضهم بتعاطيها، إلى غير ذلك من الاحوال، ليلا يعلق بالمريد ما يصده عن الله ، كما يأمرون من أعضل داؤه بخدمتهم وخدمة الاخوان ، لان جذب

الهمم ، من أعظم مواهب الفضل والكرم ، حتى يصل بجلب القلوب ، إلى حضرة علام الغيوب، لان المريد كلما جلب إليه قلبا انبت له الله للطيران لحضرته جناحا، وعلى قدر توغل ذلك القلب المجلوب في الحضرة، يعظم ذلك الجناح ويقوي الطيران فتجد الانسان يحضر مع الله بجلب خاطر زيد، أكثر مما يحضر مع الله بجلب خاطر عمرو ، وأما من يسعى في جلب خواطر الغافل عن الله ، فانما يفيده ذلك بعداً من الله ، لانه ضم بعد غيره إلى بعد نفسه ، وافهم هذا من قوله عليه السلام فروا من المجذوم فراركم من الاسد، ومن قوله، باعدوا بين أنفاس الرجال وأنفاس النساء ، وقول مولانا، «لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء» لان الكافر إذا انجذب قلبه إلى المومن أثر فيه ظلمة أشد من ظلمة انجذاب قلب العاصي ، وقال عليه السلام لا تسئل عن المرء واسئل عن خليله فلينظر أحدكم من يخالل. ولذلك اختار المشائخ المريد مجالستهم عن مجالسة الاخوان، ومجالسة الاخوان - وافهم معنى الاخوان - عن الخلوة، والخلوة عن مخالطة أهل الغفلة، ثم إن كل ما كان من قبل يامر به المشائخ من نوافل الخير ، لا بد في زماننا هذا من التخفيف عنه ويقع الوصول به إن شاء الله لمن صدق الله في إرادته، لان الانسان اليوم يؤثر في قطعه الى الله الدرهم الواحد، أكثر مما يؤثر في السلف الصالح الالف وتؤثر فيه الصلاة الواحدة، أكثر مما تؤثر في السلف الصالح مائة صلاة، ولذلك جاءت شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم الكائنة في وقت قريب من غروب شمس الوجود، بالتخفيف حيث لم تحرم الا الخبائث ، وانظر الى الامراء فيما سلف . والآن يزيدون الرعية في التكاليف ظناً أن ثقل ذلك في هذا الوقت يفيدهم طاعتهم ، وليس الامر كذلك، بل ذلك يؤديهم الفتنة عن الله فيزدادون بذلك بعداً عن الطاعة، فمنهم واليهم، والله يلهمنا واياهم طريق الصواب ، ثم ان الشيخ الآن يتعين عليه أن يحمل من حال المريد ما لا يحمله من تقدم لقوة خبث من تثقله الصلاة الواحدة والدرهم الواحد وصيام اليوم والخدمة في بعض الاحيان دون بعض ، ولذلك تجد الداخلين في الطريق كثيرين ولا ينجح إلا الفرادى، وسلم منا يا أخي على جملة الاخوان، واقرأ عليهم هذا الكتاب وفهمهم إياه، ومل إلى الله علانية، يميل الله إليك علانية، وسياتيكم كتاب آخر بعد هذا إن شاء الله إذا تم يمكن القدوم ، وإن كتب الله اللقي سأوضح لكم الامر إيضاحا شافيا إن شاء الله ، وقد بلغ طيبكم طيب الله بذكركم الكون كله ، وبارك فيكم وفي ذريتكم والسلام .

محبكم محمد بن محمد الحراق الحسني العلمي كان الله له

الرسالة الثانية إلى أصحابه فقراء فاس

وقد أرسلها إلى صاحبه وتلميذه الفقيه سيدي محمد بن الطالب ابن سودة وكتب على ظهرها بخطه ما نصه :

«تصل إن شاء الله ليد أخينا في الله العلامة الدراكة الاجل الافضل البركة ولي الله تعلى سيدي محمد ابن العلامة المرحوم سيدي الطالب بن سودة المري بفاس» .

ونصها :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

نحمدك اللهم بأبلغ ما تحمد به على وصفك الجميل، ونشكرك بأقوى ما تشكر به على فضلك الجزيل ، ونشهد أنك الله الذي لم تزل تخرق العوائد ، وتبسط للكافة موائد الفوائد، فيتناول كل واحد من الخلق بقدر ما تبلغه مقدرته، ويبتلع عقله من ذلك على حسب ما تسعه غلصمته، وأبديت في ذلك من الصنع الباهر، والعجب الظاهر ، ما تكل دون إدراكه الافكار، وتغيب عن حضور حقيقته الاراء والانظار، لانك تبرز الطعام الواحد مختلف المذاق ، وتظهر الحقيقة المتحدة محفوفة بدواعي الاختلاف فيها وعدم الاتفاق ، حتى جعل الانسان في نفسه ، يختلف في مصادر حسه، فمن قائل وقوفا مع الظاهر إنه يخلق الافعال ، ومن قائل وقوفا مع الباطن، انه مجبور ليس له ادبار ولا اقبال ، ومن هارب من هذه الاخطار، يقول، انه مجبور في قالب الاختيار، كل ذلك مع الحجب بالوجود الموهوم، والغيبة عن العدم الملازم للحادث، إذ لو كان موجودا حقيقة لقام بنفسه كما في الموجود الحقيقي معلوم ، ولما أضمرت ما أبديت ، وطلسمت ما أخفيت، قلت في طائفة خذاها عدلك ، وشرذمة وفقها فضلك، ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ، كل ذلك اشهار للتحقيق، واظهار لمزية ذكرك الداعي لائتلاف الخواطر في خاطر واحد هو الايمان بك عيانا وحصول التصديق، ونصلي ونسلم على سيدنا ومولانا محمد من جعلت شريعته أوسط الشرائع، وطريقته أقرب الطرق للوصول الملك بشاهد والذوق من غير مخالف ولا منازع ، اذ خلاف الجاحد وفاق، والقول بدون حجة باطل بالاطلاق ، وعلى آله أنهار مائه الجاري ، وأصحابه نجوم الهداية للسائر الساري.

وبعد سلام أرق من نسيم الاسحار ، وأضوأ من هياكل الشموس والاقمار ، ورحمة من الله وبركات، ينفح طيب بركتها من جميع الجهات ، على اخواننا في الله وأحبائنا من أجله ، السادات الفضلاء الاجلاء الاخيار ، والذاكرين الحنفاء الابرار ، أولياء الله تعلى ، القاطنين بفاس الادريسية ، دفع الله عنا وعنها كل محنة وبلية ، فأنهي لكريم عقلكم المنير ، إذ كلكم والحمد لله من ذوي التقديم والتصدير ، أنه لا يخفى عنكم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المومن مرآة أخيه ، وأن ذلك عند أهل الظاهر معناه أن ينظر في أحوال أخيه ، وعند أهل الباطن معناه والله أعلم، أن المومن تنطبع في باطنه أحوال أخيه في الله وصورته وعوالمه كلها ، حتى كأنه وإن غاب عنه بمنزلة الحاضر معه من شدة اتصال أرواحهما في عالم الغيب الذي ليس فيه حجاب الكثائف، وذلك الاتصال ناشئ عن كون الله نظر إليهما نظرة متحدة أفضت إلى ائتلافهما ، وقد أشار لهذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله لاصحابه ، والله لا يغيب عني سجودكم ولا ركوعكم ولا خشوعكم ، أو كما قال عليه السلام ، وأنتم يا إخواننا وأحباءنا وإن غبتم عنا ، فلا والله ما غبنا عنكم ، وإنا لنرى والحمد لله أشخاصكم وصوركم في قلوبنا حتى إنه ربما كشف عنها في بعض الاحوال العيان ، ونفرح لما نعلمه من اجتهادكم وقوتكم في الله والعكوف على ذكره والاجتماع على ذلك، فنحبكم أحبكم الله، أن تتراصوا في الذكر ، ومعنى التراص فيه، أن تكونوا فيه بقلب واحد ولسان واحد، وأن تبدأوا الذكر بترتيل ، ولا تسرعوا فيه حتى يرد الاسراع من القلب عند توغله في الحضور ، وأن تثبتوا على أوصاف العبودية لتستمدوا من أوصاف الربوبية ، لان الله تعلى جعل الاضداد كامنة في الاضداد ، فالعلو كامن في الحنو ، والعز كامن في الذل ، والحضور معه كامن في الغيبة عن سواه ، ثم اعلمكم يا إخواننا أن هذه اللطيفة النورية التي اختص الله بها الانسان ، أصلها في القلب مطلسم عليها بدوائر الحس المجتلبة من عالم الجسم ، وبحسب إزالة تلك الدوائر عنها ، يقع الادراك ويتسع العلم ويقوى مدد النور ، لانه لا نهاية له ، وذلك بمنزلة العين التي يزال عنها ما بها من العشب المانعة لها من قوة الجري، إلا أن الله جعل الناس في ذلك متفاوتين، فمنهم من يقوى على إزالة ذلك ، ومنهم من يضعف عنه ، والقادرون على الازالة متفاوتون، فمنهم من يزيل عنه من الدوائر الحسية ، المقدار الذي يفيض به ذلك النور عن جوانب القلب فيكون سريع الادراك، ولكن لا يدرك إلا الامور الجلية من عالم الظاهر، ومنهم من يزيل عنه المقدار الذي يصل به ذلك النور لعالم الدماغ ، فيكون نوري الادراك خائضا في بحر المعاني اللطيفة من عالم الظاهر، وهذا منتهى ما تصل إليه تصفية أهل

الظاهر، لوقوفهم مع الكثائف بحصرهم النظر فيها ، ومن الناس من يقويه الله بكثرة الاذكار والانحياز إلى طائفة الذاكرين وصحبة المشائخ حتى يخرق عادة نظره في الكثائف بالانتقال عنها حتى يفيض ذلك النور عن دوائر الدماغ فيسبح في عالم النور ويخرج من ضيق الوجود إلى فضاء الشهود ، وكل مكون من الداربن كثيف يتعين على المريد أن يديم ذكر الله حتى يخرج عقله عن النظر إليه، فدوموا بارك الله فيكم على ما أنتم عليه ، وشدوا أيديكم على ذكر ربكم ، وأنسوا كل شيء به ، وأنسوا أيضا الذكر بالمذكور ، وكل ما يجد عقلا يقف فيه ، فانقلوا نظره عنه حتى تروا شيئا لا يجد عقلا يقف فيه ، لكونه ليس كمثله شيء ، ونسئلكم جميعا صالح الدعاء وعلى عهدكم ومحبتكم والسلام .

محبكم ومجلكم محمد بن محمد الحراق الحسني العلمي

كان الله له

الرسالة الثالثة إلى أصحابه فقراء فاس أيضا

وقد كتبها بخطه أيضا وهي مؤرخة بثالث عشر رجب 1246 . ونصها :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

نحمدك اللهم على أن شرحت بأنوار معرفتك أفئدة وصدورا ، وسرحت عيون العيون من خلقك إليها بحكم السابقة ، فلم تجعل لهم عن ورود مائها صدورا ، ونشرت أوصالهم بنفحة القدم حتى هد ما طوت من وصالهم نفخة العدم هدا ، وقلت ايلا يانف عن خدمتك الشريفة أنف خديم ، أو يستنكف إذلال نفسه لك في موطن إعزازه ذو منصب عظيم ، إن كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبدا ، فهدمت المراتب كلها بوصف العبودية ، وهزمت عزة النفوس قاطبة بمهابة الربوبية ، حيث ألزمتها مقاما لا يقوم أحد بحقوقه ، فهي أبدا تخشى من جنابك الرفيع طردا وبعدا ، ووسمت الجميع بسمة الفقر إليك ، ونبهتهم من فضلك بوصفك بالرحمانية على التعويل عليك ، فتعلق النبهاء منهم بأذيال فضلك ، وتبرؤوا من سواك وإن أركبهم ذلك تعبا وكدا ، وجعلوا حضرتك معتكف أسرارهم ، وذكرك محل إعلانهم وإسرارهم ، وشدوا بصدق العزائم رحال الهجرة إلى حصن الكون عندك شدا ، ونصلي ونسلم على من جعلته في الخلق أول المظاهر الكونية ، وعند البعث أول المظاهر الشخصية ، تنبيها على أنه باب المعرفة بك في الدارين عكسا وطردا ، فكان مشربه عليه السلام أول المشارب من نور القدم، ولذلك كان «لا إله إلا الله محمد رسول الله» أول ما كتب القلم، وعلى آله وأصحابه الذين أسكرتهم بخمر شهودك فبرزوا في الحروب ملوكا وأسدا .

وبعد سلامنا على السادات الفضلاء الاجلاء، الاكرمين المعظمين النبلاء، إخواننا في الله وأحبائنا من أجله من أهل فاس الادريسية ، دفع الله عنا وعنهما كل محنة وبلية ، فاعلمكم أعلمكم الله خيرا، ووقاكم شرا ، أن الله تعلى إذا نظر نظر الرحمة إلى ألف قلب أو أكثر ، وجدتم تلك القلوب تألفت جميعا على ما يؤديها إلى رحمة الله تعلى وإن كان بعضها بالمشرق وبعضها في المغرب ، حتى تروا الانسان وهو بالمشرق يحب الرجل وهو بالمغرب بمجرد تعارف القلوب ، من حيث إن الله تعلى نظر إليها نظرة متحدة ، ولكن يا اخواننا وأحبائنا ، كما تعلمون، رحمة الله تعلى واسعة جدا، فهي أنواع متفاوتة بعضها أرفع من بعض، وأنتم إذا تأملتم بالقوة الناطقة، والفكرة الصادقة، أنواع

الرحمة التي رحم الله بها عباده ، لم تجدوا فيها أفضل من الاشتغال بالله، والاقبال عليه والادبار عن كل ما سواه ، والعكوف على ذكره في جميع الاوقات ، وإن كان ذلك يؤدي إلى تعطيل بعض رسوم النفوس وتفويت بعض حظوظها ، ولكن إذا ذاق الانسان حلاوة الايمان ، وكوشف ببهاء نور الحقيقة ، هان عليه ما فاته من حظوظ نفسه قطعا وزهد بحكم القهر في جميع الحظوظ فضلا عن بعضها ، لتمتعه بالنظر في عالم القدم ، وغيبته عن عالم الهم والغم ، والحزن والكدر والعدم ، وأنواع الفرق كلها ، وأحضكم ولا بد ولا بد ولا بد على الاجتماع بالزاوية يوم الجمعة وبغيره من الايام إن أمكن ولو في غير الزاوية عند بعض الاخوان ، لان جدار العبودية لا يقوم إلا باحجار الاخوان غالبا ، ولذلك سنت الشريعة الاجتماع في الصلوات الخمس والجمعة والاعياد وموسم الحج، ولا بد لتلك الاحجار من طين يضم بعضها إلى بعض، وذلك تراحم الاسلام والايمان، ويشتد التراحم بالاجتماع على شيخ واحد ، ولا بد من معلم يناسب تلك الاحجار بعضها مع بعض حتى يتماسك الجدار ويستقيم ، وهو الشيخ أو نائبه ، ولذلك جعل الشارع لكل جمع في الصلوات الخمس والجمعة والاعياد وموسم الحج إماما يقتدى به ، وقال ، إنما جعل الامام ليؤتم به، ولا بد أن يكون ذلك المعلم عليما بدسائس عيوب البناء ليلا يكون بناؤه مختلا ، وبكيفية وضع الاحجار في محالها وكيفية نجرها وتهذيبها إن احتاجت إليه، لان كل مولود يولد على فطرة الاسلام، حتى يلتصق به الحس وهواجس النفوس، وأول ما يناله ذلك من عشيره الاول وهو والده، ولذلك قال عليه السلام فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، وبمخالطة أهل الحس يلتصق الحس أو يزيد إن كان في الانسان ، ومخالطة الاخوان ، قطعا تفيد الانسان خيرا ، واقتدوا بأهل الجد في جدهم، ولا تقتدوا بأهل الهزل في هزلهم، وتعلوا في التراحم فيما بينكم حتى تكونوا كالجسم الواحد إذا اشتكى بعضه تألم جميعا كحال ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المومنين ، واطرحوا من عقولكم الخواطر كلها ، ليحصل الصفاء المؤدي إلى مكاشفة الانوار ، وظهور المعارف والاسرار ، وذلك يتأتى بملاحظة الانقطاع إلى الله سبحانه بترك التفكر فيما سواه ، وذلك لان الناس غالبا يفتنهم عن الله ملاحظة الثواب، وأنتم لا تعتمدوا شيئا من ذلك ، لان أكثر الناس طلبا للثواب، أشدهم زهدا في الله ، إذ لو كان يحبه سبحانه ما طلب سواه ، ولم يطلب إلا هو ، ولم يقنع منه إلا به ، ولا أقبل الا عليه ، ولا يهم الا بذكره ، ولذلك قال عليه السلام في الحديث القدسي من شغله ذكري عن مسئلتي ، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وذلك المعطى فيما نفهم والله أعلم ، الذي هو أفضل ما يعطى ، هو مكاشفة أنوار ذاته ، لان المريد في ابتداء سيره ، يكون قوله لا إله إلا الله نفيا للالوهية عن كل ما سوى الله تعلى، وفي وسط

سيره يكون قوله «لا إله إلا الله» استعظاما لله لما يشاهده من أوائل أنوار عظمته سبحانه، وذلك عند ما تلوح عليه أشعة طلوع الحقيقة، لكونه حينئذ مستشرفا عليها، منحرفا عن محاذاة قبلتها ببقاء شهود شيء من خيال ذاته ، فاذا طهره الله من هذه البقية وتناهى الى مستوى التفريد وجاء الحق وزهق الباطل، صار يقول «لا إله إلا الله» إعلاما بما يشاهد من انفراد الحق سبحانه بالوجود ، وبيانا للواقع في نفس الامر فلم يكن عنده حينئذ نفي ولا إثبات لعدم وجود ما ينفى، والذي يقوله حينئذ من «لا إله الا الله»، يكون تقريراً وايضاحا لمعنى الانفراد لا غير ، على نمط قول الله سبحانه ذلك في الازل وفيما لا يزال ، إذ كلامه سبحانه منزه عن السكوت، فالعارفون يقولون كلمة التوحيد على نمط توحيد الله تعلى لنفسه بنفسه في الازل وفيما لا يزال ، والملائكة فيما يظهر كذلك، ولذلك قال تعلى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط .

جعلنا الله واياكم ممن أكرمه الله سبحانه بذلك، بجاه مولانا رسول الله عليه الصلاة والسلام .

والسلام معاد عليكم من محبكم ومجلكم محمد بن محمد الحراق الحسني العلمي كان الله له .

وفي 13 من رجب الفرد الحرام عام ستة وأربعين ومائتين وألف

الرسالة الرابعة إلى أصحابه فقراء فاس أيضا

وهذا نصها :

الحمد لله وحده   وصلى الله على من لا نبي بعده سيدنا محمد

نحمدك اللهم حمد مقر بالاحسان ، معترف بجزيل الامتنان ، ونشكرك على أن برزت في مظاهر الاضداد ، وأبطلت بعموم قيوميتك وجود الاشباه والانداد ، فالشريك لك بأي وجه على الاطلاق مفقود، وسواك في التحقيق ليس بمعبود، بل ليس بموجود، ونشهد أنك الله الذي أبديت لاهل البداية عموم التصرفات ، ونبهت بذلك الاوساط على شمول الصفات ، وأشهدت أهل النهاية من ذلك انفراد الحقيقة بالذات ، كل أعطيته من نور الاستبصار على قدر تخليه عن نفسه ، وبعده بصقل الفكر بدوام الذكر عن دائرة حسه ، وهديت الجميع لذلك اظهاراً لفضل الخصوصية التي تختص به من خلقك من تشاء ، وبيانا للكرم المحض الذي تنزه عن العوض ووجود الجزاء ، اذ لولا تأييد الخصوصية، لم يتأت لسائر السير اليك ، ولا أمكن لعارف أن يقف على بساط الشهود بين يديك ، ولكن العناية الربانية ، والقسمة الالهية ، أيدتا السائر في أحط مراتبه وهو النهاية ، بالاسراع لنوع من التوبة يكون ماحقا لذنبه، ونصرت العارف في أقبح مواقفه الذي هو الغفلة، بوجه من العذر يكون ناسخا لبعده بوجود قربه ، وبسبب توفيقك لهم للادب المناسب لمقاماتهم في جميع الاحوال ، ظهر فيهم سر الخصوصية الذي لا يكتسب بجاه ولا مال ، ولذلك اختلفت أعذار أوليائك ، وتفاوتت مناجاة رسلك وأنبيائك ، على قدر ما ألهمتهم اليك ، وفطرتهم في منازل التقريب في حضرتك عليك ، ونصلي ونسلم على نبيك الدال عليك همة بالحال ، وشريعة بالمقال ، وعلى آله خصوصا أهل العبادة اطهرهم أذيالا ، وأصحابه خصوصا المشدد في اتباعه ، القائل والله لاقاتلناهم لو منعوني عقالا ، كل ذلك حفظا للشرائع ، وتنبيها على أن كمال الاقتداء من حق المتبوع على التابع، صلاة وسلاما ننال بهما منازل الرضوان ونستوهب بهما مواهب الفتح لنا والمسلمين وعلى الخصوص جميع الاخوان .

وبعد سلام يتضوع من مقدماته طيب دقائق التفريد، وينال من رمز ما حق به مرهم فرح القواطع حتى تكمل الصحة بحصول التجريد ، ورحمة من الله شاملة، وبركة منه سبحانه متكاملة، على اخواننا الاجلاء الفضلاء، الذاكرين المجدين النبلاء ، القاطنين بالحضرة الادريسية ، دفع الله عنا وعنها وعن المسلمين كل محنة وبلية ، فاعلمكم أعلمكم الله خيرا ، ووقاكم شرا ، أنه لا يخفى على ذي بصيرة نافذة ، وفكرة للحق سبحانه

وتعلى قاصدة ، أن العاقل منا من نظر في مصالح ماله ، وعول على موطن مرجعه ومئاله ، واحترف في هذه الدار بحرفة لا تبورها مضائق الزلازل ، ولا تعطلها ضروب المحن وأنواع الغوائل . وقد رأيتم عيانا حين حمي الوطيس وشاهت الوجوه تعطيل الحرف جميعا حتى قراءة علم الظاهر ، ولم يبق قائم الوجه بلا فلس على التحقيق ، الا من كان للحق سبحانه في جميع أحيانه ذاكر ، وارتفع ثمن السبحة ، وود الغافل أن لو دام على ذكر الله سبحانه جميع عمره مساءه وصبحه ، وكل ذلك ليميز الله من الذاكر والغافل ، ويعلم على العموم أن من أعرض عنه لا محالة اليه راجع وءائل ، واعلموا يا اخواننا ان من خواص الغفلة عن الله ، أن صاحبها يزداد في المضائق دهشا في لهه، وأن من خواص ذكر الله تعلى ، أن صاحبه يزداد في الشدائد قربا من ربه ، ومن تعرف لله في الرخاء، عرفه في الشدة ، وتأملوا ما وقع لسيدنا ابراهيم عليه السلام في مضيق اندفاعه الى النار، من الغنا بالله عن جبريل عليه السلام وعن سؤال الله النجاة اكتفاء بعلم الله ، واعتبروا بقول سيد الانبياء عليه الصلاة والسلام في مضيق الغار اذ قال لصاحبه، لا تحزن ان الله معنا، وانظروا لحاله عليه السلام في مضيق حنين اذ عظم به الشهود والحضور حتى سرى ذلك في الحصباء فسبحت في كفه وقال الله في ذلك، وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ، وقوله عليه الصلاة والسلام لمن اخترط عليه سيفه ، اذ قال من يمنعك مني ، فقال ، الله ، فسقط السيف من يده اشهود هيبة الربوبية ، وتدبروا أيضا قول سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام اذ دفع للقتال ، ان معي ربي سيهدين ، وتدبروا أيضا قول سيدنا نوح عليه السلام في مضيق قوله لقومه، فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ، ان وليي الله ، الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة، وانظروا بحال الغافل عن الله فرعون حين أدركه الغرق كيف نسي اسم الله سبحانه وتعلى مع تكرره على سمعه من سيدنا موسى عليه السلام ومن السحرة وغيرهم، ولذلك قال، لا اله الا الذي ءامنت به بنو اسرائيل ولم يقل لا اله الا الله، وعظم دهشه حتى قال وأنا من المسلمين ، مع عدم إيمانه برسالة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، كل ذلك لما أصابه من الدهش والحيرة ، فتمسكوا يا اخواننا ويا أحباءنا بعروة خصكم الله بامساكها، واحمدوه على نعمة أنعم عليكم بها، وقد عجز كثير على ادراكها، وألزموا أورادكم وأذكاركم وانحيازكم الى ربكم، وقد بلغنا والحمد لله ما أنتم عليه من شدة الاجتماع على الله والتحاب والتناصر فيه وحسن التاليف والاخوة بينكم ، فحمدنا الله على ذلك غاية ، وبلغنا ما وقع من الوقوف مع الاهل وغير ذلك من الامور، والحمد لله الذي خلفنا رجالا ولم نخلف أطفالا ، فجزاكم الله خيرا ، وبارك فيكم بجاه النبي والآل ، ولولا

ضعف المرض لوسع المقام من المذا كرة أكثر من هذا ، فنسئل الله تعجيل الشفاء واللقاء بكم على جميل الاحوال ، وسلموا منا على كل محب لنا والكم ولا تنسونا من صالح الدعاء والسلام (1) .

وقد كنا في أمر عظيم تخوفا عليكم ، سائلين من الله سبحانه النجاة لنا ولكم والمسلمين ، ويعلم ما فى قلب الوالد على الولد خالق الجميع ، وعظم الله أجرنا وأجركم فيمن أصيب من أهل الاخوين فى الله الصديقين الاجل سيدي عبد الخالق الشامي الخزرجي ، والشريف الانبل سيدي محمد المنصوري ، فان لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، والسلام. والحمد لله الذي جعل الامر فى الاحباب خفيفا، وذلك كان ظني في الله والحمد لله .

وعظم الله أجرنا وأجركم فيمن أصيب أيضا من أهل الاخوين الجليلين الاودين الصديقين سليل شيخ أشياخنا سيدي عبد النبي بن عبد الله والاجل العربي الشامي ، وقوموا بارك الله فيكم مقامنا في تعزيتهم ، فعظم الله أجرنا وأجرهم ، ورحم من صار إلى عفو الله ، وجعل البركة في الباقين بجاه النبي والآل .

من مجلكم محمد بن محمد الحراق
الحسني العلمي كان الله له
عن ضعف مرض عجل الله شفاءه آمين

---

1) هنا ينتهي خط كاتب الرسالة، والفقرات التالية مع الامضاء مكتوبة بخط الشيخ نفسه رحمه الله .

الرسالة الخامسة منه إلى فقراء فاس أيضا

ثم في سنة 1385 . زارني في تطوان صديقنا الفقيه المذكور ، وذكر لي أن صديقه بل قريبه الفقيه الاديب السيد محمد بن الحسن بن سودة، أتحفه برسالة خامسة بخط وإمضاء نفس الشيخ الحراق عليه رحمة الله ورضوانه ، فشد الرحلة إلى تطوان وأطلعني عليها ، فأخذت نسخة منها مع صورة فوتوغرافية لها وهذا نصها :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

بحمدك اللهم نبتدر ، عند سبوغ النعم ، وعن التقصير في العبودية لك نعتذر ، وأنت أولى بكل فضل وكرم ، ونضرع إليك ضراعة الذليل، ونعوذ بك من وجود الغيبة عنك ، الموجب لاقامة البرهان والدليل ، ونشهد أنك الله الذي ملأت بأنوارك الوجود، فلم يبق متسع للسوى ، وأقسمت ببعض مخلوقاتك مع نهيك عن الحلف بغيرك، إشارة خفية لمن على مستوى التفريد استوى ، ونصلي على رسولك أقرب الخليقة إليك ، وأجل البرية لديك، وعلى آله الهداة، وأصحابه الثقات، صلاة وسلاما نزداد بهما في الحضرة استبصارا ، ونكون بهما على ذكرك والانحياز إليك أعوانا وأنصارا .

وبعد سلام أذكى من مسك الختام ، وأنمى بل وأهمى من صوب الغمام ، على إخواننا في الله الاجلاء الفضلاء الاخيار ، الذاكرين الجدين النبلاء الابرار ، فقد ورد علينا كتابان بخط الاخ في الله الاجل الافضل ولي الله تعلى العالم العلم سيدي محمد ابن العالم العلامة سيدي الطالب ابن سودة المري ، وذكر لنا فيه وصولكم والحمد لله بخير وعافية ، وقد كنا متشوفين لذلك من عندكم غاية ، لانا من اليوم الذي ذهبتم وأنا مشوش البال، لاني لم يرد علي أحد من قبلكم، ولا كتاب يشفي كيف وصل الاخوان، وإن كان الشريف الاجل العالم الافضل ولي الله تعلى مولاي أحمد بن سيدي محمد بن عبد السلام أرسل لي ثلاثة كتب يخبر بخبركم من قبل آل شفشاون ولكن ذلك لا يقوى قوة كتابكم ، والحمد لله على سلامة الجميع .

وأعلمكم أعلمكم الله خيرا ، ووقاكم شرا ، أن هذه الفتن التي تصيب الناس ، إنما هي كما تعلمون بسبب تفريطهم في دينهم ، وغفلتهم عن ربهم، وقلة مبالاتهم بأمره، نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، ومن أراد أن ينجيه الله في نفسه وماله وأهله من هذه الفتن ، فليرجع إلى ربه ، وليبحث عن كل ما فرط فيه من أمر دينه ، فيقضي ما أمكنه قضاؤه ، وما لم يمكن قضاؤه يستغفر الله منه على نية أن لا يعود إليه أبدا حتى يستقيم حاله مع ربه ، وحينئذ فلا يخف من شيء بحول الله وقوته لقول الله ، «إن الله يدافع

من الذين آمنوا، ولا تسروا في أنفسكم لاحد من المسلمين شرا، ينجيكم الله من شرهم، إن يعلم الله في قلوبكم خيرا ، وانصروا الله بامتثال أمره ، واجتناب نهيه ، ينصركم في كل موطن تظنون فيه الخذلان ، وتحصنوا من المخلوقين بالله ، لا بالعدة والعدد ، فان القوة مع الضعف ، والقدرة مع العجز ، والعز مع الذل ، والغنى مع الفقر ، وخذوا حذركم من أن تفتنكم العامة عن الله ، وثبتوا عقولكم بالحضور مع ربكم ، ينجيكم الله من شر كل ذي شر ، هذا وأعلمكم يا إخواننا وأحباءنا أن الله تعلى جعل عقل الانسان في جسمه بمنزلة الامير، والجوارح رعية له فلا يصدر منها أمر ولا ترك إلا بأمره ونهيه، فهو جالس أبدا على كرسي مملكة الجوارح يدبر ما يرد عليه من قبل الحق سبحانه فيها ، فكلما ورد أمر عليه ، استعمل الجوارح على قانون ما أمر به وبحسب ما يليق بكل جارحة من فعل وكف ، فهو المستخلف على الجسم من قبل الله سبحانه ، ولذلك إذا زال العقل ارتفع التكليف لبقاء رعية الجسم بلا أمير يدبر أمرها ويقودها إلى مصالحها ويكفها عن مضارها ، ثم إذا أراد الله أحدا لنفسه لا لشيء دونه ، تجلى سبحانه ببهاء نوره لعقله ، والعقل إذا لاقاه النور القديم ، انقلع لا محالة عن كرسي تدبير مملكة حسه ، لشهوده ما لا يسعه البقاء معه على ذلك الوصف ، بل يتلاشى في شهود القدم ، وهذا الامر هو غاية مطلوب السائرين، ولذلك يدومون على كثرة الاذكار حتى يلاقيه النور القديم ، ولذلك قال سيدي الششتري ، فحجتنا ترك الحجا وهو حجنا ، وإذا انقلع العقل ، بقي الجسم بالله ليس له مقود يقاد به ، ولا رسن يحبس به ، ولكن إذا زال العقل ، انكشفت للجسم مادة حقيقة وجوده ، ومن أين هو مستمد ، ومن كان له ومن هو به، فاذا هو من عين مادة العقل الذي رآه الجسم تلاشى في القدم - وافهموا - وليس بينه وبينه فرق إلا بتباين الصنعة فيصير الجسم عند زوال الواسطة التي هي عقاله يحادي العقل في دعواه فيقول أنا أنا ، ولكن العقل إذا قال أنا أنا ، قال ذلك في عالم اللطافة فلا يسمعه أحد من أهل عالم الكثافة ، والجسم إذا قال أنا أنا ، قال ذلك في عالم الكثافة ، فيسمعونه يقول أنا أنا فينكرون عليه ذلك لما يرون فيه من أوصاف الحدوث ، والخلاف بينهم إنما هو في شهادة ، ولو رأى أهل الظاهر ما رأى ، لم ينكروا عليه ، ولذلك قال سيدي عمر ابن الفارض .

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى   فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

وهذا في البداية من حال المصادمة ، ثم لا يزال العقل يأمر الجسم بكتم السر وإظهار العبودية التي كان بها أولا ، لانها أيضا (بها) يسكن ويرجع عن دعواه ظاهرا وإن كان مصرا عليها باطنا لزوال الحائل الذي كان يحول بينه وبين عالم أصله وهو العقل الذي كان له عقالا عن وصوله .

فنؤكد عليكم غاية أن تداوموا على أورادكم وأذكاركم، وعلى الخصوص أكثروا من ذكر الاسم المفرد، ولا تتركوا الاجتماع أصلا، ولا بد ولا بد ولا بد، فإنه سر الله في الطائفة، وتراحموا بينكم غاية ولا بد ولا بد، وليكن كل واحد منكم للآخر بمنزلة الاخ الشقيق الشفيق، وإذا قامت الفتنة فناموا، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، الفتنة نائمة لعن الله موقظها.

وهذا الكتاب كتبناه لكم في حال المرض نسئل الله سبحانه الشفاء، فالعبد عبد والرب رب والامر منه وإليه جميعا، ونعيد السلام على جميع إخواننا كبيرا وصغيرا، والله ياخذ بيد الجميع، وهذا ما أمكن على حال استعجال الحامل وضعف المرض والسلام.

ونسئلكم الدعاء الصالح ولا بد ولا بد ولا بد والسلام.

محبكم ومجلكم محمد بن محمد الحراق الحسني العلمي كان الله له

رسـالـتـان

وأرى أن من المناسب هنا، أن أضيف إلى الرسائل الخمس المذكورة، رسالتين أخريين هما من ذالك القبيل، والثانية منهما قد صرح فيها بأنها مرسلة إلى فقراء الرباط وقد أمل فيها أن يزورهم في آخر فصل الربيع، ولكن الله سبحانه قد اختار له ما عنده، ودونك نص الاولى من تينك الرسالتين.

رسالة سادسة من الشيخ الحراق إلى بعض أصحابه

باسمك اللهم نستفتح أقفال الاقفال ، ومن كرمك نستوهب في شهادتنا بأحديتك إعمال الاعمال ، ونومن بأنك الله الذي جعلت معرفتك على المكلف أول واجب ، وحجبت أنوار ذاتك برداء عظمتك وأنوار عزك لا بوجود الحاجب ، حتى جهل دهاة الناس من خلقك يقولون بوجوب معرفتك ببعض الصفات ، وطفقوا يستظهرون عليها في مخاصمة الشكوك برسوم الآثار والآيات ، ولما كان الاثر إنما يوصل لاعتقاد وجود أعيانها لا تحقيق عرفانها ، قالوا إن الله سبحانه لم يكلف أحداً من خلقه ، بما ليس في وسعه وطوقه ، كل ذلك حكمة ظاهرة، وسطوة قاهرة، وإلا فكيف يستدل عليك بالسوى، وأنت لاحاطتك بالوجود وجوداً بأحدية ذاتك تقول، الرحمن على العرش استوى.

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد واسطة العرفان ، وحقيقة النور الذي أضاءت به جميع الاكوان ، وعلى آله أنابيب مائه، وأصحابه أنجم سمائه، صلاة وسلاما نخرج بهما إن شاء الله من جهالة العين ، في مظاهر البين .

وبعد، فأعلمكم أعلمكم الله خيرا، ووقاكم شرا ، أن الله تعلى خلق الخلق وجعلهم ثلاث فرق ، فرقة طالبة للدنيا عاكفة على الحرص على حظوظها النفسانية ، وشهواتها الجسمانية ، ليس لها دوران إلا في تحصيل الشهوات ، وليس لها طموح إلى الآخرة ولا التفات، وهذه الطائفة هي التي عميت وهي تنظر، وأهلكت نفسها وهي لا تشعر، فتعظم يوم القيامة ندامتها ، وتقل من عذاب الله سلامتها .

وفرقة أخرى طالبة لآخرة تريد التنعم بالحور ، والجنات والقصور ، وهي أرفع همة من هذه الاولى وأسد نظرا لكونها طلبت ما يبقى ، وزهدت فيما يفنى ، ولها عند الله مقام عظيم ، وأمر جسيم ، لكونها وافقت نظره سبحانه حيث لم تنظر للدنيا التي لم ينظر الله إليها من لدن خلقها كما في الخبر ، ولكنها وإن زهدت في العاجل ، مالت نفسها إلى التلذذ بالآجل ، ولما طلبت غيره سبحانه ورضيت التلذذ بسواه، كلفها الحق سبحانه بأهوال يوم القيامة ، والمرور على الصراط ومعاينة الصحف والميزان وغير ذلك من المشاهد الهائلة التي يتهم فيها الصديق منهم نفسه ، على عدم النجاة فجعلهم لا يصلون إلى هذا المطلوب لما كان سواه عندهم إلا بمشقة عظيمة .

وفرقة طالبة لله تعلى ليس لها غرض فيما سواه ولا طلب لغيره، رفعت همتها عن الكونين ، ونفضت الجميع بكلتا اليدين ، وهذه الطائفة هي التي تخرج من القبور للقصور ، وقصورها ليست كقصور غيرها ، لان قصورها رفع الحجاب ، ودوام النظر إلى الملك الوهاب ، قال مولانا سبحانه ، «إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند

مليك مقتدر» وقال عليه الصلاة والسلام ، المرء مع من أحب، وإنما سلمت هذه الطائفة من الاهوال كلها ، لتركها في هذه الدار الاهوال كلها ، وشغب النفوس عن آخرها ، واشتغالها بربها دون شيء سواه، فلم تكلف بكلفة، لان مطلوبها ليس بعد شيء، ولا قبل شيء، ولا فوق شيء، ولا تحت شيء، ولا عن يمين شيء، ولا عن شماله ، بل به ظهر كل شيء، وقام كل شيء، فهو موجود أينما توجهوا، وحيثما حلوا، يزورونه في غير مكان، وينظرون إليه نظر الايقان، وافتحوا يا إخواننا آذان قلوبكم، فمن هذه الطائفة نطلب الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم وجميع المسلمين ، فكونوا رجالا ولا تكونوا أطفالا ، لا تشغلكم عن الله لعبة الدنيا او التشوق لبهجة الآخرة ، أو يصدكم عن الله، أهل الغفلة عن الله ، فان الله هو الحق سبحانه ، وما سواه كما تعلمون باطل ، وقبيح من العاقل ، الاعراض عن الحق واتباع الباطل ، وتهلوا يا إخواننا فيما أمرناكم به من الاجتماع ، فانه كما تعلمون من التناصر في الدين ، ولا بد ولا بد والسلام .

انتهت

رسالة سابعة من الشيخ الحراق إلى أصحابه بالرباط

والرسالة التي كتبها إلى أصحابه الفقراء برباط الفتح هذا نصها :

ساداتنا الفضلاء الاجلاء النبلاء ، إخواننا في الله ، القاطنين برباط الفتح ، أمدنا الله وإياكم بعونه ، وجعلنا جميعا من حزبه سبحانه بفضله ومنه ، وسلام عليكم ورحمة الله سبحانه الهامية ، وبركاته عن تمام الخير ودوام العافية .

وبعد فلا يخفى عليكم أن قلم الانسان خليفة لسانه ، وأن بيانه ترجمان جنانه ، وأن الاخ في الله ، أنفع للمرء من أخ النسب ، وأن حقوق أخوة النسب وإن كانت واجبة ، فحقوق الاخوة في الله أوجب ، لان الاتصال بأخوة النسب هو في العالم الفاني يزول يوم القيامة بتفاقم الحال ، وكثرة الاهوال ، بخلاف الاخوة في الله، فهي في العالم الباقي ما لها من زوال ، لثبوتها بثبوت سببها وهو الله سبحانه الدائم الباقي الذي لا يحول ، فضلا عن كونه يزول ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من أحدث أخا في الله أحدث الله له درجة فى الجنة، أي وفقه لان يحدث أخا في الله، وذلك والله أعلم، لان الاخ في الله كله رحمة لاخيه، فالجلوس معه رحمة ، والاكل معه رحمة ، والسفر معه رحمة، وتذكره بعد فراقه رحمة، لان الاخ فى الله دال على الله بجميع أحواله، ولذلك سمي بالاخ في الله ، والدرجة في الجنة عند الخاصة ، باعتبار زيادة النظر اليه سبحانه لانهم لا يعتبرون الزيادة في علو المكان ، بخلاف العامة ، لا يفهمون الدرجة إلا باعتبار علو

المكان . هذا وقد ورد علينا كتابكم الارفع وخطابكم الانفع ، وأخرنا عن الجواب ما نزل بنا من المرض والآن عافانا الله والحمد لله على عافيتكم وحيث وقع الشفاء والحمد لله ، فلا بد لنا من مزيد الاخاء اليكم ، ووجود المذاكرة فيه سبحانه معكم ، لقوله عليه السلام ، المومن للمومن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وذلك والله أعلم ، لان جدار العبودية لله وحده، لا يقوم غالبا الا باحجار الاخوان، ولذلك طلب الشارع مطلق الجمع في الصلوات الخمس، وفوق ذلك في الجمعة، وفوق ذلك فى العيدين، وفوق الجميع فى موسم الحج وجعل لكل جمع إماما يقتدى به، وقال انما جعل الامام ليؤتم به، وإذا كان الامام في تصحيح الظاهر بل عبادة الظاهر وتنقيته من مخالفة الاوامر والنواهي مطلوبا، فطلب الامام العالم بكيفية تنقية البواطن والعقول من الخواطر التي تجول في الفكر لتحول بين العبد وبين الوصول إلى العلم بربه حتى يكون أهلا لحضرته ، أشد ، لان تنقية البواطن والعقول ، أصعب من تنقية الظواهر ، والامام الذي يقتدى به في تنقية البواطن لا بد أن يكون أعلم من الامام الذي يقتدى به في تنقية الظواهر، لان الامام الذي يقتدى به في تنقية الظواهر من مخالفة الشرع ، يكفي فيه أن يكون عالما بالحلال والحرام ، ولكن لا بد أن يكون راسخا في العلم بعمله شديد القوى في ذلك حتى يمكن أن يسرى حاله في تلميذه ، ولكن إذا سرى ظاهره المنتسب بباطنه ، المشحون بالخواطر لتلميذه ، سرى إليه أيضا ما تنشب به باطن شيخه من الخواطر التي تحول بين العبد والنظر إلى نور ربه ، فيكون ظاهرا بلا باطن ، وشريعة بلا حقيقة ، فيكون من جملة العامة الذين قال فيهم الامام مالك رضي الله عنه من تشرع ولم يتحقق، فقد تفسق، بخلاف الامام الذي يقتدى به في تنقية البواطن ، فانه لا بد أن يكون عالما بالحلال والحرام، عاملا بذلك راسخا فيه كما تقدم في إمام تنقية الظاهر ولكن يزيد عليه بكون هذا الامام خالي الباطن من الخواطر ، ناظراً إلى نور ربه ، راسخا في ذلك ، بحيث لا ينقلع عن ذلك إلا ما شاء الله ، ليسري حاله الظاهر والباطن في ظاهر تلميذه وباطنه، فيكون ظاهره شريعة ، وباطنه حقيقة ، والجامع بين الشريعة والحقيقة ، هو الذي قال فيه الامام ، ومن جمع بينهما فقد تحقق .

وأما من كان خالي الباطن من الخواطر ولا يقيم الشرائع كأحوال المجاذيب ، فلا يصلح للاقتداء به وإن كان مواجها بنور الحقيقة، لانه غائب عن أنوار التوجه إلى الله سبحانه بانوار العبادات ، وهذا بالنسبة لمن سكر بروائح النور حتى غاب عن حسه ، وأما الذي يكون على عقله ويركب الحقائق بغير شريعة ، فهو زنديق قطعا.

وحاصل الامر ، أن مدار أهل الطريقة ، على شهود الحق والفناء في وجوده عن وجودهم ، مع اقامة الشرائع ، أولئك حزب الله ، ألا ان حزب الله هم المفلحون، ومن

كان كذلك فهو أمير الزمان وسلطان الوقت ياخذ من كل شيء ، ما أودع الله فيه من سره اذا نظر اليه ، ولا ياخذ عقله شيء ، لانه الله لا اشيء دونه . وهذا القدر في المذاكرة كاف في هذا الوقت ، وان أطال الله العمر ذاكرناكم وذاكرتمونا ان شاء الله ، جعلنا الله واياكم من المتحابين في الله ، الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله ، وعلى محبتكم طالبا منكم صالح الدعاء والسلام .

وان أطال الله عمرنا وساعدتنا الاقدار يكون قدومنا عليكم في آخر فصل الربيع ان شاء الله (1) والله المستعان والسلام .

انتهت

1) لكن الشيخ توفي قبل موعد هذه الزيارة . ت. و

من حكم الشيخ الحراق وكلماته

وحكم الشيخ الحراق وكلماته المتواترة ، مبثوثة في مختلف إنتاجه ، في شعره ، وفي رسائله ، وفي جل ما كتب ، وكلها تدل على عظمة الله وانفراده بالايجاد والامداد ، وعلى ضعف المخلوقات واضطرارهم اليه سبحانه في جميع الاحوال ، وهذه نماذج من تلك الكلمات :

1 ـ لا تطلب منه تعلى أن يقيمك في وصف معين ، لانك ربما طلبت منه ما حجبك به عنه ، واطلب منه التاييد في المراد ، والتحصن به من موجبات البعاد ، فالمؤيد لا يغيب بالنعم ، ولا يفتتن بالالم ، واذكر أيوب وسليمان عليهما الصلاة والسلام.

2 ـ لا تطلب ما له ضد ، فيهيج ضده عليك ، واطلب ما لا ضد له، تكن الاشياء عبيدا اليك .

3 ـ العلم النافع ، لا يسكن الا في قلب خاشع ، لان كل خاضع سامع .

4 ـ الحقيقة والشريعة شمسان مطلعهما واحد ، فمن ترك احداهما ترك الاخرى.

5 ـ إذا أحبك، كان ذنبك اقترابا ، واذا أبغضك، كانت طاعتك حجابا .

6 ـ لا تذم البشرية ، اذ لولاها لم تكن لك في الانام مزية .

7 ـ لا سبيل للمكاشفة ، مع وجود المخالفة .

8 ـ لا يخرج الشهوة من القلوب، إلا عناية علام الغيوب ، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا.

9 ـ إذا أردت قطع النزاع بينك وبين نفسك ، فاهرب الى الله سبحانه .

10 إذا أردت أن يؤيدك الله في قبضك، فكن معه على أدب الحضور في بسطك.

11 ـ ما جعل لك الاختيار ، إلا ليظهر ما فيك من العجز والاضطرار .

12 ـ القلب محجوب عن النظرة ، ولو بالالتفات لادنى من ذرة .

13 ـ مما يدلك على أن الغني بالمال فقير، حرصه على الزيادة منه بعد تحصيل الكثير ، لا يزداد بورود المال إلا عطشا ، لانه فتنة ، والفتنة لا تزيد الا دهشا، والفتنة أشد من القتل .

14 ـ رحمك بأكدار الدنيا، ليزعجك إليه، وأشهدك محاسن الآخرة لتقبل بكليتك عليه.

15 ـ لا تركن للولاية على الخلق في شيء ، فانها تكثر عليك الحقوق ، وتعلق قلبك بالمخلوق، كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، واطلب ولاية الله عليك لتكون يده مبسوطة بالبر والاحسان إليك .

16 ـ الذنب إذا فتح لك باب التوبة النصوح، استحالت ظلمته نورا، وحزنه سرورا...

رسالة من المجاهد الكبير الى الشيخ الجليل

وأرى من المناسب - قبل أن أثبت وصية الشيخ الحراق وأذكر وفاته - أن أثبت هنا رسالة تاريخية صدرت من المجاهد الكبير الحاج عبد القادر محيي الدين الجزائري الذي كان يحارب فرنسا دفاعا عن وطنه الجزائر، عن إسلامه وعروبته، وقد كتبها إلى الشيخ سيدي محمد الحراق بتطوان مخبرا له فيها بأنباء الحرب، وطالبا منه صالح الدعاء، ونصها نقلا عن أصلها المحفوظ عند الشرفاء حفدة الشيخ الحراق بتطوان حفظهم الله.

الحمد لله وحده   صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

(هنا طابع نقشه . . رب سهل أمور الشريف سلطان عبد القادر ابن الشريف سيدي محيي الدين بجاه مكة.)

الفقيه الارضى والخلاصة المرتضى الشيخ الامام قدوة أهل الايمان والاسلام شيخ الشيوخ سيدي محمد الحراق، لا زال بدرك في استنارة وشمسك في اشراق، وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته وخيراته وإحسانه.

وبعد فانا نعلم أنك وجميع المومنين متهولون من أمرنا مع الكفار، منتظرون ما يرد عليكم من عندنا من الاخبار، وأن العدو الكافر كان في ربيع الاول خرج إلى مليانة والمدية وقاتله المسلمون، مات منه على ما بلغنا ما يزيد على الاربعمائة دون الجرحى، ومات من المسلمين ما ينيف على المائة والخمسين دون الجرحى وقتلى الخيل وجرحاهم، ولما رجع الى الجزائر لم يبت بها إلا ليلتين وركب لوهران وخرج منها قاصدا تاقدمت فجاءنا الخبر وأنا بمليانة فركبت فألفيته بقي بينه وبين تاقدمت مسير يوم، ولم يمكنا جمع العسكر لتباعده، ولانه عدو الله أخرج في ذلك الوقت محلة من الجزائر وأخرى من قسمطينة ولا . . . . . له بدون العسكر لان العسكر صار للناس بمنزلة الملح للطعام مع قوة جيش الكافر، فلما رأينا ذلك اشتغلنا بالحيلولة بينه وبين من يكون قريبا منه من المسلمين وقهر خيله عن الغارة، واعتذرنا في ذلك بما اعتذر به الحارث ابن هشام حيث قال:

وعلمت أني إذ أقاتل واحدا   أقتل ولم يضرر عدوي مشهدي
فصددت عنهم والاحبة فيهم   طمعا بأخذ الثار منهم في غد

ولما وصل الكافر أم عسكر وخرج منها بعد ما ترك بعض جيشه بها، قاتله المسلمون فبقي من قتلاه ما ينيف على المائة، ووصل لمستغانم ورجع لام عسكر بالزاد، فقاتله المسلمون كذلك ، ثم رجع لمستغانم ورجع لام عسكر بالزاد أيضا فأقام بها عشرة أيام ، ومنذ وصلها لم ينقطع عنه القتال ولا يوما، وجمعنا ما أمكننا من العسكر المحمدي وعساكر القبائل على طريقه التي عادته يمر بها ، فلما سمع عدو الله بذلك دخله رعب عظيم ، فخالف الطريق وصار يمشي بلا طريق ويقصد المواضع التي يتمكن فيها من الدفع بالمدافع، وكان معه من المدافع ما ينيف على الخمسين ، فلما رأينا ذلك، عمدنا الى قتاله بالخيل ، فقاتله المسلمون ثلاثة أيام من أم عسكر إلى مستغانم قتالا شديدا، وكم من مرة والمسلمون يختلطون بالنصارى ويبطل البارود ويتضاربون بالمكاحل، وكثير من المجاهدين انكسرت مكاحلهم على رؤوس الكفار، ومات عند عدو الله كثير حتى ملأ الآبار والمغارات، ثم صار يتكلف بحملهم إلى أن يصل المنزل ليدفنهم ويوقد عليهم النار ويربط عليهم الخيل ليخفيهم عن المسلمين ، ولما كثرت عليه الجرحى ، رمى كثيراً من أمتعتهم ليحملهم ، وكان الكافر لما وصل أم عسكر خرجت بعده محلة من مستغانم ونزلت واد اشلف بينه وبين مستغانم مسير نحو ثلاث ساعات ، فاجتمع عليه المسلمون مع الجيش المعد لرباط مستغانم ، وقاتلوه يومين ، ولما غلبت جيوشه رحل ورجع لمستغانم فأحاط به المسلمون وقاتلوه من كل جهة، فلما تحقق بالهلاك رجع لمنزله فمنعه المسلمون شرب الماء ، فلما كان الليل هرب عدو الله ودخل مستغانم بعد ما ترك من القتلى ما نتنت بهم الارض، ولقد وصلنا من سلاحه الذي نهبه المجاهدون من خروجه لتاقدمت إلى يوم التاريخ خمسمائة ونيف ، ومنذ خرج عدو الله في ربيع الاول ما قطعنا السرايا عن الثغور يومين متواليين، وفي غزوتين أو ثلاث، جاء المسلمون بنيف وتسعين أسيراً من بساتين الجزائر دون القتلى والسلاح والمتاع ، وكل من ذهب لثغورهم سواء الجزائر أو وهران أو مستغانم، لا يرجع خائبا ، إما بالاسر أو القتل أو الغنيمة أو الجميع، ومنذ خرج عدو الله ما ركن إليه أحد من المسلمين ولا اغتر به ولا رآه أحد إلا أن يكون في مجال الحرب ، وما أهمنا ولا المسلمين شيء مما أبداه من قوته وأباطيله ، وقد أصيب من المجاهدين والخيل في هذه الحروب ألف ونيف ، فأخذت الجنة حقها والنار حقها ، وما أصابنا من خير فببركتكم ودعائكم ورضاكم عنا ، ولا تنسونا من صالح دعائكم .

وفي الثاني من جمدى سنة 1257.

كتب بأمر الحاج عبد القادر أيده الله ونصره آمين

وهكذا نرى أن هذا المجاهد العظيم، المعتز بالاسلام، المعترف بالفضل لاهله، يقول للشيخ الحراق العالم الرباني «وما أصابنا من خير فببركتكم، ودعائكم ورضاكم عنا... »

وكيف لا يقول الامير عبد القادر الجزائري ذلك ومثله، وما هو في الحقيقة والواقع إلا بقية السلف الصالح، وقدوة الخلف الناجح، وهكذا ينبغي أن يكون الانصاف بين أهل الفضل، والتعاون بالقول والعمل بين قادة المسلمين في ميادين الشرف والصالح الاسلامي العام، ورحمة الله على الشيخين، ورضوانه يعم الجميع.

ولتكن هذه الرسالة التاريخية هي مسك ختام هذه الفصول، وليكن نشرها شكراً لله العلي الكبير على أن طهر بلاد ذلك المجاهد الكبير من رجس الاستعمار، ومن على رجال الجزائر الاحرار الابرار، بنعمة الحرية والاستقلال والاستقرار، ورجاؤنا منه سبحانه أن يؤلف بين قلوبهم، وأن يوفقهم للوقوف مع تعاليم الاسلام، واتباع سنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

وبهذه المناسبة، نذكر أنه عند ما توفي ذلك المجاهد الكبير، دفنت جثته بمدينة دمشق من بلاد الشام - (سورية) وقد بقيت هناك عشرات السنين، ثم بعد استرجاع القطر الجزائري لاستقلاله، وتكوين حكومة إسلامية جزائرية حرة به، نقلت تلك الجثة إلى وطنها «الجزائر» بكل إجلال واحترام، وكان ذلك من البرور المحمود، والله سبحانه يجازي المحسنين الابرار.

وصيته قبيل وفاته

لما شعر الشيخ الحراق رحمه الله بدنو أجله، كتب وصيته الاخيرة.

ونحن ننقلها عن نسخة صحيحة مسجلة لدى قاضي تطوان في ذلك العهد وهذا نصها:

« الحمد لله نسخة رسم واحد مع رسم التعريف بمحوله والاداء عقبه أخذت لمساس الحاجة إليها، نص الاول، الحمد لله بعد ما اعترف كاتبه ألواضع شكله أثر تاريخه سامحه الله وغفر له، لله تعلى وجل بالوحدانية بل الاحدية، والانفراد بالحقيقة الوجودية، ورضاه به ربا ويسئله سبحانه أن يرضاه له عبدا، كما اعترف لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة العامة، وأنه عليه الصلاة والسلام بلغ جميع ما أمر بتبليغه على الوجه الاكمل، وأنه مومن بجميع ما جاء به ورضيه من الله سبحانه نبيا رسولا لنفسه ولجميع المخلوقين - عهد وأوصى أنه إن قدر الله وفاته فيخرج عنه بعد وفاته ثلث جميع متخلفه العقار وغيره من قليل الاشياء وكثيرها، وتعتق منه أمته زيد الخير وأمته سترة وأمته مباركة، وأمته الياقوت وولدها الصبي سعيد وإن صار رجلا، ويلحق الجميع باحرار

المسلمين فيما اهم وعليهم، بحيث لم يبق لاحد من خلق الله سبيل رق بوجه من الوجوه إلا الولاء الذي أحرزته السنة على الجميع ، تقبل الله ذلك بالقبول الحسن، ويخرج أيضا من الثلث المذكور أربعة أوسق من القمح بالمد الكبير ، وتفرق ثلاثة منها كفارات صغار ، عشرة أمداد بمده عليه السلام لكل كفارة ، على قاعدة كفارات الايمان الحانثة ، والوسق الرابع يفرق كفارات كبار من حساب ستين مدا بمده عليه السلام لكل كفارة، ويخرج من الثلث المذكور مائة مثقال وتوخذ منه مئون تجهيزه للقدوم على سيده ومولاه ما بين ما يحتاج إليه في خاصة نفسه وشراء ألف خبزة وقراءة ، والباقي يفرق على الفقراء والمساكين.

ويعطى من الثلث المذكور للعلامة الولي الصالح سيدي الخضر السجعي نائبنا بفاس خمسون مثقالا ، وسيدي محمد بن عبد القادر الفقيه الولي الصالح خمسون مثقالا أيضا ، وللشريف الاجل الولي الصالح الافضل عشيرهما مولاي احمد المدغري خمسون مثقالا ، وللاجل سيدي عبد السلام العرايشي خمسة وعشرون مثقالا ، وللولي الصالح الفقيه الافضل سيدي محمد بن الحسن خمسون مثقالا ، ولعشيره الفقيه الولي الصالح سيدي المكي بن عمر الكامل خمسون مثقالا ، ولشقيقتنا طاهرة خمسون مثقالا، ولمفارقتنا خدوج بنت السيد محمد الحراق الحسني عشرون مثقالا ، ويخرج من الثلث المذكور داره الصغرى التي له بفاس المسماة بدار القواطي ، وداره الصغرى المسماة بدار الهدار ، وتصيران حبسا ووقفا مخلدا يعطى من خراجهما لرجلين يقرآن على قبره سورة الاخلاص إحدى عشر مرة ، ويقولان اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم ، وينويان بذلك النيابة عنه، كما يذكران الهيللة مائة مرة ، ثم يذكران الاسم المفرد خمسمائة مرة وينويان النيابة عنه ، ثم يقولان اللهم اغفر لمحمد بن محمد الحراق مائة يفعلان ذلك صباحا ومساء بعد الصبح والمغرب، ويعطيان ما يرضيان به فيما ذكر ، والباقي من خراج الدارين المذكورين يشترى خبزا في كل شهر ويفرق على خمائسه ولو يصير لكل خميس خبزة واحدة ، ويعطى ذلك المساكين إذا لم يكن في أولادنا وأولادهم ما تناسلوا وامتدت فروعهم فقير ، ولا تعطى الطبقة السفلى مع وجود العليا ، إلا أن تكون أفقر ، وإن فضلت من الثلث المذكور فضلة، توقف في أصل ثابت ويصرف على نحو ما يصرف فيه خبز الخمائس على الوجه المذكور فيه.

والاصل الموقف فيه الباقي من الثلث، يشترى بفاس ، والواقفون على تنفيذ جميع ما بتطوان سيدي محمد ابن الحسن، وسيدي المكي ، وولدانا الغالي والحسين أصلحهما الله، فإن توقفوا على تصرف بفاس دخل معهما سيدي الخضر وسيدي محمد بن عبد القادر والاربعة المتقدمون أولا هم النائبون عنا في زاوية تطوان وهم النائبون عنا والاوصياء

على بناتنا، مشهداً بتجديد الحجر عليهن، أما زوجة سيدي عبد السلام فتجديد عندها في رسم دينها على زوجها ، وأما راضية وأم كلثوم ، فها أنا أشهدت بتجديد الحجر عليهن قبل تمام سبع سنين من تزوجهن (1) ، وإن اختلف الاوصياء على ما ذكر بتطوان، فالرأي لسيدي محمد بن الحسن إن وافق الشرع، وإلا فعلى الموافق المشرع، والموصون على زاويتنا التي بطنجة، هم الاوصياء على البنات ، كما أنهم هم الاوصياء على زاوية تطوان، الملقنون لورادنا بها، والولي الصالح العلامة سيدي محمد بن الفقيه الخلنجي ، هو الذي يلقن الاوراد ببني سالم وحيثما كان ، كما أن من تقدم كذلك ، والنائبان عنا بزاوية فاس ، هما العلامة الاجل ولي الله تعلى سيدي محمد ابن العلامة سيدي ابن سودة ، والولي الصالح العلامة سيدي الخضر السجعي ، من حضر كفى ، وبكندر الاجل سيدي محمد ابن الملك، وبالبهالول، سيدي الهاشمي النوينو، والولي الصالح سيدي الحسن الورتيدي، وبدار ابن صدوق، ولي الله تعلى الشريف الجليل مولاي علي المرون ، والاجل الصالح سيدي عمر الاندلسي ، وببني حرشن ، الاجل سيدي الحسن بوحديد ، وبالغرب ، سيدي محمد بن المكي ، وسيدي الجلالي النازل ببلادنا هناك ، وسيدي محمد بن علال، وبالخطوط، سيدي محمد بن رعدي، والعلامة الاجل الولي الامثل الشريف المعظم سيدي المختار المساوي ، وبدار الواد ، سيدي الهاشمي المقدم ، ايصاء تاما نافذاً بعد الموت بعد الرجوع عن كل وصية قبل تاريخه صدرت منه، عرف قدره شهد على نفسه بما فيه جميعا وأذن لمن يعطف عليه وهو بحال مرض خفيف هو معه صحيح العقل تام الميز والادراك، وألحق منه والصغرى، ويفعلان ذلك صباحا ومساء بعد الصبح والمغرب ، ويكون - والموت - وفي الثامن عشر من رجب عام أحد وستين ومائتين وألف . عبد ربه تعلى محمد بن محمد الحراق الحسني العلمي لطف الله به (2) .

---

1) تجديد الحجر على البنات بعد اهدائهن لبعولتهن له شروط فقهية استوفاها الشيخ في هذه الوثيقة، وهذه الوصية التي حررها الشيخ من انشائه شاهدة بعلو كعبه في التوثيق الشرعي . ت. و.

2) هذه وثيقة فيها شيء كثير مما يفسر لنا مبلغ تربية الشيخ الحراق ، وأخلاقه الكريمة، فهو يعترف بالفضل لاهله، ويفرغ على أصحابه من الالقاب ما علمه منهم من ولاية وعلم وصلاح ، ثم مبلغ ثقته بنفسه في بته في شؤون مستقبل أعقابه وزواياه ، ثم هذه الدقة في التدرج حتى يرجع الامر إلى نظر الشرع المطاع ، وإننا إذا قسنا شخصية هذه المقادير التي نزن بها الشؤون الحيوية ، عرفنا كيف صنع الحراق حتى خضعت له رقاب أكابر العلماء والصلحاء . ت و.

وعلى مضمنه يشهد من عرف الموصي المذكور بالحال المذكور وأشهده بجميع ما ذكر عبد ربه احمد الشاهد بن أحمد الحسني العلمي لطف الله به آمين، وعبد ربه سبحانه محمد بن عبد السلام بسجاده لطف الله به . ونص رسم التعريف بحوله، الحمد لله، شكل المشهد على نفسه مع خط الرسم الذي به شهادته حوله، هما المرحوم برحمة الحي القيوم العلامة الدراكة آخر المحققين ظاهرا وباطنا ابي عبد الله سيدي محمد الحراق الحسني العلمي ولا زال ذلك منه كذلك من التاريخ حوله إلى أن توفي في علمه قاله عارفهما معرفا بهما في الخامس والعشرين من رمضان عام واحد وستين ومائتين وألف محمد ابن عبد السلام الخال الحسني لطف الله به وبعده بخط من يجب الحمد لله وحده أدى الرافع أعلاه والشاهدان أسفل بحوله فثبت وأعلم به عبد الله سبحانه محمد بن محمد الجنوي الحسني وفقه الله انتهى.

قوبلت بالاصل فماثلته ووافقته وأشهد الفقيه الاجل العالم العلامة الافضل الشريف المبجل قاضي تطوان وهو محمد بن محمد الجنوي الحسني وفقه الله أعزه الله تعلى بمنه وحرسها بصحة المقابلة والمماثلة وثبوتها وثبوت الاصل لديه الثبوت التام بواجبه وهو حفظه الله تعلى بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر وفي الخامس والعشرين من رمضان المعظم عام واحد وستين ومائتين وألف .

احمد الشاهد بن احمد الحسني العلمي لطف الله به آمين.

وفاته ومدفنه بتطوان عام 1261

لم يمض على كتابة الشيخ الحراق رحمه الله لوصيته نحو الشهر، حتى قبضه الله إليه، وكانت وفاته رحمه الله بداره المشهورة قرب المسجد الاعظم من الناحية الموصلة إلى الباب السعيدة من تطوان.

ووجدت بخط تلميذه الشريف العلامة سيدي مفضل أفيلال، أن وفاته رحمه الله كانت يوم الثلاثا 21 شعبان عام 1261 (وهذا التاريخ يوافقه من التاريخ الميلادي 26 من شهر غشت سنة 1845).

وفي تآليف سيدي محمد بن العربي الرباطي مثل ذلك، وقد رأيت أنه كتب وصيته في 18 رجب عام 1261، وأن رسم التعريف بخطه الذي كتب به تلك الوصية، وبالشكل الموضوع في آخرها، قد صرح فيه بأنه كتب بعد وفاته، وتاريخه كما رأيت 25 رمضان 1261. وجاء في مفاصلته التي وقفت عليها، أنه خلف ولديه سيدي الغالي وسيدي الحسين، ومن الثابت أن سيدي الغالي توفي عام 1264 كما في مفاصلته التي وقفت عليها أيضا، فما في كتاب الاستقصا (1) من أنه توفي بالوباء عام 1271. خطأ لا شك في ذلك، وقد تبع صاحب الاستقصا في ذلك الخطأ، أخونا ورفيقنا مولاي التهامي الوزاني في كتابه «الزاوية» وكان ذلك منه قبل أن يطلع على الحقيقة. وقد نبهته لذلك ووقف على المستندات الرسمية فاقتنع ورجع بعد وقوفه على الحجج الثابتة. وقد قال أخونا مولاي التهامي حفظه الله في كتابه المذكور ما نصه: ـ (2).

« ولما توفي الشيخ سيدي محمد الحراق، كتبت في الحين الرسائل بذلك الى جميع الجهات، فطفقت الوفود تتوارد وبقي الشيخ مسجى في كفنه يومين كاملين، واتبع الفقراء خطة أن كل مقدم من مقدمي الطريقة يدخل الغرفة المواجهة للطالع في الدرج وبها كان يستقر، ويدخل مع المقدم الفقراء الذين يترأس عليهم فيذكرون الاسم المفرد على الطريقة الحراقية وهي: لا إله إلا الله مائتي مرة وبعدها، سيدنا محمد رسول الله، عليه سلام الله، مولانا محمد رسول الله، عليه سلام الله، حبيبنا محمد رسول الله، عليه سلام الله، ثم اسم الجلالة .. الله، ثلاثمائة مرة، بعدها سيدنا محمد رسول الله ... »

---

1) الاستقصا ج 4 - ص - 206 .

2) الزاوية ص 208 .

هذا وقد دفن الشيخ سيدي محمد الحراق رحمه الله ورضي عنه في زاويته الشهيرة أمام الداخل من باب المقابر بمدينة تطوان.

وقد كتب على رخامة وضعت إزاء قبره ما نصه على ما فيه :

الحمد لله وحده والصلاة على مولانا رسول الله

هذا ضريح الشيخ الامام العلامة العارف بالله الشريف سيدي محمد بن محمد الحراقي الحسني الموساوي توفي رحمه الله ورضي عنه يوم الثلاثة وقبر يوم الاربعاء احدى وعشرين من شعبان الابرك عام احدى وستين ومائتين وألف رحمه الله ونفعنا ببركاته آمين.

وهكذا ، كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام .

المترجمون له

ترجم للشيخ الكبير سيدي محمد الحراق رحمه الله ، عدد من المؤلفين، وقد أجمعوا كلهم على علمه وصلاحه، وأطنبوا في الثناء عليه رحمه الله، ودونك ما وقفت عليه من ذلك:

كلام العلامة المهدي بن سودة

ترجم له تلميذه العلامة سيدي المهدي بن سودة (1) في كتابه « تحفة الاحباب، بما لنا من الاشياخ والاصحاب » (2) بما نصه :

« ومنهم شيخنا وبركتنا الجامع بين الشريعة والحقيقة، والمقتفي في الاستقامة أقوم طريقة ، فريد الزمان ، وغرة الاوان، محيي الدين بعد وصوله إلى حد السواق ، وحامل راية التقدم على الاطلاق، الولي الصالح، سيدي محمد بن محمد الحراق، الحسني الموسوي، كان لا يلهج إلا بذكر مولاه، ولا يصرفه سقمه عن حضوره ونجواه ، فالجسم منه دائما في الاسقام والامراض ، وهو معها في غاية البسط ومقابلها بالاعراض ، لا تجده إلا في مقام الشكر، جامعا بين الصحو والسكر، لا يبين لجليسه إلا ما به من النعم أولاه ، قائلا رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه، ويقول أفضل النعم، نعمة الحضور، وعدم الغفلة، فهي التجارة التي لن تبور ، ولا تفي بها مهجة ولا مقالة » . . . . الخ.

1) توفي سيدي المهدي بن سودة بفاس سنة 1294.

2) هذا الكتاب هو فهرسته وقد وقفت عليه بخطه في الخزانة الاحمدية بفاس عام 1368. ومنه نقلت ما هنا .

كلام الفقيه الخطيب عبد الحفيظ الفاسي

وترجم له أيضا تلميذه الفقيه الخطيب سيدي عبد الحفيظ «المدعو الكبير» الفاسي (1) في كتابه «تذكرة المحسنين ، في وفيات الاعيان وحوادث السنين» (2) بقوله :

وفي سنة 1261. توفي شيخنا الامام، العالم العلامة الهمام، الجامع بين بحري العلمين، وعديم النظير بغير مين، من ارتقى ذروة الجلالة، وورث الفضل كلالة ، وأرشد وهدى، ودعا لطريق الهدى، وانتشرت أتباعه الذاكرون بكل الآفاق، الشريف الحسني سيدي محمد الشهير بالحراق، ودفن بزاويته من مدينة تطاون رحمه الله ونفعنا به آمين . ولد بفاس (3) ونشأ بها وقرأ العلم الظاهر على أعيان علماء الوقت، فتعلم وعلم وأدرك الرياسة في التدريس في وقته، ثم انتقل لثغر تطاون واستوطنها، ثم أخذ عن الشيخ الكبير مولانا العربي الدرقاوي فحصل له على يده الفتح المبين، وكان من أكابر الاولياء العارفين ، ولما كثرت أتباعه، وعظمت طائفته واتخذت لاصحابه الزوايا في القرى والمدن، استوطن مدينة فاس بداره من حومة المخفية ، عدوة فاس الاندلس قرب زاويته ، فكان ياتي إليها مرة ويرجع لداره بتطاون اخرى إلى أن انقضى أجله بها في سنة الترجمة. وقلت في تاريخ وفاته وكتب على قبره نفعنا الله به : (4) .

هذا الضريح الذي ما زاره أحد	إلا ونال به المسئول من نعم
به الامام الشهير العارف المنتقى	شيخ الطريقة بحر الجود والكرم
محمد الحسني الحراق شهرته	أكرم به من همام راسخ القدم
قد كان واسطة لعقد مكرمة	فاحكم على مثله في الوقت بالعدم
(بشراك حل) به وافت منيته	عليه رحمة من قد خص بالقدم

وقد ملئت الدواوين من كلامه في الغزل الحقيقي. وجل ما له من التآليف في التصوف والحكم والاشارات، التي تقصر عنها العبارات، رحمه الله تعلى اه .

وقد رأيت أنه رمز لتاريخ وفاته بقوله في أول البيت الاخير (بشراك حل) 2_1000_200_1_20_8_30= 1261.

---

1) توفي سيدي الكبير الفاسي ودفن برباط الفتح عام 1296.

2) هذا الكتاب وقفت عليه في الخزانة الكتانية بفاس عام 1368 ومنه نقلت ما هنا.

3) كون ولادته كانت بفاس غير ثابت لدينا والله أعلم بالحقيقة.

4) لعله أراد أنه نظم تلك الابيات لتكتب على قبره ، إلا أن ذلك لم يتم ، والابيات المذكورة لا وجود لها الآن عند ضريحه رحمه الله ،

كلام المؤرخ الفضيلي

وترجم له أيضا الشريف النسابة سيدي ادريس (1) بن احمد العلوي الشهير بالفضيلي في كتابه الدرر البهية (2) فقال ما نصه :

«فمن أهل تطوان، الولي الاكبر، والبدر المضى الازهر، الشيخ العربي، أبو عبد الله سيدي محمد دفين تطوان بن محمد بن عبد الواحد الخ ، كان صاحب الترجمة رحمه الله من أهل المقامات والعرفان، المشار إليهم في هذا الشان، ومن شجعان هذا الميدان، فهو أعجوبة دهره ، وياقوتة مصره ، عارف كبير ، ذو مقام خطير ، وفتوحات ربانية ، وفيوضات عرفانية ، وكان فقيها مدرسا له معرفة في الفقه وأحكامه ، والحديث والسير والاصول وفنون المعقول، تصدر لنشر العلوم بمدينة تطوان مدة طويلة ، وانتفع بعلومه خلق كثير، وظهر سره في سائر الاقطار المغربية، وله أنظام في الحقيقة ، ومذاكرات في الطريقة، شهيرة شهرة شمس الظهيرة . . . . . . » الخ.

كلام الشيخ محمد بن جعفر الكتاني

وترجم له أيضا العلامة الصالح سيدي محمد بن جعفر الكتاني (3) في كتابه «سلوة الانفاس» (4) بقوله :

«هو الشيخ العلامة القدوة الفهامة ، مصباح الظلام ، وحجة الاسلام ، شيخ الطريقة ، ولسان الحقيقة ، شريف النسبتين ، ومفتي المذهبين ، القطب الرباني ، والعارف بربه الصمداني، أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد الحراق بن عبد الواحد بن يحيى بن عمر الحسني العلمي الموسوي، ينتهي نسبه الى سيدي موسى بن مشيش أخي القطب مولانا عبد السلام رضي الله عنهم. كان رحمه الله إماما جليل القدر، متضلعا في علمي الظاهر والباطن، انتهت إليه فيهما الرياسة ، مشاركا في فنون العلوم من تفسير وحديث وفقه وتصوف ومعقول بجميع فنونه ، وأما الادب والشعر فقد كاد أن ينفرد بهما في عصره، أخذ العلم عن جماعة من الشيوخ، وطريقة التصوف عن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي،

1) توفي سيدي إدريس المذكور رحمه الله بفاس في تاسع صفر سنة 1316 ودفن بروضتهم بالقباب خارج باب الفتوح قرب الشيخ قاسم الوزير.

2) الدرر البهية ج ـ 2 ـ ص 96 .

3) توفي سيدي محمد بن جعفر الكتاني بفاس وبها دفن عام 1345.

4) سلوة الانفاس ج ـ 1 ـ ص 342 من طبعة فاس سنة 1316 .

وكان أخذه عنه سنة ثمان وعشرين (1) ومائتين وألف، وهو إذ ذاك ابن أربعين سنة أو نحوها ، وتوفي في الحادي والعشرين من شعبان سنة إحدى وستين ومائتين وألف ودفن بتطوان بزاويته الشهيرة به، وضريحه بها مشهور مزار وترجمته رحمه الله واسعة وقد أفردها بعض تلامذته بتاليف مستقل (2) وقد رأيته» اه.

كتاب «النور اللامع البراق، في ترجمة الشيخ سيدي محمد الحراق»

أما تلميذه الفقيه الصوفي السيد محمد بن العربي الدلائي الرباطي ، (3) فانه هو الذي ألف كتابه المفيد الذي جمع فيه رسائل شيخه المذكور وكتاباته على الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وديوان شعره إلى غير ذلك ، وهذا الكتاب كما تقدم لنا هو المرجع الكبير لآثار الشيخ الحراق وترجمته رحمه الله. وقد وجدت في الخزانة العامة بتطوان نسخة منه وفيها أن اسمه هو « النور اللامع البراق ، في ترجمة الشيخ سيدي محمد الحراق » كما وقفت على نسخ أخرى لم يذكر فيها اسم الكتاب . وقد صدره بترجمة شيخه المذكور ومما جاء فيها قوله :

« شيخنا العلامة ، القدوة الفهامة، مصباح الظلام ، وحجة الاسلام ، شيخ الطريقة ، ولسان الحقيقة، شريف النسبتين، ومفتي المذهبين، الشريف الحسني ، القطب الرباني، أبو عبد الله سيدي ومولاي محمد بن محمد الحراق . . . . . »

كان هذا الشيخ رضي الله عنه إماما جليل القدر، متضلعا في علم الظاهر، انتهت فيه إليه الرياسة ، مشاركا في فنونه من تفسير وحديث وفقه وفتوى ومعقول بجميع فنونه، وأما الادب والشعر فكاد ينفرد به في عصره، قد شهد له بذلك كل من عاصره وخالطه أو وقف على كلامه، ولما أخذ من علم الظاهر الحظ الاوفر، أكمل الله عليه نعمه بعلم الباطن ليكون رحمة في البلاد ، وقدوة للعباد، فكان رضي الله عنه سراجا وهاجا، وسحابا المرحمة بمياه العلوم ثجاجا، وقد قال سيدي يوسف الفاسي ، « إذا أراد الله أن ينفع عباده بأحد من خواص خلقه، أغفله علم الباطن في ابتداء أمره، حتى يتغلغل في علم الظاهر ، ثم يرده لعلم الباطن وطريقة القوم ، ولقد كان هذا الامام رضي الله عنه أوحد أهل زمانه في علم الباطن أيضا، وقد حرر طريقة القوم بين شريعة وحقيقة حتى

1) بل الغالب على الظن أن ذلك كان عام 1229 .

2) يعني به تاليف سيدي محمد بن العربي الرباطي .

3) توفي سيدي محمد بن العربي الرباطي ودفن بالدار البيضاء عام 1285 .

سهلها للسالك، ونهجها في أوضح المسالك، وأتى فيها بالعجب العجاب، من علم الاشارة، بألطف بيان وأوجز عبارة ، وكشف غوامض إشارات القوم وحل رموز ما ليس بمعلوم وأسس طريقه على أربع قواعد، ذكر، ومذاكرة، وعلم، ومحبة، وكان يحض على كثرة الذكر غاية ويقول، ما رأيت أنفع لقلب المتوجه الصادق من ذكر الله. وكان رضي الله عنه يقول : إني ربحت من باب الفضل فلا أدل إلا عليه . . . .

وما رأينا أجود منه بالعلوم والاحوال حتى إنه يغني من لقيه من حينه إن يسر الله عليه وكان مؤهلا ، وذلك لما أكرمه الله به من كثرة العلم وسعة الصدر وحسن العبارة وشدة التحصيل، مع ما توجه الله به من مكارم الاخلاق وتواضع وتنزل مع عامة المسلمين ، حتى إن جليسه لا يمل مجلسه ابدا ويود أن لو استغرق فيه يومه وليله ، بل عمره كله، لما يجد فيه من علوم وأذواق، وأحوال وأشواق، وحضور بين يدي الكريم الخلاق، ومع شدة تواضعه وتنزله، قد كساه الله من الحسن والاجلال، والمهابة والاقبال، ما لا يستطيع معه أحد أن يطيل النظر إليه بل كان من أصحابه من لا يستطيع أن يرفع طرفه إليه .

وكان رضي الله إذا أخذ في المذاكرة، يكسوه حال عظيم ، ويعلوه بهاء جسيم ، وتحمر عيناه ويقوى ضياؤهما . وما سمعنا ألين ولا أعذب ولا ألطف من عبارته حين التقرير . . . وكانت همته رضي الله عنه في جميع الامور عالية، وكان يقول، إن الهمة العالية هي التي لم ترض بدون الله، إذ ليس وراء الله وراء. وكان رضي الله عنه متواضعا في لباسه، يلبس جبة الصوف وحائك الصوف الخشن وياكل ما تيسر من الطعام ، مع ما كان عليه من مواساة وإعطاء واكرام، حتى إن بعض ضعفاء الناس من ثغر تطوان وحاضرة فاس كادت تكون عالة عليه . . .

وكان رضي الله عنه لين الجانب والعريكة ، يسيد الناس على عمومهم في ندائه وخطابه معهم حتى كان ينادي الامة والوصيف بالسيادة ، وكان مع ذلك في الحق والصواب، ذا عزم شديد، وحزم أكيد، لا يقبل رخصة من دون موجب شرعي، ويقول اقتدوا بأهل الجد في جدهم ، ولا تقتدوا بأهل الهزل في هزلهم ، ويحب أهل الجد والاجتهاد، ويثني عليهم ويرغبهم في الازدياد، ويجمع همة المريد على الله، وينهاه عن الحظوظ والالتفات لسواه، ويقول، القلب محجوب عن النظرة ولو بالالتفات لادنى ذرة الخ ترجمته رحمه الله .

وقد ذكر رحمه الله كيف دخل شيخه طريق التصوف وسنده في الطريق وتاريخ وفاته. ثم عقد الباب الاول لرسائله وفيه نيف وأربعون رسالة ، ثم عقد الباب الثاني في حكمه ،

ثم الباب الثالث في تقاييده على ءايات قرآنية، وأحاديث نبوية، وعلى بعض كلام الصوفية، وهو في ذلك كله يرشد إلى الرجوع إلى الله تعلى بالتفكير في النواحي الروحية والاعراض عن الملذات الجثمانية ، لان الانسان إذا ترفع عن الانغماس في الملذات ، أنفت نفسه من التدلي ليكثر من المعاصي ، وتعالت عن الانحطاط الى دركات الدنايا والموبقات، وفي ذلك رحمة بالمجتمع وتحسين عام لمستوى الحياة في الامة .

وقد أثبت الشيخ ابن العربي فى كتابه هذا ما قاله فى شيخه الحراق من الاشعار، كالقصيدة التي أولها :

قد أصبح الكون فى حسن وإشراق
واخضل روض القلوب من سقا الساقي

والتي منها قوله :

نفسي الفداء لكهف قد حللنا به غوث الندا مثمر الاغصان والساق
طود السعادة والحسنى التي سبقت نجل الرسول سمي القدر حراق
شيخ الطريقة نور الله منهجه سر الحقيقة في علم وأذواق

والقصيدة الملحونة التي مطلها :

يا من يبغي ذا الشراب بين أيدي الساقي
فليحضر جمع الحباب بحضرة الحراقي

والقصيدة التي مطلعها :

سقاني هذا المدام يا عشاقي خمر القديم الباقي الخ

وبذلك ينتهي هذا المؤلف النفيس ، وفي خزانتي منه نسخة أتحفني بها صديقي الاستاذ الكاتب المتفنن السيد احمد بناني برباط الفتح سنة 1367 هـ 1948 م وهي في نحو ثلاثمائة صفحة عادية بخط إدريس بن محمد بن علي بن عيسى الحسني العلمي، وقد تم نسخها عام 1270. أي في حياة المؤلف، وهذا الكتاب لم يطبع إلى تاريخنا هذا الذي هو عام 1388 . وإنما طبع ملخصه في كتاب «بغية المشتاق» الذي سنتكلم عليه بحول الله .

كتاب « بغية المشتاق »

«بغية المشتاق، لاصول الديانة والمعارف والاذواق، ونهاية سير السباق ، إلى حضرة الملك الخلاق»

هذا هو اسم الكتاب الذي ألفه الفقيه الصوفي السيد عبد القادر بن عبد الكريم الورديغي الشفشاوني ، الخيراني البريشي، المتوفى بمصر عام 1313 . وهو من تلاميذ الشيخ محمد بن العربي الرباطي السابق الذكر، وقد ألف هذا الكتاب الذي اختصر فيه كتاب شيخه المذكور اختصارا وزاد في أوله وآخره فوائد مهمة، ووضع له الاسم المذكور وطبع الجميع بمصر سنة 1298 في نحو مائتين وثلاثين صفحة، وهو اختصار مفيد رتبه على أبواب .

الاول ، في رسائل الشيخ الحراق، وفيه أيضا بعض رسائل غير موجودة في أصله
الثاني ، في تقاييده على آيات قرآنية، وأحاديث نبوية .
الثالث ، في شرح الصلاة المشيشية ، والابيات التي أولها ، توضأ بماء الغيب .
الرابع ، في حكمه .
الخامس ، في قصائده وقطعه الشعرية .
السادس ، في اتصال نسبته إليه وسلسلته .
السابع ، في مناقبه ومناقب شيخه مولاي العربي الدرقوي وتلميذه الشيخ محمد بن العربي الرباطي .

من تاريخ الزاوية الحراقية بتطوان

وقبل أن نختم ترجمة الشيخ الحراق ، نرى من المناسب ان نذكر ما نعرفه عن بعض زواياه التي كان أصحابه وتلاميذه يجتمعون فيها ويصلون الصلوات الخمس ويقرأون القرآن ويذكرون الله ويتذاكرون فيما يقربهم الى الله ويسير بهم في الصراط المستقيم ويحول بينهم وبين حزب الشيطان الرجيم .

وقد تقدم لنا بعض ما يتعلق بتأسيس الزاوية الحراقية بتطوان وهذه زيادة بيان مع بعض الوثائق في الموضوع .

فهذه وثيقة تحبيس الفقيه تكرت لداره التي حولت إلى زاوية للشيخ الحراق بهذه المدينة ، ونصها :

الحمد لله حضر لدى شهيديه الفقيه الاجل النبيه البركة الامثل سيدي عبد الرحمن ابن المرحوم بكرم الله تعلى سيدي الطاهر الفقيه المدعو تكرت السعيدي اصلا التطاوني دارا وأشهدهما أنه حبس جميع داره الكائنة له قرب باب المقابر من محروسة تطوان المعروفة في القديم بدار السفاج شهرتها له هناك كافية بجميع ما لها من المنافع والمرافق وكل حق لها معلوم وإليها منسوب ، على شيخه - الفقيه سيدي محمد بن سيدي محمد الحراق الحسني العلمي ليتخذها زاوية له ولاصحابه أينما كانوا وحيثما حلوا وما تناسل منهم ممن ياخذ ورده على أن تكون الزاوية المذكورة محلا للصلاة وللذكر والقراءة ويأوي إليها غريبهم وينزل بها ضيفهم ويقع الدفن فيها على نحو ما يراه الناظر عليها من المصلحة حبسا مؤبدا ووقفا مخلدا إلى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين. ومن بدل أو غير فالله حسيبه وولي الانتقام منه ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. واشترط المحبس المذكور في الحبس المذكور أن يدفن بالزاوية المذكورة هو وزوجتاه السيدة خديجة بنت السيد الحاج احمد سلامة الانجري أصلا التطاوني دارا والسيدة فاطمة بنت الفقيه السيد محمد بن عامر ، حضر الفقيه المذكور وقبل منه الحبس المذكور على الوجه المذكور، وحضر الفقيه الاجل النبيل الامثل البركة عبد الرحمن بن محمد الحسكي وحاز الدار المذكورة على الوجه المذكور المجانب المذكور معاينة وهي فارغة من شواغل المحبس، بحسب النيابة عن الفقيه المذكور وتوكيل منه على ذلك تلقاه منه شهيداه، وذلك بعد بسط المحبس المذكور المحبس عليه المذكور يد الحوز على المحبس المذكور بسطا تاما والتخلية بينه وبينه، قصد بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجسيم والدار الآخرة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، عرفوا قدره شهد عليهم بما فيه عنهم وهم باكمله وعرفهم وفي أواسط رجب عام اربعة واربعين ومائتين والف عبيد ربه احمد ابن محمد البياري لطف الله به ومحمد بن محمد الجيار وفقه الله .

وبنيت الزاوية المذكورة وعمرها الشيخ الحراق ومريدوه بالصلاة والعبادة وبالاسس الاربعة التي بني عليها طريقته ، وهي الذكر والمذاكرة والعلم والمحبة ، وحبس عليها السيد تكرت المذكور من ماله مبلغا ماليا يوقف في أصول ثابتة يصرف خراجها على ما يلزم لامامها ومؤذنها وقراء القرآن بها

وهذا نص التحبيس المذكور :

الحمد لله وحده حضر لدى شهيديه الفقيه الاجل الناسك الافضل السيد عبد الرحمن ابن المرحوم بكرم الله السيد الطاهر المدعو تكرت السعيدي أصلا التطاوني دارا وأوصى وهو يشهد لله بالوحدانية ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالنبوءة والرسالة ، أنه متى حدث به حادث الموت الذي لا بد منه ولا محيد لمخلوق حي عنه ، فيخرج عنه

بعد وفاته من ثلث جميع متخلفه من قليل الاشياء وكثيرها ، جليلها وحقيرها ، العقار وغيره، جميع خمس عشرة مائة مثقال سكية وتوقف في اصول ثابتة ويستعين بخراجها الامام والمؤذن وأربعة من الحزابين بزاوية شيخه العلامة الصوفي شيخ الطائفة الصوفية بالبلدة التطاونية وغيرها سيدي محمد بن سيدي محمد الحراق الحسني العلمي المعروفة له بتطوان قرب باب المقابر شهرتها كافية لاجتماع الفقراء للذكر بها والصلاة وجعل النظر في حوز المال المذكور وشراء الاصول به والتصرف فيها وتقسيط خراجها على من ذكر موقوفا عليه على حسب ما تقتضيه المصلحة لشيخه المذكور ولنائبه إن غاب ولوصيه إن مات ولوصي وصيه، وهكذا ما تتابع الاوصياء بإيصاء بعضهم لبعض من غير اشراف أحد من خلق الله تعلى على من ذكر يكون ما ذكر حبسا مؤبدا ووقفا مخلدا على الوجه المذكور لا يبدل عن حاله ولا يغير عن مثاله إلى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ، ايصاء صحيحا نافذا بعد الموت، قصد بذلك وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، ولا يخيب لراجيه وقاصده أملا، وكل ما ذكر بعد أن أشهد أنه ارتجع عن كل وصية صدرت منه قبل تاريخه وأبطل حكمها إبطالا كليا والتزم في هذا عدم الرجوع، عرف قدره شهد به عليه باكمله وعرفه بثاني عشر جمدى الثانية عام خمسة وأربعين ومائتين وألف . الهاشمي بن علي الرقيواق تغمده الله برحمته ومحمد الطيب بن محمد حيون لطف الله به .

ثم أوصى تكرت المذكور بعدة وصايا للزاوية المذكورة (1) ولعل وصيته الاخيرة هي المؤرخة بتاسع محرم الحرام سنة 1249 وقد جعل فيها ما يفضل من ثلثه بعد تجهيزه والتصدق عليه، حبسا مؤبدا على الزاوية الحراقية التطوانية، يصرف خراجه في مصالحها من إصلاحها وإصلاح الرباع الموقوفة عليها وما تحتاج إليه ، والفاضل من ذلك الخراج يشترى به طعام كل يوم جمعة ويعطى للفقراء الذين يجتمعون بها للذكر.

1) قد أثبتنا نصوص تلك الوصايا مع غيرها عند الكلام على الزاوية الحراقية، في الفصل المخصص لزوايا تطوان، من ذيل هذا الكتاب .

ويظهر أنه بعد مرور عدة سنوات على تحبيس توكورت المذكور، ظهر للشيخ الحراق أن يوسع زاويته المذكورة، أو أن يقوم باصلاحها، وكتب بذلك إلى سلطان ذلك العهد، وهو الملك الصالح مولاي عبد الرحمن، فكتب السلطان المذكور إلى قائد تطوان رسالة هذا نصها، نقلا عن أصلها المحفوظ بالخزانة الملكية في القصر الملكي بالرباط.

الحمد لله وحده　　　　　　وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الارضى القائد محمد اشعاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد فان محبنا الفقيه البركة سيدي محمد الحراق، ذكر أنه أراد بناء زاوية هناك للفقراء، فخذ بيده فيما يتوقف عليه من إقامة بنائها، ويسر له ما صعب عليه، والله يعينك والسلام في 16 شعبان المبارك عام 1257.

وتوفي المحبس تكرت عام 1255. فدفن في هذه الزاوية، ثم توفي الشيخ سيدي محمد الحراق رحمه الله عام 1261 فدفن بها أيضا. وضاقت الزاوية بالفقراء، ووفق الله من ينفق عليها أو يحبس عليها ما تتسع به مساحتها، فوقعت الزيادة فيها الى ان صارت على الحالة التي هي عليها الآن.

ودونك تحبيس الفقيه الوزير السيد احمد بن محمد الركينة المدفون بها أيضا، وبهذا التحبيس وقعت الزيادة الاخيرة فصارت في الزاوية المذكورة ساحة كبيرة مربعة الشكل بهيجة المنظر ونصه:

الحمد لله أشهد الامين الماجد الاجل الارضى البار المكرم الاحظى السيد احمد بن المرحوم بكرم الله عز وجل سيدي محمد الركينة أنه حبس جميع الدار التي له بالزنقة الحادية لقنى الخراز بحومة العيون من ثغر تطوان المحروس تعرف بدار الزرهوني المحدودة بأغطاس وحبس أولاد سيدي احمد المؤذن مع ثلاثة أثمان ونصف الثمن التي له من الدار التي بدرب أجزول من حومة العيون في شركة فامة باهية بالباقي تحت الجعيدي وأجزول مع ثلاثة أثمان ونصف الثمن التي له من الدار التي بزنقة الشريط من حومة الاترنكات في شركة باهية المذكورة أيضا بالباقي تحت الشربي قديما والحاج عبد القادر الزجلي، بما لجميع الاماكن المذكورة من المنافع والمرافق وكافة الحرم، على زاوية الشيخ العارف بالله والدال عليه سيدي محمد بن سيدي محمد الحراق الحسني

العلمي بقصد أن تقع المناقلة بالاماكن المذكورة في الدار الحادية للزاوية المذكورة من أحباس المرحوم بكرم الله السيد الحاج عبد الكريم بريشة لتزاد في جرم الزاوية المذكورة ينتفع بها الذاكر والمصلي وأرباب الزاوية على أن يعطيه ذو الزاوية المذكورة بيتا من بيوت هذه الدار التي ستزاد إن قدر الله زيادتها بقصد الدفن فيه يكون خاصا به ولمن شاء من ذويه وأحبابه وينتفع به أهل الزاوية فيما عدا الدفن المذكور، حبسا مؤبدا ووقفا مخلداً إلى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين، ومن بدل أو غير فالله حسيبه وسائله ومتولي الانتقام منه ، قاصدا بذلك وجه الله العظيم ، وثوابه الجسيم ، والدار الآخرة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ولا يخيب لراجيه وقاصده أملا ، شهد على إشهاده بما فيه عنه وهو باتمه وعارف قدره وعرفه وفي متم جمدى الاولى عام تسعة بمثناة أولى وعشرين وثلاثمائة وألف . . . . .

ومما يعتبر كالجزء المكمل للزاوية الحراقية بتطوان ، بستان الحراق الشهير بين بساتين بوجراح، وقد كان ملكا للشيخ سيدي محمد رحمه الله، وقد قال فيه صديقنا مولاي التهامي الوزاني في معرض كلامه على مولاي الحسين الحراق رحمه الله ما نصه (1) «ولقد ترك الشيخ سيدي محمد الحراق أموالا كثيرة أتى عليها مولاي الحسين (ولده) بالبيع حتى لم يترك منها شيئا، وحتى جنة الشيخ خارج المدينة، فالمكان المدعو بابي جراح باعه مولاي الحسين وكان الفقراء لا يستغنون عنه فهو بمثابة الزاوية الصيفية، فلما رأوا أن موطن أجمل الذكريات قد بيع، قاموا وجمعوا ثمنه فيما بينهم ثم ردوه على مولاي الحسين، فباعه ثانيا ، ثم ردوه فباعه ثالثا، فاشتروه لا على أنه يرد لمولاي الحسين ، بل ليبقى حبسا يتنزه فيه أعقاب الشيخ ويتسع فيه الواردون من الفقراء، وبهذه الحيلة بقي البستان تابعا للزاوية» .

وقد توسعت قليلا في الكلام على هذه الزاوية، في فصل الزوايا من «كتاب التكملة» وهو ذيل لهذا الكتاب، فليرجع اليه من يهمه ذلك وبالله التوفيق .

---

1) الزاوية ص ـ 210 .

عن الزاوية الحراقية بفاس

قد وقفت أثناء إحدى زياراتي لفاس عام 1370، لدى صديقنا الفاضل سيدي عبد الله ابن العلامة القاضي سيدي احمد بن الطالب بن سودة، على رسم هذا نصه :

« الحمد لله الواضع شكله إثر تاريخه يعرف الفقيه العالم سيدي الطالب ابن الفقيه المرحوم بكرم الله سيدي محمد بن سودة المري القرشي المعرفة التامة الكافية شرعا بها ومعها يشهد بان كان له وبيده وفي حوزه وتصرفه جميع الثلثين الاثنين من الدار الكائنة باقصى أبي رجوح من حومة المخفية تجاور عرصة الشرفاء الطاهريين والفرن ودار المرابطين اولاد الولي الصالح سيدي احمد بن عبد الله وهي التي أضيف إليها غيرها وصارت زاوية، ومحل الدار المذكورة من الزاوية المذكورة كل ما عدا الصحن منها، فالمدخل والميضتان والماء وما بين ذلك وما حمل عليه كله منها ، وكان يتصرف فيما ذكر تصرف المالك في ملكه وينسبها لنفسه والناس إليه أكثر من عشرة أعوام من غير منازع ولا معارض، ما يعلمه باعها ولا وهبها ولا خرجت عن ملكه بوجه من وجوه الفوت كلها إلى أن توفي رحمه الله وتركها لورثته المعروفين لديه بمثل المعرفة المذكورة ، وهم زوجه السيدة فاطمة بنت الفقيه المرحوم سيدي عبد الكريم القرمودي الاندلسي وأولاده منها ، وهم الفقيه المرابط العدل سيدي محمد والفقيه العلامة المدرس سيدي عمر، والفقيه العلامة الدراكة المدرس سيدي المهدي، والفقيه النبيه سيدي عبد القادر ، والفقيه الانجب سيدي احمد ، والمصونتان السيدة فضيلة وراضية لا وارث له سوى من ذكر في علمه، وبقيت بأيدي الورثة المذكورين على الوجه الذي كانت عليه بيد موروثهم حرفا حرفا وهم يتصرفون نحو الثلاثة أعوام ولا يعلمها خرجت عن ملكهم بوجه إلى أن عمد بعض من قصد فعل المعروف فاشترى الثلث الباقي ممن كان مالكا له ، وحضر معه من الورثة المذكورين الفقيهان سيدي محمد وسيدي عمر المذكوران فهدموا الدار المذكورة من غير علم موافقة من بقية الورثة وبنوها مع ما أضيف إليها على الكيفية التي هي عليها الآن، مصرحا الفقيهان المذكوران بأن قصدهما في ذلك أن يكون الموضع المذكور محلا للطاعات وأصناف العبادات من صلاة وذكر وتدريس علم وغير ذلك رغبة في حصول الاجر والثواب ، من الملك الوهاب ، شكر الله سعيهما الصالح ومتجرهما الرابح، فمن علم ما ذكر وحققه كما سطر بالمخالطة والاتصال والاطلاع على الاحوال ، قيد بذلك شهادته مسئولة منه لسائلها في محرم الحرام فاتح عام ستين ومائتين والف. محمد بن عبد الرحمن الفاسي الفهري لطف الله به ، وعبد الرحمن بن عبد السلام الخصاصي غفر الله له ولوالدين آمين » .

ومن هذا الرسم استفدنا .

اولاً، ان الدار التي بنيت الزاوية الحراقية على أنقاضها بفاس، كان ثلثاها ملكا لسيدي الطالب بن سودة، فورث ذلك أبناؤه بعد وفاته .

ثانيا ، أن ولدي سيدي الطالب المذكور وهما سيدي محمد «المدعو المقدم» وأخوه سيدي عمر، هما اللذان تبرعا بالثلثين المذكورين وقاما «بالتعاون مع من اشترى الثلث الباقي» بهدم الدار المذكورة وبناء الزاوية القائمة الآن مكانها .

ثالثا ، أن ذلك كان بعد وفاة والدهما المذكور بنحو ثلاثة أعوام ووفاته كانت في ثاني جمدى الاخيرة عام 1243. فيكون تاريخ بناء الزاوية المذكورة حوالي عام 1246، اي بعد بناء زاوية تطوان بنحو ثلاثة أعوام وقبل وفاة الشيخ الحراق بنحو خمسة عشر عاما. والله أعلم .

زاويته بطنجة

أما الزاوية الحراقية بطنجة، فقد بنيت في حياة الشيخ أيضا والذي بناها هو السيد عبد السلام بن محمد السلاوي التادلي حوالي عام 1254. وهذا نص تحبيسه لها : (1)

الحمد لله أشهد شهيديه الفقيه الاجل العلامة النحرير المبجل الصدر المكين الامثل أبو محمد سيدي عبد السلام بن العلامة البركة المرحوم بكرم الله سبحانه سيدي محمد السلوي التادلي أنه حبس الزاوية التي بناها بثغر طنجة عمرها الله بالاسلام قرب زاوية سيدي بن داوود نفعنا الله به تحد الطريق من جهتيها الاخريين وقرب بير هناك وشهرتها كافية، على شيخه العالم العلامة الدراكة الفهامة أبي عبد الله سيدى محمد بن المرحوم بكرم الله تعلى سيدي محمد الحراق الحسني العلمي ليجتمع لذكر الله فيها والمذاكرة فيه مع أتباعه الفقراء ومن علم هو منه الصدق في جانب الله إن حل بالثغر المذكور أو نائبه إن غاب ، بجميع منافعها ومرافقها وكافة حرمها وجعل له النظر في صرف حبسها باجتهاده فيما عسى أن تحتاج إليه من بسط ومصابيح وإصلاح وغير ذلك مما يقوم به أمرها وأذن له في حوزها متى شاء حبسا مؤبدا ووقفا مخلدا إلى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين، قصد بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجسيم، ومن بدل أو غير فالله حسيبه ومتولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . حضر شيخه الفقيه المذكور وقبل منه ذلك قبولا تاما وشكر فعله والله لا يضيع أجر من أحسن عملا عرفا قدره شهد عليهما بما فيه عنهما وهما بأكمله وعرفهما وفي ثاني رمضان الابرك عام أربعة وخمسون ومائتين والف. عبد ربه فلان بشكله ودعائه، وعبد ربه فلان بشكله ودعائه اه .

---

1) رسم هذا التحبيس، يوجد اصله لدى صديقنا سيدي احمد بن البشير الحراق حفظه الله .

الزاويتان الحراقيتان بالرباط والدار البيضاء

بعد أن ذكر الاستاذ محمد حجي في كتابه «الزاوية الدلائية» (1) أن بعض الدلائيين كان قد انتقل في أواسط القرن الماضي إلى السكنى برباط الفتح ونشأ منهم في هذه المدينة أديب صوفي هو محمد بن العربي الدلائي . . . قال : «وصحب محمد بن العربي الدلائي بعد ذلك، الشيخين الصوفيين الشهيرين، العربي الدرقاوي ومحمد الحراق، وسلك على يدهما طريق القوم إلى أن بلغ درجة المشيخة، وأسس في الرباط الطريقة الحراقية وعنه أخذها كثير من الناس ، منهم العالم احمد بن عاشر الحداد الذي شيد هذه الطريقة في الرباط من بعده » ثم قال :

ثم انتقل الشيخ محمد بن العربي الدلائي الى مدينة الدار البيضاء حيث أسس زاويته المشهورة في البقعة التي كانت وهبت للشيخ الحراق غير بعيدة عن المسجد العتيق بطريق دار المخزن في المدينة القديمة، وأخذ يلقن فيها الاوراد ويعمر حلق الذكر بالسماع على الطريقة الحراقية . . . .

ثم ذكر أن هذا السيد توفي في 15 شوال عام 1285 هـ ودفن بركن الصحن الاول عن يمين المستقبل داخل زاويته في الدار البيضاء، وأن ابنه الصالح عبد السلام الدلائي ـ وكان مثله عالما ورعا يتجنب الظهور ويميل الى الانعزال عن الناس ـ سلك سبيل والده في التصوف والانقطاع إلى العبادة والذكر وتربية المريدين إلى أن توفي عام 1310 ودفن بجوار والده في زاويتهم .

على أن هناك زوايا حراقية كثيرة في مختلف مدن المغرب وقبائله ، ولكن معلوماتي عنها قليلة ولعل فرصة اخرى تتاح لي للافاضة في هذا الموضوع بأكثر مما هنا والكمال لله .

---

1) ص 258 من طبعة الرباط عام 1384 هـ 1964 م

دعاء الختم المبارك للشيخ الحراق

ولعل أفضل ما ينبغي لنا أن نختم به ترجمة الشيخ الحراق، هو دعاء مبارك كان هذا الشيخ الجليل يختم به مجالسه السنية، وهل هناك بعد كلام الله العزيز، والصلاة على رسوله الحبيب ، كلام أفضل من مناجاة الرحيم الرحمن ، وطلب العفو منه والرحمة والرضوان ؟ والدعاء المذكور هذا نصه :

- اللهم اجمعني على محبتك .
- وأعني على طاعتك وخدمتك .
- وطهرني تطهيرا نصلح به لحضرتك .
- ولقي نبيك عليه السلام
- وزدني فيك تحيرا .
- وبك افتتانا .
- وغيبني بك عن كل شيء سواك .
- حتى لا نكون إلا بك ولك .
- واحفظني فيك سائر يومي .
- وبقية عمري .
- حتى تتوفاني وأنت عني راض وأنا علك غير مفتون .
- بحق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

استدراكات

الحمد لله .

بعد الفراغ من طبع هذه الترجمة، أطلعت على عدة فوائد تتعلق بالشيخ الحراق رحمه الله وإني أثبتها هنا تتميما للفائدة.

الشيخ الحراق موظف في جامع العيون بأمر السلطان

عند ما تكلمت على انتقال الشيخ الحراق إلى تطوان واستقراره بها ، وحياته الاولى فيها، ذكرت أنه كان يعيش إذ ذاك بصفة فقيه عالم يشتغل بالتدريس والعدالة والفتوى ولم تكن له في ذلك العهد علاقة بالتصوف والمشيخة ، وأنه كان أولا يدرس العلوم في الجامع الاعظم بتطوان ، ويخطب فيها بجامع حومة العيون الخ .

وأزيد هنا أن السلطان مولاى سليمان هو نفسه الذي أسند إلى الفقيه الحراق وظائف الامامة والتدريس وخطبة الجمعة في جامع العيون من تطوان ، وقد وقفت على أصل الرسالة التي كتبها السلطان المذكور إلى قاضي تطوان في ذلك العهد متعلقة بهذا الموضوع .

وديباجتها مع ما فيها متعلقا بالشيخ الحراق هذا نصه نقلا عن تلك الرسالة التي عليها خط مولاي سليمان نفسه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

ثم الطابع الكبير ، ونقش وسط خاتمه السداسية سليمان ابن محمد بن عبد الله غفر الله له وتولاه .

وقد كتب السلطان المذكور عن يسار الطابع المذكور اسمه بخطه هكذا : سليمان بن محمد لطف الله به :

الفقيه القاضي السيد عبد الرحمن بن محمد البرنسي ، أصلحك الله والسلام عليك والرحمة . أما بعد فنامرك أن تعزل ولد بن قريش من الجامع الذي يؤم به إذ لا يحل ولاية مثله ممن يجهل أحكام الصلاة. وها نحن ولينا مكانه الفقيه السيد محمد الحراق الشريف لانه طالب علم وله مروءة يؤم فيه ويخطب ويدرس من العلم ما يعرفه مما أرجو له النفع به، ويقبض من الخراج ما كان يقبضه ابن قريش إن بلغ تسعين

أوقية في الشهر ، وإن نقص عنها كملت له التسعون أوقية من أحباس الجامع المذكور أو غيره والله يعينك والسلام .

والرسالة المذكورة بدون تاريخ ، إلا أن هناك من القرائن ما يدل على أنها كتبت سنة 1224 والله أعلم .

عن السيد بناني الرباطي تلميذ الشيخ الحراق

مما جاء في ترجمة الشيخ الحراق ، أن السيد بناني الرباطي حضر بعض الدروس العلمية للشيخ المذكور بتطوان ، وتقدم إليه وأخذ عنه ورده ، الخ .

وقد أطلع على ذالك أخونا وصديقنا الكريم الاستاذ مصطفى الغربي الرباطي واستظهر أن يكون بناني المذكور ، هو السيد بوبكر بناني والد السيد فتح الله بناني الشيخ الصوفي الشهير بالرباط ، وذكر لي أن وفاة السيد أبي بكر المذكور ، كانت سنة 1284 ، أي بعد وفاة الشيخ الحراق بنيف وعشرين عاما . ورحمة الله على الجميع .

من المتكلمين على الشيخ الحراق

قد عقدت في صفحة 93 من هذه الترجمة ، فصلا تحت عنوان (المترجمون له) وقد نقلت في هذا الفصل ما وقفت عليه من كلام العلماء الذين ترجموا للشيخ الحراق أو تكلموا عليه ، ثم بعد طبع ذالك ، أطلعني أخونا الاستاذ مصطفى الغربي على اختصار الفقيه المشارك السيد محمد الحجوي لكتاب الابتسام ، عن دولة مولانا عبد الرحمن ابن هشام (1) تاليف أحد كتاب الوزير محمد ابن ادريس ، والمؤلف قد اجتمع بالشيخ الحراق في تطوان قبل وفاته ببضعة أيام وكتب عنه في تأليفه المذكور الذي ننقل عن مختصره ما نصه (2) :

1) الاختصار المذكور موجود في الخزانة العامة بالرباط . في مجموع رقمه ـ 114 ـ من مكتبة الحجوي .

2) هذا النص موجود في صفحتي 412 ـ 413 من المجموع المذكور .

واجتمعنا في رحلتنا هذه ، يعني سنة إحدى وستين ومائتين وألف ، بشيخ المشايخ في وقته ، وصاحب الطريقة الشاذلية ، المتفق على دينه وعدالته ، شيخنا وبركتنا العلامة الدراكة الفهامة المشارك في علمي المنقول والمعقول ، الخائض في بحري الشريعة والحقيقة أبي عبد الله المتوكل على الله الرزاق ، سيدي محمد الحراق ، رحل في بدايته إلى فاس وتعلم العلم والادب ، وأخذ الطريقة عن شيخ المشايخ مولاي العربي الدرقاوي ، وأقام في تطوان وله فيها خدم وأتباع ، ودور ورباع ، وزاوية للفقراء ، وله في فاس أيضا زاوية يجتمع الفقراء فيها ، وكان من عادته إذا اجتمع مع أحد من أمراء وقته ، تلطف له وتأدب بين يديه وربما كشف رأسه وخلع النعل وهو عارف بمساغ ذلك ، والناس يعترضون على ذلك ، وهو أدرى وأبصر ، قد سمع منه بعض العوام يقول للقائد محمد أشعاش قائد تطوان ، أنت القطب ، وقال له في رجل ، إنه يحشر مع الكلاب والخنازير ، فقال يا سيدي ، كيف يكون قطبا مع ما هو عليه من الجور والظلم ، فأجابه إن ذلك حق لان الله يجمع الخلائق في الحشر حتى الكلاب والخنازير وبني آدم مومنهم وفاجرهم ، وإنما قصدت بذلك التعمية على القائد تقية منه ، وأما قولي له « إنه انقطب » فصحيح ، لان الانسان يسمى قطبا في بيته ، والوالي قطب في محل ولايته ، والقطب العود الذي تدور عليه الرحى ، فكذلك الوالي في أهل ولايته ، لان مدار أمرهم عليه ، ففهم العامي مقصد الشيخ وزال اعتراضه .

دخلت عليه في مرض موته أنا ورجلان من فاس ، فوجدناه على فراش ، فجلس وهش وبش وأمر بأواني الاتاي فأحضرت ، وسأل رجلا درويشا درقاويا أين تريد ، فقال المشرق ، فتركه والتفت لمن حضر وقال ، قد تخاصم شياطين المشرق وشياطين المغرب فيمن هو أشد أغواء فقال شياطين المشرق ، نحن ، وقال شياطين المغرب ، بل نحن ، إذ نجد الرجل يصلي الفرائض الخمس في أوقاتها ويقوم بمعيشة عياله ، فيؤدي حق الله وحق عياله ، فناتي ونزين له المسير للحج ونرغبه فيه ، فيقوم من حينه يبيع متاعه ويترك أولاده المضياع ، ثم يسافر في مركب الحجاج في زحمتهم ، وتصيبه الدوخة فيعجز عن أداء الفرائض ، وربما تمادي تركها في جميع سفره ، فتجده قد ترك فروضا وأتى بفرض واحد فمن أشد إغواء ، فقالوا ، بل أنتم .

والتفت الى رجل يتجر في جبل طارق منذ عشر سنين ولا ياتي لتطوان إلا قليلا ، فقال يا فلان ، هل ضاقت عليك الارض فلم تجد متجراً إلا في بلد الكفر ، وسهل عليك معاشرتهم تاركا الجمعات والجماعات ، والغنى بيد الله ، والله لو اعطوني مفاتيح

جبل طارق لاسكنه شهرا ما قبلت ، وأنا فقير ، وعندي في بيتي خمسة وأربعون نفسا تلزمني نفقتهم ، ولا يكفيني في كل يوم أقل من خمسين أوقية ، والله يرزقني من حيث لا أحتسب ، ثم ذكر أهل المجلس عامة ، وحظهم على الذكر ولو بدون استحضار ، وحذرهم من الغفلة عن الله لان القلب جوهر لطيف لا يقوى إلا بالذكر لله .

وقال لي إذا أردت أن تختبر أحداً من أهل الدنيا ، فاختبره في دنياه ، فعند ذاك يظهر صدقه من كذبه ، فقد كان لي صاحب من أهل تطوان يتردد علي ويدعي محبتي فمللته ، فاردت أن أختبره وكان دباغا فقلت له عندي جلد بقر أردت منك أن تدبغه لي ، فانعم بذلك وفارقني ، فمن ذاك اليوم ما رأيته .

وقال لي ، كنت أيام شبابي لا ألبس إلا الثياب الرفيعة الغالية الثمن ، ثم زهدت في ذاك ، فها أنا اليوم لا ألبس إلا الخشن منها ، وأخذت عنه الذكر وهو طلب مني ذاك ، فقلت له ، إني مشغول في خطة الخزانية ، فأخاف على نفسي التفريط والتكاسل، فقال ، الا حرج عليك ، اذكر ما شئت وهو أن أقول ، استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، مائة مرة ، ثم قل لا إله إلا الله مائة مرة ، ثم قل اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق الخ . ثم اكشف رأسك ، وحف قدمك ، واستقبل القبلة على وضوء وقل ، الله ماداً على حرف اللام بسكينة وحضور ، مائة مرة ، ثم ودعته وسافرت ، وبعد أيام 7 - 8 ورد نعيه ، فتوفي في 21 شعبان سنة 1261 احدى وستين وبعده بيومين ، توفي تلميذه الخير الناسك السيد احمد الابياري التطواني رحمه الله .

عن الزاوية الحراقية ورجالها بفاس

عند ما تكلمت على بعض زوايا الشيخ الحراق رحمه الله ، أثبت ما عرفته عن زاويته بفاس ، ثم أطلعني الاستاذ الغربي المذكور على مجموع موجود في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 115 من مكتبة الحجوي ، ومن جملة ما فيه ، كتاب « طيب الانفاس في تاريخ بعض الزوايا والاضرحة بفاس » تأليف الفقيه السيد محمد الحجوي . وقد اختصره من كتاب « روض الانفاس العالية ، في بعض الزوايا الفاسية » تأليف السيد عبد الكبير ابن هاشم الكتاني . وهذا الاختصار موجود في صفحة 340 من المجموع المذكور ، وقد جاء فيه عن الزاوية الحراقية ورجالها بفاس ما نصه :

الزاوية الحراقية

مؤسسها الفقيه المشارك أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد الحراق الموسوي ينتهي نسبه إلى موسى بن مشيش أخذ عن المولى العربي الدرقاوي سنة 1228 وهو ابن الاربعين سنة ، ثم بنى بأقصى حومة المخفية زاوية كان يعمرها بالتدريس والاذكار بالحلق ، وكان كثير الاتباع ، ثم انتقل لتطوان وأسس بها زاوية وأتباعا ، وتوفي بها في شعبان سنة 1261 ، وقبره بزاويته هناك شهير ، وعقبه بفاس .

وعنه تفرعت زاوية سيدي الخضر وهو سيدي الخضر بن قدور بن حدوا الشجعي الحليلي المزواري ، كان أولا يأخذ العلم بفاس عن علمائها ، ولما قدم الحراق وفتح التفسير بزاويته ، ذهب اليه وأخذ عنه الطريقة ولازمه ، وبعد وفاة شيخه تصدر بزاوية شيخه حتى صار رئيس أتباعه فانقادوا اليه إلى أن توفي في رجب سنة 1295 ودفن بداره قرب الزاوية المذكورة ، وقبره يزار ، وأصحابه يجعلون له احتفالا سنويا بداره بعمارة هناك .

وممن هو على هذه الطريقة ، السيد محمد العطار ، إلا أنه بعد ما كان يجتمع مع أصحابه في الزاوية المذكورة ، أخرج منها ، وأسس طريقة أخرى في زاوية أصلها مسجد بمصمودة ، وطريقته الآن في الانتشار ، انتهى .

ونحن نلاحظ هذا الكلام ، أنه يقتضي أن الشيخ الحراق انما انتقل إلى تطوان بعد أن بنى زاويته بفاس وكان يعمرها بالتدريس والاذكار ، الخ والمعروف لدينا ، أن الشيخ المذكور عند ما كان بفاس أولا ، لم تكن له أية علاقة بالتصوف والزوايا ، وأنه عند ما انتقل الى تطوان واستقر بها ، كان مشتغلا فيها بالعدالة والفتوى . والتدريس . ثم حصلت اه نكبة فاعرض عن زخارف الحياة الدنيا وتوجه الى الله واشتغل بالتصوف حتى صار من كبار رجاله ، أما تأسيس زاويته بفاس ، فكان بعد هذه الفترة من حياته رحمه الله .

رسالة من السلطان ، الى أهل تطوان

صورة رسالة كتبها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن الى اهالي تطوان بعد جلاء قوات الاحتلال الاسباني عن هذه البلاد، وفيها يهنيهم بعودة الحكم ــ الاسلامي العربي المغربي ــ الى مدينة تطوان التي وصفها بانها كانت غرة في جبين المغرب الاقصى، وان أوصافها لا تعد ولا تستقصى.... الـخ وفي هذه الرسالة يسند حكم هذه المدينة للقائد الحاج عبد القادر أشعاش،

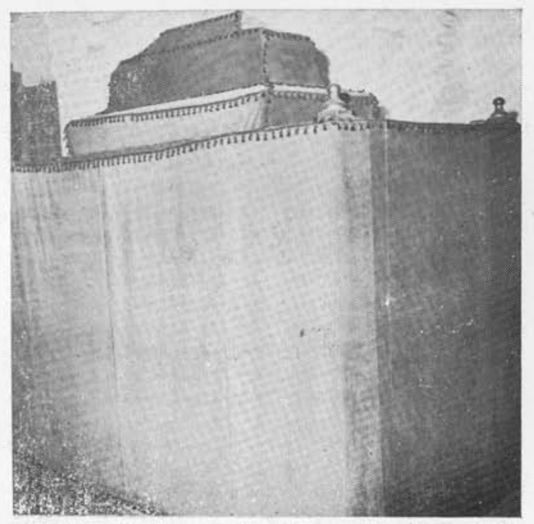
وقد اثبت نص هذه الرسالة في صفحتي 11 - 12 من هذا المجلد، وهي كما ترى مؤرخة بـ 14 شوال عام 1278 .

رسالة عليها طابع السلطان مولاي سعيد عام **1236** هـ

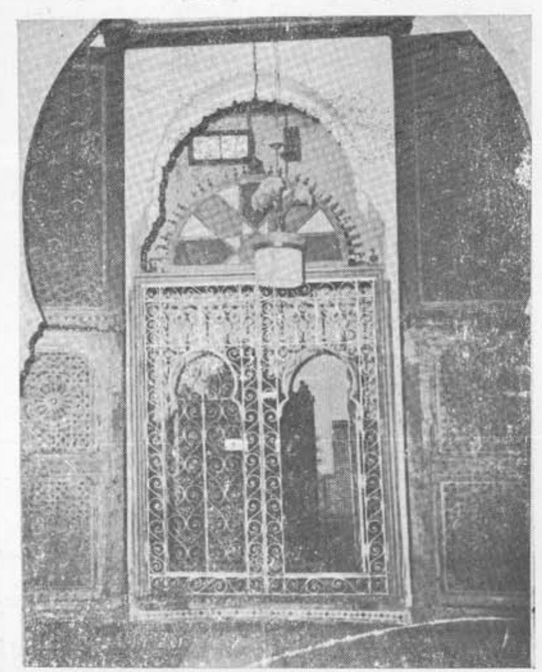
لقد كان من حوادث مدينة تطوان ونواحيها سنة **1236** هـ مبايعة أهل هذه النواحي للمولى سعيد ابن السلطان مولاي اليزيد ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله عقب وفاة اخيه المولى ابراهيم ودفنه بتطوان. وهذه صورة رسالة عليها طابع المولى سعيد المذكور، ونقش وسطه (سعيد ابن محمد اليزيد المهدي الحسني الله وليه ومولاه) وبدائرته بيت البردة المشهور.

ومن تكن برسول الله نصرته   ان تلقه الاسد في ءاجامها تجم

وهذه الرسالة مؤرخة بثالث وعشري شوال عام 1236 ولم يمض على هذا التاريخ قليل حتى استسلم المولى سعيد للسلطان الشرعي للبلاد وهو المولى سليمان رحمه الله. والرسائل التي عليها الطابع المذكور، نادرة الوجود.



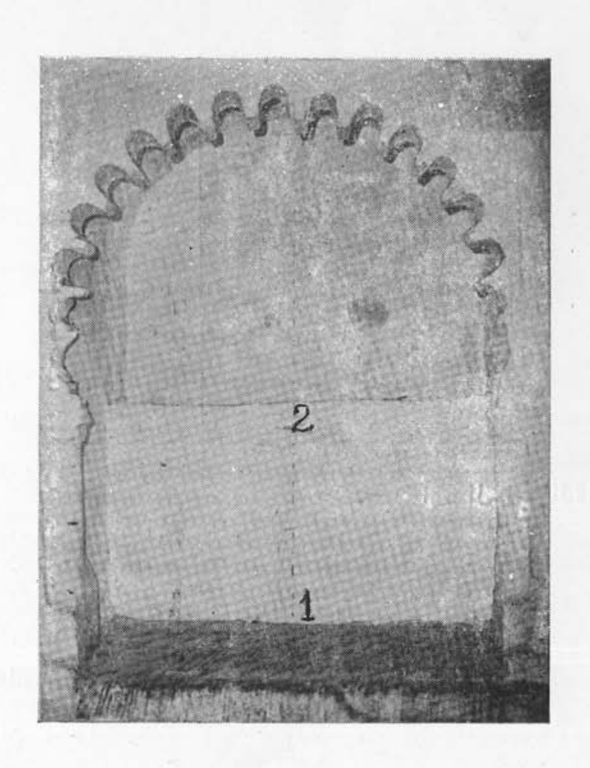
ضريح الشيخ عبد الله الحاج البقال بتطوان



باب القبة التي بداخلها ضريح الشيخ عبد الله الحاج البقال

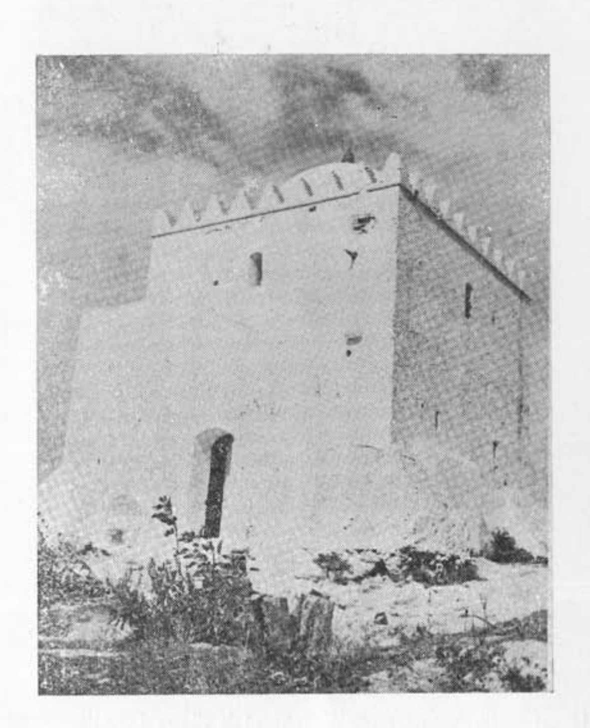
في صفحة 285 - اثبت ترجمة مختصرة للولي الصالح المجذوب الشيخ عبد الله البقال، وذكرت فيها انه توفي 12[illegible]7 ه ودفن بزاويته المشهورة بساحة الفدان من مدينة تطوان.

وهاتان صورتان احداهما لضريح الشيخ المذكور، والاخرى لباب القبة التي بها ضريحه رحمه الله. وهذه القبة يتصل بها مسجد جامع يقرأ فيه القرءان، وتقام به الصلوات الخمس والجمعة، وفي بعض الظروف تقام به صلاة العيد، وهو من المساجد المهمة بهذه المدينة حرسها الله.



قبر الشيخين أحمد الورزازي ومحمد بن علي الورزازي

في صفحة 191، عقدت ترجمة للشيخ محمد بن علي الورزازي المعروف في تطوان بسيدي الورزيزي، وقد ذكرت فيها انه توفي عام 1214 هـ ودفن خارج باب المقابر بتطوان. وهذه صورة بها قبران احدهما للشيخ المذكور، وعليه رقم ـ 1 ـ والآخر لشيخه العلامة ابي العباس احمد الورزازي الذي توفي عام 1179 هـ وقد ترجمت له في الفصل الثالث من الباب الخامس من هذا الكتاب ، وترجمته موجودة في ص 85 من المجلد الثالث.



القبة التي بداخلها قبر سيدي بن كيران في تطوان

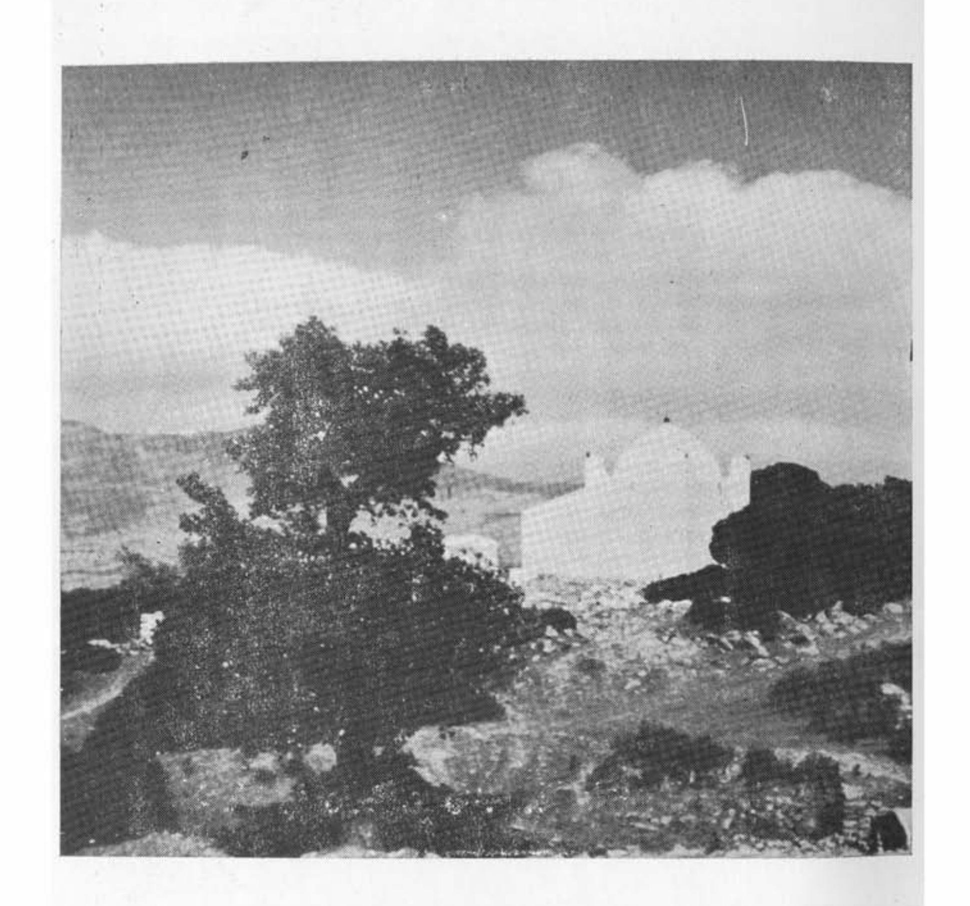
في صفحة 212 ترجمت لسيدي ابن كيران، وهو الرجل الصالح الزاهد المجذوب السيد محمد بن كيران الفاسي الاصل التطواني السكنى والمدفن.

وقد ذكرت انه توفي عام 1222 - وانه هو صاحب القبة المعروفة قرب خندق المرس خارج باب المقابر من تطوان. واثبت هنا صورتين ، إحداهما لقبره المتواضع الخالي من كل زخرفة ، والاخرى للقبة المتينة المهجورة المحتوية على القبر المذكور على صاحبه رحمه الله.



قبر الولي الصالح سيدي بن كيران

والقبور تختلف مظاهرها وحظوظها، كما كانت تختلف مظاهر اصحابها وحظوظهم في حياتهم، فذاك ضريح كبير مزخرف مكسو بالذهب والحرير، يتزاحم عليه الزائرون والزائرات ، وتنهال عليه الهدايا والهبات ، وقد كان صاحبه رجلا يتمتع بكل ما احل الله من اصناف الطيبات ، وهذا قبر مهمل مهجور مكشوف قلما يقف عليه زائر ، وقد كان صاحبه رجلا عابدا زاهدا يقضي نهاره صائما، وليله ساجدا وقائما، يذكر الله ويتلو كتاب الله ويصلي على نبيه المصطفى الكريم، ويعلم الله اي الرجلين كان اعظم قدرا عند الله، وايهما سيكون في الجنة اقرب منزلا من رسول الله ، الا اننا نعتقد ان للعلماء العاملين الذين يعلمون الناس دينهم، ويرشدونهم الى ما ينفعهم في دنياهم ، وللشيوخ المخلصين الذين ينقذون الناس من غفلاتهم ، وينتشلون العصاة من حمأة المنكرات والمخالفات، ويسيرونهم في طريق الهدى والصلاح، مزية على الذين ينكمشون ويقتصرون على نفع انفسهم من الزهاد والعباد، ومن سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة.



صورة القبة التي بداخلها ضريح الشيخ احمد بن عجيبة «بمدشر الزميج» من قبيلة انجرة الجبلية بين مدينتي طنجة وتطوان، وقد تكلمت على وفاة هذا الشيخ ومدفنه في صفحة 254 من هذا المجلد.

... la première page du Sharh al-Burda, écrite de la main de Ibn 'Ajība

صورة الصفحة الاولى من شرح الشيخ ابن عجيبة لبردة الامام البوصيرى ، وقد تكلمت على هذا الشرح في صفحة 228 .

اجازة الشيخ التاودي بن سودة للشيخ احمد ابن عجيبة

وفي صفحة 213 عقدت ترجمة مطولة للعالم الصوفي الشيخ احمد ابن عجيبة الرجل الصالح رحمه الله.

واني مثبت هنا اربع صور لها ارتباط بالشيخ المذكور.

فالاولى صورة القبة التي بداخلها ضريحه.

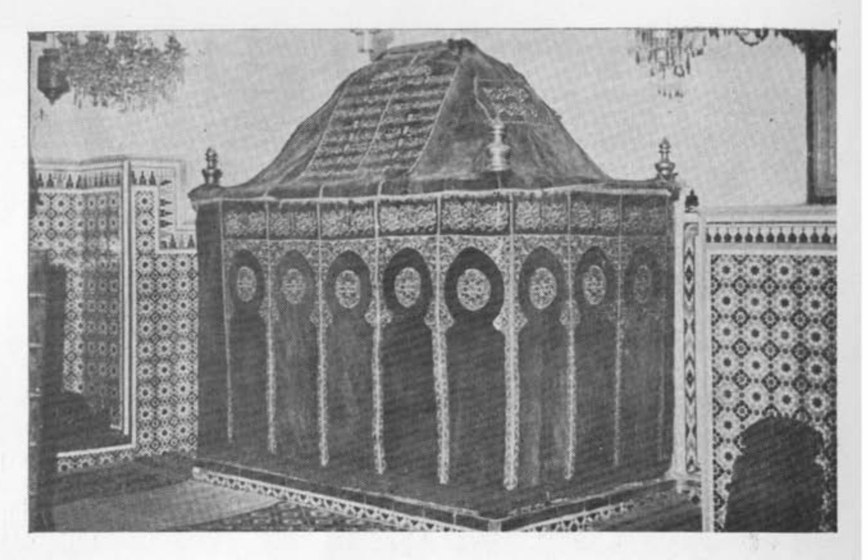
والثانية صورة الصفحة الاولى من شرحه لبردة الامام البوصيري في المديح النبوي، وهي بخطه.

والثالثة اجازة الشيخ التاودي بن سودة له بخطه الحسن.

والرابعة إجازة الشيخ محمد بنيس له وهي بخطه المنمق ايضا.

اجازة الشيخ محمد بنيس للشيخ احمد بن عجيبة

وفي صفحة 217 ، اثبت نص إجازة الشيخ محمد بن احمد بنيس للشيخ ابن عجيبة وهذه صورة تلك الاجازة، وهي بخطه المنمق الجميل.

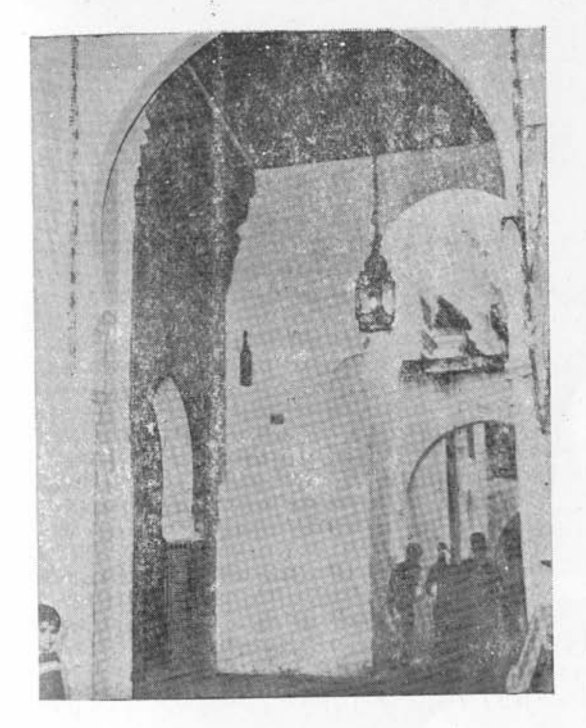


ضريح الشريف البركة الشيخ الجليل سيدي علي بن ريسون رحمه الله

في صفحة - 261 - عقدت ترجمة للشيخ الصالح ابي الحسن سيدي علي بن محمد بن ريسون الحسني العلمي رحمه الله ، وذكرت فيها ان وفاته كانت بتطوان عام 1229 وانه دفن بزاويته الشهيرة في حومة الصياغين من تطوان ، وبنيت عليه قبة كبيرة واتخذ له ضريح كبير الخ . واثبت هنا صورتين ، احداهما لباب الزاوية المذكورة والاخرى للضريح المذكور.

وضريح الشيخ سيدي علي بن ريسون كبير الشبه بضريح جده مولاي ادريس بفاس، إذ كل منهما واقع في الركن الذي عن يمين الجالس بمحراب قبة مربعة الشكل ، وعليه كسوة من الموبر الرفيع المزركش بالذهب الصقلي المختار.

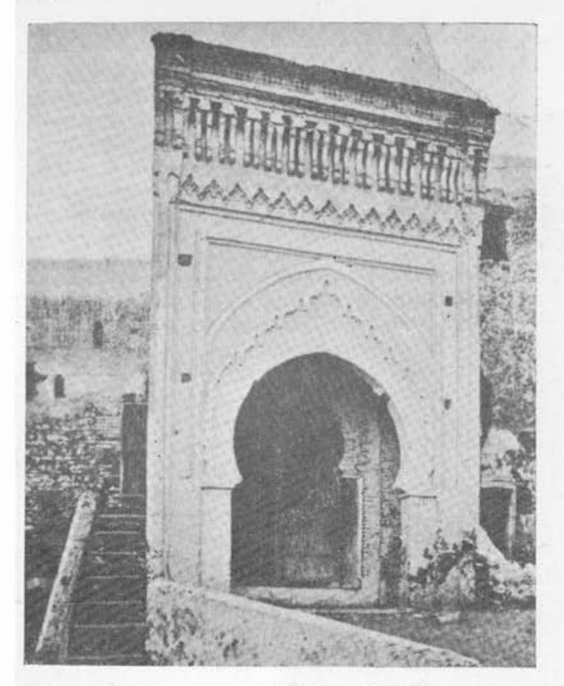
وصاحب هذا الضريح هو الذي انتقل من قرية تازروت بقبيلة بني عروس الجبلية الى مدينة تطوان في اوائل القرن الثالث عشر للهجرة، ونظرا لفضله وصلاح ءابائه.



باب الزاويــة الريسونيـة بتطوان

واجداده ونسبتهم الشريفة النبوية الطاهرة ، أقبل عليه الناس وأكرمه سلطان الوقت، كما أقبل على ابنه الشيخ الصالح ابي محمد سيدي عبد السلام، عدد من اعيان تطوان ووجهائها ، فاستفادوا روحيا وماديا، وانفقوا من الاموال وتركوا من الاوقاف ماتوسعت به الزاوية الريسونية وصارت في مقدمة الزوايا المفتوحة لعموم المومنين في جميع الاوقات، تقام فيها الصلوات الخمس والجمعة، ويتلى فيها القرءان في الصباح والمساء، وتقرأ بها الاحزاب والاوراد ودلائل الخيرات كل يوم ، كما تقرأ بها همزية الامام البوصيري بمختلف النغمات والالحان مساء يوم الجمعة من كل اسبوع ، ويحتفل فيها بليلة المولد النبوي الشريف احتفالا عظيما.

والشرفاء الريسونيون من اصح اشراف المغرب نسبا، وكان لعدد كبير منهم قدم راسخ في ميدان المعرفة والفضل والصلاح ، كما كانت لعدد آخر منهم ، جولات في ميادين الزعامة والكفاح، ورحمة الله تعم الجميع، والبقاء والدوام لله.

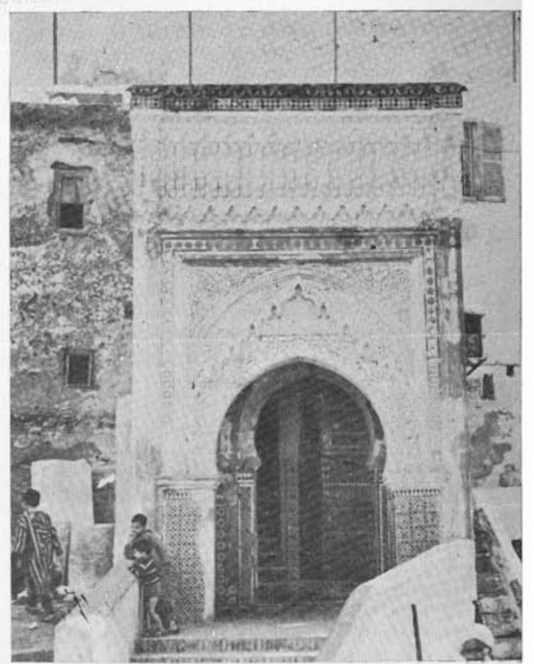


باب الزاوية الحراقية كما كانت في اوائل هذا القرن، والمظنون انها كانت هكذا في عهد الشيخ الحراق رحمه الله.

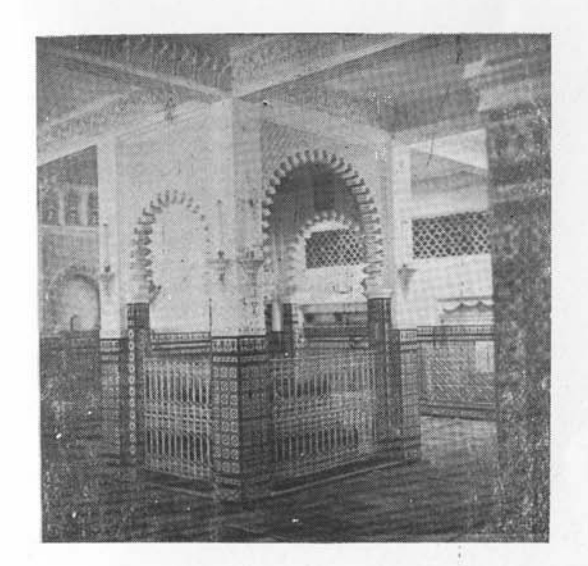
عن الزاوية الحراقية بتطوان

وفي صفحة 289 ، عقدت ترجمة مسهبة لنابغة عصره العالم الاديب ، الشيخ الصوفي سيدي محمد الحراق شيخ الطريقة الحراقية الدرقاوية الشاذلية.

وفي صفحتي 317 و 383 تكلمت على زاويته التطوانية التي زيدت فيها زيادات ، وادخلت عليها اصلاحات وتحسينات، وهذه خمس صور من الزاوية المذكورة.

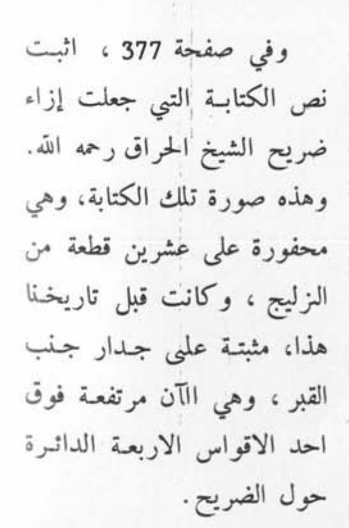


باب الزاوية الحراقية كما هو الآن.



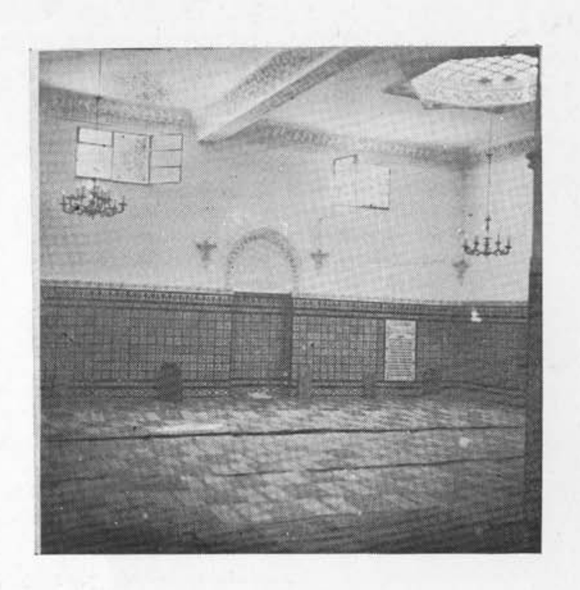
ضريح الشيخ محمد الحراق كما هو الآن، وقد جدد بناؤه منذ بضع سنوات.

صور الزوايا والضرائح
من تصوير السيد محمد اللبوع
بتطوان



وفي صفحة 377 ، اثبت نص الكتابة التي جعلت إزاء ضريح الشيخ الحراق رحمه الله. وهذه صورة تلك الكتابة، وهي محفورة على عشرين قطعة من الزليج ، وكانت قبل تاريخنا هذا، مثبتة على جدار جنب القبر ، وهي الآن مرتفعة فوق احد الاقواس الاربعة الدائرة حول الضريح.





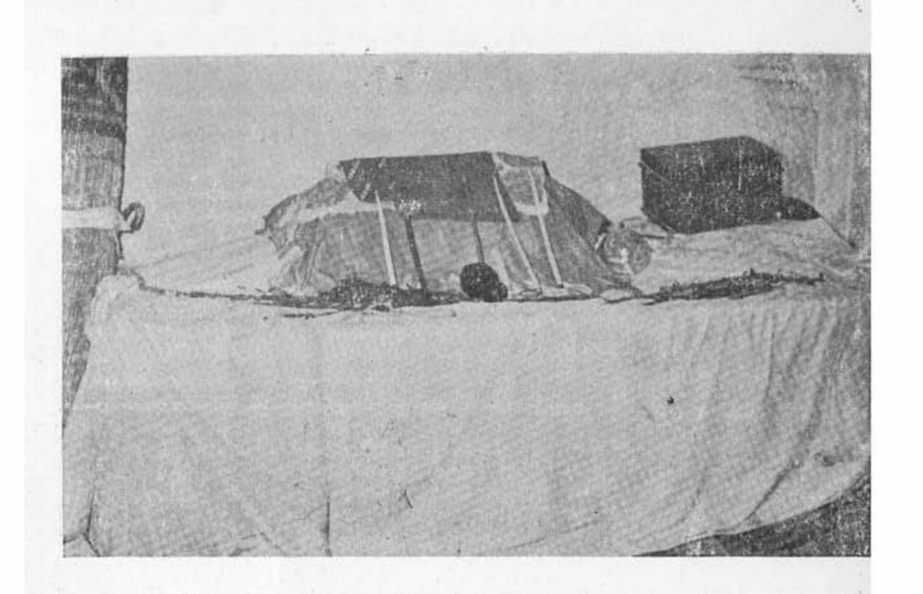
محل اجتماع الفقراء الدرقاويين الحراقين داخل زاوية الشيخ الحراق بتطوان

رسالة بخط الشيخ الحراق رحمه الله

كان الشيخ محمد الحراق رحمه الله، من اكابر رجال العلم والادب والتصوف والتربية بالمغرب.

وقد عقدت له في هذا المجلد « السادس» ترجمة مستوعبة اثبت فيها جملة وافرة من رسائله الصوفية، ومن جملتها رسالة اولها، بحمدك اللهم نبتدر عند سبوغ النعم الخ وفي الصفحة التالية صورة الرسالة المذكورة، وهي مثبتة بنصها الكامل في صفحة 362 من هذا المجلد.

رسالة بخط الشيخ الحراق رحمه الله

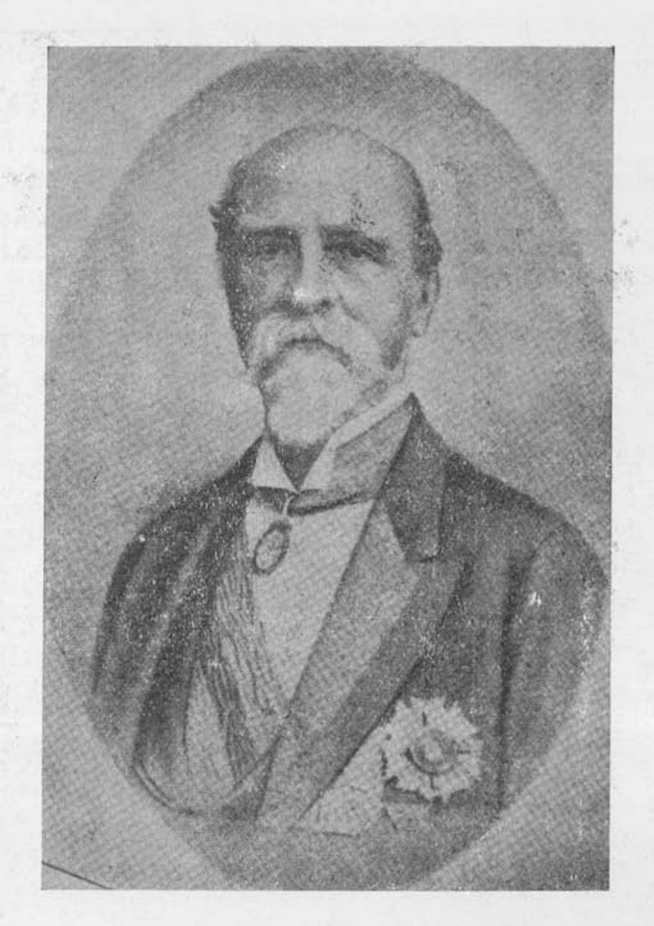


ضريح الرجل الصالح سيدي بوسلهام بحومة العيون
من مدينة تطوان

في صفحة 190 ، اثبت ما عرفته من ترجمة الشيخ احمد بن بوسلهام المعروف بسيدي بوسلهام، وذكرت انه توفي عام 1212 هـ ودفن في ضريحه المعروف الواقع امام الباب الكبير لجامع العيون بتطوان، وهذه صورة الضريح المذكور، على صاحبه رحمة الله.

خط الفقيهين القاضيين ، أفيلال والجنوي

في صفحة 283 ، عقدت للفقيه القاضي الشريف سيدي المأمون افيلال . ترجمة مختصرة ذكرت فيها انه كان كثير الاعتناء بتقييد الفوائد العلمية وان في خزانتي « الداودية » مجموعا علميا كبيرا كله مكتوب بخطه ، وهذه صورة الورقة الاولى من المجموع المذكور ، والسطور الاخيرة منها ، مكتوبة بخط الفقيه الشريف سيدي محمد الجنوي قاضي تطوان واني اثبت ذلك هنا كنموذج لخطوط فقهاء تطوان.



صورة المستر جان هاي دريموند هاي

Sir John Hay Drummond Hay

السياسي الانجليزي الذي كان مقيما بمدينة طنجة بصفة قنصل عام لدولة بريطانيا ووزير مفوض لملكتها بالمغرب.

وقد ورد ذكره في هذا المجلد «السادس» مراراً عديدة وكانت له علاقات ودية وتبادل مصالح مع بعض ساسة المغرب لحفظ التوازن الدولي والتوفيق بين مصالح دولتي المغرب وانجلترا، ومر وقت كانت له فيه توجيهات وجولات في ميدان السياسة المغربية.

LEGACION DE S. M. CATOLICA
EN
MARRUECOS.

الحمد لله وحده

حضرة الفقيه الاجل النائب في التوسط مع نواب الدول الاجنبية السيد محمد الخطيب حفظه الله
وبعد فان لا يخفى عليكم ان حضرة سلطانة اسبانية العظيمة ومقام [illegible] سلطانكم تعهدوا في
الفصل الثالث عشر والرابع عشر من عقد الصلح المحرر بتطوان على ان [illegible] عقد التجارة [illegible]
تشييد اسباب المحبة والعهد الذي [illegible] بين اسبانية وبين [illegible] ولذلك ارسلنا لكم
هو هذا نسخة من الاصل ليكون في علمكم ان سعادة [illegible] سلطانة اسبانية العظيمة فوضت الي هذه
المهمة بحيث ان [illegible] مع نائب او نواب المجعولين عن [illegible] حضرة سلطان [illegible] على
انعقاد الفصول التي تتوقفوا عليهم [illegible] العقد المذكور [illegible] بهذا الامر [illegible] سلطانكم
وبعد الله [illegible] بعقد الصلح [illegible] هذا عقد التجارة الجديد
الذي لا شك انه [illegible] والمحبة بين الجهتين واهلها والسلام من النائب المفوض والقنصل
خديم المقام العظيم سلطانة اسبانية فرنسيسكو مري وكلوم رقم بطنجة في ١٧ سبعة عشر
من شهر يولية عام ١٨٦٠ ستين وثمانماية والف

Francisco Merry y Colom

نموذج من رسائل القنصل الاسباني، الى النائب السلطاني

في هذا المجلد وفي المجلدين اللذين قبله، عدة رسائل بعثها القنصل النائب المفوض لملكة اسبانيا ، الى النائب السلطاني بطنجة السيد امحمد الخطيب . وهذه صورة إحدى تلك الرسائل، نثبتها هنا كنموذج لرسائل ذلك النائب الاسباني الذي كان اسمه فرنثيسكو مري وكلوم Francisco Merry y Colom وهي مؤرخة بسابع عشر يوليه سنة 1860 م وكانت مدينة تطوان في ذلك التاريخ ، رازحة تحت نير الاحتلال العسكري الاسباني .

الفهرس الاول

الابواب والفصول والموضوعات

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

الفهرس الثانى

لاسماء الاشخاص ـ الاعلام الشخصية . فردية وعائلية

الباء

التاء

الخـاء

الدال والذال

الـراء

الزاي

الطاء

الكاف

اللام

الميم

النون

الصاد والضاد

العين

الغين

الفاء

القاف

السين

الشين

الفهرس الثالث

لاسماء البلدان والاماكن - مدن - قبائل - معاهد ....

الالف

البـاء والتـاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الراء والزاي

الطاء

الكاف واللام

الميم والنون

الصاد

العين والغين

الفاء والقاف

السين والشين

الواو

الفهرس الرابع

لاسماء الامم والشعوب والجماعات

اجناس - دول - حكومات - قبائل - عائلات - الخ

حرف الالف

الباء والتاء

الجيم والخاء

الدال والذال

الـراء

الطـاء

الميم والنون

الصاد

العين

الفهرس الخامس

لما هو مذكور في هذا المجلد من اسماء الكتب والدواوين الخ

حرف الالف

حرف البـاء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف الطاء

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الصاد

حرف الفا' والقاف

حرف السين

حرف الشين

حرف الهاء والواو والياء

الفهرس السادس

لمراجع هذا المجلد

جل ما اعتمد عليه في تاليف هذا الكتاب هو نصوص الوثائق الرسمية والمستندات الموثوق بصحتها، والمعلومات الخاصة التي اجمعها من مختلف الدفاتر والمقيدات والاوراق وأفواه الثقات. ذلك لان موضوعاته ج'ها لا توجد فيه مؤلفات خاصة. ولكنى مع ذلك أنقل ما أقف عليه من الفوائد والمعلومات المبعثرة فى مختلف الكتب

وهذه لائحة بأسماء المؤلفات التي استفدت ونقلت منها عند تأليف هذا المجلد، ما بين مخطوط منها ومطبوع، وهي مرتبة على حسب الحروف.

1 ـ اتحاف اعلام الناس. لابي زيد عبد الرحمن ابن زيدان

وقد نقلت عدة فوائد من المجلدين الثالث والرابع منه.

2 ـ أزهار البستان، لابي العباس ابن عجيبة.

وهو مخطوط وصفته في صفحة 221 من هذا المجلد.

وقد نقلت منه كثيرا من المعلومات في تراجم عدد من علماء تطوان.

3 ـ الانباء المنشودة، للشيخ العابد ابن سودة

وهو مخطوط نقلت منه في تراجم بعض تلاميذ الشيخ الحراق من العلماء السوديين بفاس

4 ـ الاستقصاء لابى العباس الناصرى

وقد نقلت منه فوائد في مختلف الموضوعات.

5 ـ البحر المديد، لابى العباس ابن عجيبة.

وهو مخطوط تكلمت عليه باسهاب فى صفحة 219 من هذا المجلد. ونقلت منه عند الكلام على مؤلفات الشيخ ابن عجيبة،

6 ـ بغية المشتاق، للشيخ عبد القادر الورديغي

وقد تكلمت عليه في صفحة 383 من هذا المجلد

ونقلت منه وخصوصا فى ترجمتي الشيخ الحراق وتلميذه السيد محمد بن العربى الدلائى الرباطي

7 ـ تحفة الاحباب، للشيخ المهدي ابن سودة.

وهو مخطوط نقلت منه فى ترجمة الشيخ الحراق وبعض كبار تلاميذه.

8 ـ تذكرة المحسنين للشيخ عبد الحفيظ الفاسى

وهو مخطوط نقلت منه في ترجمة الشيخ الحراق

9 ـ الدرر البهية لمولاي ادريس العلوي الفضيلي

وقد نقلت منه كثيرا في الكلام على الشيخ الحراق وبعض كبار تلاميذه

10 ـ دوحة المجد والتمكين، للسيد الغالي العمراني، اللجائي

وهو مخطوط نقلت منه عند الكلام على شيخه الشيخ الحراق .

11 ـ الروضة المقصودة، للشيخ سليمان الحوات .

وهو مخطوط نقلت منه فى ترجمة الشيخ علي بن ريسون دفين تطوان .

12 ـ رياض الجنة، للشيخ عبد الحفيظ الفاسى

وقد نقلت منه في ترجمة السيد محمد بن عبد الهادي مدينة التطوانى

13 ـ الزاوية ـ لصديقنا ورفيقنا الاستاذ التهامى بن عبد الله الوزانى

وقد نقلت منه كثيرا فى ترجمة الشيخ الحراق

14 ـ الزاوية الدلائية للاستاذ محمد حجى السلوي

وقد نقلت منه عند الكلام على الزاويتين الحراقيتين بالرباط والدار البيضاء .

15 ـ مجمع فضلاء البشر، لابى العباس احمد بن الصديق .

وهو مخطوط نقلت منه فى بعض التراجم .

16 ـ مرآة المحاسن للشيخ العربى الفاسي

وقد استفدت ونقلت منه عند تحقيق بعض الاسانيد في الطريقة الصوفية الشاذلية .

17 ـ نضار الاصيل، للاديب عبد الله شطير التطوانى.

وهو مخطوط وصفته باطناب ابتداء من صفحة 200 من هذا المجلد، ونقلت منه في ترجمة مؤلفه

18 ـ النفحات الندية للسيد محمد بن علي دينية الرباطي،

وقد نقلت منه فى ترجمة السيد محمد بن العربي الدلائى .

19 ـ النهضة العلمية ، لمولاي عبد الرحمن ابن زيدان.

وقد نقلت منه في ترجمة الشيخ الحراق .

20 ـ النور اللامع البراق، للسيد محمد ابن العربى الدلائى الرباطى.

وهو مخطوط نقلت منه فى ترجمة شيخه الشيخ الحراق ،

21 ـ فهرس ابن الصادق بن ريسون

وهو مخطوط نقلت منه في ترجمة مؤلفه .

22 ـ فهرس ابى العباس ابن عجيبة

وهو مخطوط تكلمت عليه فى صفحة 239 من هذا المجلد وقد نقلت منه فوائد

23 ـ فهرس ابى عبد الله المرير ، واسمه النعيم المقيم.

وهو مخطوط نقلت منه في تراجم الشريف ابن الصادق بن ريسون، والفقيه الحايك قاضي تطوان، والشيخ الحراق

24 ـ فهرس الفهارس . للشيخ عبد الحي الكتانى

وقد نقلت منه في تراجم عده من علماء تطوان .

25 ـ فهرس الشيخ محمه بن علي الورزازي دفين تطوان

وهو مخطوط تكلمت عليه ونقلت منه في صفحة 191 من هذا المجله

26 ـ سلوة الانفاس، للشيخ محمه بن جعفر الكتانى

وقه نقلت منه في تراجم الشيخ الحراق وبعض كبار تلاميذه بفاس

27 ـ الشرب المحتضر، للشيخ جعفر الكتاني،

وقد نقلت منه في تراجم بعض العلماء



الفهرس السابع

للصور

فهرس مجمل

للمجلد السادس من تاريخ تطوان

صفحة

الفهارس السبعة المفصلة

لهذا المجلد